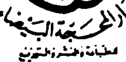
الأَعْمالُ المانِعَة
من
دُخُولِ الجَنَّة

الطبعة الاولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

الأَعْمالُ المانِعَة

مِن

دُخُولِ الجَنَّة

محسن عقيل

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَم»

الذنوب لعنات تطارد الإنسان وتعذّبه. يا إلّهي اغفرها لي وخلّصني من لعناتها.

إنَّ مسير الإنسان مجموعة تجاربه وأفعاله وأعماله وأقواله ومواقفه وأخلاقه.

وكل ما يعدّ انتهاكاً للشرائع الإلّهية والفطرة الإنسانية هو إثم وعصيان وتمرّد على ناموس السماء.

إنَّ بعض المعاصي والذنوب ما يعدّ ارتكابها انتهاكاً خطيراً يؤذن بحرب من الله عزّ وجلّ: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[1].

وهناك من الذنوب ما يستحيل إلى نار مستعرة تحرق الإنسان وتحيل مصيره إلى شقاء دائم لا يزول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[2].

وما أعجب بعضهم يأكل في مائدة الوجود ويتلذّذ بألوانها وأشكالها ثم يعبث في الأرض ناشراً فيها الخراب والدماء أليس هذا عدواناً على ناموس العدل والإنصاف؟!

---

(١) البقرة: ٢٧٩.

(٢) النساء: ١٠.

حكاية من التاريخ:

يعقوب الصفّار

إنّ الذين قرأوا تاريخ العباسيين لا بدّ وأن يعرفوا يعقوب بن الليث بن الصفار الذي كان يحكم أجزاء واسعة من أقاليم إيران يومئذٍ، والذين قرأوا تاريخ الثورات في تلك الفترة سمعوا بثورة الصفاريين.

وكان يعقوب أحد أولئك الذين تألّق اسمهم في الثورة على الظلم الذي نشره العباسيون في ربوع البلاد الإسلامية.

كان في بداية شبابه صفّاراً التف حوله شباب في مثل سنِّه لشهامته وسخائه، ولأسباب ترك عمله واندفع في دروب الثورة، فكان أول عمل قام به هو التفكير في الاستيلاء على خزانة حاكم إقليم سيستان.

ونظراً للحراسة المشدَّدة والأبواب المنيعة فقد قاده التفكير في النهاية إلى حفر نفق تحت الأرض من مكان مناسب والوصول إلى مكان الخزانة.

واستمرّ العمل في حفر النفق مدة ستة شهور وفي منتصف ذات ليلة نقب المكان ووصل يعقوب مع رجاله إلى الخزانة وكانت عبارة عن غرفة كبيرة مليئة بالذهب والفضة والمجوهرات الثمينة، إضافة إلى آلاف الدنانير والدراهم وتمّ جمع الأموال في أكياس لنقلها عبر النفق إلى خارج المدينة.

وفي غمرة الظلام وقعت عينا يعقوب على شيء يتألّق في إحدى الزوايا، فأخذه وأراد أن يعرف طبيعته فجسَّه بلسانه وفمه فإذا هو فص ملح وهي عادة ما يعثر عليها في الممالح وهو فص شفاف جداً كالبلور، وأسقط في يده لقد ذاق ملح الأمير.

وهنا أمر أنصاره بترك الأموال ومغادرة الخزانة فوراً.

وكان رجاله يطيعونه طاعة مطلقة لكنهم سألوا عندما خرجوا من النفق عن سرّ ذلك، سيما وأنّهم استغرقوا في عمل مُضْنٍ مدة شهور طويلة!!

وفي اليوم التالي فوجىء الحرس بالنفق وسلامة الأموال كلّها، ووصل خبر الحادثة العجيبة إلى الأمير الذي أمر بإذاعة إعلان مفاده أن يعرّف الفاعل نفسه لدى الأمير لمكافأته على شهامته ورجولته وإنصافه.

وقد سرّ أمير سيستان بوجود هذا الشاب الشجاع ونصّبه قائداً لجيشه ومنذ ذلك الوقت تألّق نجمه في سماء التاريخ بعد أن ثار على الحكم العباسي الغاشم.

إنّ الذنب قذارة معنوية تلوّث الروح وتملأ صدر الإنسان قيحاً وتستحيل الذنوب إلى أدران تحجب القلب عن تلقي النور. النور القادم من الله عزّ وجلّ مصدر النور.

الذنوب تمزّق الأستار التي تحفظ الإنسان من السقوط في هاوية الجحيم. الذنوب هي التي تمزّق الستر الذي يستر الإنسان من الفضائح يوم تنكشف الأسرار والآثام هي التي تحرم الإنسان من لذائذ العبودية لله عزّ وجلّ حيث تكمن فيها الحرية الحقيقية.

وهي التي تبعد الإنسان عن فيوض الرحمة والمغفرة.

والذنوب قسمان كما نفهم ذلك من مفاد الآيات الكريمة وما ورد في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

فهناك صغائر وكبائر[1].

وعلى الإنسان أن يجتنب الكبائر من الذنوب لأنّها ذنوب غاية في الخطورة وتهدد حياة الإنسان ومصيره، لأنّها ذنوب لا تشملها المغفرة الإلّهية:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[2].

وفي الكتاب القيّم «عيون أخبار الرضا عليه السلام» إنّ الكبائر كما يلي:

(١) الكافي: ٢/٢٧٦، باب الكبائر، حديث ١.
(٢) النساء: ٣١.

١ ـ قتل النفس التي حرّم الله.
٢ ـ الزنى.
٣ ـ السرقة.
٤ ـ شرب المسكرات.
٥ ـ عقوق الوالدين.
٦ ـ الفرار من الزحف.
٧ ـ أكل أموال اليتامى.
٨ ـ أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أحلّ لغير الله به.
٩ ـ الربا
١٠ ـ أكل المال الحرام
١١ ـ المقامرة
١٢ ـ التطفيف في الكيل والميزان
١٣ ـ البهتان
١٤ ـ اللواط
١٥ ـ اليأس من رحمة الله
١٦ ـ عدم الخشية من عذاب الله
١٧ ـ معاونة الظالمين
١٨ ـ الرضا بعمل الظالمين
١٩ ـ القسم زوراً وكذباً
٢٠ ـ احتباس حقوق الناس دون عذر وهو ضيق ذات اليد
٢١ ـ الكذب
٢٢ ـ الكبر
٢٣ ـ الإسراف
٢٤ ـ التبذير
٢٥ ـ الخيانة
٢٦ ـ الاستخفاف بالحج
٢٧ ـ الحرب على أولياء الله

٢٨ ـ **الاستغراق في الملاهي**
٢٩ ـ **الإصرار على المعاصي**[١].

آثار الذنوب:

ارتكاب الذنوب له من النتائج والآثار الخطيرة، ما يهدد مستقبل الإنسان وحياته في الدنيا والآخرة، فالذنوب تمحق الأعمال الصالحة.

والذنوب نار مجنونة تحرق الأعمال الخضراء الصالحة وتحيلها إلى رماد تذروه الرياح.

الذنوب تحجب استجابة الدعاء، وتحرم المرء من شفاعة الشافعين يوم القيامة.

الذنوب تجعل من القلب قاسياً كالحجارة أو أشدّ قسوة.

وهي تحجب القلب عن تلقي النور فيغرق في ظلمات بعضها فوق بعض.

إنّها تدمّر الإيمان، الذي هو شعلة متوقدة تضيء للإنسان حياته وطريقه.

إنّها تجعله ضعيفاً خائراً وعبداً ذليلاً للشيطان.

ارتكاب الذنوب يحرم الإنسان الرزق الحلال الزاخر بالبركة، الذنوب والاستغراق في ارتكابها يخرج الإنسان من عبودية الله ليصبح عاصياً، وهذا ما يجعله منقاداً للشيطان فيقوده إلى هاوية الجحيم.

الذنوب تدمّر المجتمع؛ فهي تفتك بالأسرة وتجعل من الدفْ العائلي صقيعاً وزمهريراً يهددها بالموت.

إنَّ ارتكاب الذنوب يدمّر الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع وهذا ما يجعل من الحياة الاجتماعية جحيماً لا يطاق.

إنّها تميت قلب الإنسان وتصعّب عملية انتقال الإنسان إلى العالم الآخر

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٢٥، باب ١٣٥ (ما كتبه الرضا للمأمون...)، حديث ١.

وتجعل من سكرات الموت عذاباً وألماً رهيباً وتكون رحلته في البرزخ كابوساً مخيفاً[١].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أمّا إنّه ليس من عرقٍ يضرب ولا نكبةٍ ولا صداع ولا مرض إلّا بذنب وذلك قول الله عزّ وجل في كتابه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[٢]»[٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: «إنّ الرجل يُذنب الذّنب فيحرم صلاة اللّيل وإن العمل السّيّىء أسرع في صاحبه من السّكين في اللَّحم»[٤].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: أنّه قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيٍّ من الأنبياء إذا أُطِعتُ رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصيتُ غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السّابع من الورى»[٥].

وقد أثبتت التجارب ذلك فقد يتعرّض الأبناء والأحفاد للبلاء من مرض وعجز وضيق في الرزق، بسبب ما ارتكبه الآباء والأجداد وتلك حكمة الله ورحمته حتى ينتبهوا إلى أنفسهم فلا يطغوا.

وحول الإصرار على الذنب والاستغراق في المعاصي، رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«ما من عبدٍ إلّا وعليه جنّة حتى يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنّة فيوحي الله إليهم أن استروا عبدي بأجنحتكم، فتستره الملائكة بأجنحتها، قال: فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه حتى يمتدح إلى الناس بفعله القبيح، فيقول الملائكة: يا ربّ هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركبه وإنّا لنستحي ممّا

---

(١) الكافي: ج٢، باب الذنوب؛ بحار الأنوار: ج٧٣، باب ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، وج٧٩، أبواب المعاصي والكبائر؛ ميزان الحكمة: ٤/ ١٨٧٩، الذنب.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) الكافي: ٢/ ٢٦٩، باب الذنوب، حديث ٣.

(٤) الكافي: ٢/ ٢٧٣، باب الذنوب، حديث ١٦.

(٥) الكافي: ٢/ ٢٧٥، باب الذنوب، حديث ٢٦.

يصنع فيوحي الله عزّ وجلّ إليهم: أن ارفعوا أجنحتكم عنه فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينهتك ستره في السماء وستره في الأرض.

فيقول الملائكة: يا ربّ هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر فيوحي الله عزّ وجلّ إليهم: لو كانت لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه»[1].

إنّ الإنسان الصالح التقي الذي يذكر الله ويخشى الحساب يوم المعاد وينفر من المعاصي في السّر والعلن هو الإنسان الحيّ والإنسان العاصي المستغرق في المعاصي، لأنّه غافل عن يوم القيامة ومن عواقب ذنوبه يوم الحساب وهذا ما صرّحت به الروايات الواردة عن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام.

الحجاب:

المحدّث الكبير الشيخ الصدوق في كتابه «معاني الأخبار»[2] يروي أحاديث كثيرة حول الذنوب وأثرها في تكوين الحجب ومن الذنوب التي تصنع الحجب هي:

١ ـ **شرب الخمر**

٢ ـ **لعب القمار**

٣ ـ **اللهو والتهريج**

٤ ـ **تسقّط عيوب الناس وفضحها**

٥ ـ **مجالسة أهل المعاصي.**

شرب الخمر:

يعتبر الإمام موسى بن جعفر ونجله وحفيده عليهم السلام شرب الخمر من الكبائر.

وقد أثبت العلم الحديث الآثار الضارّة المدمّرة من جرّاء شرب الخمر

---

(١) الكافي: ٢/ ٢٧٩، باب الكبائر، حديث ٩.

(٢) معاني الأخبار: ٢٦٩.

والمسكرات، حيث يصاب المخّ بأضرار فادحة والمعدة والكبد والقلب والكلية والجهاز التنفسي والدورة الدموية، وقد يصبح علاج بعضها في غاية الصعوبة.

إنّ شيطان هذه القناني شيطان خطير وعدوّ ضارّ وكائن قذر ونجس.

وقد عدّه القرآن الكريم من عمل الشيطان وأنّ ضرّه لأكثر من نفعه ومن أجل هذا حرّم القرآن الكريم وحذّر من شرب الخمر وانّ شارب الخمر سيطاله العذاب الشديد يوم القيامة إذا لم يتدارك ذلك بالتوبة.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسودّاً وجهه مدلعاً لسانه يسيل لعابه على صدره وحقّ على الله أن يسقيه من بئر خبال. قيل وما بئر خبال؟ قال: بئر يسيل فيها صديد الزناة»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «شارب الخمر كعابد الوثن»(٢).

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ شارب الخمر يحشر كافراً»(٣). و«أنّه رأس المعاصي»(٤).

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله: في أنّ شرب الخمر أسوأ من السرقة والزنى.

فقال: إنّ الزاني قد لا يرتكب ذنباً آخر ولكن شارب الخمر إذا سكر يزني ويقتل النفس ويترك الصلاة(٥).

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَن شرب الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب ولا يشفّع

(١) وسائل الشيعة: ج٢٥، باب ٩ حديث ٣١٩٤٧.
(٢) وسائل الشيعة: ج٢٥، باب ١٢، حديث ٣٢٠٠٣.
(٣) وسائل الشيعة: ج٢٥، باب ١٢، حديث ٣٢٠٠٩.
(٤) وسائل الشيعة: ج٢٥، باب ١٢، حديث ٣١٩٩٢.
(٥) الكافي: ٤٠٣/١، باب أنّ الخمر رأس كل إثم وشرّ، حديث ٨.

إذا شفع ولا يصدّق إذا حدّث ولا يؤتمن على أمانة، فمن ائتمنه بعد علمه فليس الذي إئتمنه على الله ضمان وليس له أجر ولا خلف»[١].

القمار:

ومن كبائر الذنوب والمعاصي القمار.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[٢].

إنّ صنع آلات القمار وأخذ أجرة ذلك وشراءها وبيعها حرام.

وقد اتّفق كبار فقهاء الشيعة على الإفتاء بحرمة لعب القمار حتى بدون أن يكون خاسر ورابح.

ولذا فإنّ الاحتفاظ بهذه الوسائل حرام وإتلافها لازم.

وكذا فإنّ حضور مجالس المقامرة والتفرّج على المتقامرين حرام وترك مثل هذه المجالس واجب شرعي أكيد.

اللهو والتهريج:

إنّ إتلاف العمر وهو رأسمال الإنسان باللهو والتهريج، بعيداً عن استثمار الطاقات الإنسانية في العمل المثمر والإنتاج، هو من الأنشطة العابثة التي لا طائل من ورائها.

إنّ تضييع العمر في العبث واللهو والتهريج يعد من موارد كفران النِّعم.

فالعمر من أكبر النّعم الإلّهية والشكر على هذه النعمة واجب على الإنسان؛ ولهذا لا ينبغي للإنسان أن يضيع لحظة واحدة من عمره وأن يجعل كل وقته في عبادة الله وذكره والعمل بأوامره، من طلب العلم وخدمة الناس.

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٥/ ٣١٠، باب ١٢، حديث ٣١٩٨٠.
(٢) البقرة: ٢١٩.

محاسب نفسه:

يروي المحدّث القمّي في كتابه «منازل الآخرة» عن رجل يدعى ابن صمد وكان يحاسب نفسه كثيراً، وذات يوم عدّ أيام عمره وقد مضى عليه ستون سنة فعدّ أيامها؛ فكانت واحداً وعشرين ألف وتسعمائة يوم، فصاح الويل لي لو أني أذنبت في كل يوم ذنباً فألقى الله بواحد وعشرين ألف وتسعمائة ذنب صاح ذلك وهوى مغشياً على الأرض؛ فحُرّك فإذا هو قد فارق الحياة.

تسقّط عيوب الناس:

إنّ حفظ كرامة المسلم والمؤمن ممّا أكّدت عليه الشريعة الإسلامية فقد جاء في الآثار:

«عِرضُ المؤمن كدمه».

إنّ فضح عيوب الناس يدمّر الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع الواحد ويعرّض الحياة الأسرية والاجتماعية إلى الانهيار.

الأنبياء والأئمة والأولياء هم وحدهم المبرّأون من العيوب؛ أمّا غير أولئك فلهم عيوبهم وقد ستروها عن أنظار الآخرين. صحيح أنّه يوجد من الناس مَن لا يتحرّج من عيبه بل إنّهم لا يخجلون ويعلنون ذلك أمام الملأ دون أي شعور بالخجل أو الحياء.

ولكن أكثر الناس ممّن تهمه كرامته يحرص على حفظ ماء وجهه ويسعى في التستر على عيوبه.

ولذا فإنّ مَن يتسقّط عيوب الناس سواء كانت عيوباً بدنية أو أخلاقية ويريد فضحها أمام الناس؛ فإنّه يوجّه طعنة نجلاء إلى كرامة الإنسان وينتهك حقّاً أكيداً من حقوقه الذاتية؛ وهو بذلك يستحق عذاب الله وغضبه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل على الدِّين فيُحصي عليه عثراته وزلّاته ليعنّفه بها يوماً ما»[1].

---

(١) الكافي: ٢/ ٣٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين، حديث ١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنّه مَن تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومَن تتبّع الله تعالى عورته يفضحه ولو في بيته»[1].

مجالسة أهل المعاصي:

يتأثر المرء بجليسه قبل أن يتأثر بأمر آخر، حيث تبلغ قدرة تأثير الجليس حدّاً لا يمكن تصوره.

ومن أجل هذا أكّدت الآيات الكريمة والروايات على حساسية انتخاب الإنسان لجليسه وصديقه ووضعت معالم تعين المرء على ذلك.

وقد أفاض علماء الإسلام في ذلك وألفت كثير من الكتب ما يجعل هذه القضية في متناول كل النّاس.

فهناك تحذيرات شديدة من مجالسة أهل الكفر والباطل، وأهل الشك والفسق والفجور وإقامة علاقات مع اليهود والنصارى، وحتّى المتهمين بالمعصية، فكل هذه النماذج هي قنوات يتسلّل منها الشيطان لتخريب روح المؤمن وقلبه.

وعن الإمام الصّادق عليه السلام قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره»[2].

وعن أبي هاشم الجعفري قال: قال أبو الحسن عليه السلام: ما لي رأيتك عند عبد الرَّحمن بن يعقوب؟

فقلت: إنّه خالي.

فقال: إنّه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف؛ فإمّا جلست معه وتركتنا، وإمّا جلست معنا وتركته؟

فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء عليَّ منه إذا لم أقل ما يقول؟

(١) الكافي: ٢/ ٣٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين، حديث ٢.
(٢) الكافي: ٢/ ٣٧٤، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ١.

فقال أبو الحسن عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً، أما علمت بالَّذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلَّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى؛ فمضى أبوه وهو يراغمه حتَّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً؛ فأتى موسى الخبر فقال: هو في رحمة الله ولكنَّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمَّن قارب المذنب دفاع[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبةٍ»[٢].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «من قعد عند سبَّابٍ لأولياء الله فقد عصى الله تعالى»[٣].

أجل انَّ التقوى والعفَّة والورع والصدق والعبادة وخدمة النَّاس، إنَّما هي مفاتيح النجاح والخلاص، وأنَّها ستائر تحول بين المرء وغضب الله عزَّ وجلَّ.

وإنَّ ارتكاب الذُّنوب والمعاصي، وتسقّط عيوب النَّاس، ومجالسة الفساق، إنَّ كل هذا وغيره من الآثام، ما يمهِّد الطريق لغزو الشيطان إلى قلب المرء وروحه، وهذا ما يعرِّض الإنسان لسخط الله تبارك وتعالى لأنَّ طاعة الله على النَّاس واجبة والحذر من الشيطان وعدم اتباع خطواته هو ما ينبغي على المرء العاقل أن يفعله.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ»

يا إلّهي اغفر ليَ الذُّنوب الَّتي تفتح علي أبواب الانتقام.

---

(١) الكافي: ٢/ ٣٧٤، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ٢.
(٢) الكافي: ٢/ ٣٧٤، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ١٠.
(٣) الكافي: ٢/ ٣٧٤، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ١٤.

ذنوب تنزل العقوبة:

جاء في كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام: انَّ الذُّنوب الَّتي تكون سبباً في نزول النقم الإلَهيَّة هي:

١ ـ **البغي**.
٢ ـ العدوان على حقوق النَّاس.
٣ ـ **السخرية من عباد الله**.
٤ ـ **نقض العهد**.
٥ ـ **العصيان وارتكاب الذُّنوب في العلن**.
٦ ـ **شيوع الكذب**.
٧ ـ **الحكم بغير ما أنزل الله**.
٨ ـ **الامتناع عن دفع الزكاة**.
٩ ـ **التطفيف في الكيل والميزان**.

البغي:

«البغي» لغة هو التمرُّد على الحق، وانتهاك الحدود الإلَهية والعدوان على النَّاس، الفساد، المعصية، الرِّجس والزنى وهناك ما يؤيّد ذلك في الآيات الكريمة:
﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[1].

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[2].

﴿يَـٰأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾[3].

وجاء عن سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إنَّ أسرع الخير ثواباً البرُّ وإنَّ أسرع الشرِّ عقاباً البغي»[4].

---

(١) القصص: ٧٦.
(٢) الشورى: ٢٧.
(٣) مريم: ٢٨.
(٤) بحار الأنوار: ٧٢/٢٧٣، باب ٧٠، حديث ١.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «ستة لا تكون في المؤمن: العسر، والنكد، واللجاجة، والكذب، والحسد، والبغي»[١].

العدوان على حقوق النَّاس:

جعل الله تبارك وتعالى للنَّاس فيما بينهم حقوقاً متبادلة وجعل أداءها واجباً وعدَّ انتهاكها عدواناً ومعصية وربَّما كانت سبباً في الجزاء والعقوبة.

فللوالدين على الأبناء حقوق، وللأبناء على الوالدين حقوق وللرحم حقوق، وللجيران، وللشعب على الحكومة وللحكومة على الشعب، وللرجل على زوجته وللمرأة على بعلها، وللفقراء حقوق على الأغنياء وحقوق أُخرى بيَّنها القرآن الكريم.

ولكن أجمل من فصَّل في الحقوق تفصيلاً هو سيِّدنا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق، حيث تضمنت خمسين مادة حقوقية غاية في الروعة والشمول.

السخرية من عباد الله:

إنَّ السخرية والاستهزاء بالنَّاس سواء كان من عيب في أبدانهم أو بسبب وضعهم المعاشي والاقتصادي وبسبب تدينهم أو بسبب مزاولتهم لنوع من الأعمال أو لطبقتهم الاجتماعية هو إثم كبير ومعصية لله عزَّ وجلَّ تستوجب الجزاء والعقوبة في الدارين.

إنَّ الاستهزاء بالآخرين هو عدوان على كرامتهم الشخصية وحط من كرامتهم الإنسانية.

وقد نعت القرآن الكريم المستهزئين بالنفاق في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ٢٦٣، باب ٢٣.

(٢) البقرة: ١٤.

وجاء عن سيِّدنا محمَّد ﷺ قوله: «من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي»[1].

وعنه ﷺ قال: «قد نابذني من أذلَّ عبدي المؤمن»[2].

أجل انَّ السخرية من الآخرين إنَّما هي إهانة لهم وحط من كرامتهم وهذا ما حذَّر منه القرآن الكريم في كثير من آياته البيِّنات[3].

نقض العهد:

العهد والوفاء به حقيقتان أخلاقيتان وإنسانيتان وقد أكَّد القرآن الكريم على حساسيتهما كما ورد في روايات عن أهل البيت عليهم السلام، ما يجعل من العهد والوفاء به مسألة غاية في الأهمية وفي هذه المسألة لا يوجد ثمَّ تفاوت بين العهد مع الله عزَّ وجلَّ أو مع الرَّسول ﷺ أو مع النَّاس عموماً، فالوفاء بالعهد عمل إيجابي، سواء على صعيد الالتزام بالعبادة أو في خدمة النَّاس، أو في الكسب والعمل والتجارة، وهو واجب شرعي وأخلاقي وقد يصل نقض العهد إلى مستويات خطيرة تستوجب الجزاء الإلَهي!

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[4].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[5].

﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[6].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾[7].

---

(١) الكافي: ٢/٣٥١، باب من آذى المسلمين، حديث ٢ و٦.

(٢) الكافي: ٢/٣٥١، باب من آذى المسلمين، حديث ٢ و٦.

(٣) الحجرات: ١١.

(٤) النحل: ٩١.

(٥) البقرة: ٢٧.

(٦) الإسراء: ٣٤.

(٧) المائدة: ١.

وجاء عن رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلّى وزعم أنَّه مسلمٌ: من إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا وعهد أخلف»[١].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «من عامل النَّاس ولم يظلمهم، وحدَّثهم فلم يكذبهم. ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممَّن كملت مروءته وحرِّمت غيبته وظهر عدله ووجبت أُخوَّته»[٢].

الإعلان بالمعاصي:

نهى القرآن الكريم بشدَّة اقتراف المعاصي ﴿...مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٣].

إنَّ الإعلان والتجاهر بالمعصية يدلُّ على عدم الحياء، والجرأة على شريعة السَّماء وانتهاك واضح للأخلاق وعدم احترام للقانون.

إنَّ الإسلام يستنكر بشدَّة تلويث أجواء المجتمع الإسلامية الأخلاقية وقد سنَّ القوانين والأحكام لمن ينتهك الذوق الأخلاقي في المجتمع الإسلامي.

إنَّ على النَّاس المؤمنين والواعين وبخاصَّة المسؤولين في الحكم التصدي لظاهرة الانتهاك العلني للقوانين الإسلامية وأحكام الشريعة الإلَهية؛ لأنَّ السماح لهم في المجاهرة بالعصيان هو سماح للجراثيم بالفتك في جسم الأُمَّة الإسلامية.

ومن هنا يتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمكافحة الانحراف والقضاء على جذور الفساد ومكافحة التلوث الأخلاقي والانحطاط وحماية المجتمع من خطر السقوط.

إنَّ تنمية الأخلاق الكريمة والعفَّة والقيم الدينية في نفس الإنسان هو الَّذي يحول دون السقوط في الفحشاء والمنكرات.

---

(١) الكافي: ٢/ ٢٩٠، باب في أُصول الكفر، حديث ٨.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٣٩، باب المؤمن وعلاماته، حديث ٢٨.

(٣) الأنعام: ١٥١.

فالحياء وذكر الله والتفكُّر في عواقب الذُّنوب والمعاصي هي في طليعة الوسائل الَّتي تردع الإنسان وتمنعه من اقتراف المعاصي والذُّنوب.

يقول الإمام الصَّادق عليه السلام: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنَّة»(١).

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أوصني، قال صلى الله عليه وآله: «استحي من الله كما تستحيى من الرجل الصالح من قومك»(٢).

حكاية امرأة مؤمنة:

روى أبو حمزة الثمالي، عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال: إنَّ رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم فلم ينج ممَّن كان في السفينة إلاَّ امرأة الرجل، فإنَّها نجت على لوح من ألواح السفينة، حتَّى الجأت على جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلاَّ انتهكها؛ فلم يعلم إلاَّ والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسية أنت أم جنيَّة؟

فقالت: إنسيَّة، فلم يكلِّمها كلمة؛ حتَّى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما أن همَّ بها اضطربت، فقال لها: ما لك تضطربين؟

فقالت: أفرق من هذا. وأومأت بيدها إلى السَّماء.

قال: فصنعت من هذا شيئاً؟

قالت: لا وعزَّته.

قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنَّما استكرهك استكراهاً، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك.

قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليس همَّه إلاَّ التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق؛ فحميت عليه الشَّمس.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٢٩، باب ٨١، حديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ٣٣٦، باب ٨١، حديث ٢٠.

فقال الراهب للشاب: ادع الله يظلّنا بغمامة، فقد حميت علينا الشَّمس.

فقال الشاب: ما أعلم أنَّ لي عند ربِّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً.

قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت؟

قال: نعم.

فأقبل الراهب يدعو والشابّ يؤمّن؛ فما كان بأسرع من أظلّتهما غمامة، فمشيا تحتها مليّاً من النَّهار، ثمَّ تفرَّقت الجادَّة جادَّتين، فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فإذا السحابة مع الشاب، فقال الراهب: أنت خيرٌ منِّي لك أستجيب ولم يُستجب لي؛ فأخبرني ما قصَّتك؟

فأخبره بخبر المرأة، قال: غُفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل[١].

شيوع الكذب:

حذَّر القرآن الكريم النَّاس من الكذب وعدَّه رسول الله ﷺ من الكبائر كما تزخر الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام بالتحذير من الكذب.

وأسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الله ورسوله وأنبيائه ورسالاته؛ لما في هذا من آثار وخيمة في انحراف وضلال المجتمعات البشرية[٢].

إنَّ رؤوس الكفر والشِّرك والإلحاد على مدار التاريخ كانوا كذَّابين دجَّالين فهم يطرحون أكاذيبهم وينمقونها ويصبونها في قوالب علمية فلسفية مزيفة لحرف الجماهير البسيطة في تفكيرها والحؤول دون إيمانها برسالات الله.

فهم بأكاذيبهم يقطعون الطريق على من يريد السير في صراط الله المستقيم.

---

(١) الكافي: ٢/ ٦٩ ـ ٧٠ باب الخوف والرجاء، حديث ٨.

(٢) للبحث في الروايات الخاصَّة بهذا الموضوع راجع كتاب الكافي ووسائل الشيعة والمستدرك وبحار الأنوار.

وهم بأكاذيبهم ودجلهم ونفاقهم يلبسون الأباطيل ثوب الحق.

وعلى طول التاريخ، تاريخ الرسالات الإلَهيَّة كان هؤلاء ينبرون إلى التكذيب برسالات الله قائلين: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾[١].

إنَّهم بمثابة السحب السوداء تقف في طريق الشَّمس، حتَّى لا تصل أشعتها إلى النَّاس؛ فيكتشفون الطريق إلى الله انَّهم يريدون أن يبقى النَّاس في حيرة وضلال وضياع.

ولم يكتفوا بتكذيب الرسالات الإلَهيَّة بل امتدت أيديهم القذرة إلى كتب السَّماء فراحوا يحرِّفون الكلم عن مواضعه لتصبح هذه الكتب المضيئة الَّتي أنزلها الله لهداية البشر، مصادر للفتنة والشُّبهات وضلال المجتمعات كما فعل اليهود بالتوراة والزبور وفعل النصارى بالإنجيل.

من أجل هذا حفظ الله عزَّ وجلَّ كتاب السَّماء الأخير وهو القرآن حفظه من كل تحريف وتلاعب؛ فكان معجزة رسول الله ﷺ والكتاب الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

غير انَّ الكذَّابين والدجَّالين لما رأوا حصانة القرآن الكريم راحوا يكذبون على رسول الله ﷺ؛ فظهرت في عهد بني أُميَّة والعبَّاسيِّين طبقات من علماء السوء ورواة الحديث؛ راحوا يضعون الأحاديث المزوَّرة وينسبونها إلى النبي ﷺ من أجل تمكين الظالمين من الحكم على البلاد الإسلامية ومحاصرة الأئمَّة الطَّاهرين والتضييق عليهم.

غير أنَّ أئمَّتنا عليهم السلام تصدّوا لأولئك المزوّرين والكذَّابين وسنُّوا لأتباعهم مناهج دقيقة لمعرفة الصحيح من الأحاديث الشريفة ونبذ الأحاديث الموضوعة المزوَّرة.

ولولا جهود الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم المخلصين، لتسلَّل كثير من الأفكار الضالَّة إلى الثقافة الإسلامية وأصبحت عامل ضلال وانحراف وسقوط.

(١) يٰس: ١٥.

والكذَّابون والدجَّالون يتلبسون بكل لباس ويرتدون ما يناسب دورهم التخريبي في أبعاد الأُمم والشعوب عن الدِّين والقيم الأخلاقية، فتراهم يرفعون الشعارات الخادعة لإغواء النَّاس ودفعهم إلى اعتناق الأفكار الخطرة من إلحاد وشرك وانحراف.

وسلاحهم هو الكذب والاستفادة من الوسائل الهابطة أخلاقياً، وهم موجودون في كل زمان ومكان حتَّى أغرقوا الأرض بالشرور والفساد.

إنَّهم يستحقون لعنة الله ولعنة التاريخ والأجيال من أجل هذا نرى القرآن الكريم كتاب الله الخالد يلعنهم ليل نهار: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[2].

ومن أجل ذلك شدَّد سيِّدنا محمَّد ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام على الكذَّابين واستنكر صلوات الله عليه وآله الكذب الَّذي هو من أكبر الكبائر.

قال سيِّدنا محمَّد ﷺ: «ألا أنبِّئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس ثمَّ قال: ألا وقول الزور»[3].

وعنه ﷺ قال: «شرُّ الرِّواية رواية الكذب»[4].

وعنه ﷺ أيضاً: «أقلُّ النَّاس مروَّةً من كان كاذباً»[5].

وقيل له ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: بلى، قيل: بخيلاً؟ قال: بلى، قيل: كذَّاباً، فقال: لا[6].

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٧/٤١٦، باب ٦، حديث ٢١٧١٤.

(٤) بحار الأنوار: ٦٩/٢٥٩، باب ١١٤، حديث ٢٥.

(٥) بحار الأنوار: ٦٩/٢٥٩، باب ١١٤، حديث ٢١.

(٦) بحار الأنوار: ٦٩/٢٦٢، باب ١١٤، حديث ٤٠.

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لا يجد عبدٌ طعم الإيمان حتَّى يترك الكذب هزله وجدَّه»[١].

وعنه عليه السلام قال: «لا سوء أسوأ من الكذب»[٢].

وعنه عليه السلام أيضاً: «الصِّدق أمانة والكذب خيانة»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الكذب هو خراب الإيمان»[٤].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «إنَّ الكذَّاب يهلك بالبيِّنات ويهلك أتباعه بالشُّبهات»[٥].

وعلى كلِّ حال فإنَّ الكذَّاب في الشريعة الإلَهيَّة فاجر فاسق لا إيمان له تلعنه الملائكة ولا ينبغي مجالسته.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذَّاب، فإنَّه يكذب حتَّى يجيء بالصِّدق فلا يصدَّق»[٦].

الحكم بغير ما أنزل الله:

من الذُّنوب الَّتي تنزل النقم هو الحكم بغير ما أنزل الله عزَّ وجلَّ فالقاضي الَّذي يحكم ظالماً فيبرىء الظالم ويتهم المظلوم ويدان في مجلسه إنَّما ينقض العدالة وهي أساس استقرار وثبات العالم فكل شيء قائم على العدل وكل شيء ينبغي أن ينهض على العدالة.

والقاضي الَّذي يسحق على العدالة كافر وظالم وفاسق بصريح آيات القرآن الكريم.

---

(١) الكافي: ٢/٣٤٠، باب الكذب، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ٦٩/٢٤٩، باب ١١٤، حديث ١٤.

(٢) توحيد الصدوق: ٧٢، باب التوحيد ونفي التشبيه.

(٣) بحار الأنوار: ٦٩/٢٦١، باب ١١٤، حديث ٣٧.

(٤) الكافي: ٢/٢٣٩، باب الكذب.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر نفسه: ٢/٢٤١.

فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون[١].

عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «من حكم بين اثنين بغير حكم الله فقد كفر بالله»[٢].

الامتناع عن دفع الزكاة:

إنَّ دفع الزكاة من الغلاَّت والماشية والذَّهب والفضَّة واجب أكيد كما تصرِّح به الآيات الكريمة وأنَّ الامتناع عن دفع الزكاة من الكبائر الَّتي توجب غضب الباري تعالى.

وقد اقترن ذكر الزكاة بالصلاة، فما من آية تطرقت إلى أمر الصلاة إلاَّ وقرنت ذلك بدفع الزكاة وهذا ما يؤكد أهميتها وقيمتها الحقيقية.

إنَّ ترك الزكاة يدخل في باب الإنكار والرد على الحق وتارك الزكاة كتارك الصلاة والحج كافر بحسب الروايات الواردة عن أئمَّة الهدى من أهل بيت النُّبوَّة ومعدن الرِّسالة.

وقد أشارت الروايات إلى أنَّ التزام المسلمين بدفع الزكاة يؤدِّي إلى حالة من الرفاه الاقتصادي في المجتمع الإسلامي وانَّ الالتزام بها يساعد بشكل سريع ومؤثر في مكافحة الفقر والاختلاف الطبقي الَّذي ينجم عادة عن الظلم في توزيع الثروة في المجتمع.

إنَّ دفع الزكاة ركن من أركان العدالة الاجتماعية في الإسلام، تقول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في فلسفة الزكاة وغيرها من أحكام الإسلام: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشِّرك، والصَّلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزَّكاة تزكية للنَّفس»[٣].

وروي أنَّ الإمام الرِّضا عليه السلام قال لخادم له: هل أنفقت شيئاً في سبيل الله هذا اليوم؟ فقال الخادم: لا والله. فقال عليه السلام: فكيف تريد أن يرزقنا الله[٤].

---

(١) المائدة: ٤٤، ٤٥ و٤٧.
(٢) كبائر الذُّنوب: ٢/ ٣٦٥.
(٣) بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٣، حديث ٨.
(٤) كبائر الذُّنوب: ٢/ ٢٢٣.

التطفيف في الميزان:

إنَّ التطفيف في الكيل والميزان وخداع المشتري ببيعه أقل من الوزن المطلوب، هو من الكبائر الَّتي يعاقب عليها الإنسان أشدّ العقاب.

ومن بين مئة وأربع عشرة سورة في القرآن الكريم حملت إحداها اسم المطففين، حيث شدَّدت عليهم التكبُّر وهدَّدتهم بعذاب الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝٧﴾[١].

وجاء في الحديث النبوي الشريف: أنَّ المطفف يرمى يوم القيامة في قعر جهنَّم بين جبلين من نار فيُقال له: زنهما فيبقى في ذلك أبداً[٢].

وجاء في الحديث الشريف أيضاً: خمس مقابل خمس فسئل رسول الله عنهنَّ فقال: ما نقض قوم العهد إلاَّ سلَّط الله عليهم عدوّهم، وما فشا الزنى في قوم إلاَّ فشا فيهم الموت وما حكم قوم بغير ما أنزل الله، إلاَّ وابتلوا بالفقر وضيق ذات اليد.

وما منع قوم الزكاة إلاَّ وحبس عنهم المطر، وما طفف قوم الكيل والميزان إلاَّ وابتلوا بالقحط والجفاف.

«اللَّهُمَّ اغفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ»

اغفر لي الآثام الَّتي ترفع نعماً غمرتها عليَّ يا إلَهي.

ذنوب تغيُّر النِّعم:

هناك من الذُّنوب ما تكون سبباً في تغيير النِّعم؛ فيحلُّ مكانها البلاء والعذاب وهي كما ورد في أحاديث للإمام السجَّاد عليه السلام:

---

(١) المطففين: ١ ـ ٧.

(٢) كبائر الذُّنوب: ١/٤١٨.

١ ـ ظلم الناس.

٢ ـ فقدان إرادة الخير.

٣ ـ إهمال البرّ والإحسان.

٤ ـ كفران النعمة.

٥ ـ ترك الشكر.

ظلم النَّاس:

إنَّ ظلم النَّاس من الذُّنوب والآثام القبيحة وهو عمل شيطاني والظلم ظلم صغر أو كبر ولا يتغيَّر قبحه؛ فالظلم مقدار ذرَّة قبيح ويحاسب الإنسان عليه يوم القيامة.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

فقدان إرادة الخير:

الله سبحانه وتعالى فطر الإنسان على حب الخير وأودع في نفسه ذلك ليكون سبباً لانفتاح أبواب الرَّحمة عليه فتتدفق النِّعم وتغمره آلاء الله، وما على الإنسان إلاَّ أن يواظب على عمل الخير وإلاَّ يسمح لوسوسات الشيطان أن تتسلَّل إليه وتدمّر فيه قيم الخير.

إنَّ حب المعرفة، والتواضع والحلم والسعي في قضاء حوائج النَّاس هي من إرادة الخير، الَّتي ينبغي أن يهتم بتنميتها المرء حتَّى تصبح عادة متجذِّرة وطبعاً من طباعه وصفة من صفاته.

وإذا أعرض الإنسان ونأى بجانبه وجانب الخير، فإنَّ هذا سيكون إيذاناً بسقوطه في حمأة الذُّنوب والمعاصي ومن ثَّم زوال النِّعم عنه وهلاكه.

---

(١) الأنبياء: ٤٧.

نبذ الإحسان:

الإحسان من الأعمال الَّتي تحبّب الإنسان إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى أفراد نوعه؛ إذ تجعل منه إنساناً محبوباً من مجتمعه وتعلي من شأنه بين النَّاس إضافة إلى القربى من الله عزَّ وجلَّ فما من شيء يحبّب المرء إلى الله وإلى النَّاس مثل الإحسان.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(١)].

وعلى المحسنين ألا يكفُّوا عن الإحسان إلى النَّاس في كل الظروف، لأنَّ الإحسان عبادة وثوابه عظيم وجزيل وإنَّ رضا الله عزَّ وجلَّ يتحقَّق بالإحسان إلى عباد الله الفقراء الَّذين هم عياله.

ولذا فإنَّ ترك الإحسان ذنب كبير، يحرم الإنسان من الفيض الإلّهي وهو تنكر للأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ويهدد حياة الإنسان ومستقبله بالخطر.

كفران النعمة:

إنَّ كفران النعم ينذر بعذاب من الله أليم وشديد.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[(٢)].

إنَّ من أقبح الذُّنوب وأسوأ الخلق أن يكفر الإنسان بما أنعم الله عليه، وكفران النعم هو الاستغراق في اقتراف المعاصي والذُّنوب.

ترك الشكر:

إنَّ عرفان النعمة والشكر عليها واجب على الإنسان العاقل وهي من صفات الإنسان الَّذي يقرُّ بآدميته ويحترم إنسانيته.

وحقيقة الشكر هي معرفة المنعم وعرفان النعمة وهذا يتحقق من خلال الإفادة منها فيما يرضي الله عزَّ وجلَّ الَّذي أفاض النِّعم.

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) إبراهيم: ٧.

فشكر نعمة القلب أن يكون قنديلاً يشعُّ بالإيمان بالله واليوم الآخر والتصديق برسالات الله وأنبيائه ورسله.

وعرفان نعمة العين أن تجيل البصر في زوايا الطبيعة وتتأمَّل ما خلق الله سبحانه وأن تقرأ القرآن الكريم؛ وتطلب بها العلم وألاَّ تنظر بها إلى ما حرَّم الله.

والشكر على نعمة الأُذن، هو الإصغاء إلى نداء الحق والحقيقة وحفظها من الغيبة والنميمة والبهتان وصوت الشيطان.

وعرفان نعمة اللِّسان ألاَّ ينطق إلاَّ بالخير؛ خير النَّاس وإرشاد الضالين وقراءة القرآن وأداء الصلاة وحفظه من اغتياب النَّاس وإشاعة الفحشاء والكذب والسخرية من الآخرين.

والشكر على نعمة الشهوة الجنسية أن تصرف هذه الطاقة في ما أحلَّ الله من الزواج واجتناب الزنى.

والشكر على نعمة القدم أن تخطو في طريق الطاعة وأن تذهب بها إلى المساجد وحضور المحافل، الَّتي يذكر فيها اسم الله وصلة الرحم وزيادة الأصدقاء وتفقُّد الفقراء.

وشكر نعمة المال والثروة الإنفاق على العيال، ومساعدة الفقراء والبؤساء والإنفاق في شؤون الخير وأداء الزكاة والخمس والتصدُّق.

فالإهمال في شكر النِّعم من خلال هذه الطرق يعد معصيةً ويكون سبباً في زوال النِّعم وحلول البلاء.

«اللَّهُمَّ اغِفْرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ»

يا إلَهي واغفر لي الذُّنوب الَّتي تقطع الطريق على صعود الدُّعاء إلى السَّماء.

ذنوب تمنع استجابة الدُّعاء:

يعدّ الإمام السجَّاد عليه السلام سبعة ذنوب تمنع استجابة الدُّعاء:

١ ـ سوء النيّة.
٢ ـ الانطواء على صفات قبيحة.
٣ ـ النفاق.
٤ ـ سوء الظن وعدم التيقن من إجابة الدُّعاء.
٥ ـ التأخُّر في أداء فريضة الصلاة.
٦ ـ ترك الصدقة والإحسان وهما من وسائل التقرُّب إلى الله.
٧ ـ الفحش في القول وتلويث اللِّسان باستخدام الكلمات البذيئة[١].

سوء النيَّة:

النيَّة هي القصد والهدف الحقيقي والإرادة وقد أوجب الإسلام على الإنسان أن يبطن نوايا الخير لكل من حوله وما حوله من بشر وشجر وحيوان؛ وبشكل عام البيئة العامَّة. عليه أن يهدف إلى خير المجتمع ويتمنى سعادة الجميع، وألَّا يتأخر في السعي من أجل تحقيق الخير ما أمكنه ذلك.

إنَّ حسن النيَّة من الأهمية بحيث أصبحت مناطاً في حسن الجزاء والثواب.

فمجرَّد قصد الخير يثاب عليه المرء وإن لم يتمكن من فعله أو القيام به.

وقد جاء في الأثر أنَّ العبد المؤمن يسأل الله؛ فيقول: اللَّهمَّ ارزقني وهبني لأتصدَّق وأحسن وأفعل الخير؛ فيطَّلع الله على نيَّته فيثيبه على نيَّته وتكتب له حسنات بقدر ما نوى من فعل الخير[٢].

كما حكى أنَّ رجلاً جائعاً مرَّ بربوة؛ فقال في نفسه لو كانت هذه الربوة طعاماً لقسَّمته بين النَّاس؛ فأوحى الله إلى نبي ذلك الزَّمان: أن أخبره بقبول صدقته وأنَّ الله أثابه على حسن نيَّته بقدر ثواب التصدُّق بربوة من طعام ينفقه على النَّاس[٣].

إنَّ على الإنسان أن يربِّي نفسه على النيَّة في عمل الخير ويكافح في نفسه

(١) معاني الأخبار: ٢٦٩.
(٢) محجَّة البيضاء: ٨/١٠٦، كتاب النيَّة والصدق والإخلاص.
(٣) محجَّة البيضاء: ٨/ ١٠٤، كتاب النيَّة والصدق والإخلاص..

قصد الشر لأنَّ سوء النيَّة في الإنسان يلقي بظلاله السوداء على قلب المرء وروحه ويقوده إلى ارتكاب المعاصي والسقوط في الآثام.

الانطواء على صفات قبيحة:

إنَّ الصفات مثل سوء الظن والنفاق، الحقد، العُجب، الرياء، التكبُّر، الغرور، البخل، الحرص، الطمع، الحسد، تولِّي أعداء الله؛ هي ذنوب كبيرة وخطيرة ولها نتائج وخيمة في حياة الإنسان في الدُّنيا والآخرة؛ إضافة إلى أنَّها تمنع استجابة الدُّعاء، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «بئس العبد عبداً همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر بآخر»[١].

سوء الظن:

سوء الظن بالله وبأولياء الله والمؤمنين من الصفات السيِّئة، وبالرغم من كتمانها في القلب وعدم ظهورها فإنَّها يوم القيامة تعدُّ من القبائح، الَّتي يعاقب عليها الإنسان إلاَّ إذا ختم المرء حياته بالتوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾[٢].

وعن سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره: «والذي لا إلَه إلاَّ هو ما أُعطي مؤمن قط خير الدُّنيا والآخرة إلاَّ بحسن ظنِّه بالله ورجائه له وحسن خُلُقه والكفِّ عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إلَه إلاَّ هو لا يعذِّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلاَّ بسوء ظنِّه وتقصيره من رجائه وسوء خُلُقه واغتيابه للمؤمنين»[٣].

إنَّ الإنسان المؤمن الَّذي يضمر الإيمان ويظهر الخلق الكريم ويمارس العمل الصالح، يجب عليه أن يرجو رحمة ربِّه ويحسن الظن بالله وأن يجتنب سوء الظن في كلِّ حال من الأحوال.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٦٩، عقاب من كان ذا وجهين: قلب سليم: ٦١.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الكافي: ٢/ ٧١، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٦٧/ ٣٦٥، باب ٥٩، حديث ١٤.

المذنبون الَّذين تنفتح لهم أبواب التوبة وتتوفَّر لهم أرضية جبران ما فات من الذُّنوب، عليهم أن يحسنوا الظن بالله وقد وعدهم سبحانه بالتوبة، فحسن الظن، الرجاء والأمل بما عند الله من مغفرة واجب وإلاَّ حرموا من رحمة الله لأنَّه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون.

والمطلوب من الإنسان أن يحسن ظنه بإخوانه من أهل الإيمان والإسلام ولا يحق له أبداً أن يسيء الظن بهم وأن يحملهم على محمل حسن.

فعلى سبيل المثال لو أنَّ أحدهم رأى مؤمناً في مجلس معصية، مجلس حافل باللهو واللعب وآلات القمار ووسائل الشرب؛ فيجب عليه هنا ألاَّ يسيء الظن به أو يظن أنَّه ليس مؤمناً وأنَّه من أهل الفسق والفجور؛ لأنَّه سوء ظن وهذا ما حذَّر منه القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام ويؤدِّي إلى العقوبة الإلَهية، وعليه أن يوحي لنفسه قائلاً: هنيئاً له فقد وفقه الله أن يحضر في مجلس معصية فيعظ الجالسين وأهل المعاصي لعلَّهم يتوبون عمَّا هم عليه؛ فهو يؤدِّي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسأل الله سبحانه أن يوفقه إلى مثل ذلك؛ فيرشد الضال ويعالج المريض ويحذر النَّاس من أسر الشيطان وبالتالي له ما له الثواب العظيم والأجر الجزيل.

الحقد:

يتوجب على المسلم أن يشعر بالمحبَّة تجاه النَّاس جميعاً، إلاَّ من كان عدواً لله.

إنَّ الحقد يحرم الإنسان من صلة الرحم ومن الإحسان وفعل الخير العام.

إنَّ الحقد يلوِّث الروح ويملأ القلب بالظُّلمات؛ فيكون فكر الإنسان ظلمانياً وبالتالي يتسبَّب في حرمانه من رحمة الله.

قال سيِّدنا محمَّد ﷺ: «ما كاد جبرئيل يأتيني إلاَّ قال: يا محمَّد اتق شحناء الرِّجال وعداوتهم»[1].

---

(١) الكافي: ٢/٣٠١، باب المراء والخصومة، حديث ٥.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس الجهل معاداة النَّاس»[١].

وعنه عليه السلام قال: «معاداة الرجال من شيم الجهال»[٢].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إيَّاك وعداوة الرِّجال؛ فإنَّها تورث المعرَّة وتبدي العورة»[٣].

العُجب:

إنَّ العُجب بالنَّفس وتضخم الذَّات والشعور بالنرجسية والتباهي، من الذُّنوب القبيحة، ومن الصفات الَّتي لا تليق بالإنسان العاقل.

الإنسان عبد مملوك لله عزَّ وجلَّ، حياته وموته بيد الله سبحانه ورزقه يأتيه من قبل الله، وطاعة الله توفيق منه سبحانه وكل ما يعمله الإنسان من خير هو من الله، فمن أين يا ترى يأتي العجب بالنَّفس ما دام كل شيء بيد الله؟!

«من دخله العُجب هلك»[٤].

عن أبي عبد الله الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «أتى عالم عابد فقال له: كيف صلاتك؟

فقال: مثلي يسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا.

قال: فكيف بكاؤك؟

قال: أبكي حتَّى تجري دموعي.

فقال له العالم: فإنَّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ.

إنَّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء».

(١) غرر الحكم: ٤٦١، حديث ١٠٥٧٠؛ ميزان الحكمة: ٢/ ٨٧٤، الجهل، حديث ٢٨٥٩.
(٢) غرر الحكم: ٤٦٢، حديث ١٠٥٧٨؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٥٠٨، العداوة، حديث ١٢٠٣٠.
(٣) الاختصاص: ٢٣٠؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٥٠٨، العداوة، حديث ١٢٠٣٧.
(٤) الكافي: ٢/ ٣١٣، باب العُجب، حديث ٥.

وجاء في الأثر أنَّ سيِّدنا محمَّداً ﷺ قال: «بينما موسى عليه السلام جالساً إذْ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا من موسى خلع البرنس وقام إلى موسى فسلَّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟

قال: أنا إبليس.

قال: أنت فلا قرَّب الله دارك.

قال: إنَّما جئت لأسلِّم عليك لمكانك من الله.

قال له موسى: فما هذا البرنس؟

قال: به أختطف قلوب بني آدم.

فقال موسى: فأخبرني بالذنب الَّذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه!

قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»[1].

الرِّياء:

التظاهر بالعبادة وعمل الخير لاجتذاب أنظار النَّاس، حرام ويسبِّب غضب الله عزَّ وجلَّ.

وقد هاجم القرآن الكريم طائفة من المصلين الَّذين يؤدون صلاتهم رياءً ووعدهم بالعذاب.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[2].

وجاء في الأثر: انَّ النبي ﷺ سئل عن النجاة في أي شيء؟

فقال ﷺ: ألَّا يقوم للعبادة رياءً.

وجاء في الأثر أيضاً: ثلاثة يخاطبهم الله يوم القيامة وليس من أعمالهم

---

(١) الكافي: ٢/٣١٣، باب العدب، حديث ٥.

(٢) الماعون: ٤ ـ ٦.

شيء... رجل قتل مع المجاهدين في سبيل الله، ورجل أنفق ثروته في سبيل الله، وثالث يقرأ القرآن؛ فيقول الله سبحانه للأوَّل: ما كان قتالك في سبيلي ولكن ليُقال إنَّ فلاناً شجاع.

وقال للثاني: ما أنفقت مالك في سبيلي، ولكن ليُقال: إنَّك جواد وسخي.

وقال للثالث: أردت أن يُقال: قارىء القرآن.

ثمَّ قال رسول الله ﷺ: إنَّ هؤلاء لم ينالهم ثواب الله لأنَّ ما عملوه كان رياءً.

وجاء في الحديث النبوي الشريف: «إنَّ الله تعالى يقول للملائكة: إنَّ هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجِّين»[١].

وجاء في الحديث الشريف انَّ رسول الله ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر، قيل: يا رسول الله وما الشِّرك الأصغر؟ قال: الرِّياء»[٢].

وعنه أيضاً ﷺ: «إنَّ الله لا يقبل عملاً فيه ذرَّة من رياء»[٣].

وجاء في الأثر كذلك أنَّ شدَّاد بن أوس قال: رأيت رسول الله يبكي، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟

قال: أخاف على أُمَّتي الشِّرك، ولن يعبدوا يومئذٍ شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكن سيراؤون بأعمالهم.

الكبر:

إنَّ التكبُّر سواء كان أمام الحق أو على النَّاس أو كان على أوامر الله والرُّسل والأنبياء إنَّما هو حالة إبليسية وصِفة شيطانية.

---

(١) محجَّة البيضاء: ٦/ ١٣٩ ـ ١٤١. كتاب ذم الجاه والرِّياء.
(٢) محجَّة البيضاء: ٦/ ١٣٩ ـ ١٤١. كتاب ذم الجاه والرِّياء.
(٣) محجَّة البيضاء: ٦/ ١٣٩ ـ ١٤١. كتاب ذم الجاه والرِّياء.

وقد أبلس إبليس من رحمة الله في لحظة تكبُّر وغرور؛ فتمرَّد على أمر الله، وكان مصيره أن طرده الله وأصبح رجيماً إلى يوم القيامة ثمَّ هو يوم القيامة من المعذّبين.

وهذا هو مصير المستكبرين، فالمتكبرون بعيدون عن الله.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[١].

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٢].

أجل إنَّ هذا التضخم الفارغ للذات لن يقود الإنسان إلاَّ إلى الهاوية وبئس القرار.

الكبرياء لله وحده وهو القاهر الجبَّار، لأنَّ كل ما يستطيع الإنسان أن يتباهى به، هو من الله عزَّ وجلَّ؛ فبأيِّ شيء يتعالى على النَّاس بماله أم بجماله أم بكماله؟!

وكل من عند الله.

من أجل هذا فإنَّ أكبر صفة قبيحة ومن كانت فيه كان مبغوضاً من الله ومن النَّاس هي التكبُّر.

ويقول الإمام الصَّادق عليه السلام: «العزُّ رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئاً منه أكبَّه الله في جهنَّم»[٣].

وعن الإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام: «لا يدخل الجنَّة من في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كبرٍ»[٤].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ في جهنَّم لوادياً للمتكبِّرين يُقال له: سقر شكا إلى الله عزَّ وجلَّ شدَّة حرِّه وسأله أن يأذن له أن يتنفَّس فتنفَّس فأحرق جهنَّم»[٥].

---

(١) النحل: ٢٣.

(٢) النحل: ٢٩.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠/٢١٣، باب ١٣٠، حديث ٣.

(٤) الكافي: ٢/٣١٠، باب الكبر، حديث ٦.

(٥) الكافي: ٢/٣١٠، باب الكبر، حديث ١٠.

وعن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله، ما الكبر؟ قال: «أعظم الكبر أن تسفه الحق وتغمض النَّاس، قلت: وما سفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله»[1].

الغرور:

الاغترار بالمظاهر المادية وغيره يستغفل الإنسان عن الحقيقة وهو أمر في غاية الخطورة والقبح أيضاً.

الَّذين ينكرون الحقيقة هم مرضى وأنَّ بريق الدُّنيا قد خطف أبصارهم وحجب نور الحقيقة عن بصائرهم.

هذه الدُّنيا مهما بلغت من بريقها ومظاهرها الخدَّاعة فإنَّها إلى زوال... الحياة محطة بالإنسان في هذه الدُّنيا مجرَّد عابر سبيل وما أسرع أن ينتهي به الترحال إلى حفرة مظلمة تضجُّ بالديدان تستقبل جسده، أمَّا روحه فتنطلق بعيداً إلى عالم البرزخ حيث يجد هناك انعكاسات تجربته في الحياة الدُّنيا.

هؤلاء المخدوعون يتصورون الدُّنيا حقيقة والآخرة أوهاماً وخيالاً، من أجل هذا يتهافتون على لذائذ الحياة، يكرعون منها ويطلبون المزيد، فتراهم غارقين في المعاصي والذُّنوب، معرضين عن الأخلاق الكريمة والتحلِّي بالصفات الحسنة الجميلة.

إنَّهم في غفلة عن الحقيقة الكبرى وهي أنَّ الدُّنيا مزرعة الآخرة، بل إنَّهما عالمان متجاوران وما أسرع المرء أن يجد ما كسبت يداه ماثلاً أمامه وحينئذٍ يعضُّ على أصابعه ندماً وأسفاً.

والجهال من أهل الإيمان يخدعون أنفسهم أيضاً، بأنَّ الله عزَّ وجلَّ واسع الرحمة، ولا حاجة لله بعبادتهم وأنَّ رحمته عزَّ وجلَّ تغمرهم غمراً وأنَّ الله غفور

---

(١) الكافي: ٢/ ٣١٠، باب الكبر، حديث ١٢.

رحيم، فلم هذا الحرمان من اللذائذ وإن كانت في معصية؟! وأنَّ ذنوبنا مهما عظمت لا تساوي ذرَّة في بحار رحمته جلَّ شأنه!

إنَّهم في غفلة عن هذه الحقيقة وهي أنَّ الشيطان وهوى النَّفس للإنسان بالمرصاد وأنَّه يزوِّق لهم القول فترى ظاهره برّاقاً خادعاً وباطنه السّمّ الزعاف.

يقول سيِّدنا محمَّد ﷺ: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله»[١].

إنَّهم يرون نصف الحقيقة إذا صح التعبير فالله غفور رحيم، رحمان كريم يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيِّئات ولكن الله أيضاً شديد العقاب عزيز ذو انتقام يمهل ولا يهمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾[٢].

إنَّ الَّذين يرجون رحمة ربهم لا يستغرقون في المعاصي، والَّذين يأملون في الغفران لا يمعنون في الذَّنب واقتراف الآثام.

قال الإمام علي عليه السلام: «سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمور»[٣].

وقال عليه السلام أيضاً: «إنَّ من الغرَّة بالله أن يصرَّ العبد على المعصية ويتمنَّى على الله المغفرة»[٤].

وعن سيِّدنا محمَّد ﷺ: «لا تغترَّنَّ بالله ولا تغترَّنَّ بصلاحك وعلمك وعملك وبرِّك وعبادتك»[٥].

---

(١) مجموعة الورَّام: ١/ ٢٤٣، باب محاسبة النَّفس.

(٢) البقرة: ٢١٨.

(٣) غرر الحكم: ٢٦٦، ذم الغفلة، ٥٧٥٠؛ ميزان الحكمة: ٩/ ٤٢٦٨، الغرور، حديث ١٤٨٣١.

(٤) مجموعة الورَّام: ٢/ ٧٢؛ ميزان الحكمة: ٩/ ٤٢٧٢، الغرور، حديث ١٤٨٥٧.

(٥) مكارم الأخلاق: ٤٥١، الفصل الرابع؛ ميزان الحكمة: ٩/ ٤٢٧٢، الغرور، حديث ١٤٨٥٨.

البخل:

ما أقبح بالإنسان وقد أفاض الله عليه النِّعم والآلاء أن يبخل ويقبض يده أشدّ القبض والإمساك.

والله عزَّ وجلَّ الَّذي أعدَّ مائدة الوجود؛ فهي تفيض بالخير والبركات وإذا بالإنسان الَّذي ينهل من كل مكان وتغمره النِّعم من كل حدب وصوب، إذا به يبخل بالنزر القليل فلا ينفق في سبيل؛ لا صدقة يقدم ولا زكاة يدفع.

إنَّ ما يكسبه المرء عن طريق الحلال ليس ملكاً خالصاً له يتصرَّف به كيف يشاء وإنَّما هو أمانة في عنقه مسؤول عن كيفية الإنفاق وتصرِّفه بالأموال الَّتي رزقه الله.

إنَّه مسؤول أمام الله لأنَّ الإنسان عبدق مملوك لله؛ فكل ما يملك العبد ملك لمولاه.

إنَّ كنز الأموال ومنع حق الله فيها واتباع الشيطان ذنبٌ كبير يؤدِّي بالمرء إلى الشقاء في الدُّنيا والعذاب يوم القيامة.

والبخل حالة شيطانية وصفة حيوانية، لا تليق بكرامة الإنسان وعقلانيته، وهو من الرذائل الأخلاقية الَّتي ندَّد بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

وجاء في الحديث النبوي الشريف: «حرَّمت الجنَّة على المنَّان والبخيل والقتَّات»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخُلُق»[3].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «إنْ كان الخلف من الله عزَّ وجلَّ حقاً فالبخل لماذا؟»[4].

---

(١) النِّساء: ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٩/ ٤٥٢، باب عدم الجواز المنّ، حديث ١٢٤٨١.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠/ ٣٠١، حديث ٩.

(٤) بحار الأنوار: ٧٠/ ٣٠٠، باب ١٣٦، حديث ١.

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «البخيل من بخل بما افترض الله عليه»(١).

الحرص:

إنَّ الرغبة الشديدة والتهافت على جمع أكثر ممَّا هو لازم وضروري، يعرض الإنسان إلى حالات خطيرة من اختلال التوازن الفكري والنفسي، ويقود الإنسان إلى انتهاك الأحكام الإلٓهية والتجاوز على القيم الأخلاقية والاعتبارات الإنسانية، ويتحول إلى نار مجنونة تفتك بأموال النَّاس كما تفعل بالهشيم، ولا يتورع عن الإغارة على حقوق النَّاس ونهبها بأية وسيلة ممكنة.

وعادة ما يتناسى الحريص ذكر الله ولا يفكر بيوم القيامة ولا يخشى عذاب الله ولا يتوجس انتقامه عزَّ وجلَّ بل لا يفكر بشيء سوى جمع المال فقط.

إنَّ الله الَّذي أغدق نعمه ظاهرة وباطنة وملأ بها جنبات الوجود وجعل للتمتع بهذه النِّعم مناهج واضحة وطرقاً للرِّزق الحلال؛ فالإنسان يعمل ويكدح ويحصل على ما قدَّر له من رزق وهو مكفول فلا يخرج من الدُّنيا حتَّى يستوفي رزقه.

إنَّ ترسيخ هذا الشعور في الإنسان والإيمان بهذه الحقيقة يبعث على حالة الطمأنينة في القلب ويحفظ للإنسان كرامته وتوازنه.

يقول سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وآله: أغنى النَّاس من لم يكن للحرص أسيراً»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله يوصي عليّاً عليه السلام: «يا عليُّ! أنهاك عن ثلاث خصالٍ عظامٍ: الحسد والحرص والكذب»(٣).

وقد ورد كثير من الأحاديث في ذمِّ الحرص والتحذير منه.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع، هذا في أوَّلها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب المال والشرف (الجاه) في دين المؤمن»(٤).

---

(١) الكافي: ٤/ ٤٥، البخل والشح، حديث ٤.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٠، حديث ٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠/ ١٦٢، باب ١٢٨، حديث ١٠.

(٤) الكاف: ٢/ ٢١٥، حديث ٢.

وعنه عليه السلام أيضاً: «مثل الحريص على الدُّنيا مثل دودة القزّ، كلَّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتَّى تموت غمّاً»[١].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً»[٢].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «في مناجاة موسى بن عمران: يا موسى انَّ الدُّنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم على خطيئته وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلاَّ ما كان فيها لي، يا موسى! إنَّ عبادي الصالحين زهدوا في الدُّنيا بقدر علمهم وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم وما من أحد عظَّمها فقرَّت عيناه فيها ولم يحقّرها أحد إلاَّ انتفع بها»[٣].

الطمع:

أن يمدّ الإنسان عينيه إلى ما في أيدي الآخرين ويتمنَّى الاستيلاء عليها؛ هذا الطمع الَّذي يخرِّب روح الإنسان ويلوِّث نفسه.

يقول الإمام الرابع زين العابدين عليه السلام: «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطَّمع عمَّا في أيدي النَّاس»[٤].

وسأل أحدهم الإمام الصَّادق عليه السلام: «ما الَّذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: الورع والَّذي يخرجه منه؟ قال: الطَّمع»[٥].

وقال الإمام الهادي عليه السلام: «الطَّمع سجيَّة سيِّئة»[٦].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إن أردت أن تقرَّ عينك وتنال خير الدُّنيا والآخرة، فاقطع الطَّمع عمَّا في أيدي النَّاس»[٧].

(١) الكافي: ٢/ ٢١٥، حديث ٧.
(٢) الكافي: ٢/ ٢١٥، حديث ٧.
(٣) الكافي: ٢/ ٢١٥، حديث ٩.
(٤) بحار الأنوار: ٧٠/ ١٧١، باب ١٢٩، حديث ١٠.
(٥) بحار الأنوار: ٧٠/ ١٧١، باب ١٢٩، حديث ١٢.
(٦) بحار الأنوار: ٦٩/ ١٩٩، باب ١٠٥؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٣١٠، الطَّمع، حديث ١١١٨٨.
(٧) الخصال: ١/ ١٢١، حديث ١١٣؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٣١٠، الطَّمع، حديث ١١١٩٧.

وعن الإمام علي عليه السلام: «من أراد أن يعيش حرّاً أيّام حياته فلا يسكن الطّمع قلبه»[١].

الحسد:

وهو من الصفات الّتي تعدّ غاية في القبح، والحسد أن يتمنّى أحدهم زوال نعمة الغير، فهو لا يتحمل أن يرى نعمة منحها الله عزَّ وجلَّ لشخص ما فهو يتمنّى زوالها، فالحسد يعدّ مرضاً أخلاقياً خطيراً.

ولعلَّ جذور الحسد تعود إلى التكبُّر والأنانية وحب الجاه والبخل لأنَّها عوامل في ظهور الحسد في نفس الإنسان.

يقول الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النَّار الحطب»[٢].

وعنه عليه السلام أيضاً: «آفةُ الدِّين الحسد والعُجب والفخرُ»[٣].

تولي أعداء الله:

إنَّ التضامن أو تولّي أو حب أعداء الله هو من الأمراض الروحية، الَّتي تصيب القلب؛ ذلك أنَّ القلب السليم مفطور على حب الفضيلة والخير وحب أولياء الله، والقلب السليم مفطور على معاداة أعداء الله والنفور من الرذيلة والشر.

ومن هنا فإن كان القلب على غير هذه الحالة فهو دليل على إصابته بمرض نفسي خطير.

ولا يمكن علاج هذا المرض إلاَّ بالقرآن الكريم والحديث الشريف لأنَّ من سمات الفرد المسلم هو تولّي أولياء الله ومعاداة أعداء الله.

---

(١) مجموعة الورّام: ١/٤٩، باب الطّمع؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٣١٢، الطّمع، حديث ١١٢١٣.

(٢) الكافي: ٢/٣٠٦، باب الحسد، حديث ٢.

(٣) الكافي: ٢/٣٠٧، باب الحسد، حديث ٥.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[١].

وقال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[٢].

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾[٣].

وقد حددت سورة «المنافقون» أبرز ما في هؤلاء من أمراض وصفات وحذَّرت المجتمع الإسلامي من مؤامراتهم وبيَّنت خطرهم على الحياة الاجتماعية.

ذو الوجهين والنفاق:

لا غبار على قبح النفاق ودناءة ذي الوجهين الَّذي يقابل المؤمنين متظاهراً بأنَّه معهم فإذا وجد فرصة طعنهم بخنجره من الخلف، طعنة كلها غدر ودناءة وخسّة.

فهم أسوأ من الكفَّار وقد قال الله عزَّ وجلَّ: إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النَّار.

ومن الطبيعي أن يكون المنافق خائناً لأنَّه يعرف أسرار المؤمنين ثمَّ ينقلها إلى عدوّهم.

ومن هنا يعد النفاق من الأمراض الخطيرة، الَّتي تصيب المجتمعات الإسلامية والَّتي يصعب علاجها. وفي رسالة جوابية للإمام الرِّضا عليه السلام حول المنافقين قال عليه السلام: «ليسوا من عترة رسول الله، وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الإيمان ويسرّون الكفر والتكذيب، لعنهم الله»[٤].

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الممتحنة: ١.

(٣) المجادلة: ١٤.

(٤) بحار الأنوار: ٦٩/ ١٧٥، باب ١٠٣، حديث ١.

ويقول الإمام الصَّادق عليه السلام: «من علامات النِّفاق: قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذَّنب، والحرص على الدُّنيا»[١].

وعلامة النِّفاق: أن يكون الظاهر غير الباطن[٢].

التأخُّر في أداء فريضة الصلاة:

الصلاة من أعظم العبادات وأجملها وأكثرها تعبيراً عن العبودية للحق تبارك وتعالى والخضوع له سبحانه.

والصلاة أعظم بركة على الإنسان لأنَّ الصلاة تحمي الإنسان من الفحشاء والمنكر.

ولعظمة الصلاة وشأنها فقد كانت شعاراً لدعوة الأنبياء فكانوا عليهم السلام يقيمون الصلاة ويدعون أهلهم إلى إقامتها.

إنَّ أداء الصلاة في أوقاتها هو من الواجبات، ومن حرم من هذه النعمة المباركة، فقد حرم ومن شفاعة الشافعين، الصلاة طريق الأنبياء وجهاد المرسلين وهي انعكاس جلي للقوانين الإلَهيَّة.

والصلاة بعد الإقرار بالدِّين هي سنام الإسلام، ولكل شيء قدره وشرفه وشرف الإسلام الصلاة.

والصلاة قلعة حصينة أمام هجمات الشياطين، وأنَّ أحب الأعمال إلى الله الصلاة وهي خير الأعمال، وهي آخر وصايا الأنبياء، وكانت الصلاة قرَّة عين الرسول صلى الله عليه وآله وطالما سمع صلى الله عليه وآله يخاطب بلالاً: أرحنا يا بلال، وهي أفضل ما يتقرَّب الإنسان به إلى الله عزَّ وجلَّ وهي عمود الدِّين، وسبب المغفرة وأوَّل ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة الصلاة وأوَّل ما ينظر في عمله ينظر في صلاته.

---

(١) اختصاص مفيد: ٢٢٨.

(٢) مصباح الشريعة: ٢٥.

والصلاة لها أبلغ الأثر في تطهير الإنسان من الكبر والغرور والتعالي على الآخرين وهي مدرسة التواضع.

وقبول الصلاة يتوقف على التقوى والورع عن محارم الله، والصلاة في وقتها، وأداؤها في وقت الفضيلة كفضيلة الآخرة بالنسبة إلى الدُّنيا، وهي أحب إلى المؤمن من ماله وذرِّيته.

وتارك الصلاة كافر ويحشر مع اليهود والنصارى أو المجوس والمستخف بالصلاة، بريء منه الله ورسوله.

ترك الصدقة والإحسان:

الإحسان إلى الفقراء والتصدُّق على المساكين والبؤساء من أسباب رضا الله تبارك وتعالى ونزول الرحمة وإجابة الدُّعاء ودفع البلاء.

قال سيِّدنا محمَّد ﷺ: «الصَّدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص»[١].

وجاء في الأثر: شافوا مرضاكم بالصَّدقة. والصدقة تطيل العمر وتزيد في الرِّزق[٢].

حكاية عابد:

دفع القضاء والأجل

كان رجل عابد من قوم موسى وكان صالحاً، ظل ثلاثين سنة يسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه ولداً؛ فلم يستجب دعاؤه. فانطلق إلى صومعة نبي من أنبياء بني إسرائيل وقال: يا نبي الله سل الله أن يرزقني ولداً؛ فقد مضى ثلاثون عاماً وأنا أدعوه أن يرزقني ولداً فما أجيبت دعوتي.

---

(١) كنز العمال: ١٥٩٨٢؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٠٣٦، الصَّدقة، حديث ١٠٣٥٤.

(٢) كنز العمال: ١٦١١٣؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٠٣٨، الصدقة، حديث ١٠٣٦٠.

فدعا له النبي وقال: يا عابد أجيبت دعوتي وسيهبك الله ولداً، ولكن قضى الله أن يكون موته في ليلة عرسه فرجع العابد إلى بيته وقص على زوجته ما قال النبي؛ فقالت زوجته: سألنا الله أن يرزقنا ولداً بدعاء النبي فنتمتع بحياته حتَّى إذا بلغ امتحنا به وفجعنا ولكن رضاً بقضاء الله؛ فقال الرجل: لقد أصبحنا عجوزين فمن يدري أنَّنا ندرك بلوغه ولعلَّ الله قبضنا إليه قبل محنة فراقه.

ومضت من الشهور تسعة وأنجبت المرأة صبياً بهي الطلعة وتحمَّلا ما تحمَّلا من عبئ تربيته حتَّى بلغ الرشد والكمال؛ فطلب من أبويه أن يزوِّجاه؛ فراحا يتعلَّلان عليه حتَّى يتمتعا أكثر برؤيته ولكن الفتى راح يلحُّ عليهما حتَّى وجدا له فتاة مناسبة تليق به؛ فلمَّا كانت ليلة عرسه وزفافه جلسا يترقبان سهم الأجل، حتَّى يصيبه فيحيل العرس إلى مأتم، ولكن مضت الأُمور على ما يرام حتَّى أصبح الصباح ثمَّ أعقبه صباح وصباح ومضى أسبوع فانطلقا إلى النبي في صومعته، وأخبراه فقال: واعجباً! إنَّ ما قلته لم يكن من نفسي ولكن ألهمت إلهاماً، فانظروا إلى ولدكما ما فعل؛ فدفع عنه القضاء والأجل.

فهبط الملاك يقرؤه من الله السَّلام ويقول: قل لوالديه إنَّ القضاء كما قلت ولكن الشاب عمل خيراً؛ فدفع الله عنه القضاء وحماه ذلك الخير... إنَّه في ليلة عرسه كان يتناول طعامه فمرَّ شيخ محتاج وطرق عليه الباب وطلب طعاماً فدعاه الشاب وقدَّم إليه طعامه، وقد استطيب الشيخ الطعام فلما انتهى رفع كفيه إليَّ وقال: اللَّهم أطل في عمره وأنا ربُّ العالمين قد أطلت عمره وأضفت إليه ثمانين سنة حتَّى يعلم النَّاس أنَّه لا يضيع في حضرتي المحسنون ولا يخيب السائلون.

الفحش والبذاءة:

اللِّسان من نعم الله سبحانه وبدونه لا يستطيع الإنسان نطقاً ولا يحير كلاماً، ويستطيع الإنسان أن يقول به خيراً فهو وسيلة إرشاد ونصح، به يتفاهم النَّاس ويتحاور المتحاورون وينشد المنشدون.

وهو مع ذلك كالسكِّين فمرَّة تستعمل في ما فيه نفع النَّاس وخيرهم ومرَّة ترتكب بها الجرائم، فاللِّسان إذا استخدم في الغيبة والنميمة والبهتان ونشر

الشائعات وقول الباطل والتفوه بالبذاءات فإنَّه سيكون أخطر من سكين في أيدي القتلة والمجرمين وقد قيل: اللِّسان جِرمه صغير وجُرمه كبير.

يقول سيِّدنا محمَّد ﷺ: «إنَّ أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[1].

وجاء في الأثر انَّ من مؤشرات شراكة الشيطان في عمل الإنسان هو الفحش في الكلام عندما لا يعبأ الإنسان بما يقول أو ما يُقال فيه[2].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «البذاء من الجفاء والجفاء في النَّار»[3].

من قال فحشاً في أخيه المسلم رفع الله من رزقه البركة وأوكله إلى نفسه[4].

«اللَّهُمَّ اغِفْرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلاَءَ»

اغفر لي الذُّنوب الَّتي تفتح عليَّ أنواع البلايا يا إلَهي!

ذنوب تنزل البلاء:

إنَّ الذُّنوب الَّتي تنزل البلاء ثلاثة:

١ ـ عدم إغاثة المكروب.

٢ ـ خذلان المظلوم.

٣ ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عدم إغاثة المكروبين والملهوفين:

يتعرَّض المرء في حياته إلى حوادث مؤسفة؛ خسارة مالية تعرضه إلى الإفلاس، فقدان عزيز وبلاء من البلايا تدفعه إلى الاستغاثة بإخوانه في الدِّين يستنجد بهم للوقوف إلى جانبه.

---

(١) كنز العمال: ٣/ ٥٤٩.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٢٣، باب البذاء، حديث ١.

(٣) الكافي: ٢/ ٣٢٥، باب البذاء، حديث ٩.

(٤) الكافي: ٢/ ٣٢٥، بب البذاء، حديث ١٣.

إنَّ العاطفة الإنسانية والأخلاق النبيلة والشهامة تقضي أن يهب أخوته إلى نجدته والتضامن معه من أجل التخفيف عن آلامه ونصرته.

إنَّ الَّذين يسمعون استغاثة الملهوف والمكروب ثمَّ لا يهبّون إلى نصرته والوقوف إلى جانبه وهم قادرون على تقديم المساعدة والعون، إنَّ أولئك ليسوا من الإنسانية في شيء؛ فضلاً عن انتمائهم إلى الإسلام دين الله الحنيف.

يقول رسول الإنسانية سيِّدنا محمَّد ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلمٍ»[1].

وسمع الإمام الصَّادق عليه السلام يقول: «من نفَّس عن مؤمن كربه نفَّس الله عنه كُرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنَّة ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم»[2].

وسمع عليه السلام كذلك يقول: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفَّس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عزَّ وجلَّ له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله، يجعل له واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدِّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهوالها»[3].

خذلان المظلوم:

المظلوم هو أكثر النَّاس استحقاقاً للنصرة والتضامن، ولا شيء أكَّد عليه السلام أكثر من مقاومة الظلم ونصرة المظلوم والدفاع عنه.

وقد أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو في اللحظات الأخيرة من حياته لولديه الحسن والحسين وكل من سيبلغه كتابه أي أوصى جميع الأجيال عبر الزمن بمقاومة الظالم والدفاع عن المظلومين: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»[4].

---

(١) الكافي: ٢/١٦٣، باب الاهتمام بأُمور المسلمين، حديث ١.
(٢) الكافي: ٢/١٩٩، حديث ٣.
(٣) الكافي: ٢/١٩٩، حديث ١.
(٤) نهج البلاغة: ٤٢١، الحكمة ٤٧.

أجل إنَّ أروع شعار إسلامي يجسّده المسلم المؤمن هو مواجهة الظالم.

قال سيّدنا محمَّد ﷺ: «من أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنَّة مصاحباً»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام: «أحسن العدل نصرة المظلوم»[٢].

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في غاية الأهمية وهما من الواجبات الدينية الَّتي يتوجب على كل من تتوفر فيه شروطهما النهوض وأداء المسؤولية.

كما انَّ تضييع هاتين الفريضتين وتركهما، معصية وذنب كبير وسبب في نزول البلاء.

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محور الأديان الإلَهيَّة.

وقد نهض الأنبياء عبر التاريخ الإنساني الطويل بهذه المسؤولية الخطيرة من أجل ترشيد حركة المجتمعات الإنسانية وتصحيح مسار البشرية.

إنَّ ترك هاتين الفريضتين وعدم القيام بهما يعني إيقافاً لحركة النُّبوَّة ومسار الدِّين وسيؤدِّي إلى اضمحلاله وبالتالي انتشار الضلال وشيوع الفساد والجهل وخراب المدن وانحطاط المجتمعات الإنسانية.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[٣].

ويقول أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٢/٣٥٩، باب ٨١، حديث ٧٤.

(٢) غرر الحكم: ٤٤٦، ١٠٢١٠؛ ميزان الحكمة: ٧/ ٣٣٨٤، الظلم، حديث ١١٤١٠.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) التوبة: ٧١.

وعن رسول الله ﷺ: «لتأمرنَّ بالمعروف وتنهونَّ عن المنكر أو ليسلِّطنَّ الله عليكم شراركم ثمَّ يدعو خياركم فلا يُستجاب لهم»[١].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أذْنَبْتَهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أخْطَأْتُهَا»

واغفر لي يا إلَهي الخطايا والذُّنوب جميعاً.

عندما يرتكب الإنسان معصية ما ولم تترك أثراً قويّاً في القلب، يعني أنَّه ارتكبها عن عدم ترصد وإصرار فإنَّ ذلك ذنب، لأنَّ القلب ما يزال يحتفظ بنقائه وسرعان ما يستعيد صفاءه وقد تنقشع عنه آثار الذَّنب كغيمة صيف عابرة. أمَّا إذا استحال ارتكاب الذَّنب إلى ملكة، يعني تكرار المعصية في أي وقت وفي أي مكان، فإنَّ ذلك يتحول إلى خطيئة ولكل من الذَّنب والخطيئة دور في حجب إجابة الدُّعاء، أي توقف فاعلية الدُّعاء وقد تكون الخطيئة أحياناً سبباً في نزول البلاء.

ومع كل هذا يبقى الرجاء والأمل بالغفران، لأنَّ هذا من الواجبات الحتمية على الإنسان في ألاَّ يدع اليأس والقنوط يتسلَّل إلى قلبه وعليه أن يدعو دائماً ويسأل الله السميع المجيب أن يتجاوز عن ذنوبه وخطاياه ما ظهر منها وما بطن؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

محسن عقيل

(١) محجَّة البيضاء: ٤/ ٩٩، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
(٢) الزمر: ٥٣.

وجوب اجتناب الكبائر

العياشي في تفسيره: عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١] قال: «معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»[٢].

تعيين الكبائر التي يجب اجتنابها:

محمد بن مسعود العياشي في تفسيره: عن ميسر وعلقمة الحضرمي وأبي حسان العجلي وعبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قالوا: قلنا: وما الكبائر؟

قال: «هي في كتاب الله على سبع».

قلنا: فعدها علينا، جعلنا فداك.

قال: «الشرك بالله العظيم، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا بعد البينة، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وقتل المؤمن، وقذف المحصنة» (الخبر)[٣].

وعن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا معاذ الكبائر سبع، فينا أُنزلت ومنا استخفت، وأكبر الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف،

---

(١) البقرة ٢: ٢٦٩.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٥١، ح٤٩٧.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٧ ح١٠٤.

وإنكار حقنا أهل البيت ـ إلى أن قال العياشي: وفي خبر آخر ـ والتعرب بعد الهجرة»[١].

وعن العباس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، إنه ذكر قول الله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[٢] «عبادة الأوثان، وشرب الخمر، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم»[٣].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «أكل مال اليتيم ظلماً، وكل ما أوجب الله عليه النار»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، في رواية أُخرى عنه عليه السلام: «وإنكار ما أنزل»[٥].

وعن سليمان الجعفري قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما تقول في أعمال السلطان؟ فقال: «يا سليمان، الدخول في أعمالهم، والعون لهم، والسعي في حوائجهم، عديل الكفر، والنظر إليهم على العمد من الكبائر الذي يستحق به النار»[٦].

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الكذب على الله، وعلى رسوله، وعلى الأوصياء عليهم السلام، من الكبائر»[٧].

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي عليهم السلام قال: «السكر من الكبائر، والحيف[٨] في الوصية من الكبائر»[٩].

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٧ ح١٠٥.
(٢) النساء ٤: ٣١.
(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٢٣٨، ح١٠٧.
(٤) نفس المصدر ج١ ص٢٣٨ ح١٠٨.
(٥) نفس المصدر ج١ ص٢٣٨ ح١٠٩.
(٦) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٨ ح١١٠.
(٧) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٨ ح١٠٦.
(٨) الحيف: الميل في الحكم والجور والظلم. (لسان العرب «حيف» ج٩ ص٦٠.
(٩) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٨ ح١١١.

﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[١] قال: «من اجتنب ما وعد الله عليه النار، إذا كان مؤمناً، كفر عنه سيئاته».

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في آخر ما فسر: «فاتقوا الله ولا تجتروا»[٢].

وعن كثير النّوا قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الكبائر.

قال: «كل شيء وعد الله عليه النار».[٣].

فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره: عن جعفر بن محمد الفزاري معنعنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أكبر الكبائر سبع: الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل أموال اليتامى، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وإنكار ما أنزل الله» (الخبر).

قال: وحدثني الحسين بن سعيد معنعنا، عن معلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام يقول: «الكبائر سبع، فينا نزلت ومنا استحلت، فأكبر الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وإنكار حقنا»[٤] (الخبر).

جعفر بن أحمد القمي في كتاب الغايات: عن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس[٥].

وعن الصادق عليه السلام قال: «أكبر الكبائر سبعة: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف»[٦].

وعن أحمد بن إسماعيل الكاتب، عن أبيه قال: أقبل محمد بن علي عليهما السلام في

---

(١) النساء ٤: ٣١.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص٢٣٨، ح١١٢.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٩ ح١١٤.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ص٣٣.

(٥) الغايات ص ٨٥.

(٦) المصدر نفسه.

المسجد الحرام، فقال بعضهم: لو بعثتم إليه بعض أهله فسأله، فأتاه شاب منهم فقال: يا عم، ما أكبر الكبائر؟

قال: «شرب الخمر» فأتاهم فقالوا: عد إليه، فلم يزالوا به حتى عاد إليه فسأله، فقال له: «ألم أقل لك ـ يا بن أخ ـ إن شرب الخمر يدخل صاحبه في الزنى، والسرقة، وقتل النفس التي حرم الله، وفي الشرك، وأفاعيل الخمر تعلو كل ذنب، كما تعلو شجرتها كل شجرة».

وقال عليه السلام: «أكبر الكبائر إنكار ما أنزل الله فينا»[١].

وعن ابن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: وأي شيء الكبائر؟

فقال: «أكبر الكبائر: الشرك، وعقوق الوالدين، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، والربا بعد البينة، وقتل المؤمن، فقلت: الزنى والسرقة، قال: ليس من ذلك»[٢].

عن أبي الحسن عليه السلام، سأله عن الكبائر كم هي؟ وما هي؟

فكتب: «من اجتنب ما وعد الله عليه النار، كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف»[٣].

عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «إذا زنى الرجل أخرج الله منه روح الإيمان.

فقلنا: الروح التي قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٤] قال: نعم.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، وإنما أعني ما دام على بطنها، فإذا توضأ وتاب كان في حال غير ذلك»[٥].

---

(١) الغايات: ص٨٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مشكاة الأنوار ١٥٥.
(٤) المجادلة ٥٨: ٢٢.
(٥) قرب الإسناد ص١٧.

وعن الأصبغ بن نباتة قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أُناس يزعمون أن العبد لا يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد كبر هذا عليّ، وحرج[١] منه صدري، حتى أزعم أن هذا العبد الذي يصلي إلى قبلتي، ويدعو دعوتي، ويناكحني وأُناكحه، ويوارثني وأُوارثه، أُخرجه من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه، فقال عليه السلام: «صدق أخوك».

وذكر عليه السلام له ما في المؤمن من الأرواح، إلى أن قال: «وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه، يهمّ بالخطيئة فتشجعه روح القوة، وتزين له روح الشهوة، وتقوده روح البدن، حتى توقعه في الخطيئة، فإذا مسها انتقص من الإيمان، ونقصانه من الإيمان ليس بعائد فيه أبداً أو يتوب، فإن تاب وعرف الولاية تاب الله عليه، وإن عاد وهو تارك الولاية أدخله الله نار جهنم» (الخبر)[٢].

عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله، قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا زنى الرجل خرج منه روح الإيمان» يخرج كله أو يبقى فيه بعضه؟ قال: «لا، يبقى فيه بعضه»[٣].

عن حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن قول الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٤] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا زنى العبد خرج منه روح الإيمان» قال: فقال: «ألم تر إلى شيئين يعتلجان[٥] في قلبك؟ شيء يأمر بالخير هو ملك يوح[٦] القلب، والذي يأمر بالشر هو الشيطان ينفث في أُذن القلب، قال: ثم

(١) حرج صدره: ضاق (لسان العرب ج٢ ص٢٣٣).

(٢) بصائر الدرجات ص٤٦٩.

(٣) كتاب درست بن أبي منصور ص١٦٠.

(٤) المجادلة ٥٨: ٢٢.

(٥) يعتلجان: يتصارعان. (لسان العرب ج٢ ص٣٢٧).

(٦) ورد في هامش الطبعة الحجرية ما نصه: (وفي نسختي من كتاب درست عندي يولج بدل ما في المتن ولعلها مصحف يلج أو يوحي إلى كما يظهر بالتأمل). (منه قده). (مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٦٠).

قال: للملك لمة[١]، وللشيطان لمة، في لمة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، ورجاء الثواب، ومن لمة الشيطان تكذيب بالحق، وقنوط من الخير، وإيعاد بالشر»[٢].

عن علي عليه السلام، قال: «السكر من الكبائر»[٣].

عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «من الكبائر: الشرك بالله وقتل المؤمن متعمداً، والفرار يوم الزحف، وأكل الربا بعد البينة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والتعرب بعد الهجرة، ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات»[٤].

الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره: عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «أكبر الكبائر أن تجعل لله نداً، وهو خلقكم، ثم أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك، ثم أن تزني بحليلة جارك»[٥].

عوالي اللآلي: روي أن رجلاً من الصحابة سأله فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟

قال: «هن تسع أعظمهن: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وفرار من الزحف، والسحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً ـ ثم قال ـ من لم يعمل هذه الكبائر، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويقيم على ذلك، إلا رافق محمداً صلى الله عليه وآله»[٦].

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: حدّثني أبو جعفر الثاني عليه السلام

---

(١) اللَّمَّة: الخطرة تقع في القلب، أو المراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه (لسان العرب ج١٢ ص٥٥٢).

(٢) كتاب درست بن أبي منصور ص١٦٠.

(٣) الجعفريات ص١٣٤.

(٤) دعائم الإسلام ج٢ ص٤٥٧ ح١٦١١.

(٥) تفسير أبي الفتوح الرازي ج٣ ص٢٧٦.

(٦) عوالي اللآلي ج١ ص٨٨ ح٢١.

قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام فلمّا سلّم وجلس تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾[١] ثمّ أمسك.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام ما أسكتك؟

قال: أُحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عزّ وجلّ.

فقال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر **الإشراك بالله**: يقول الله: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾[٢].

وبعده **الإياس من روح الله**: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣].

ثمّ **الأمن من مكر الله**: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٤].

ومنها **عقوق الوالدين**: لأن الله سبحانه يجعل العاق جبّاراً شقيّاً.

وقتل النفس الّتي حرّم الله، إلاّ بالحقّ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[٥] إلى آخر الآية.

وقذف المحصنة: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٦] وأكل مال اليتيم لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٧].

---

(١) الشورى ٤٢: ٣٧.
(٢) المائدة ٥: ٧٢.
(٣) يوسف ١٢: ٨٧.
(٤) الأعراف ٧: ٩٩.
(٥) النساء ٤: ٩٣.
(٦) النور ٢٤: ٢٣.
(٧) الأنفال ٨: ١٦.

والفرار من الزحف: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[(١)].

وأكل الربا: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[(٢)].

والسحر: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[(٣)].

والزنى: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿...وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾[(٤)].

واليمين الغموس الفاجرة: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[(٥)].

والغلول: لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[(٦)].

ومنع الزكاة المفروضة: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[(٧)].

وشهادة الزور وكتمان الشهادة: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[(٨)].

وشرب الخمر: لأنّ الله عزّ وجلّ نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان.

---

(١) الأنفال ٨: ١٦.
(٢) البقرة ٢: ٢٧٥.
(٣) البقرة ٢: ١٠٢.
(٤) الفرقان ٢٥: ٦٨، ٦٩.
(٥) آل عمران ٣: ٧٧.
(٦) آل عمران ٣: ١٦١.
(٧) التوبة ٩: ٣٥.
(٨) البقرة ٢: ٢٨٣.

وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً ممّا فرض الله عزّ وجلّ: لأن رسول الله ﷺ قال: من ترك الصلاة متعمّداً فقد بريء من ذمّة الله وذمّة رسوله.

ونقض العهد وقطيعة الرحم: لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1] قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال برأيه، ونازعكم في الفضل والعلم[2].

وعن عبد الرحمن بن الحجاج، عن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الكبائر؟

فقال: هنّ في كتاب علي عليه السلام سبع:

١ ـ الكفر بالله.

٢ ـ وقتل النفس.

٣ ـ وعقوق الوالدين.

٤ ـ وأكل الربا بعد البينة.

٥ ـ وأكل مال اليتيم ظلماً.

٦ ـ والفرار من الزحف.

٧ ـ والتعرّب بعد الهجرة.

قال: فقلت: هذا أكبر المعاصي؟

فقال: نعم.

قلت: فأكل الدرهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة؟

قال: ترك الصلاة.

قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر.

---

(١) الرعد ١٣: ٢٥.

(٢) الكافي ٢: ٢١٧/ ٢٤. الفقيه ٣: ١٧٤٦/٣٦٧، مجمع البيان ٢: ٣٩.

قال: أيّ شيء أوّل ما قلت لك؟

قلت: الكفر.

قال: فإنّ تارك الصلاة كافر ـ يعني: من غير علّة[١].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الكبائر سبع:

١ ـ قتل المؤمن متعمّداً.

٢ ـ وقذف المحصنة.

٣ ـ والفرار من الزحف،

٤ ـ والتعرب بعد الهجرة.

٥ ـ وأكل مال اليتيم ظلماً.

٦ ـ وأكل الربا بعد البينة.

٧ ـ وكل ما أوجب الله عليه النار[٢].

وعن نعمان الرازي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان[٣].

وعن محمّد بن عبدة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لا يزني الزاني وهو مؤمن؟

قال: لا، إذا كان على بطنها سلب الإيمان، فإذا قام ردّ إليه، فإذا عاد سلب.

قلت: فإنّه يريد أن يعود.

فقال: ما أكثر من يريد أن يعود فلا يعود إليه أبداً[٤].

---

(١) الكافي ٢: ٨/٢١٢.
(٢) الكافي ٢: ٣/٢١٢.
(٣) الكافي ٢: ٥/٢١٢.
(٤) الكافي ٢: ٢١٢.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[(١)].

فقال: **الفواحش: الزنى والسرقة.**

واللمم: الرجل يلمّ الذنب فيستغفر الله منه... الحديث[(٢)].

وعن داود قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان؟

قال: فقال: هو مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾[(٣)] ثمّ قال: غير هذا أبين منه، ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[(٤)] هو الذي فارقه[(٥)].

عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الكبائر القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وقتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، والتعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار بعد الزحف... الحديث[(٦)].

وعن محمّد بن حكيم قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: الكبائر تخرج من الإيمان؟

فقال: نعم وما دون الكبائر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن[(٧)].

---

(١) النجم ٥٣: ٣٢.
(٢) الكافي ٢: ٧/٢١٢.
(٣) البقرة ٢: ٢٦٧.
(٤) المجادلة ٥٨: ٢٢.
(٥) الكافي ٢: ١٧/٢١٦.
(٦) الكافي ٢: ١٠/٢١٣.
(٧) الكافي ٢: ٢١/٢١٦.

وعن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الكبائر سبع فينا أُنزلت، ومنّا أُستحلّت:

فأوّلها: الشرك بالله العظيم.

وثانيها: وقتل النفس التي حرّم الله.

وثالثها: وأكل مال اليتيم.

ورابعها: وعقوق الوالدين.

وخامسها: وقذف المحصنة.

وسادسها: والفرار من الزحف.

وسابعها: وإنكار حقّنا... الحديث[١].

وعن عبد العزيز العبدي، عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الكبائر.

فقال: هنّ خمس، وهنّ ممّا أوجب الله عليهنّ النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[٢].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾[٣].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[٤] إلى آخر الآية.

وقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾[٥] إلى آخر الآية، ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات، وقتل مؤمن متعمّداً على دينه[٦].

---

(١) الفقيه ٣: ٣٦٦/ ١٧٤٥. والخصال: ٣٦٣/ ٥٦. وعلل الشرائع: ٣٩٢/ ٢.

(٢) النساء ٤: ٤٨.

(٣) النساء ٤: ١٠.

(٤) الأنفال ٨: ١٥.

(٥) البقرة ٢: ٢٧٨.

(٦) عقاب الأعمال: ٢٧٧/ ١، وعلل الشرائع: ٤٧٥/ ٣، الخصال: ٢٧٣/ ١٧.

وفي (عيون الأخبار) بأسانيده عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المأمون قال: **الإيمان** هو أداء الأمانة، واجتناب جميع الكبائر، وهو معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان ـ إلى أن قال: ـ **واجتناب الكبائر** وهي: **قتل النفس التي حرّم الله تعالى، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البينة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، والزنى، واللواط، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله، القنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، واليمين الغَموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب، والكِبَر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والأشغال بالملاهي، والإصرار على الذنوب**[1].

وعن سليمان بن طريف، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما لنا نشهد على من خالفنا بالكفر؟ وما لنا لا نشهد لأنفسنا ولأصحابنا أنّهم في الجنّة؟.

فقال: من ضعفكم إن لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا أنّكم في الجنّة.

قلت: فأيّ شيء الكبائر؟

قال: أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، والربا بعد البيّنة، وقتل المؤمن.

فقلت له: الزنى والسرقة؟

فقال: ليسا من ذلك[2].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) الخصال: ٤١١/١٥.

وبإسناده عن الأعمش: عن جعفر بن محمّد عليه السلام - في حديث شرائع الدين - قال: والكبائر محرّمة، وهي الشرك بالله، وقتل النفس التي حرّم الله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البيّنة، وقذف المحصنات، وبعد ذلك الزنى، واللواط، والسرقة، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهلّ لغير الله به من غير ضرورة، وأكل السحت، والبخس في الميزان والمكيال، والميسر، وشهادة الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، وترك معاونة المظلومين، والركون إلى الظالمين، واليمين الغَموس، وحبس الحقوق من غير عسر، واستعمال التكبّر، والتجبّر، والكذب، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والملاهي التي تصدّ عن ذكر الله عزّ وجلّ مكروهة كالغناء وضرب الأوتار، والإصرار على صغائر الذنوب[1].

وروي في حديث آخر: «إن الكبائر أحد عشر:

أربع في الرأس: الشرك في الله عز وجل، وقذف المحصنة، واليمين الفاجرة، وشهادة الزور.

وثلاث في البطن: أكل مال الربا، وشرب الخمر، وأكل مال اليتيم.

وواحدة في الرجل: وهي الفرار من الزحف.

وواحدة في الفرج: وهي الزنى.

وواحدة في اليدين: وهي قتل النفس.

وواحدة في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين»[2].

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكبائر أربع: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن مكر الله»[3].

---

(١) الخصال: ٦١٠.

(٢) عوالي اللآلي ج١ ص٨٨ ح٢٢.

(٣) نوادر الراوندي ص١٦.

وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «رحم الله عبداً لم يرض نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه، وفي كتاب الله نجاة من الردى، وبصيرة من العمى، ودليل إلى الهدى، وشفاء لما في الصدور، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة، قال الله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1] وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[2] فهذا ما أمر الله به من الاستغفار واشترط معه التوبة والإقلاع عما حرم الله، فإنه يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[3] وهذه الآية تدل على أن الاستغفار لا يرفعه إلى الله إلاّ العمل الصالح والتوبة»[4].

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً له توبة، قال: «إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب، أو بسبب شيء من أُمور الدنيا، فإن توبته أن يقاد منه»[5] (الخبر).

بكاء شاب

وعن عبد الرحمن بن غنم الدوسي قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً، فسلم فرد عليه السلام، ثم قال: «ما يبكيك يا معاذ»؟

فقال: يا رسول الله، إن بالباب شاباً طري الجسد نقي اللون حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أدخل عليّ الشاب يا معاذ، فادخله عليه، فسلم فرد عليه السلام، ثم قال: «ما يبكيك يا شاب»؟

---

(١) آل عمران ٣: ١٣٥.
(٢) النساء ٤: ١١٠.
(٣) فاطر ٣٥: ١٠.
(٤) تفسير العياشي ج١ ص١٩٨ ح١٤٣.
(٥) تفسير العياشي ج١ ص٢٦٧ ح٢٣٩.

قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً لو أخذني الله عز وجل ببعضها أدخلني نار جهنم؟ ولا أراني إلاّ سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً.

فقال رسول الله ﷺ: «هل أشركت بالله شيئاً»؟

قال: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً.

قال: «أقتلت النفس التي حرم الله»؟

قال: لا.

فقال النبي ﷺ: «يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي».

قال الشاب: فإنَّها أعظم من الجبال والرواسي، فقال النبي ﷺ: «يغفر الله لك ذنوبك، وإن كانت مثل الأرضين السبع، وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق».

قال الشاب: فإنها أعظم من الأرضين السبع، وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

فقال النبي ﷺ: «يغفر الله لك ذنوبك، وإن كانت مثل السماوات ونجومها، ومثل العرش والكرسي».

قال: فإنها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان، ثم قال: «ويحك يا شاب، ذنوبك أعظم أم ربك»!؟

فخَّر الشاب على وجهه وهو يقول: سبحان ربِّي، ما شيء أعظم من ربِّي، ربِّي أعظم يا نبي الله من كل عظيم.

فقال ﷺ: «فهل يغفر لك الذنب العظيم إلا الرب العظيم»!؟ (الخبر)[1].

---

(١) أمالي الصدوق ص٤٥.

الشرك والظلم

وعن الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علي عليهما السلام - في حديث طويل - إن النبي صلى الله عليه وآله، قال في جواب نفر من اليهود، سألوه من مسائل: «وأما شفاعتي، ففي أصحاب الكبائر، ما خلا أهل الشرك والظلم»[١].

التوبة

علي بن إبراهيم في تفسيره: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[٢] الآية، قال: ومن قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته، ومن قتل نبياً أو وصي نبي فلا توبة له، لأنه لا يكون مثله فيقاد به، وقد يكون الرجل بين المشركين واليهود والنصارى، يقتل رجلاً من المسلمين على أنه مسلم، فإذا دخل في الإسلام يجب ما كان قبله أي - يمحو - لأن أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله، فإذا قبلت توبته في الشرك، قبلت في ما سواه، فأما قول الصادق عليه السلام: «ليست له توبة» فإنه عنى من قتل نبياً أو وصياً فليست له توبة، لأنه لا يقاد أحد بالأنبياء إلاّ الأنبياء، وبالأوصياء إلاّ الأوصياء، والأنبياء والأوصياء لا يقتل بعضهم بعضاً، وغير النبي والوصي فيقاد به، وقاتل النبي والوصي فيقاد به، وقاتل النبي والوصي لا يوفق للتوبة[٣].

وعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبة طويلة: ولا شفيع أنجح من التوبة»[٤].

والقطب الراوندي في لب الباب: مرسلاً قال: «أوحى الله إلى داود: لو أن عبداً من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوباً، ثم ندم حلبة شاة واستغفرني مرة واحدة، فعلمت من قلبه أن لا يعود إليها، أُلقيها عنه أسرع من هبوط القطر من السماء إلى الأرض»[٥].

---

(١) الخصال ص٣٥٥.
(٢) النساء ٤ : ٩٣.
(٣) تفسير القمي ج١ ص١٤٨.
(٤) الكافي ج٨ ص١٩.
(٥) لب اللباب: مخطوط. مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٦٦، ح٩.

الشرك

وفي «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهاد الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[١].

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها الشرك بالله، وقال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» الحديث[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول النبيِّ ﷺ: إنَّ الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، في ليلة ظلماء.

قال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبِّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّار إلّه المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٣][٤].

عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[٥].

---

(١) الكبائر: ص٧.

(٢) رواه أحمد والبخاري.

(٣) الانعام:١٠٨.

(٤) تفسير القمي ص٢٠٠. وعنه البحار: ج٦٩، ص٩٣.

(٥) يوسف: ١٠٦.

قال: شرك طاعة ليس شرك عبادة، والمعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس باشراك عبادة أن يعبدوا غير الله[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[٢] يوم القيامة أي يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة من دون الله عليهم ضدّاً يوم القيامة ويتبرأون منهم ومن عبادتهم إلى يوم القيامة، ثمَّ قال: ليس العبادة هي السجود ولا الركوع إنّما هي طاعة الرجال، من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده[٣].

وعن العبّاس بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: أنَّ هؤلاء العوامّ يزعمون أنَّ الشرك أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على المسح الأسود[٤].

فقال: لا يكون العبد مشركاً حتّى يصلّي لغير الله، أو يذبح لغير الله، إو يدعو لغير الله عزَّ وجلَّ[٥].

وعن عبد الغفار الجازي قال: حدثني من سأله عين الصادق عليه السلام هل يكون كفر لا يبلغ الشرك؟

قال عليه السلام: إن الكفر هو الشرك ثمَّ قام فدخل المسجد، فالتفت إليَّ وقال: نعم الرجل يحمل الحديث إلى صاحبه فلا يعرفه فيردُّه عليه فهي نعمة كفرها ولم يبلغ الشرك[٦].

وعن ابن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وسئل عن الكفر والشرك أيّهما أقدم؟

---

(١) تفسير القمي ص٣٣٤.والبحار: ج٦٩، ص٩٤.
(٢) مريم: ٨١.
(٣) تفسير القمي ص٤١٥. والبحار: ج٦٩، ص٩٤، ح٦.
(٤) المسح ـ بالكسر ـ البلاس يقعد عليه، والكساء من شعر كثوب الرهبان.
(٥) الخصال ج١ ص٦٧.
(٦) معاني الأخبار ص١٣٧.

قال: الكفر أقدم، وذلك أنَّ إبليس أوَّل من كفر وكان كفره غير شرك، لأنّه لم يدع إلى عبادة غير الله، وإنّما دعا إلى ذلك بعد فأشرك[١].

وعن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٢].

قال: العتلُّ العظيم الكفر، والزنيم المستهتَر بكفره[٣].

وعن الهيثم التميميّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثم التميميّ إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن، فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر، فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلاّ بباطن، ولا بباطن إلاّ بظاهر[٤].

وعن موسى بن بكر الواسطيّ قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن الكفر والشرك أيّهما أقدم؟

فقال: ما عهدي بك تخاصم الناس؟

قلت: أمرني هشام بن الحكم أن أسألك عن ذلك.

فقال لي: الكفر أقدم، وهو الجحود، قال لإبليس: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٥].

وعن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾[٦].

---

(١) قرب الإسناد ص٢٣.

(٢) القلم: ١٣.

(٣) معاني الأخبار ص١٤٩، والمستهتر ـ بالفتح على بناء المفعول يقال: استهتر الرجل بكذا ـ على ما لم يسم فاعله ـ صار مستهتراً به أي مولعاً به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره، وفي اللسان: يقال: «استهتر فلان فهو مستهتر: إذا كان كثير الأباطيل، وفي نسخة الكمباني. «المستهزىء بفكره».

(٤) بصائر الدرجات ص٥٣٦.

(٥) تفسير العياشي ج١ ص٣٤، والآية في سورة البقرة: ٣٤.

(٦) المائدة ٥.

قال: ترك العمل الّذي أقرَّ به، من ذلك أن يترك الصلاة من غير سقم ولا شغل.

قال: قلت له: الكبائر أعظم الذنوب؟

قال: نعم.

قلت: هي أعظم من ترك الصلاة؟

قال: إذا ترك الصلاة تركاً ليس من أمره كان داخلاً في واحدة من السبعة(١).

وعن أبان بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أدنى ما يخرج به الرجل من الإسلام أن يرى الرأي بخلاف الحقّ فيقيم عليه

قال: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله» وقال: الّذي يكفر بالإيمان: الّذي لا يعمل بما أمر الله به ولا يرضى به(٢).

وعن زرارة قال: كتبت إلى أبي عبد الله عليه السلام مع بعض أصحابنا فيما يروي الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه من أشرك بالله فقد وجبت له النار، ومن لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنّة.

قال: أما من أشرك بالله فهذا الشرك البيّن، وهو قول الله: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾(٣) وأمّا قوله: من لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنّة.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ههنا النظر، هو من لم يعص الله(٤).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: شرك طاعة وليس بشرك عبادة، والمعاصي الّتي يركبون ممّا أوجب الله عليها النار شرك طاعة أطاعوا الشيطان وأشركوا بالله في طاعته، ولم يكن بشرك عبادة فيعبدون مع الله غيره(٥).

(١) تفسير العياشي ج١ ص٢٩٦.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص٢٩٧.
(٣) المائدة: ٧٢.
(٤) تفسير العياشي: ج٢، ص١٩٩.
(٥) المصدر نفسه.

نقلاً من المحاسن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾[١].

قال: يطيع الشيطان من حيث يشرك[٢].

وعن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرَّيب كفر[٣].

الشرك ومُدمن الخمر

روي عن أنس أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله قال: إنَّ الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كلّ مشرك، ومُدمِن الخمر سكّير[٤].

❊ ❊ ❊

موعظة للغافلين

إياكم والموبقات:

يا نفس: انظري في الحديث المأثور، والخبر المشهور، إذا بلغ العبد أربعين من مُدَّة عُمْره من السنين، ناداهُ منادٍ من عند الجليل، قد دنا الرَّحيل، فأعدَّ الزَّاد ليوم المعاد، ويؤمر حافظاه بالتَّحقيق عليه، والإحصاء والمناقشة والاستقصاء، فعلامَ يا نفسُ الإهمال، عن صالح الأعمال، وقد لهزك[٥] القتير، ووفاك النَّذير.

---

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) البحار: ج٦٩، ص١٠٣.

(٣) البحار: ج٦٩، ص١٠٣، ح٣٢.

(٤) رواه الديلمي في الفردوس ١: ١٦٤/٦٠٣، رواه النوري في المستدرك ١٧: ٦٢.

(٥) لهزت القوم أي خالطتهم ودخلت بينهم ولهزه القتير أي خالطه الشَّيبُ فهو ملهوز والقتير الشيَّب. والجملة مأخوذة من خطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث يقول: أيُّها النَّفسَ الكبير الَّذي قد لَهَزهُ القتير الخ.

(البحر الطويل)

وما أقبح التفريطُ في زمن الصَّبا فكيفَ به والشَّيْبُ للرَّأس شامل

وإذا سرَّك يا نفسُ أن تذوقي حَلاوة عبادة الحميد المجيد، فاجْعلي بينكِ وبين شهوات الدُّنيا حائطاً مِن حديد، واعلمي أنَّ الصَّبْر على طاعته، أهون مِنَ الصَّبر على عَذابه الشديد، فالمداوي بجرحه يَصْبرُ على الدَّواءِ، مخافة من طُول الدَّاءِ، فاصبري على عملٍ لا غِنًى لك عن ثوابه، وعن عمل لا صبْر لك على عقابه.

يا نفس: من كانت الدُّنيا همَّه، كثر في الآخرة غمَّه.

يا نفس: عَلامَ وَسَعت قصْركِ، وضيَّقت قبرك على عقابه، فرفعت الطِّين، ووضعت الدين.

(البحر البسيط التام)

أمَّا بُيوتكِ في الدُّنيا فواسعة فليْت قبرك بَعْد الموت يتَّسع

يا نفسُ: الدُّنيا والآخرة ضرَّتان، وهُما ككَفَّتي الميزان، فإن رجَّحَتْ إحداهما خفَّت الأُخرى، فانظري الأُولى بكَ والأُخْرى.

يا نفس: تأسَّفي على ليلٍ نمته، ويومٍ أفطرته، وأنْ غفلت عن ذكر الله فيهِ وسوَّفته.

(البحر الكامل)

المَرء مُرتهنٌ بسَوْف وليْتني وَهلاكُهُ بالليْتِ والتَّسويف

يا نفس: أنَّ الدُّنيا دار مَمرّ، والآخرة دار مقرٍّ، والنَّاسُ فيها رَجلان: رجل باع نفسهُ فأوبقها، وَرَجُل ابتاع نفسَه فأعتقها

يا نفس: لو نظر إليكِ وجوه أهل الأرض، ذات الطّول والعَرض، لأحببت أن يروك على ما تحبِّين، ولا يروك على ما تكرهين، فكيفَ ربّ العالمين.

يا نفس: هَوْلٌ لا تدرين متى يغشاك، لم لا تَسْتَعدّين لَهُ قبل أن يَفجأك.

يا نفس: لوعلمت قدر بأسِ الله وعَذابه، ونكاله، وعقابه، ما رَقي لك دمع، ولا عُمِّر لك ربعٌ.

يا نفسُ: اعْقلُ النَّاسِ محْسِنٌ وهو يعدُّ نفسهُ منَ الخائفين، وأجهَلُهُم مسيءٌ وهو يعدّها مِن الآمنين.

يا نفسُ: ليس الخائف الَّذي يبكي ويمسح عينيه، إنَّما الخائف الَّذي يترك ما يخاف أن يعذّب عليه.

الأمن من مكر الله واليأس من روح الله

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[(١)] أي أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن: من وسَّع الله عليه فلم ير أنه يُمكر به فلا رأي له، ومن قتِّر عليه فلم ير أنه يُنظر إليه فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[(٢)].

وقال: مُكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أُخذوا.

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ:

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[(٣)(٤)].

وفي الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[(٥)].

وفي صحيح البخاري، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن

---

(١) الأنعام: ٤٤.
(٢) الأنعام: ٤٤.
(٣) الأنعام: ٤٤.
(٤) رواه الطبراني في الأوسط الكبائر: ص٢٣٧.
(٥) يعني البخاري.

النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»[١].

اليأس من روح الله والأمن من مكر الله:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢].

﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٣].

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[٤].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾[٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٧].

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٨].

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[٩].

---

(١) الكبائر: ص٢٣٨.
(٢) الأعراف: ٩٩.
(٣) يوسف ٨٧.
(٤) الحجر: ٥٥ و٥٦.
(٥) الإسراء: ٨٣.
(٦) العنكبوت: ٢٣.
(٧) العنكبوت: ٢٩.
(٨) الروم: ٣٦.
(٩) السجدة: ٤٩.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾﴾[١].

ويمكن أن يشار تحت العنوان المذكور إلى ما يلي:

١ ـ هناك مصطلحان: مصطلح اليأس من رَوْح الله تعالىٰ ومصطلح الأمن من مكر الله تعالىٰ. والرَوْح بمعنىٰ الراحة والرَّحمة[٢]. والمكر يُراد به في هذا الموضع العذاب وإن كان لغة يستعمل بمعنىٰ الخديعة أو غيرها[٣]. وعلى هذا فاليأس من رَوْح الله هو بمعنىٰ اليأس من رحمة الله في حين أنَّ الأمن من مكر الله هو بمعنىٰ الأمن من عذابه.

والمرادف لليأس من رَوْح الله تعالىٰ القنوط من رحمته، فإنَّهما بمعنى واحد[٤].

٢ ـ القنوط من رحمة الله تعالىٰ محرَّم بمقتضىٰ النهي عنه: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾. وأمَّا الأمن من مكر الله تعالىٰ فقد تصعب استفادة حرمته من قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ كما هو واضح، إذ كونه صفة للقوم الخاسرين لا يلازم تحريمه[٥].

وقد يُستفاد ذلك من الاستفهام الإنكاري: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾، حيث أنَّ المقصود فلا تأمنوا مكر الله تعالىٰ.

إلاَّ أنَّ بالإمكان مناقشة ذلك باعتبار أنَّ الاستفهام الإنكاري كما يلتئم مع النهي التحريمي كذلك يلتئم مع النهي التنزيهي.

---

(١) الطور: ٤٤.

(٢) مجمع البحرين ٢: ٣٥٣.

(٣) مجمع البحرين ٣: ٤٨٤.

(٤) مجمع البحرين ٤: ٢٧٠.

(٥) نعم قد جاء الاستدلال بالآية الكريمة على التحريم في صحيحة عبد العظيم الحسني إلاَّ أنَّ هذا تمسُّك بالصحيحة دون الكتاب الكريم، فلاحظ وسائل الشيعة ١١: ٣٥٢، الباب ٤٦ من أبواب جهاد النَّفس، الحديث ٢.

هذا ولكن الظاهر أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ تامّ الدلالة على لزوم الخوف وعدم الأمن من مكر الله تعالىٰ فلاحظ.

٣ ـ المستفاد من ضمّ الآيات الناهية عن القنوط إلى الآيات الناهية عن الأمن من مكر الله تعالى أنَّ المؤمن ينبغي له أن يعيش حالة الوسط بين الخوف والرجاء، فلا يخاف فقط ـ الذي لازمه سدُّ باب العودة على المذنب ومن ثمَّ شلُّ حركته نحو فعل الأعمال الصالحة ـ ولا يرجو الله فقط الذي لازمه عدم هجر المحرَّمات.

وحالة الوسط هذه قد تُستفاد من بعض الآيات الأُخرى. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. وقال في وصف زكريا ويحيى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2]. وقال في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]. وقال في بيان حاله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[4].

وقد جاء التأكيد على حالة الوسط في نصوص أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء في حديث الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام: «قلت له: ما كان في وصية لقمان؟

قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذَّبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك. ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي يقول: ليس من عبد مؤمن إلاَّ وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا»[5].

---

(١) الزمر: ٩.
(٢) الأنبياء: ٩٠.
(٣) السجدة: ١٦.
(٤) الحجر: ٤٩ ـ ٥٠.
(٥) وسائل الشيعة ١١: ١٦٩، الباب ١٣ من أبواب جهاد النَّفس، الحديث ١.

عن الصادق عليه السلام ناقلاً عن حكيم: اليأس من روح الله أشدُّ برداً من الزمهرير[١].

وعن أبي عثمان النهديّ، عن جندب الغفاري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّ رجلاً قال يوماً: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله عزَّ وجلَّ: من ذا الّذي تألّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإنّي قد غفرت لفلان وأحبطت عمل المتألّي بقوله: لا يغفر الله لفلان[٢].

وفي نوادر الراوندي: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يبعث الله المقنّطين يوم القيامة مغلبة وجوههم، يعني غلبة السواد على البياض، فيقال لهم: هؤلاء المقنّطون من رحمة الله تعالى[٣].

موعظة للغافلين

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، أضحت وزهرها يابس هشيم، أذ هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم. ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم، ذلك تقدير العزيز العظيم.

ابن آدم، الأقلام عليك تجري، وأنت في غفلة لا تدري، ابن آدم دع المغاني والأوتار، والمنازل والديار، والتنافس في هذه الدار، حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار.

ينادي مناد من قبل العرش: أين فلان أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه، قال، فيقول الله عزّ وجلّ لذلك الشخص: أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش

(١) معاني الأخبار: ١٧٧.
(٢) أمالي الطوسي ج١ ص٥٧.
(٣) نوادر الراوندي ص١٨.

ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عزّ وجلّ، فيلقي الله عزّ وجلّ عليه من نوره يستره عن المخلوقين، ثم يقول له عبدي: أما علمت أني كنت أشاهد عملك في دار الدنيا؟

فيقول: بلى يا رب.

فيقول الله تعالى: عبدي أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني؟

يقول: بلى يا رب.

فيقول الله تعالى: أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني؟

فيقول: بلى يا رب.

فيقول الله تعالى: يا عبدي عصيتني؟

فيقول: يا رب أن تعفو عني.

فيقول الله تعالى: عبدي تحققت أني أعفو عنك؟

فيقول: نعم يا رب لأنك رأيتني على المعصية وسترتها عليّ.

قال فيقول الله عزّ وجلّ: قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم.

إلَـهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم انظر إلينا نظر الرضا، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا، ونجنا من ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بنواصينا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ابن آدم! متى تذكر عواقب الأمور؟

متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟

إلى متى أنت في جميع ما تبني تدور؟

أين من كان من قبلكم في المنازل والدور؟

أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور؟

رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور؟

واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور، ونصب الصراط فكم من قدم عثور، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور. وباؤوا بتجارة لن تبور، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور.

(البحر الرمل المجزوء)

إنما الدنيا متاع كل ما فيها غرور

فتذكر هول يوم السما فيه تمور

تذكر أهوال يوم القيامة:

إخواني تذكروا القيامة فالأمر شديد، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد، واحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد، وحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا فعليكم رقيب عتيد، وتأهبوا للموت فكأنَّكم به، وقد أخذ الأحرار والعبيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

أين أحبابكم الَّذين سلفوا، أين أترابكم الَّذين رحلوا وانصرفوا، أين أرباب الأموال وما خلفوا ندموا على التفريط، فيا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ فانتبه يا هذا فالدُّنيا أضغاث أحلام، واعلم أنَّها دار لا تصلح للمقام، ستفهم قولي بعد قليل من الأيَّام، وما غاب عنك ستراه على التمام إذا انكشف الغطاء وتحقَّق الوعيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

ويحك أما علمت إنَّك ترحل كل يوم مرحلة، أما علمت إنَّه يحصي عليك من أعمالك الخردلة، وكم من مؤمل خانه في الحساب ما أمله، ولم يبلغ من المقاصد ما يريد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾[1].

يا مضيعاً عمره في الخسران، يا مطفئاً بهواء نور الإيمان، متى تفيق من خمار الهوى أيُّها السكران، أما آن لك الرجوع إلى الله، أما آن لك كأنَّك قد أخذت بالأمان منه التقليد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

يا معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض، ذهب شبابك وولى في طلب الأعراض، أما علمت ويحك أنَّ عمرك في انقراض، وقواك كل ساعة في انتقاص، فتزود لسفرك فالسفر والله بعيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

أما علمت أنَّ الموت لك بالمرصاد، أما صاد غيرك، ولك سيصطاد، أما بلغك ما فعل بسائر القصاد، أما حذرك غفلتك عنه في كل موطن وواد، أما سمعت قول الملك المجيد: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

فيا مقبلاً على ما يضره ومعرضاً عمَّا يفيد، ومضيعاً عرمه وهو يحصي عليه برقيب وعتيد أين المتحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد، أين المتكبِّرون من كل جبَّار عنيد، أما أخرجهم الموت من قصورهم، وقطع حبل أملهم المديد، أما أصبح ومنهم ذو الشِّدَّة والبأس في ظلمة القبر وحيد، أما سمعوا قول الملك المجيد: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

ويحك فنبه قلبك واسمع كلامي واتعظ، عسى قساوة قلبك تلين بالتشديد، وإن تخف في القيامة من شؤم ذنبك الزلل فلذ بجاه الهادي صاحب الشفاعة البشير، هو النبي المشفَّع فيمن عصى من أُمَّته يوم يسجد وتظهر بدائع التحميد، فيُقال: ارفع رأسك واشفع تشفع، ثمَّ قال يسمع وسل تعط عندي ما تشتهي وتريد، صلَّى عليه وسلَّم ربّ السماوات العُلى ما سارت النوق تطلب قطع الفلا والبيد.

---

(١) قٓ: ١٩.

القنوط من رحمة الله

قال رسول الله ﷺ على المنبر: والله الذي لا إلّه إلاّ هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا إلّه إلاّ هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلاّ بسوء ظنه وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين، والذي لا إلّه إلاّ هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلاّ كان الله عند ظنه، لأن الله كريم يستحيي أن يكون عبد مؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه[١].

موعظة للغافلين

الالتجاء إلى رب العالمين:

إخواني: ما أحسن حال من التجأ إلى رب العالمين؟

إخواني: ما أطيب حال من انتمى إلى عباده الصالحين؟

إخواني: ما أحسن حديث المحبين؟

إخواني: ما أطيب أخبار المتقين؟

إخواني: ما أربح بضائع العاملين؟

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص٧١ ـ ٧٢، باب حسن الظن بالله، ح٢ ٢٤٧.

إخواني: ما أصبح وجوه المجتهدين؟

إخواني: ما ألذ عتاب المشتاقين؟

إخواني: ما أنفع بكاء المحزونين؟

إخواني: ما أعذب مناجاة القائمين؟

إخواني: ما أمر عيش المحجوبين؟

إخواني: ما أذل نفوس الخاطئين؟

إخواني: ما أسوأ حال المحرومين؟

إخواني: ما أعظم حسرة الغافلين؟

إخواني: ما أشنع عيش المطرودين؟

إخواني: ما أعمى قلوب الظالمين؟

إخواني: ما أقبح وجوه العصاة والمذنبين.

يا هذا: إذا رأيت المبارزين بالخطايا قد اتسع لهم مجال الإمهال، فلا تستعجل لهم إنَّما نملي لهم لقد فرحوا بما يوجب الغم من اللذات، أيحسبون إنَّما نمدهم به من مال وبنين، نسارع لهم في الخيرات بينا أرض أعراضهم، قد أخذت زخرفها وأزينت جعلناها حصيداً، كأن لم تغن بالأمس، يا معشر الغافلين في لذاتهم، إنَّا أنذرناكم عذاباً قريباً، وأخجلتهم يوم ينبئهم الله بما عملوا، والله بكلِّ شيءٍ عليم.

(البحر البسيط التام)

واخجلة العبد من إحسان سيِّده ... واحسرة القلب من الطرف معناه

وكم من أياد له غير واحدة ... عندي وأعصيه جهراً ثمَّ أنساه

وكم أسأت وبالإحسان قابلني ... واخجلتي وإحيائي حين ألقاه

وكم عكفت على العصيان مستتراً ... ممَّن سواه وما في الكون إلاَّ هو

يرعى الذمام ويولي الظل مبتدراً ... لا كان في النَّاس عبد ليس يرعاه

يا نفس كم يخفي اللطف عاملني ... وقد رآني على ما ليس يرضاه

يا نفس كم زلَّة زلَّت بها قدمي   وما أقال عثاري إلاَّ هو
يا نفس توبي إلى مولاك واجتهدي   عسى تنالني عفواً عند لقياه

إخواني: تفكَّروا في عواقب الذُّنوب، كيف تفنى اللذات وتبقى العيوب، بالله عليكم احذروا طلب المعاصي فبئس المطلوب، ما أقبح آثارها في الوجوه والقلوب فللَّه در من أحسن سريرته، أخلى من الذُّنوب صحيفته، وأخلص لله سرّه وعلانيته.

(البحر البسيط التام)

يا من عليه مدى الأيَّام معتمدي   إليك وجهت وجهي لا إلى أحد
أنت المجيب لمن يدعوك يا أملي   يا عدتي يا شفا دائي ويا سندي
يا مالك الملك يا معطي الجزيل لمن   يرجو نداه بلا حصر ولا عدد
ما لي سواك وما لي غير بابك يا   مولاي فامح بعفو ما جنته يدي
وانعم وأمطر علينا رحمة فلنا   عوائد منك بالإحسان والمدد
وانظر إلينا فكم أوليتنا نعماً   ما إن تمر على بال ولا خلد
يا من أجاب دعائي عند مسألتي   ومن عليه وإن أخطأت معتمدي
ثمَّ الصلاة على المختار من مضر   ما ناحت الورق في غصن مدى الأبد

إخواني: لقد وعظتنا الدهور بممر الأيَّام والشهور، ورأينا الحزن عقب السور، وعلمنا أنَّ الزَّمان بأهله عثور، وتيقنا أنَّ آخر الأمر إلى القبور، فالعامل بالتقى مشكور، كم كسفت الدنيا من بدور، وكم أخلت من أهلها من دور وقصور، أعمى في الأبصار أم هي عور، فإنَّها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب الَّتي في الصدور.

(البحر الوافر)

تصرمت الحياة بغير نفع   فما صنعني وقد وافى نذيري
وأعمالي وطاعاتي وبري   غرور في غرور في غرور
وصبري والأمانة وارتجاعي   عسير في عسير في عسير
وجرمي والإساءة في التعدي   كبير في كبير في كبير
وسعيي واجتهادي واعتذاري   صغير في صغير في صغير
ورحمته وعفوه واغتفار   كثير في كثير في كثير

قيل: كان بالبصرة شاب يُقال له رضوان، كثير اللهو والعصيان، والتيه والطغيان يبيت الليالي بالخمر سكران، قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشيطان، فبينما هو في بعض الأيَّام معتكف على شرب المدام، ومعه جماعة من أصحابه الموافقين على الذُّنوب والآثام، إذ سمع رجلاً فقيراً ينشد في الطريق.

(البحر الطويل)

إذا ما خلوت الدَّهر يوماً فلا تقل　　خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن اللَّه يغفل لمحة　　ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فبكى الشاب، وقال: بالله عليك يا فقير، إلاَّ ما أعدت إليَّ قولك، فأعاده فأقسم عليه الشاب أن يحضر مجلسهم، فحضر. فقال له: والله يا سيِّدي لقد سعدنا برؤياك، وأعجبنا صوتك وحسن غناك، فغن لنا وطيب عيشنا فأنشد الفقير وقال:

(البحر الكامل)

تعصي الإلَه وأنت تأكل رزقه　　ويراك إذْ من خلفه تتكتم
فاحذر فما حاولت أمراً منكراً　　إلاَّ وينظره لديك ويعلم

فبكى الشاب وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته كسر أواني الخمر، وأقبل على الفقير، وقال: يا سيِّدي هل من توبة؟ فأنشد:

(البحر السريع)

هذا زمان الصلح ما أقعدكْ　　عن باب من للخير قد عوَّدكْ
فإن محوت اليوم ما سطرتْ　　أيدي خطاياك فما أسعدكْ

فصرخ الشاب ورمى بنفسه إلى الأرض مغشياً عليه، فلما أفاق قال: يا سيِّدي هل أخذني بما مضى؟ فأنشد وقال:

(البحر السريع)

للَّه ما أطيب صفو الوداد　　وما ألذ القرب بعد البعاد
وما أشد الهجر من بعدما　　قد كنت من جملة أهل الوداد
يا ناسياً للعهد عاملتنا　　ثمَّ تعللت بطيب الرقاد
بمن تشاغلت وأين الَّذي　　حصلت كلا بل حرمت المراد

شمر من اليوم ودع ما مضى وكن فقيراً ما مضى لا يعاد

فبكى الشاب وبكى أصحابه، ثمَّ تابوا وخلعوا ما كان عليهم من لباس الزينة وتاب الشاب إلى ربه، وندم على قبيح ذنبه، وبات ليلته بحضرة الفقير في بكاء، ونحيب حسرات وزفرات، فلما كان وقت السحر، ذكر ذنوبه والسيِّئات، فصرخ وأسبل العبرات، ثمَّ غشي عليه فحركه الفقير فإذا به قد مات.

(البحر الطويل)

أجل ذنوبي عند عفوك سيِّدي حقير وإن كانت ذنوبي عظائما

فما زلت غفاراً وما زلت راحما وما زلت ستاراً عليَّ الجرائما

لئن كنت قد تابعت جهلي في الهوى وقضيت أوطار البطالة هائما

فها أنا قد أقررت يا رب بالَّذي جنيت وقد أصبحت حيران نادما

فتب واعف عنِّي يا إلَهي تكرماً وكن لي يا رب البرية راحما

إخواني: إلى كم تضيعون السنن والفرائض، وإلى متى تتيممون بالتراب والماء فائض، يا كسلان في الطاعة، وهو في المعصية ناهض، فالله من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

(البحر البسيط التام)

لا ينفع الوعظ قلباً قاسياً أبداً ولا يلين لوعظ الواعظ الحجر

ولا أرى أثراً للذكر في جسدي والحبل في الحجر القاسي له أثر

وروى سفيان الثوري: كان يعظ النَّاس ويشوقهم إلى الله تعالى ويرغبهم في ثوابه، ويحذرهم من عقابه، وكان النَّاس يختلفون إليه، فصعد يوماً منبره على عادته، فلما استقر به الجلوس وأراد أن يتكلَّم، رفعت إليه امرأة رقعة، فلما قرأها تغير لونه وبكى بكاءً شديداً، ثم نزل ولم يتكلّم، فسأله أصحابه ومن يعزُّ عليه أن يخبرهم بما في الرقعة، فقرأها عليهم فإذا فيها مكتوب:

(البحر الكامل)

يا أيُّها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

ونـراك تـصـلـح بـالـرشـاد عـقـولـنـا أبـداً وأنـت مـن الـرشـاد عـديـم
فـابـدأ بـنـفـسـك فـإنَّـهـا عـن غـيـهـا فـإذا انـتـهـيـت عـنـه فـأنـت حـكـيـم
فـهـنـاك يـقـبـل مـا تـقـول وتـهـتـدي بـالـوعـظ مـنـك ويـنـفـع الـتـعـلـيـم
لا تـنـه عـن خـلـق وتـأتـي مـثـلـه عـار عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـم

فلما قرأ ذلك بكى بكاءً شديداً حتَّى أُغمي عليه، فلما أفاق قالوا له: يا سيِّدي أنت كلامك موزون، وعرضك مصون تشفي القلوب بوعظك وتسلي المحزون، فكيف يؤثر في قلبك هذا الكلام، وأنت إمام وأيّ إمام، فبكى وقال: أنا ما أصلح أن أتكلم على رؤوس النَّاس، فأنا أعرف بنفسي من غيري، ثمَّ فاضت عيناه واشتغل بوجده وجواه، وما عاد أحد بعد ذلك اليوم يسمع كلامه، ولا يراه حتَّى مات رحمه الله.

إخواني: أفلا تنظرون إلى قلوب هؤلاء الأقوام، كانت قلوبهم كالزجاجة رقيقة يؤثر فيها الكلام، ويقدح زناد الموعظة في حراق قلوبهم نار الوجد والغرام وأنتم تسمعون المواعظ فلا يؤثر في قلوبكم، ولا تغسلون بماء الدمع درن ذنوبكم بل تتركون ما ينفعكم وراء ظهوركم، وتقبلون على اللهو والأباطيل كما قيل:

(البحر الطويل)

قـلـوب بـذكـر الـوعـظ تـزداد قـسـوة فلا الوعظ يجدي لا ولا العتب ينفع
الـيـن مـقـالاً فـي الـكـلام لـعـلَّـهـا تـلـيـن فـلا تـصـغـي ولا تـتـخـشـع
إذا قـلـت: هـذا مـدرج الـقـوم فـادرجي يقول الهوى: حدثت من ليس يسمع
وإن عـرضـت يـومـاً إلـى الـنَّـاس شـهـوة تـراهـا إلـى مـا يـغـضـب الـرب تـسـرع
وإن لـيـس لـلإنـسـان إلاَّ الَّـذي سـعـى وكـل مـجـازي بـالَّـذي كـان يـصـنـع

إخواني: استحوذت عليكم الغفلة، وغرتكم أيَّام المهلة، فيا مغترا في ظلمة بإمهاله، فلا تحسبن الله غافلاً عمَّا يعمل الظالمون. ليست المهلة على الإطلاق، إنَّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، فلو رأيتم يوم العرض قد خرجوا من قبورهم حيارى، وبرزوا لله الواحد القهَّار، ترجف بوادرهم يوم ترجف الراجفة عليهم أمارات الشقاء يعرف المجرمون بسيماهم، إذا اشتد جوعهم ليس لهم طعام

إلاَّ من ضريع، إذا قوي عطشهم سقوا ماء حميماً، فقطع أمعاءهم العرى، حير من كسوتهم سرابيلهم من قطران﴿...وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾[١] أتراهم يسمعون أنَّ الفصل ميقاتهم أجمعين إذا شاهدت النَّار من لذَّة ساعة، بعذاب سنين تكاد تميز من الغيظ من أراد النجاة أن يتماسا.

(البحر البسيط التام)

ما حال من غلقت أبواب رحمته	وخلدت نفسه في سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة	كأنَّما ختمت أجفان مقلته
فدعه لم يستفق من قبل صرعته	فسوف يعثر في أذيال جفونه
يا من ينادي ولا يصغي لصالحه	كأنَّما قلبه في غير جنَّته
إذا كان جسمك لا يقوى على الألم	فالنَّار أعظم من آلام علَّته

إخواني: إذا كان صفاء المواعظ لا يؤثر في قلوبكم الكدرة، ومعاول التخويف لا تقطع نفوسكم المتحيرة، فهذا كلام ربكم يتلى عليكم في آياته المطهَّرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[٢].

يا غافلاً: عمَّا نهاه أمره يا مضيعاً في البطالة عمره، إلى متى تلهو وذنوبك مكتوبة مسطرة، كيف حالك في سفرك وطريقك خطرة، وشاهدت ميزانك الَّذي يرجح بالذرَّة الحقرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

يا غافلاً: والموت يقفو أثره، كيف بك إذا شاهدت السَّماء مقنطرة، وحافظك قد أحصى ما عملت من خير وشر وحسرة، وقد تعذرت المعذرة، فهناك تجد الإنسان من الإحسان، والعصيان ما أحضره ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

(البحر الرجز المجزوء)

يا نفس توبي عن فعال منكره	واسعي إلى دار البقا متبصره

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

يا نفس فاز القوم من رب العُلى بالعفو عن زلاتهم والمغفره
يا نفس قد قطعوا النَّهار لربهم صوماً وفازوا بالعُلى في الآخره
يا نفس ويحك للمتاب فبادري من قبل أن تأتي الذُّنوب مسطره
يا نفس إنَّ القوم زادوا خيفة من مكرهم وقلوبهم متنكره
يا نفس جدي في التقى وتزودي عملا وكوني للقا مستشعره
يا نفس كم قوم على الدُّنيا احتووا ظلماً وما لهمو إذا من أخره
يا نفس كم أُمم تفانوا في البلا عظامهم أضحت عظاماً ناخره
يا نفس توبي اليوم من قبل الردى فعسى تكوني في غد مستبشره
يا نفس آه من الذُّنوب وكلها يوم القيامة في الكتاب محرره
يا نفس ما ينجيك في يوم اللقا من عظم أهوال الحساب المنكره
إلاَّ شفاعة أحمد الهادي الَّذي يرجى لديه العفو عند المقدره
فهو النبي الهاشمي المصطفى والمجتبى من خلقه إذا طهره
يا نفس جدي في المسير لقبره واسعي إلى أبوابه مستعصره
وتمتعي بجماله ووصاله كي لا تكوني في الورى متحسره
وإذا وصلت إلى رباه فعظمي تلك المواقف وادخلي متوقره
فعسى تنالي الفوز من رب العُلى وتعود زلات الذُّنوب مكفره
وتشاهدي ذاك الضريح وقد بدت أنواره للكائنات منوره
هو صفوة الرَّحمٰن من كل الورى وسم التكوين حقاً صنوره
أسرى به الباري إليه جهرة في جنح ليل صبحه ما أسفره
ورقى على ظهر البراق معظماً والكون من أنواره قد نوره
فاستبشرت بقدومه أهل السما فلذاك أضحت من شذاه معطره
وهو الَّذي جليت عروس جماله في ليلة المعراج لما أظهره
وهو الَّذي بالحق جاء وبالهدى وأباحنا الدِّين القويم ويسره
صلَّى عليه اللّه ما سرت الصبا وأتت بطيب ثنائه متعطره

قتل النفس

مما ورد في قتل النفس المحرّمة في القرآن الكريم:

﴿...وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[6].

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) الأنعام: ١٥١.

(٤) الإسراء: ٣٣.

(٥) الكهف: ٧٤.

(٦) الفرقان: ٦٨.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[١].

عن عبد العظيم الحسني، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: لما كلّم الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران عليه السلام قال: إلَهي ما جزاء من قتل مؤمناً متعمداً؟

قال: لا أنظر إليه يوم القيامة ولا أُقيل عثرته[٢].

وجاء أيضاً، عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه، عن جدّه، عن الصادق عليه السلام قال: قتل النفس من الكبائر لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[٣].

وفي تفسير القمي: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

قال: من قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته، ومن قتل نبيّاً أو وصيّ نبيّ فلا توبة له، لأنّه لا يكون مثله فيقاد به، وقد يكون الرّجل بين المشركين واليهود والنصارى يقتل رجلاً من المسلمين على أنه مسلم، فإذا دخل في الإسلام محاه الله عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: الإسلام يجبّ ما كان قبله، أي يمحو لأنَّ أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله، فإذا قبلت توبته من الشرك قبلت فيما سواه.

فأمّا قول الصادق عليه السلام: ليست له توبة فإنه عنى من قتل نبيّاً أو وصيّاً فليست له توبة لأنه لا يقاد أحد بالأنبياء إلاّ الأنبياء، وبالأوصياء إلاّ الأوصياء، والأنبياء والأوصياء لا يقتل بعضهم بعضاً، وغير النبيّ والوصيّ لا يكون مثل النبيّ والوصيّ فيقاد به، وقاتلهما لا يوفّق للتوبة[٤].

عليّ، عن أخيه عليه السلام قال: ابتدر الناس إلى قراب سيف رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موته، فإذا صحيفة صغيرة وجدوا فيها: من آوى محدثاً فهو كافر، ومن تولّى غير

---

(١) التكوير: ٩.

(٢) أمالي الصدوق ص٢٠٨ جزء حديث.

(٣) علل الشرايع ص٤٧٨ وفي المصدر.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج١ ص١٤٨.

مواليه فعليه لعنة الله، ومن أعتى الناس على الله عزَّ وجلَّ من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه[١].

وعن سليمان بن حفص البصري، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما عجّت الأرض إلى ربّها عزَّ وجلَّ كعجيجها من ثلاثة: من دم حرام يسفك عليها، أو اغتسال من زنا، أو النوم عليها قبل طلوع الشمس[٢].

وعن محمّد بن سنان، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: السفّاك للدم، وشارب الخمر، ومشّاء بنميمة[٣].

وفيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام: يا عليُّ كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: **القتال، والساحر، والدّيوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والسّاعي في الفتنة، وبايع السلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحجّ**[٤].

وعن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً.

قلت: وما الحدث؟

قال: من قتل[٥].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ورثت عن رسول الله صلى الله عليه وآله كتابين: كتاب الله وكتاباً في قراب سيفي، قيل: يا أمير المؤمنين وما الكتاب الّذي في قراب سيفك؟

قال: من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه فعليه لعنة الله[٦].

---

(١) البحار: ج١٠١، ص٣٧٢، ح١٠.
(٢) الخصال ج١ ص٩٢.
(٣) الخصال ج١ ص١١٨.
(٤) الخصال ج٢ ص٢١٧.
(٥) معاني الأخبار ص٣٨٠، والعيون ج١ ص٣١٣.
(٦) عيون الأخبار ج٢: ٤٠. صحيفة الرِّضا عليه السلام: ١١.

وعن مجاهد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

الذُّنوب التي تغير النعم: البغي.

والذُّنوب الّتي تورث النّدم: القتل.

والتّي تنزل النقم: الظلم.

والتّي تهتك الستور: شرب الخمر.

والتّي تحبس الرزق: الزنى.

والتّي تعجّل الفناء: قطيعة الرّحم.

والتّي تردّ الدعاء وتظلم الهواء: عقوق الوالدين[١].

عن الثماليّ، عن عليِّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يغرّنكم رحب الذراعين بالدّم فإنَّ له عند الله قاتلاً لا يموت

قالوا: يا رسول الله وما قاتل لا يموت؟

فقال: النار[٢].

وعن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً.

قلت: وما ذلك الحدث؟

قال: القتل[٣].

وعن أبي السفائج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: جزاؤه جهنّم إن جازاه[٤].

---

(١) علل الشرايع: ٥٨٤.
(٢) معاني الأخبار: ٢٦٤.
(٣) معاني الأخبار: ٢٦٤.
(٤) معاني الأخبار ص٣٨٠.

وعن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جده، عن عليّ عليه السلام قال: تحرم الجنّة على ثلاثة: على المنّان، وعلى القتال، وعلى مدمن الخمر[١].

وعن أبي ولاّد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قتل نفسه متعمّداً فهو في نار جهنّم خالداً فيها[٢].

وعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدّماء فيوقف ابن آدم فيفصل بينهما، ثمَّ الّذين يلونهم من أصحاب الدّماء حتّى لا يبقى منهم أحد، ثمَّ الناس بعد ذلك فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول أنت قتلته؟ فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً[٣].

وعن أبي الجارود، عن محمّد بن علي عليه السلام قال: ما من نفس تقتل برّة ولا فاجرة إلاّ وهي تحشر يوم القيامة متعلّقاً بقاتله بيده اليمنى ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب دماً يقول: يا ربّ سلّ هذا فبم قتلني، فإن كان قتله في طاعة الله عزَّ وجلَّ أُثيب القاتل الجنّة وذهب المقتول إلى النار، وإن قال: في طاعة فلان قيل له: اقتله كما قتلك ثمَّ يفعل الله فيهما بعد مشيّنة[٤].

وعن سعيد الأزرق، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل قتل رجلاً مؤمناً قال: يقال له: مت أيّ ميتة شئت إن شئت يهودياً، وإن شئت نصرانيّاً وإن شئت مجوسيّاً[٥].

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: أن يا موسى قال للملأ من بني إسرائيل: إيّاكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فإنَّ من قتل منكم نفساً في الدُّنيا قتلته في النّار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه[٦].

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٤١.
(٢) ثواب الأعمال ص٢٤٦.
(٣) ثواب الأعمال ص٢٤٧.
(٤) ثواب الأعمال ص٢٤٧.
(٥) ثواب الأعمال ص٢٤٨.
(٦) ثواب الأعمال ص٢٤٨. المحاسن: ١٠٥.

وعن عبد الرَّحمن بن أسلم، عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من قتل مؤمناً متعمّداً أثبت الله عزَّ وجلَّ على قاتله جميع الذّنوب وبرىء المقتول منها، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: «**إنّي أُريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار**»[١].

عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ امرأة عذّبت في هرَّة ربطتها حتّى ماتت عطشاً[٢].

قال النبي صلى الله عليه وآله: لزوال الدُّنيا أيسر على الله من قتل المؤمن[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: لو أنَّ أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع اشتركوا في دم مؤمن لأكبّهم الله جميعاً في النّار[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: أوّل ما يقضى يوم القيامة الدماء[٥].

موعظة للغافلين

ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟

وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة؟

وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟

يا معرضاً عنا إلى متى هذا الجفا والأعراض؟

يا غافلاً: عن الموت والعمر لا شك في انقراض.

يا مغتراً في أمله وأيدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض.

يا مغروراً بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض.

يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٤٨. المحاسن: ١٠٥.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٤٧.

(٣) روضة الواعظين ص٤٦١ طبع النجف.

(٤) روضة الواعظين: ص٤٦١ طبع النجف.

(٥) المصدر نفسه.

يا غافلاً: عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض.

يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض.

يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض

يا ضاحكاً وعيون الفنا غير غماض لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الأغماض!

من أعان على قتل مؤمن أو شرك في دمه:

عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله[1].

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام أو عمّن ذكره، عنه عليه السلام قال: يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتّى يلطخه بدم والناس في الحساب فيقول: يا عبد الله مالي ولك؟ أعنت عليّ يوم كذا وكذا بكلمة فقتلت[2].

تذكروا نار جهنَّم:

(البحر البسيط التام)

النَّار منزل أهل الكفر كلهم ... طباقها سبعة مسودة الحفر

جهنَّم، ولظى من بعدها حطمةْ ... ثمَّ السعير، وكل الهول في سقر

وتحت ذاك جحيم ثمَّ هاوية ... تهوي بهم أبداً في حر مستعر

فيها العقارب والحيات قد تركت ... جلودهم كالبغال الدهم والحمر

فيها السلاسل والأغلال تجمعهم ... مع الشياطين جهراً جمع منقهر

لهم طعام من الزقوم يعلق في ... حلوقهم شوكة كالصاب والصبر

سوداء مظلمة شنعاء موحشة ... دهماء محرقة لواحة البشر

أعاذنا اللَّه منها ثمَّ عوضنا ... بجنَّة الخالدين الروض والزهر

❊ ❊ ❊

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٤٦.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٤٦.

إخواني: أما تعتبرون بهذه الأحوال، أما تشفقون من نار جهنم والأنكال، أما تحذرون سلاسلها والأغلال، واعجباه لمن كان في الجنَّة في ظهر أبيه آدم، كيف يدخل ناراً وقودها النَّاس والحجارة؟

(البحر الوافر)

إذا برزت ليوم العرض نار	لها النَّاس الوقود مع الحجارهْ
يفر المرء حقاً من أخيه	وينكر في المعاد من استزارهْ
فلا الخل الحميم يغيث خلاً	ولا الجار المجير يجير جارهْ
وقد برز الجليل لفصل حكم	ونشرت الصحائف مستطارهْ
فيفتضح المسيء بقبح فعل	ومن يك محسناً فله البشارهْ

ويروى أنَّ لهب النَّار يرفع أهل النَّار حتَّى يطير أو كما يطير، فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنَّة وبينهم حجاب، فينادي أهل الجنَّة أصحاب النَّار، قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقَّاً، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقَّاً؟

قالوا: نعم. فأذن مؤذن بينهم، أن لعنة الله على الظالمين، وينادي أصحاب النَّار أصحاب الجنَّة، حين يرون الأنهار تطرد بينهم، أن أفيضوا علينا من الماء أو ممَّا رزقكم الله.

قالوا: إنَّ الله حرمهما على الكافرين، فتردهم ملائكة العذاب إلى قعر النَّار. لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

وذكر الترمذي من حديث ابن عبَّاس أنَّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

وذكر الترمذي من حديث ابن عبَّاس أيضاً قال: قال النبي ﷺ: «غلظ جلد الكافر اثنان وسبعون ذراعاً، وضرسه مثل جبل أُحد، وإنَّ مجلسه من جهنَّم كما بين

---

(١) السجدة: ٢٠.

(٢) آل عمران: ١٠٢.

مكَّة والمدينة» أعاذنا الله وإيَّاكم من النَّار، ومن مقام الكفار فيها والفجار، فلو رأيت أهل جهنَّم شرابهم الحميم، وكلَّما اشتد جوعهم ليس لهم طعام إلاَّ من ضريع، يا أهل الذُّنوب والخطايا ألكم صبر على النَّار؟ كلا. إنَّها لظى يساقون إليها من كل مكان، إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً، لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً، فلو رأيتهم يوم تبدل الأرض غير الأرض، والسَّماوات غير السماوات وبرزوا لله الواحد القهَّار، حلَّت بهم المحن، وظهر عليهم الغبار، وجرت دموعهم كالأمطار، والقلق قد أحاط بهم من جميع الأقطار.

(البحر البسيط التام)

أما سمعت بأكباد لهم صعدت ... خوفاً من النَّار فانحطت إلى النَّار
أما سمعت بضيق في مجالسهم ... ولا قرار لهم يا صاح في النَّار
أما سمعت بحيات تدب بها ... إليهم خلقت من مارج من نار
فيا إلّهي بأحكام وما سبقت ... به قديماً من الجنَّات والنَّار
أدعوك أن تحمي العبد الضعيف فما ... للعبد من جسد يقوى على النَّار
والشَّمس ما لي عليها قط من جلد ... فكيف يصبر ذو ضعف على النَّار

وروي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا سبق أهل النَّار إلى النَّار فتلقطهم بعنف، فتنفخهم نفخة لم تترك لحماً على عظم، إلاَّ أبانته عن العروق، وهم في توبيخ وعتاب، وفي سجن وعذاب وفي حزن وعقاب» كما قال الله تعالى في محكم الكتاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[1] فإنَّهم كانوا يفرحون بدار الغرور، وينسون النفخ في الصور، ويفترون بالأماني والزور، فقال: في حقهم من يعدل في حكمه ولا يجور الَّذين كفروا لهم نار جهنَّم، لا يقضي عليهم فيموتوا، ولا يخفِّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور لهم فيها بكاء وزفير وعذاب وسعير، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الَّذي كنَّا نعمل، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر،

---

(١) النساء: ٥٦.

وجاءكم النذير فذوقوا، فما للظالمين من نصير، ما هذا الأمل والرحيل قد تدانى يا مقبلاً على لذاته، ولم يأخذ من هول الموقف أماناً.

(البحر البسيط التام)

اذكر وقوفك يوم الحشر عُريانا مستضعفاً فارغ الأحشاء حيرانا
النَّار تزفر من غيظ ومن حرق على العصاة وتلقى الرب غضبانا
في موقف قد تجلى فيه حاكمه وقال فيه لمن قد لجّ طغيانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل وانظر إليه تَرَ فيه الّذي كانا
لما قرأت كتاباً لا يغادر لي ما كان في السر أو ما كان إعلانا
قال الجليل خذوه يا ملائكتي مروا به لأليم النَّار ظمآنا
يا رب لا تخزنا يوم المعاد ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً، وإنَّها تتعوذ من نار جهنَّم في كل يوم سبعين مرَّة».

فمن أراد أن ينجو من عذاب الله ويناله ثوابه، فعليه بالصبر على شدائد الدُّنيا، فإنَّ الجنَّة قد حفَّت بالمكاره، والنَّار قد حفَّت بالشهوات.

إخواني: مثلوا أنفسكم وقد وقفتم على النَّار، وقلتم: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا، كلَّما صحتم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، وقد صرفتم همتكم في طلب الدُّنيا، وأعرضتم عن أخراكم بالكلية، فكيف بكم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم.

(البحر البسيط التام)

يا نفس توبي فإنَّ الموت قد حانا وأعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا

عقوق الوالدين

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾[١].

وقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾[٢].

عقوق الوالدين هو إغضابهما وإيذاؤهما وكسر خاطرهما كليهما أو أحدهما.

والعقوق من أشدِّ أنواع قطع الرحم ولا شك أنَّه من الكبائر.

سيِّىء الحظ مَن كان عاقاً لوالديه، فإنَّه لا يرىٰ الخير لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ولا ينفعه عمره، ولا ترفعه عزَّته، يقصر عمره، وتضيع حياته هباءً.

تصعب عليه سكرات الموت وتشتدُّ، ويرهقه خروج روحه.

فتنبَّه يا أخي وارحم نفسك، واحذر حدَّ العقوق، فإنَّه قاطع.

وتذكَّر معاناة والديك فيك، وهجرهما النوم من أجلك، وتربيتهما لك، وسنين رقدتك في أحضانهما تنهل منهما العطف والحنان والمحبَّة، وبذلهم مهجهم دونك.. حتى بلغت ما بلغت، واشتدَّ عضدُك بعد أن كنت ضعيفاً مستقوياً بهم.. ماذا دهاك.. هل نسيت كلّ ذلك، أو عنه عميت، أو دونه كفرت؟

واستمع إلى الإمام السجَّاد عليه السلام، وهو يوصي بالأم، معدداً جهودها وفضلها على الأبناء، بأسلوب عاطفي أخَّاذ، فيقول عليه السلام: «وأمَّا حق أُمّك: أن تعلم أنَّها

---

(١) مريم: ١٤.

(٢) مريم: ٣٢.

حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحي وتظللك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنَّك لا تطيق شكرها إلاّ بعون الله وتوفيقه»[1].

وبرّ الوالدين، وإن كان له طيبته ووقعه الجميل في نفس الوالدين، بيد أنَّه يزداد طيبة ووقعاً حسناً عند عجزهما وشدَّة احتياجهما إلى الرعاية والبر، كحالات المرض والشيخوخة، وإلى هذا أشار القرآن الكريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

ومن الواضح أنَّ نكران الجميل ومكافأة الإحسان بالإساءة، أمران يستنكرهما العقل والشرع، ويستهجنهما الضمير والوجدان. وكلَّما عظم الجميل والإحسان كان جحودها أشد نكراً وأفظع جريرةً وإثماً. وبهذا المقياس ندرك بشاعة عقوق الوالدين وفظاعة جرمه، حتى عدَّ من الكبائر الموجبة لدخول النَّار. ولا غرابة فالعقوق ـ فضلاً عن مخالفته المبادىء الإنسانية، وقوانين العقل والشرع ـ دال على موت الضمير، وضعف الإيمان، وتلاشي القيم الإنسانية في العاق.

فقد بذل الأبوان طاقات ضخمة وجهوداً جبَّارة، في تربية الأبناء وتوفير ما يبعث على إسعادهم وازدهار حياتهم ماديَّاً وأدبياً، ما يعجز الأولاد عن تثمينه وتقديره.

فكيف يسوغ للأبناء تناسي تلك العواطف والألطاف ومكافأتها بالإساءة والعقوق؟

من أجل ذلك حذَّرت الشريعة الإسلامية من عقوق الوالدين أشدّ التحذير، وأوعدت عليه بالعقاب العاجل والآجل.

---

(١) رسالة الحقوق للإمام السجَّاد عليه السلام.

مساوىء العقوق

وللعقوق مساوىء خطيرة، وآثار سيِّئة تنذر العاق وتتوعده بالشقاء الدنيوي والأخروي.

فمن آثاره أنَّ العاقّ يعقّه ابنه... جزاءً وفاقاً على عقوقه لأبيه. وقد شهد النَّاس صوراً وأدواراً من هذه المكافأة على مسرح الحياة.

من ذلك ما حكاه الأصمعي قال: حدَّثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلق أعق النَّاس وأبرّ النَّاس. فكنت أطوف بالأحياء، حتَّى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل، يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحرّ الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قدّ ملوي، يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل.

فقلت له: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف، أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟

قال: أنَّه مع هذا أبي.

قلت: فلا جزاك الله خيراً.

قال: اسكت، فهكذا كان يصنع هو بأبيه، وكذا كان يصنع أبوه بجده.

فقلت: هذا أعق النَّاس.

ثمَّ جلت أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل، فيه شيخ كأنَّه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعة، فيزقه كما يزق الفرخ.

فقلت له: ما هذا؟

فقال: أبي، وقد خرف، فأنا أكفله.

قلت: فهذا أبرّ العرب. فرجعت وقد رأيت أعقّهم وأبرهم[١].

---

(١) المحاسن والمساوىء، للبيهقي: ج٢، ص١٩٣.

البغي

أحمد بن الحسن، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها النّاس احذروا البغي، فإنّه ليس من عقوبة ذنب أسرع من عقوبة بغي، وصلوا أرحامكم، فإنّه ليس من ثواب أسرع من ثواب صلة الأرحام، وإيّاكم والعقوق، فإنَّ الجنَّة توجد ريحها من مسيرة مائة عام، وما يجدها عاقّ، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌ إزارَه خُيَلاء، إنّما الكبرياء لله ربّ العالمين.

الكذب

والكذب كلُّه إثم إلاّ ما نفعت به مؤمناً، أو دفعت به عن دين، وإنَّ في الجنَّة لسوقاً لا يباع فيها ولا يشترى إلاّ الصُّوَر من الرِّجال والنِّساء، يوقفون على مقدار يوم من إيّام الدُّنيا، فيمرُّ بهم أهل الجنّة، فمن اشتهى صورةً من رجل أو امرأة دخل وكان هو تلك الصّورة، وإيّاكم واليمين، فإنَّها تدع الدّيار بلاقع[١][٢].

قاطع الرجم

عن عطاء، عن عبد الله بن عبّاس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنّة عاقّ، ولا قاطع رحم، ولا مُدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قتّات، لا منّان، ولا ديّوث، ولا كاهن، ومن مشى إلى كاهن فصدّقه بما يقول فقد بريء ممّا أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال عطاء: سألته عن القتّات والديّوث، فقال: أمّا القتات: فالّذي يسعى بصاحبه إلى السّلطان، فيهلك نفسه وأخاه وسلطانه. والدُّيوث: الّذي يجلب على حليلته الرّجال[٣].

---

(١) البَلاقع: جمع بَلقَع، أي الأرض القفراء الّتي لا شيء فيها.

(٢) الكافي ٢: ٢٦١، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب ٣: ٣٢٩/ ١٤، والنوري في المستدرك ٩: ٩٥ و١٠٧.

(٣) رواه النوري في المستدرك ١٤: ٢٣٥.

من لا يدخل الجنة

عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنّة صاحب خمس: مُدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا من أتى ذات محرم، ولا قاطع رحم ولو بسلام، ولا ولد الزّنا(١).

ريح الجنة

وعن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: يا معشر المسلمين اتقوا الله وصِلوا أرحامكم، فإنَّه ليس من ثواب أسرع من صلة الرّحم، وإيّاكم والبغي فإنّه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي، وإيّاكم وعقوق الوالدين فإنَّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام ولا يجدها عاق ولا قاطع ولا شيخ زان ولا جارٌّ إزاره خيلاء إنّما الكبرياء لله ربّ العالمين(٢).

عاقبة رجل عاقٍّ لأُمِّه

عن أبي حازم عن رجل قال: أمسيت في أرض فلاة، فرُفِعَ لي بيتان من شَعْرٍ، فأمَّمْتُ البيتين حتى أنخت بفنائهما، فسلّمت، فخرجت إليَّ امرأتان شابة وعجوز، فقلت: هل من عشاء أو مبيت؟ قالت: لا والله ما عندنا من عشاء، ولا لنا بهذا الوادي مال ولا شاة ولا بعير ولا حمار؟

قال: فقلت: فبأي شيء تعيشان؟ قالتا: بالله وبالصالحين وبالطريق، فلما هدأ النَّاس بعض الهدوء سمعت نهيق حمار، فوالله ما زلت أسمعه حتى أصبحت: وامتنع منِّي النوم، فخرجت أمشي حيث سمعت نهيق الحمار، فأجد قبراً فيه رقبة حمار قد غيَّبَ التُّراب ما فوق عينيه، وأُذناه وظهره مكشوف من التُّراب، فراعني ذلك، فرجعت إليهما، فقلت لهما: أخبراني خبر هذا الحمار الذي في القبر؟

---

(١) الفردوس ٥: ١٠٧ و١٠٨، رواه النوري في المستدرك ٩: ١٠٧.

(٢) الفردوس ٢: ٢٧١/ ٣٢٦٠، رواه المنذري في الترغيب والترهيب ٣: ٣٢٩/ ١٤، ورواه النوري في المستدرك ٣: ٢٦٣ أيضاً ٩: ١٠٧.

قالتا: لا يضرك أن لا تسألنا عنه؟ قلت: فإنِّي أسألكما. قالت الشابة: هذا ـ والله ـ زوجي، وهو ـ والله ـ ابن هذه، وهو ـ والله ـ الذي سمعتَ نهيقه منذ الليلة، وكان أعق مَنْ رأيتُ مِنْ خلق الله لها، كانت لا تنهاه عن شيء إلاَّ قال: اذهبي فانهقي كما ينهق الحمار، فتقول: جعلك الله حماراً، فمات، فدفناه حيث رأيت، وهو ـ والله ـ الذي أحَلَّنا هذا الوادي، وأسَكَنَّاه.

وقد حُدِّثْنَا عن مجاهد نحو هذه الحكاية[١].

العقوق

وقال رسول الله ﷺ: مَن برَّ والديه زادَ الله في عمره[٢].

قال الشاعر:

(البحر الطويل)

لعمرك إنَّ البرّ من أفضل التُّقى   وإن عقوق الوالدين عظيمُ

[و]أنشد:

(البحر الطويل)

وما عقَّ مولود من النَّاس والداً   عقوق الذي يجني بوالده شتما

[و]الآخر:

(البحر الرمل)

أكرِم الوالد واستوصِ بهِ   لم يوصِّ اللَّه قدماً أن يعقّ

طاعة الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ

(١) عيون الحكايات ص٢٩٣، لابن القيم الجوزية.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤/ ١٧٠/ ٧٢٥٧ عن معاذ وفيه: زاد «من برّ والديه طوبىٰ له...».

لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[3].

﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[4].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[5].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[7].

ترشدنا الآيات الكريمة إلى ما يلي:

---

(١) الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥.
(٢) العنكبوت: ٨.
(٣) الأحقاف: ١٥.
(٤) النساء: ٣٦.
(٥) لقمان: ١٤ ـ ١٥.
(٦) البقرة: ٨٣.
(٧) الأنعام: ١٥١، وقد ذكرناها برقم ٣٣٥ في تسلسل آيات الأحكام.

١ ـ أهمية إطاعة الوالدين والتأكيد على ذلك إلى حدٍّ كبير. وهذه الأهمية تستفاد من:

أ ـ كثرة الآيات المشتملة على الأمر بالإحسان للوالدين وتكرار ذلك مرّات متعددة.

ب ـ قرن ذلك بالأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به.

ج ـ عدم الاكتفاء بالأمر بالإحسان للوالدين بل قرن بمجموعة نكات مختلفة، من قبيل: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾... ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

٢ ـ إنَّ الواجب على الأولاد إزاء الوالدين التعامل الحسن وبالمعروف.

٣ ـ لا يجوز التعامل غير الحسن معهما الذي منه إظهار السأم والضجر في وقت كبرهما ـ الذي تشتد فيه حاجتهما إلى الأولاد ـ بكلمة أُفٍّ أو بنهرهما، بل عليهم مخاطبتهما بالكلام الجميل الحسن وإظهار كامل التواضع لهما.

٤ ـ على الولد التشكر من والديه كما يتشكر من الله سبحانه المنعم عليه بالنعم العظيمة: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

كما إنَّ عليه أن يدعو لهما في حياتهما ومماتهما ويقول: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

وعليه ـ حسبما ترشد إليه آيات أُخرى ـ الدُّعاء لهما بالمغفرة: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[1]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾[2].

---

(١) إبراهيم: ٤١.

(٢) نوح: ٢٨.

٥ ـ إذا تحقَّق من الولد تصرّف ليس مرضيَّاً من دون أن يقصد بذلك سوءاً فالمجال له مفتوح إذا ندم وتاب، فإنَّه سبحانه كان للأوابين غفوراً.

٦ ـ لا تجب إطاعة الوالدين إذا طلبا من الولد ارتكاب أمر محرَّم، فإنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن يبقى على الولد أن يتعامل معهما بالمعروف حتى لو كانا مشركين وأمراه بالإشراك بالله سبحانه.

ثمَّ إنَّه توجد قضية جديرة بالبحث، وهي أنَّ أحد الوالدين لو أمر الولد بشيء مباح أو نهاه عن شيء مباح ـ كما لو قال له: تزوج بفلانة أو اسكن في هذا البلد أو لا تسافر أو غير ذلك فهل تجب عليه الإطاعة؟ يظهر من جماعة، ومنهم السيِّد الطباطبائي اليزدي الوجوب، حيث ذكر أنَّ صلاة الجماعة لا تجب إلاَّ في موارد منها ما إذا أمر أحد الوالدين بذلك[1]. وهذا مبني على وجوب إطاعة الوالدين بشكل مطلق، وهو قابل للتأمُّل، فإنَّ المستفاد من الآيات الكريمة على ما تقدَّم وجوب التعامل بالإحسان مع الوالدين، والمقصود من ذلك ليس هو الإحسان لهما في كلّ قضية وإلاَّ يلزم وجوب شراء دار أو دور لهما وإهداء الأموال والثياب وما شاكل حتى وإن لم يطلبا ذلك ما دام القيام به ممكناً، فإنَّ كلّ ذلك تعامل بالإحسان، وهذا ما لا يحتمل أحد وجوبه. وعليه يتعيَّن أن يكون المقصود التعامل مع الوالدين تعاملاً حسناً بمعنى أن لا يكون سيِّئاً، فالواجب في حقّ الولد أن لا يتعامل تعاملاً سيِّئاً مع الوالدين.

ويترتَّب على هذا أنَّه لو طلب أحد الوالدين من الولد أن يتزوَّج بفلانة فلا تجب عليه الإطاعة بمجرَّد الطلب، فإنَّ الإطاعة بعنوانها ليست واجبة لعدم قيام دليل على ذلك، نعم لو فرض أنَّ عدم إطاعتهما يستلزم إيذاءهما فتجب الإطاعة، إذ يصدق مع تحقُّق إيذائهما أنَّ التعامل معهما سيِّىء، أمَّا لو لم يلزم إيذاؤهما فلا

---

(١) العروة الوثقى ٣: ١١٥، بداية البحث عن الجماعة، المسألة ١.
وقد ذكر قدِّس سرُّه شبيه ذلك في مبحث قضاء الصلاة وأنَّه يجب على الولد قضاء الصلاة عن والده لو أمره بذلك حتى في المورد الذي لا يجب فيه على الولد القضاء لولا الأمر وهو ما لو فاتته الصلاة عمداً ومن دون عذر. انظر العروة الوثقى ٣: ٨٣، فصل في صلاة الاستئجار، المسألة ٥.

يصدق ذلك، فالمدار إذن على تحقُّق الإيذاء وعدمه، والإطاعة بعنوانها ليست واجبة.

ولعلَّه لهذا ذكر صاحب الجواهر قدِّس سرُّه إنَّ صوم الولد مع نهي أحد الوالدين لا يقع باطلاً معللاً: «العدم ما يدلُّ على وجوب طاعته في ذلك ما لم تستلزم إيذاء بذلك من حيث الشفقة التي لا فرق بين الوالد والوالدة معها»[١].

البقرة والبرّ بالوالدين

عن البزنطي قال: سمعت الرِّضا عليه السلام يقول: إنَّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له، ثمَّ أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثمَّ جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلام: إنَّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا من قتله؟ قال: ائتوني ببقرة ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[٢] ولو أنَّهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شدَّدوا فشدَّد الله عليهم.

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ يعني لا صغيرة ولا كبيرة ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ ولو أنَّهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شدَّدوا فشدَّد الله عليهم ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ ولو أنهم عمدوا إلى بقرة لأجزأتهم ولكن شدَّدوا فشدَّد الله عليهم. ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ...﴾ فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال: لا أبيعها إلاَّ بملء مسكها ذهباً فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك فقال: اشتروها، فاشتروها وجاؤوا بها فأمر بذبحها ثمَّ أمر أن يضربوا الميِّت بذنبها، فلمَّا فعلوا ذلك حيى

---

(١) جواهر الكلام ١٧: ١١٩. وقد وافق صاحب الجواهر جماعة كالسيِّد الحكيم في مستمسك العروة الوثقى ٧: ١١٩، ١٦٩، والسيِّد الخوئي في مستند العروة الوثقى الجزء الخامس القسم الأول: ٢٦٧، والقسم الثاني: ٣٢.

(٢) البقرة: ٦٧ ـ ٧١.

المقتول، وقال: يا رسول الله! إنَّ ابن عمِّي قتلني، دون من يدَّعي عليه قتلي (فعلموا بذلك قاتله).

فقال لرسول الله موسى عليه السلام بعض أصحابه: إنَّ هذه البقرة لها نبأ فقال: وما هو؟

قال: إنَّ فتى من بني إسرائيل كان بارّاً بأبيه وإنَّه اشترى تبيعاً فجاء إلى أبيه فرأى أنَّ الأقاليد تحت رأسه، فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع، فاستيقظ أبوه فأخبره.

فقال: أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك.

قال: فقال رسول الله موسى عليه السلام: أنظروا إلى البرّ ما بلغ بأهله[1].

سخط الأُمّ ورضاها

عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنَّ رسول الله حضر شاباً عند وفاته فقال له: قل: لا إلّه إلاَّ الله، قال: فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أُمّ؟ قالت: نعم أنا أُمّه، قال: أفساخطة أنت عليه؟ قالت: نعم، ما كلَّمته منذ ستّ حجج، قال لها: إرضي عنه، قالت: رضي الله عنه برضاك يا رسول الله، فقال له رسول الله: قل لا إلّه إلاَّ الله قال: فقالها، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسود قبيح المنظر وسخ الثياب منتن الريح قد وليني الساعة فأخذ بكظمي فقال له النبي صلى الله عليه وآله: قل: «يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير إقبل منِّي اليسير واعف عنِّي الكثير إنَّك أنت الغفور الرحيم» فقالها الشابّ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: انظر ما ترى؟

قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيِّب الريح، حسن الثياب، قد وليني وأرى الأسود قد تولَّى عنِّي قال: أعد فأعاد، قال: ما ترى قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني، ثمَّ طفى على تلك الحال.

---

(١) البحار: ج٧٤، ص٦٨.

جُريح العابد

وأيضاً عن أبي جميلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد يُقال له: جريح وكان يتعبَّد في صومعة فجاءته أُمّه وهو يصلِّي فدعته فلم يجبها فانصرفت، ثمَّ أتته ودعته فلم يلتفت إليها فانصرفت ثمَّ أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلِّمها فانصرفت وهي تقول: أسأل إلّه بني إسرائيل أن يخذلك فلمَّا كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته قد أخذها الطلق فادَّعت أنَّ الولد من جريح ففشا في بني إسرائيل أنَّ من كان يلوم النَّاس على الزنى قد زنى وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أُمّه إليه فلطم وجهها فقال لها: اسكتي! إنَّما هذا لدعوتك.

فقال النَّاس لمَّا سمعوا ذلك منه: وكيف لنا بذلك؟ قال: هاتوا الصبيّ فجاءوا به فأخذه فقال: من أبوك؟ فقال: فلان الراعي لبني فلان، فأكذب الله الذين قالوا ما قالوا في جريح فحلف جريح ألاَّ يفارق أُمّه يخدمها[١].

عقاب من آذى والدته

كتب بهاء الدِّين الترمذي في كتاب تنبيه الغافلين:

كان رسول الله ﷺ في أحد الأيَّام في المسجد، وفجأة هبط عليه جبريل الأمين وقال له: السَّلام عليك يا رسول الله: انقل أقدامك الشريفة إلى المقبرة، لكي تتبرك القبور بتراب أقدامك ولكي يشم حبيب هذه القبور الضيقة المظلمة نسيم رحمتك الذي سيهبُّ عليهم بقدومك عليهم.

فقام رسول الله ﷺ مع طائفة من أصحابه ويمموا وجوههم نحو المقبرة، وكان أصحابه يحيطون به عن يمينه وعن شماله، وفي الأثناء وصل أمير المؤمنين إلى هناك وسأل الرَّسول ﷺ عن نيتهم في هذا المسير.

فقال له: نريد أن نذهب إلى مقبرة البقيع. وعندما وصلوا إلى هناك، تداعى

---

(١) البحار: ج٧٤، ص٧٥.

إلى أسماع الرَّسول ﷺ صوت شخص يستغيث ويقول: الأمان يا رسول الله، فانتبه سيِّد الرُّسل إلى هذا الصوت وقال:

يا صاحب القبر أخبرني عن سبب عذابك؟

فأجابه: يا شفيع المذنبين وقدوة المؤمنين، إنَّ سخط والدتي عليَّ سبَّب لي هذا العذاب لأنَّني آذيتها في حياتي، الأمان، الأمان يا رسول الله!!

فأمر الرَّسول ﷺ بلالاً أن ينادي في المدينة على النَّاس بأن يجتمعوا، فنادى بلال بصوت جهوري: يا أيُّها النَّاس اجتمعوا على قبور الآباء والأُمَّهات والأقرباء بأمرٍ من رسول الله ﷺ، وعندما سمع النَّاس نداء بلال هبوا مسرعين إلى المقبرة فغصت المقبرة بالنَّاس، ومن بين الحضور كانت عجوز محدودبة الظهر تتوكأ على عصاها جاءت ووقفت بالقرب من رسول الله ﷺ فسلَّمت عليه وقبَّلت التُّراب بين يديه وقالت: يا رسول الله ما الخبر؟ فقال: أيتها العجوز هذا ولدك، فأجابت: بلى يا رسول الله، فقال لها ﷺ: إنَّ ولدك الآن في محنة وعذاب اغفري له وارضي عنه.

فقال العجوز: يا رسول الله لا أغفر له ولا أرضى عنه أبداً.

فقال لها: لماذا؟ قالت: لقد غذيته من لبني وعاش في كنفي وتحملت من أجله الصعاب، فلما كبر واشتد عوده فبدلاً من أن يحسن لي أخذ يتلذذ بأذيتي وعذابي.

فقال لها رسول الله ﷺ: اعطفي عليه وارحميه لينجو من عذابه، ورفع رسول الله يديه بالدُّعاء وقال: إلٰهي بحقِّ الخمسة من آل الكساء أسمع هذه الأُم صوت استغاثة ولدها كي يرقّ قلبها عليه وتعطف عليه وتغفر له، عندها أمر العجوز بأن تضع أُذنها على قبر ولدها وتسمع صوت أنينه واستغاثته، وعندما وضعت أُذنها على قبره، سمعت صوت ولدها يئن بألم وحسرة فلم تتمالك عن البكاء وقالت: يا سيِّد المرسلين وشفيع المذنبين إنَّه يستغيث ويقول: فوقي نار وتحتي نار وعن يميني نار وعن شمالي نار ومن بيني نار، الأمان الأمان، الأمان!!!

إنَّه يقول: أيتها الوالدة أُقسم عليك بأن تغفري لي وتعفي عنِّي، وإلاَّ إنِّي سأبقى في هذا العذاب إلى يوم القيامة وسأخلد في نار جهنَّم، عندها رقَّ قلب

العجوز بسبب سماعها استغاثة ولدها وقالت: إلّهي لقد عفوت عن تقصير ولدي. فألبسه الله سبحانه وتعالى لباس رحمته وعفا عنه فوراً، نادى الولد: أيتها الوالدة عفا الله عنك كما عفوت عنّي.

معنى البرّ

عن محمّد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرِّقت بالنار وعذّبت إلاّ وقلبك مطمئنٌّ بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرَّهما حيّين كانا أو ميّتين وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإنَّ ذلك من الإيمان[1].

عن أبي ولاّد الحنّاط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ما هذا الإحسان؟

فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا تحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2].

قال: ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: وأمّا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[3].

قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك قال ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

قال: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما فذلك منك قول كريم.

قال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تملَ[4] عينيك من النظر

---

(١) الكافي ج٢: ١٥٨.

(٢) آل عمران: ٩٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٤) لا تملا خ ظ.

إليهما إلاّ برحمة ورقّة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدّم قُدّامهما(١).

وعن سيف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يأتي يوم القيامة شيء مثل الكبّة فيدفع في ظهر المؤمن فيدخله الجنّة، فيقال: هذا البرّ(٢).

وعن عنبسة بن مصعب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لم يجعل الله عزَّ وجلَّ لأحد فيهنَّ رخصة: أداء الأمانة إلى البَرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وبرُّ الوالدين برَّين كانا أو فاجرين(٣).

وعن حديد بن حكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أدنى العقوق «أُفّ» ولو علم الله عزَّ وجلَّ شيئاً أهون منه لنهى عنه(٤).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كن بارّاً واقتصر على الجنّة، وإن كنت عاقّاً [فظّاً] فاقتصر على النار(٥).

عاق والديه

عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنّة، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام، ألاّ صنفاً واحداً، قلت: من هم؟ قال: العاقُّ لوالديه(٦).

بين البرّ والعقوق

عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله: فوق كلِّ ذي برّ برٌّ

---

(١) الكافي ج٢: ١٥٧.
(٢) الكافي ج٢: ١٥٨.
(٣) الكافي: ج٢، ص١٦٢.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٤٨.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٤٨.
(٦) المصدر نفسه.

حتّى يقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ، وإنَّ فوق كلِّ عقوق عقوقاً حتّى يقتل الرجل أحد والديه، فإذا فعل ذلك فليس فوقه عقوق[١].

عن ابن عميرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة[٢].

عن محمّد بن فرات، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام له: إيّاكم وعقوق الوالدين، فإنَّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاقٌّ ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان ولا جارٌّ أزاره خيلاء إنمّا الكبرياء لله ربِّ العالمين[٣].

وعن ابن ظبيان، عن الصّادق عليه السلام قال: بينا موسى عمران يناجي ربّه عزَّ وجلَّ إذ رأى رجلاً تحت ظلِّ عرش الله عزَّ وجلَّ فقال: يا ربّ من هذا الّذي قد أظلّه عرشك؟

فقال: هذا كان بارّاً بوالديه، ولم يمش بالنميمة[٤].

وعن الرقّي، عن الصادق عليه السلام قال: من أحبَّ أن يخفّف الله عزَّ وجلَّ عنه سكرات الموت، فليكن لقرابته وصولاً، وبوالديه بارّاً، فإذا كان كذلك، هوَّن الله عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبداً[٥].

الجهاد في سبيل الله

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي راغب في الجهاد نشيط، قال: فجاهد في سبيل الله فإنّك إن تقتل كنت حيّاً عند

---

(١) المصدر ج٢ ص٣٤٨.
(٢) الكافي ج٢: ٣٤٩.
(٣) الكافي ج٢: ٣٤٩.
(٤) أمالي الصدوق: ١٠٨.
(٥) أمالي الصدوق: ٢٣٤. وأمالي الطوسي: ج٢، ص٤٦.

الله ترزق، وإن متَّ وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذُّنوب كما وُلدت.

فقال: يا رسول الله إنَّ لي والدين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي ويكرهان خروجي.

فقال رسول الله ﷺ: أقم مع والديك. فوالّذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة[1].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الجنّة لتوحد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجدها عاقٌّ ولا ديّوث (الخبر)[2].

وعن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ.

قال: الصلاة لوقتها.

قلت: ثمَّ أيُّ شيء؟

قال: برُّ الوالدين.

قلت: ثمَّ أيُّ شيء؟

قال: الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

قال: فحدَّثني بهذا، ولو استزدته لزادني[3].

مَن تحرم عليه الجنة

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاقٌّ، ومنّان، ومكذِّب بالقدر، ومدمن خمر[4].

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٧٦.

(٢) الخصال ج١ ص٢٠.

(٣) الخصال ج١ ص٧٨.

(٤) الخصال ج١ ص٩٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذُّنوب التّي تظلم الهواء عقوق الوالدين[١].

وعن ابن زياد، عن الصّادق عليه السلام قال: لا يدخل الجنّة العاقُّ لوالديه، والمدمن الخمر، والمنّان بالفعال للخير إذا عمله[٢].

وعن أبي إسحاق الهمداني، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة من الذُّنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على النّاس، وكفر الإحسان[٣].

وعن أبي جعفر الثّاني، عن آبائه، عن الصّادق عليه السلام قال: عقوق الوالدين من الكبائر لأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل العاقَّ عصيّاً شقيّاً[٤].

إطاعة الأم

عن عليِّ بن محمّد، عن علي بن الحسين، عن الحسن بن عليّ بن يوسف، عن زكريّا المؤمن، عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ رسول الله حضر شابّاً عند وفاته فقال له: قل: لا إلّه إلاّ الله، قال: فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أُمٌّ؟

قالت: نعم أنا أُمّه.

قال: أفساخطة أنت عليه؟

قالت: نعم، ما كلّمته منذ ستّ حجج.

قال لها: ارضي عنه.

قالت: رضي الله عنه برضاك يا رسول الله.

---

(١) علل الشرائع ج٢ ص٢٧٠.
(٢) قرب الأسناد ص٤٠.
(٣) أمالي الطوسي ج٢ ص١٣.
(٤) علل الشرائع ج٢ ص١٦٥.

فقال له رسول الله: قل لا إلّه إلاّ الله قال: فقالها، فقال النّبيُّ ﷺ: ما ترى؟

فقال: أرى رجلاً أسود قبيح المنظر وسخ الثّياب منتن الرّيح قد وليني للساعة فأخذ بكظمي.

فقال له النبيُّ ﷺ: قل: «يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير اقبل منّي اليسير واعف عنّي الكثير إنّك أنت الغفور الرحيم» فقالها الشابُّ.

فقال له النبيُّ ﷺ انظر ما ترى؟

قال: أرى رجلاً أبيض اللّون، حسن الوجه، طيّب الريح حسن الثياب، قد وليني وأرى الأسود قد تولّى عنّي.

قال: أعد فأعاد.

قال: ما ترى.

قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني، ثمَّ طفى على تلك الحال[١].

أدنى العقوق

عن حريز قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أدنى العقوق أُفُّ ولو علم الله أنَّ شيئاً أهون منه لنهى عنه[٢].

قال ﷺ: يقال للعاقِّ اعمل ما شئت فإنّي لا أغفر لك، ويقال للبارِّ: اعمل ما شئت فإنّي سأغفر لك[٣].

وقال عليه السلام: العقوق يعقب القلّة ويؤدّي إلى الذلّة[٤].

---

(١) أمالي الطوسي ج١ ص٦٢. طفا الرجل: مات.
(٢) البحار: ج٧١، ص٧٥ ـ ٧٦.
(٣) روضة الواعظين: ص٤٢٩ ـ ٤٣١.
(٤) البحار: ج٧١، ص٨٤.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[١] أي براً بهما وشفقة وعطفاً عليهما. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[٢] أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا، وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما. ثم قال الله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي ليناً لطيفاً. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[٣].

وقال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٤].

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره.

ثلاث بثلاث

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها.

إحداها: قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[٥]. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٦]. فمن صلّى ولم يزك لم يقبل منه.

الثالثة: قول الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

---

(١) الإسراء: ٢٣.
(٢) الإسراء: ٢٣.
(٣) الإسراء: ٢٤.
(٤) لقمان: ١٤.
(٥) المائدة: ٩٢.
(٦) المجادلة: ١٣.

كن بارّاً واقتصر على الجنَّة

أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه بإتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك.

حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج. وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبناً، وأطارت لأجلك وسناً، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذاء، وصيرت حجرها لك مهداً، وأنالتك إحساناً ورفداً، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، لو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً.

فلما احتاجت عند الكِبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبعت وهي جائعة ورويت وهي قانعة. وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، هجرتها وما لها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾:

(البحر الطويل)

لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة وزفير

وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها ألا لديك سرير

وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حناناً وإشفاقاً وأنت صغير

فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى ... وآهاً لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

سخط أم علقمة

حكي[١] أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى: علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: إن زوجي علقمة في النزع، فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله.

فأرسل النبي ﷺ عماراً وصهيباً وبلالاً وقال: امضوا إليه ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع، فجعلوا يلقنونه: (لا إلّه إلا الله)، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة.

فقال النبي ﷺ: هل من أبويه أحد حي؟

قيل: يا رسول الله أم كبيرة السن، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك.

قال: فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: نفسي لنفسه فداء، أنا أحق بإتيانه. فتوكأت وقامت على عصاً، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فردّ عليها السلام وقال لها: يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتي جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟

قالت: يا رسول الله كثير الصلاة، كثير الصيام كثير الصدقة.

قال رسول الله ﷺ: فما حالك؟

قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة.

قال: ولم؟

---

(١) في الترغيب والترهيب: روي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه ـ فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا، ثم قال رواه الطبراني وأحمد مختصراً، وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية الشاب، ثم قال: لا يصح فائد ـ أي ابن عبد الرحمن العطار ـ متروك قال العقيلي: لا يتابع عليه وداود ـ يعني ابن إبراهيم قاضي قزوين ـ كذاب.
ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به، ثم ساقه إلى الخرائطي في مساوي الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني، كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن العطار عن عبد الله بن أبي أوفى نحوه.

قالت: يا رسول الله كان يؤثر علي زوجته ويعصيني.

فقال رسول لله ﷺ: إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة.

ثم قال: يا بلال انطلق واجمع لي حطباً كثيراً.

قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يديك.

قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة.

فقالت: يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة.

فقال رسول الله ﷺ: انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إلّه إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني، فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: (لا إلّه إلا الله)، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أُم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثمَّ صلَّى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره وقال:

يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عزّ وجلّ ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها. فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه، وأن يجنبنا سخطه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

موعظة للغافلين

خوف الوعيد:

الحمد لله الَّذي أبكى عيون الخائفين، خوف الوعيد فجرت عيونهم كالعيون، وأجرى سحب المدامع من عيون أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فهم من خوف

القطيعة يبكون، أخذوا في النوح والتعديد خوف الوعيد فهم من مكره خائفون، جعلوا التقي لهم أفخر لباس فأطار الخوف نومهم والنعاس، فهم عندما يفرح النَّاس يحزنون، وقد جعلوا البكاء لهم دأباً والدمع شراباً، يقطعون النَّهار حزناً واللَّيل انتحاباً، فهم عن البكاء لا يفترون فسبحان من أضحك وأبكى وأمات وأحيا، وعلم ما كان وما يكون، عاهدوا مولاهم فوجدوه وفياً، وعاملوه فوجدوه ملياً، فهم الَّذين إذا تتلى عليهم آيات الرَّحمٰن خروا سجداً وبكياً، قد عفر كل منهم في التراب وجهه المصون، فكلهم في حضرة الملك الديَّان يمطرون الدمع من سحائب الأجفان ويخرون للأذقان يبكون.

سمعوا ما قيل لأهل الصدق والوفاء إن لم تبكوا فتباكوا فهم من البكاء لا يملون، أقلقهم الخوف فهم سائحون وأحرقهم الوجد فهم هائمون، لزموا الحذر فهم في النَّار صائمون، وألقوا السهر فهم في اللَّيل قائمون دموعهم شرابهم، وصمتهم جوابهم، فهم من الفتنة سالمون، يبكي كل منهم على زلته، وكلهم يخافون سطوته وهم من خشيته مشفقون، فسبحان من ابتلى عباده بأنواع الابتلاء من جميع الفنون، ولم يعف من ذلك الأنبياء وهم المقربون.

فآدم عليه السلام بكى أربعين عاماً، لما أخرج من الجنَّة وهو أبو البشر وصاحب العرض المصون.

ويعقوب عليه السلام بكى على يوسف عليه السلام حتَّى ابيضت عيناه من الحزن، وقال لباقي أولاده لما حجبوه عنه: إنَّما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، ولما علم أخوة يوسف من أبيهم محض الود له وفرط الحب ألقوه في غيابة الجب، وجاؤوا أباهم عشاء يبكون.

وداود عليه السلام بكى أربعين يوماً على خطيئته، ولم يرفع فيها رأسه إلى السَّماء من خجلته، فنودي: يا داود أمَّا الذنب فقد غفرناه، وأما الود فلا يعود في الدُّنيا ولا يكون، ولسان الحال يقول: من فرط الحزن والشجون:

(البحر السريع)

بكيت من حزني حتَّى جرى ... لما ألاقي من عيوني عيونْ
يا سادة أغضبتهم ساهياً ... عسى إلى حال الرِّضا يرجعونْ

بكيت بالدمع على ما مضى ... من زمن ولَّى وعيش مصونْ
فيا رعى اللَّه ليال مشت ... بكم وقرَّتْ بلقاكم عيونْ
رضيت ما يرضاه لي سيِّدي ... وما أراد اللَّه منِّي يكونْ
واللَّه ما استصعبت ما نالني ... في حبه والصعب عندي يهونْ
يا هل ترى يرجع عيش مضى ... بمن لقلبي في لقاه سكونْ
من قبل أن أعصيك يا سيِّدي ... يا ليتني لقيت ريب المنونْ
لكنني قد تبت ما لي سوى ... بابك إذ يقصد التائبونْ
وقد تشفعت بخير الورى ... ومن لديه لا تخيب الظنونْ
صلَّى عليه اللَّه ما غردت ... ورقاء عند الصبح فوق الغصونْ

إخواني: يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: وعزتي وجلالي لا يبكي عبد من خشيتي إلاَّ أبدلته ضحكاً في نور قدسي، قل للبكائين من خشيتي أبشروا فإنَّكم أوَّل من تنزل عليه الرحمة إذا نزلت، قل للمذنبين من عبادي أن يجالسوا البكائين من خشيتي، لعلي أن أصيبهم برحمتي إذا رحمت البكائين.

وقال النضر بن سعد رحمه الله:

ما اغرورقت عين نمائها من خشية الله تعالى، إلاَّ حرم الله تعالى وجه صاحبها على النَّار، فإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر، ولا ذلة يوم القيامة، ولو أنَّ محزوناً بكى من خشية الله تعالى في أُمَّة من الأُمم، لرحم الله تعالى ببكائه تلك الأُمَّة.

إخواني: إذا تمكن الخوف من أرض القلوب والضلوع، جرت سواقي الدموع فسقت بستان الخشية، فأزهر بالندم وأثمر بالتوبة.

كان داود عليه السلام يبكي اللَّيل والنَّهار على خطيئته، فخلع خلع الفرح ولبس جلباب الحزن، فأسكت الحمام بنوحه وشغلها عن صدحها بصوته، وأفاق الأفئدة بشجنه وروى العشب من دموعه، وكان يقول في مناجاته: خرجت أسأل أطباء عبادك أن يداووا قلبي من داء علتي، فكلهم عليك دلني إلّهي أمدد عيني بالدموع، وضعفي بالقوَّة حتَّى أبلغ رضاك عنِّي.

وقد قال أحدهم:

(البحر البسيط التام)

يا من تجنبت صبري من تجنبه هب لي من الدمع ما أبكي عليك به
حتَّى متى زفراتي في تصعدها إلى الممات ودمعي في تصببه
وبي فؤاد إذا طال الغرام به هام اشتياقاً إلى لقيا معذبه

قال: فما زال يغسل العين من عين العين، ويستغيث وينادي، حتَّى أقلق الحاضر والبادي إنَّ شفيعي إليك منِّي دموع عيني وحسن ظني فبالذي قادني ذليلاً إليك إلاَّ عفوت عنِّي.

وقال آخر:

(البحر البسيط التام)

بكى وحق له إرسال دمعته عبد تباعد عن مولاه وانتزحا
سقته لوعته أنواع عبرته إذا انقضى قدح أهدت له قدحا
كذا المحب إذا صحت مودته أيَّام فرقته لا يعرف الفرحا

الندم:

إخواني: انظروا إلى هؤلاء السادات، كيف يتأسفون على الفوت ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت، فاستدرك ما بقي من عمرك، واعلم أنَّك كما تدين تدان، أما تمدون على قبورهم الدوارس وتعتبرون، أما ترونهم في قبورهم قد أسروا يتمنون العود إليكم وهيهات، ويسألون التدارك وقد فات، وكم وعظ الزمان من ألباب، وكم أنذر المشيب من شباب وأباد الموت من أتراب، وكم فرق بين أحباب، أما لك سمع للمواعظ يسمع، أما لك عين على فراق الحبائب تدمع، أما لك قلب من الخوف يخشع، أما لك في التوبة إلى الله مطمع.

ولله قول الشاعر:

(البحر الرمل)

كم رأينا من أُناس هلكوا فبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدُّنيا لمن بعدهم ليتهم لو قدموا ما تركوا

كـم رأيـنـا مـن مـلـوك سـوقـة ... ورأيـنـا سـوقـة قـد مـلـكـوا
قـلـب الـدهـر عـلـيـهـم فـلـكـاً ... فـاسـتـداروا حـيـث دار الـفـلـك

بكاء شعب:

وقيل: أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي ﷺ: يا شعيب هل لي من رقبتك الخضوع من قلبك الخشوع، ومن عينك الدموع، وادعني فإنِّي قريب.

وقيل: بكى شعيب ﷺ مائة عام، حتَّى ذهب بصره فردَّه الله تعالى عليه، فبكى مائة أُخرى حتَّى ذهب بصره فأوحى الله تعالى إليه: يا شعيب ما هذا البكاء، إن كان خوفاً من ناري فقد أمنتك منها، وإن كان شوقاً إلى جنَّتي فقد أبحتك إيَّاها.

فقال: وعزتك وجلالك يا رب، ما بكائي شوقاً إلى جنَّتك ولا خوفاً من نارك، ولكن عقد حبك في قلبي عقدة، لا يحلها إلاَّ النظر إلى وجهك الكريم.

فقال الله تبارك وتعالى: إذا كان ذلك إلى وجهي، لأبعثن إليك عاجلاً عبداً من عبادي يخدمك عشر سنين، ثمَّ أجعله كليماً ببركة مناجتك.

وقال الشاعر:

(البحر الرمل المجزوء)

هـل سـبـيـل لـلـتـلاقـي ... فـلـقـد طـال اشـتـيـاقـي
بـعـد وصـل واجـتـمـاع ... وحـديـث واتـفـاق
قـد سـقـانـي الـبـيـن كـأسـاً ... طـعـمـه مـر الـمـذاق
فـدمـوع فـوق خـدي ... فـي انـسـكـاب وانـدفـاق

الغفلة:

أما آن لك يا مسكين أن تقلع عن هواك.

أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك أنسيت ما خولك وأعطاك، أما خلقك فسواك، أما عطف عليك القلوب ويرزقه غذاك، أما ألهمك إلى الإسلام وهداك، أما قربك بفضله وأدناك.

أما بره في طرفة عين يغشاك، فقابلت ذلك بالغفلة وركوب الشهوات، والمبادرة بالخطايا والزلات فنقضت عهده وعصيت أمره، ودمت على إصرار وأطعت هواك، وخالفت الجبَّار.

أما آن لك أن تستحي ممَّن شاهدك على المعصية ورآك، ومع هذا الحرمان والبعد عن مولاك، إن عدت إليه قبلك وارتضاك، وإن لزمت خدمته قربك وأدناك.

دموع الخشية:

قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخرج من عينيه دموع من خشية الله تعالى، فتصيب شيئاً من حر وجهه إلاَّ حرمه الله تعالى على النَّار».

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

(البحر الوافر)

بكت عيني وحق لها بكاها	على نفسي الَّتي عصت الإلَـها
ومن أولى بطول الحزن منها	وبالآثام قد قطعت مداها
فلا تقوى تصد عن المعاصي	ولا تخشى الإلَـه ولا تناهى
تتوب من الإساءة في صباح	وتنقض قبل أن يأتي مساها
وتنكث عهدها حيناً فحينا	كأنَّ اللَّـه فيه لا يراها
وتبعد عن حقوق اللَّـه عمدا	وتبغي دائماً مالاً وجاها

وقال مجاهد: بكى داود ﵇ أربعين يوماً، وهو ساجداً لا يرفع رأسه حياءً من الله عزَّ وجلَّ، حتَّى نبت من دموعه المرعى وحتَّى غطَّى رأسه، فنودي: يا داود أجائع أنت فتطعم، أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى، أم مظلوم فينتصر لك، فنحب نحبة فهاج ما تم من الزرع فأنزل الله إليه التوبة والمغفرة.

فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي، فصارت خطيئته في كفه مكتوبة، فكان يبسط كفه لطعام، ولا لغيره حتَّى يفيض من دموعه.

فقال: يا رب أما ترحم فأوحى الله تعالى إليه: يا داود نسيت خطيئتك وذكرت بكاءك.

فقال: إلَهي كيف أنسى خطيئتي، وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء عن جريانه، وسكن هبوب الريح وظلّلتني الطير على رأسي، وأتت الوحوش إلى محرابي، إلَهي وسيِّدي فما هذه الوحشة الَّتي بيني وبينك.

فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذاك أنس الطاعة، وهذه وحشة المعصية، يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي، ونفخت فيه من روحي، وأسجدت له ملائكتي، ألبسته ثوب كرامتي، وتوجته بتاج وقاري، وشكا إليَّ الوحدة فزوجته حواء أمتي، وأسكنته جنَّتي فعصاني، فأخرجته من جواري عرياناً ذليلاً حائراً لا يدري أين يذهب، فظل يبكي أربعين عاماً ولو وزنت دموعه لعدَّلت دموع الخلائق.

(البحر الهزج)

بكت عيني على ذنبي	وما لاقيت من كربي
فيا ذلي ويا خجلي	إذ ما قال لي ربِّي
أما استحييت تعصيني	ولا تخشى من العتب
وتخفي الذنب من خلفي	وتأبى في الهوى قربي
فتب ممَّا جنيت عسى	تعود إلى رضا الرب

هؤلاء والله هم الخواص من العبيد وصفوة الملك المجيد السابقون إلى المقصود، والمنزهون في حضرة شاهد ومشهود، فكيف حالك أيُّها الشقي المطرود، نح على نفسك وابك بكاء من أصبح عن الجناب وهو مبعد مطرود.

قطيعة الرحم

قال الله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[(١)] أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وقال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[(٢)].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾[(٣)].

وقال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿...كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[(٤)].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾[(٦)].

---

(١) النساء: ١.
(٢) محمد: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) الرعد: ٢٠ ـ ٢١.
(٤) البقرة: ٢٦.
(٥) البقرة: ٨٣.
(٦) البقرة: ١٧٧.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[١].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢].

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[٣].

صلة الرَّحِم

صلة الرَّحِم، والتي تعني تفقُّد الأقرباء في النسب والاتصال المستمر بهم، تُعدّ من أمارات الأخلاق والسنن المرضية في الإسلام، وتعبيراً عن حسن السلوك والتعامل مع النَّاس.

ما المراد بالرَّحِم؟

القرابة نوعان: قرابة نسبية، وتأتي عن طريق وحدة الدم والرحم، كالأب، والأُمّ، والأخ، والعم، والعمة، والخال، والخالة، والجد، والجدة، والأبناء، ويدعى هؤلاء بالأقرباء النسبيين والأرحام، ويُقال لكل منهم: «رحم». والقرابة الأُخرى، قرابة سببية، وتأتي عن طريق الزواج كالقرابة بين الزوج والزوجة وأقرباء الجانبين.

ما هي صلة الرَّحِم؟

والجواب هو: لا بدَّ للإنسان من الاستمرار في علاقته العاطفية مع أرحامه، وألا يقطع هذه العلاقة قط. وعليه أن يلبي حاجة كل منهم على الصعيد الإنساني والعاطفي بما ينسجم مع تلك الحاجة: فقد تُلبِّي تلك الحاجة بتماس هاتفي أحياناً

(١) الرعد: ٥ ـ ٢١.
(٢) النحل: ٩٠.
(٣) أسرى: ٢٦.

وقد لا تُلبِّي حتى بمبلغ كبير من المال. ولكن الذي لا شك فيه أنَّ قطع الاتصال مع الأرحام قطعاً نهائياً وكاملاً، يُعدّ من المعاصي الكبيرة.

ومن هنا ندرك أنَّ صلة الرَّحِم تعني إبداء الحب والحنان نحو الأرحام وتفقُّد أحوالهم والاستفسار عن أوضاعهم لأنَّ لهم حقوقاً أكبر من غيرهم. ولذلك أولى الفقه الإسلامي أهمية أكبر نحوهم حتى أنَّه قدَّم المحتاجين منهم على غيرهم حين تقسيم الفرد للحقوق المالية التي عليه.

وبما أنَّ هذه القضايا، من القضايا الفطرية والسنن الاجتماعية فقد أكد عليها الإسلام، حتى عَدَّ القرآن الكريم إعانة الأرحام جزءاً ممَّا على الأثرياء من حقوق مالية، وعبَّر عنه بالحق الواجب، فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾[1].

وقال في آية أخرى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2].

وقال في موضع آخر حين استعراضه لصفات البار: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ...﴾[3]

ويُستفاد من هذه الآيات أنَّ صلة الرَّحِم لا تتحول من الشعار إلى العمل إلاَّ حينما يلبِّي الإنسان حاجات ذوي القربى بالحد الذي يستطيع، وأن لا يتردد عن تقديم أي عون ومساعدة لهم. وهذا هو معنى صلة الرَّحِم، في حين يتصور البعض أنَّ صلة الأرحام هي الذهاب لزيارتهم والسؤال عن أحوالهم فقط، وإنَّما يجب أن تبقى رابطة القرابة قائمة على أساس الحب والحميمية. ولربَّما تسبب الزيارات الإحراج لبعض الأُسر خاصَّة إذا كانت فقيرة ولا تملك ما تقدِّمه للضيوف.

---

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الروم: ٣٨.

(٣) البقرة: ١٧٧.

قطع الرحم ونتائجه السلبية من منظار القرآن:

لا شك في أنَّ قطع الرحم، من المعاصي الكبيرة ويوجب العذاب الأخروي، ونهى عنه القرآن الكريم بشدَّة.

قاطع الرحم يستحق لعنة الله:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾[1].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

قاطع الرحم مفسدٌ وخاسر:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3].

تنويه ضروري:

ربَّما يتصور البعض أنَّ كل هذا التأكيد على صلة الرحم، يتعلق فقط بالأغنياء والموسرين الذين بإمكانهم تقديم الدعم المالي لذوي قرباهم، ولذلك لا تجب صلة الرحم على الفقراء الذين لا يستطيعون تقديم الإعانة المالية! ولا شك في خطأ هذا التصور، لأنَّ من يود صلة أرحامه ليس من الضروري أن يكون ثرياً أو مستطيعاً مالياً، بل لما كان الهدف من هذه الصلة توثيق رابطة القرابة فقد أوصى الإسلام بأداء هذا الواجب حتى من خلال تقديم جرعة ماء، وعدم إلحاق الأذىٰ، وسلام البعض على البعض الآخر، وهي أعمال تستحق المثوبة الإلٰهيَّة رغم بساطتها.

---

(١) محمد: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) الرعد: ٢٥.

(٣) البقرة: ٢٧.

تدلُّ الآيات الكريمة على تحريم قطع الرحم حرمة مؤكدة حيث جعل ذلك قريناً للإفساد في الأرض بل قد يُستفاد منها استحقاق القاطع لرحمه للَّعن الإلَهي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ وبقية أنحاء الجزاء الإلَهي.

ثمَّ إنَّ الآيتين الأخيرتين لم تشتملا على التصريح بقطع الرحم إلاَّ أنَّ فقرة ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ تدلُّ على تحريم ذلك، فإنَّ الرحم هي من مصاديق ما أمر الله تعالى بوصله.

وقد جاءت السُنَّة الشريفة إلى جنب الكتاب الكريم مؤكدة لحرمة قطع الرحم، ففي حديث النبي ﷺ: «لا تقطع رحمك وإن قطعتك»[١].

وأتىٰ النبي ﷺ رجل فقال: «يا رسول الله أنَّ أهل بيتي أبوا إلاَّ توثباً عليَّ وقطيعة لي فأرفضهم فقال: إذن يرفضكم الله جميعاً، قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك وتُعطي من حرمك وتعفو عمَّن ظلمك، فإنَّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عزَّ وجلَّ عليهم ظهير»[٢].

وفي حديث الإمام الصَّادق عليه السلام: «صلة الرحم والبرُّ ليهونان الحساب ويعصمان من الذُّنوب فصلوا أرحامكم وبروا بإخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب»[٣].

يبقى ما هو المقصود من الرحم؟ وكيف تتحقق الصلة والقطيعة له؟

أمَّا فيما يخص السؤال الأول فلم يُذكر تحديد خاصّ في الشريعة الإسلامية للرحم، وهذا معناه أنَّ الأمر في ذلك قد أُوكل إلى اللغة والعرف، وإذا رجعنا إليهما عرفنا أنَّ المقصود من الرحم كلّ إنسان قد جمعته مع غيره رحم واحدة، فالخال وابن أُخته هما من الأرحام حيث جمعتهما رحم واحدة، وهي رحم الجدَّة

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٤، الباب ١٤٩ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٤.

(٢) وسائل الشيعة ١٥: ٢٤٧، الباب ١٨ من أبواب النفقات، الحديث ١.

(٣) وسائل الشيعة ١٥: ٢٤٨، الباب ١٩ من أبواب النفقات، الحديث ٣.

أو بتعبير آخر رحم أُم الخال، وهكذا ابن العم مع ابن عمّه فإنَّهما من الأرحام، حيث جمعتهما رحم واحدة، وهي رحم الجدَّة.

أجل لا بدَّ من التقيّد بما إذا كانت الرحم الجامعة رحماً قريبة وإلاَّ فجميع النَّاس قد جمعتهم رحم واحدة، وهي رحم أُمّنا حواء عليها السلام.

وأمَّا فيما يخص السؤال الثاني فلم يُذكر أيضاً تحديد خاصّ في الشريعة للصلة والقطيعة، وهذا معناه أيضاً الإيكال إلى العرف واللغة، وإذا رجعنا إليهما عرفنا أنَّ القطيعة تتحقَّق بترك الإحسان إلى الرحم بأي شكل من أشكاله في مقابل الصلة التي تتحقَّق بأي شكل من أشكال الإحسان. وهذا يعني أنَّ المصداق المحقّق لصلة الرحم لا يختصّ بحالة التزوار بين فترة وأُخرىٰ بل الاتّصال التلفوني بين فترة وأُخرىٰ أو إهداء هدية بين فترة وأُخرىٰ أو إرسال رسالة بين فترة وأُخرىٰ وما شاكل ذلك هو ممَّا تتحقَّق به صلة الرحم أيضاً، والقطيعة تتحقَّق بترك كلّ هذه وما شاكلها.

خصائص صلة الرحم:

ولا غرابة أن نلمس في هذه النصوص قوَّة التركيز والتأكيد على صلة الرحم، وذلك لما تنطوي عليه من جليل الخصائص والمنافع.

فالأُسرة الرحمية تضم عناصر وأفراداً متفاوتين حالاً وأقداراً، فيهم الغني والفقير، والقوي والضعيف، والوجيه والخامل، وهي بأسرها فرداً وجماعة لا تستطيع أن تنال أماني العزة والمنعة والرخاء، وتجابه مشاكل الحياة ومناوأة الأعداء بجلد وثبات إلاَّ بالتضامن والتعاطف اللذين يشدان أزرها ويجعلانها جبهة متراصة لا تزعزعها أعاصير المشاكل والأحداث، ولا يستطيع مكابدتها الأعداء والحسَّاد.

وقد جسَّد أكثم بن صيفي هذا الواقع في حكمته الشهيرة حيث: «دعى أبناءه عند موته، فاستدعى أضمامة من السهام، فتقدَّم إلى كل واحد منهم أن يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها.

ثمَّ بددها فتقدَّم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين

ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم عن كسرها مجتمعة، فإنَّكم إن تفرقتم سهل كسركم وأنشد:

(البحر الكامل)

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبىٰ العصيُّ إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفرادا

هذا إلى ما في صلة الرحم من جليل الخصائص والآثار التي أوضحتها النصوص السالفة.

فهي:

مدعاة لحب الأقرباء وعطفهم وإيثارهم وموجبة لطيلة العمر، ووفرة المال، وزكاة الأعمال الصالحة ونحوها في الرصيد الأخروي، ومنجاة من صروف الأقدار والبلايا.

قطيعة الرحم

وهي: فعل ما يسخط الرحم ويؤذيه قولاً أو فعلاً، كسبَّه واغتيابه وهجره وقطع الصلات المادية وحرمانه من مشاعر العطف والحنان.

وتعتبر الشريعة الإسلامية قطيعة الرحم جرماً كبيراً وإثماً ماحقاً توعد عليها الكتاب والسُّنَّة.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

عن ابن صدقة، عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّ المعروف يمنع مصارع السوء وإنَّ الصدقة تطفىء غضب الربِّ وصلة الرَّحم تزيد في

---

(١) محمد: ٢٢.
(٢) البقرة: ٢٧.

العمر وتنفي الفقر، وقول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله فيها شفاء من تسعة وتسعين داء أدناها الهمُّ[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام لنوف البكاليّ: يا نوف صِلْ رحمك يزد الله في عمرك[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ في الجنّة درجة لا يبلغها إلاّ إمام عادل، أو ذو رحم وَصول، أو ذو عيال صبور[٣].

وقد مضى في باب الخمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: مدمن خمر، ومؤمن سحر[٤] وقاطع رحم.

وعن ابن بكير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أربعة أسرع شيء عقوبه: رجل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه[٥].

وقد مضى في باب مساوىء الأخلاق وغيره بأسانيد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يدخل الجنّة قاطع رحم.

وعن سعيد بن علاقة، عن أمير المؤمنين قال: قطيعة الرحم تورث الفقر[٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّي أخاف عليكم استخفافاً بالدِّين، وبيع الحكم وقطيعة الرحم، وأن تتّخذوا القرآن مزامير، تقدِّمون أحدكم وليس بأفضلكم في الدين[٧].

---

(١) قرب الإسناد ص٥١ ط نجف الحروفية.
(٢) أمالي الصدوق ص١٢٦.
(٣) الخصال ج١ ص٤٦.
(٤) مدمن سحر؟ خ.
(٥) الخصال ج١ ص٨٥.
(٦) الخصال ج٢ ص٩٣.
(٧) عيون الأخبار ج٢ ص٤٢.

وعن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرَّحم تعمر الديار، وتزيد في الأعمار، وإن كان أهلها غير أخيار[١].

وعن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تهوّن الحساب وتقي ميتة السوء قال المنصور: نعم هذا أردت[٢].

وعن الصادق، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قيل يا نبيَّ الله أفي المال حقٌّ سوى الزكاة؟

قال: نعم برُّ الرحم إذا أدبرت، وصلة الجار المسلم فما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع، ثمَّ قال: ما زال جبرئيل عليه السلام يوصيني بالجار حتّى ظننت أنه سيوّرثه[٣].

وقد مرَّ في باب الذنوب الّتي توجب غضب الله، عن أبي جعفر عليه السلام: إذا قطعت الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: الذنوب الّتي تعجّل الفناء قطيعة الرحم.

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل أنَّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام، ما يجدها عاقٌّ، ولا قاطع رحم ولا شيخ زان. (الخبر)[٤].

وعن السكونيّ، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ظهر العلم، واحترز العمل، وائتلفت الألسن، واختلف القلوب، وتقاطعت الأرحام، هنالك لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم[٥].

وعن الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام: ثلاث

---

(١) البحار: ج٧١، ص٩٣ ـ ٩٤.
(٢) أمالي الطوسي ج٢ ص٩٤.
(٣) أمالي الطوسي ج٢ ص١٣٤.
(٤) معاني الأخبار ص٣٣٠.
(٥) ثواب الأعمال ص٢١٧.

خصال لا يموت صاحبهنَّ حتّى يرى وبالهنَّ: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة، وإنَّ أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم إنَّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون، وإنَّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تدع الديار بلاقع عن أهلها[١].

وعن ابن أبي البلاد، عن أبيه رفعة قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلّكم على خير أخلاق الدُّنيا والآخرة.

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: من وصل من قطعه وأعطى من حرمه، وعفا عمّن ظلمه، ومن سرَّه أن ينسأ له في عمره، ويوسّع له في رزقه، فليتّق الله وليصل رحمه[٢].

ابن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: أتى أبا ذرّ رجل فبشّره بغنم له قد ولدت.

فقال: يا أبا ذر أبشر فقد ولدت غنمك، وكثرت.

فقال: ما يسرُّني كثرتها فما أُحبُّ ذلك فما قلَّ وكفى أحبُّ إليَّ ممّا كثر وألهى، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: على حافتي الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة فإذا مرَّ عليه الوصول للرحم، المؤدّي للأمانة لم يتكفّأ به في النار[٣].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنَّ الرحم معلّقة بالعرش يقول: اللّهمَّ صل من وصلني، واقطع من قطعني، وهي رحم آل محمّد، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[٤] ورحم كلِّ ذي رحم[٥].

---

(١) مجالس المفيد ص٦٦.

(٢) البحار: ج٧١، ص١٠٢، ح٥٦.

(٣) البحار: ج٧١، ص١٢٠، ح٥٧.

(٤) الرعد: ٢١.

(٥) الكافي ج٢ ص١٥١.

وعن يونس بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أوّل ناطق من الجوارح يوم القيامة الرحم، تقول: يا ربِّ من وصلني في الدُّنيا فصل اليوم ما بينك وبينه، ومن قطعني في الدُّنيا فاقطع اليوم ما بينك وبينه[١].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة، فيصلون أرحامهم فتنمي أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: صلوا أرحامكم ولو بالتسليم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣].

وعن الوصّافي، عن عليِّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرَّه أن يمدَّ الله في عمره، ويبسط في رزقه فليصل رحمه، فإنَّ الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول: يا ربِّ صل من وصلني، واقطع من قطعني، والرجل ليرى بسبيل خير إذا أتته الرحم الّتي قطعها فتهوى به إلى أسفل قعر في النار[٤].

وعن حذيفة بن المنصور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اتّقوا الحالقة، فإنّها تميت الرجال.

قلت: وما الحالقة؟

قال: قطيعة الرَّحم[٥].

وعن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنَّ أخوتي وبني عمّي قد ضيّقوا عليَّ الدار، وألجأوني منها إلى بيت، ولو تكلّمت أخذت ما في أيديهم.

---

(١) الكافي ج٢ ص١٥١.
(٢) الكافي ج٢ ص١٥٥.
(٣) المصدر نفسه والآية في سورة النساء: ١.
(٤) الكافي ج٢ ص١٥٦.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٤٦.

قال: فقال لي: اصبر فإنَّ الله سيجعل لك فرجاً.

قال: فانصرفت ووقع الوباء في سنة أحدى وثلاثين [ومائة] فماتوا والله كلّهم، فما بقي منهم أحد.

قال: فخرجت فلمّا دخلت عليه قال: ما حال أهل بيتك؟

قال: قلت: قد ماتوا والله كلّهم، فما بقي منهم أحد.

فقال: هو بما صنعوا بك وبعقوقهم إيّاك وقطع رحمهم، بتروا، أتحبُّ أنّهم بقوا أو أنّهم ضيّقوا عليك؟

قال: قلت: إي والله[١].

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في كتاب عليّ عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهنَّ أبداً حتّى يرى وبالهنَّ: البغي، وقطيعة الرّحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإنَّ أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرّحم، وإنَّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون، وإنَّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرّحم لتذران الديار بلاقع من أهلها، وتنقل الرّحم، وإنَّ نقل الرّحم انقطاع النسل[٢].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أمير المؤمنين في خطبته: أعوذ بالله من الذنوب الّتي تعجّل الفناء فقام إليه عبد الله بن الكوّاء اليشكري فقال يا أمير المؤمنين أو يكون ذنوب تعجّل الفناء؟

فقال: نعم ويلك قطيعة الرحم، إنَّ أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله عزَّ وجلَّ وإنَّ أهل البيت ليتفرَّقون ويقطع بعضهم بعضاً فيحرمهم الله وهم أتقياء[٣].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار[٤].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٤٦ و٣٤٧.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٤٧.

(٣) الكافي ج٢ ص٣٤٧.

(٤) الكافي ج٢ ص٣٤٧.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة، نزل بالزبدة فأتاه رجل من محارب.

فقال: يا أمير المؤمنين إنِّي تحمَّلت في قومي حمالة وإنِّي سألت في طوائف منهم المؤاساة والمعونة فسبقت إليَّ ألسنتهم بالنكد فمرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحثَّهم على مؤاساتي.

فقال: أين هم؟

فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى.

قال: فنص راحلته فأدلفت كأنَّها ظليم فأدلف بعض أصحابه في طلبها فلأياً بلأي ما لحقت، فانتهى إلى القوم فسلَّم عليهم وسألهم ما يمنعهم من مؤاساة صاحبهم فشكوه وشكاهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وصل امرؤ عشيرته، فإنَّهم أولى ببره وذات يده ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه دنيا فإنَّ المتواصلين المتباذلين مأجورون، وإنَّ المتاقطعين المتدابرين موزورون. قال: ثمَّ بعث راحلته وقال: حل[1].

عقاب قاطع صلة الرحم

كان علي بن أبي حمزة (ره) من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: قال لي أبو الحسن الكاظم عليه السلام مبتدِئاً: يا عليُّ غداً يلقاك رجلٌ من أهل المغرب يسألك عنِّي فقل: هو والله الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله الصَّادق عليه السلام، فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه منِّي.

فقلت: جعلت فداك فما علامته؟

قال الإمام عليه السلام: رجل طويلٌ جسيم يُقال له: يعقوب بن يزيد، فإذا آتاك فلا

---

(١) الكافي ٢: ١٥٣. ١٠٠١ قصة من حياة الإمام علي عليه السلام.

عليك أن تجيبه عن جميع ما سألك فإنّه رائدُ قومِه، فإن أحب أن تدخله إليَّ فأحضره عندي.

قال علي بن حمزة (ره): فوالله إنِّي لفي طوافي إذا أقبل إليَّ رجلٌ طويلٌ من أجسم ما يكون من الرجال فقال لي: أُريد أن أسألك عن صاحبك.

فقلت: عن أي صاحب؟

قال يعقوب: عن موسى بن جعفر عليه السلام.

قلت: ما اسمك؟

قال: يعقوب بن يزيد.

قلت: ومن أين أنت.

قال: رجل من أهل المغرب.

قلت: فمن أين عرفتني؟

قال: آتاني آت في منامي وقال لي:

إلْقَ علياً بن أبي حمزة فَسَلْهُ عن جميع ما تحتاج إليه، فسألتُ عنك فُدِللتُ عليكَ.

فقلت: إجلسْ في هذا الموضع حتى أفْرَغَ من طوافي وآتيك إن شاء الله تعالى، فطفت ثم أتيتُه فكلمتهُ فوجدته رجلاً عاقلاً، ثمَّ طلب إليَّ أن أدخله على الإمام الكاظم عليه السلام، فأخذت بيده فاستأذنت على الإمام عليه السلام فأذَنَ لي.

فلما رآه الإمام الكاظم عليه السلام قال له: يا يعقوب بن يزيد قَدِمتَ أمس، ووقع بينك وبين أخيك شرّ ـ نزاعٌ ـ في موضع كذا حتى شتم بعضُكم بعضاً، وليس هذا ديني ولا دين آبائي، ولا نأمرُ بهذا أحداً من النَّاس ـ شيعتنا ـ فاتقِ الله وحده لا شريك له، فإنَّكما ستفترقان عن قريب بموت ـ بسبب قطع صلة الرحم ـ أما إنَّ أخاك سيموت في سفرهِ قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان منك، وذلك أنَّكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما.

قال يعقوب: فأنا جُعِلتُ فداك متى أجلي؟

فقال الإمام عليه السلام: أما إنَّ أجلك قد حَضَر حتى وصلت عمتك بما وصلتها به في منزل كذا وكذا فزِيدَ في أجلك عشرون سنة.

قال علي بن أبي حمزة (ره): فلقيت يعقوبَ في العام المقبل حاجّاً فأخبرني أن أخاه لم يصل إلى أهله حتى دفنه في الطريق(١).

تنبيه للغافلين

صاحب المعاصي:

إخواني: أما آن لذي المعاصي أن يتوب قبل الميعاد، ويحك ما ينفعك غداً أهل ولا مال ولا أولاد، تولت أيَّام شبيبتك وليس لك من أعمالك ناصر ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾(٢).

وقال الشاعر:

(البحر البسيط التام)

سيروا إلى ربكم فالعمر مندرس ... والموت قد حان والأيَّام تختلس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانوا إذا النَّاس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهمو في كل معترك ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة في وسط بلقعة ... صرعى وماشي الورى من فوقهم بطس
كأنَّهم قطعاً كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهموا بين الورى ونسوا
واللَّه لو أبصرت عيناك ما صنعت ... يد الليالي بهم والدود يفترس
لما انتفعت بعيش بعدهم أبداً ... أما همو من جنى الدُّنيا فقد يئسوا

يا هذا إلى كم تضحك ونوادب الحمام تبكي عليك أسفاً، غيرك يا محروم على الجادة وأنت على شفا ستبكي زمان الوصال وما وصفا، أما آن لك أن تصالح

---

(١) كشف الغمة: ج٣، ص٥٢ ـ ٥٣. قصص الأئمة عليهم السلام ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٢) التكاثر: ١ ـ ٢.

مولاك، أما كفى كيف عميت بصيرتك عمَّا أنت إليه صائر ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

ويحك كم تحضر المجالس بجسمك وقلبك عن الحضور غائب، ويحك تملأ بطنك من الحرام، وتطلب من الوهاب المواهب هذا باب التوبة مفتوح، والتواب ينادي: هل من تائب، فبادروا قبل أن يغلق الباب وتبلى السرائر ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

أكل مال اليتيم

قال الله تعالى:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾[٣].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ﴾[٤].

رعاية الأيتام وكفالتهم

تعد رعاية الأيتام وتفقدهم وإحاطتهم بالحب والاهتمام، من المحاسن الأخلاقية في الإسلام. ففي الحياة الإنسانية بعض الفراغات والنواقص التي لا

(١) النساء: ٢.
(٢) النساء: ٦.
(٣) النساء: ٩ و١٠.
(٤) الانعام: ١٥٢.

تُملأ إلاَّ بالحب والحنان. ويُعدّ الأيتام لا سيَّما الأطفال منهم أكثر أفراد المجتمع حاجةً للحب والعاطفة، لأنَّ هؤلاء قد ابتعدوا عن ينبوع المحبة والرحمة بفقدان الأب أو الأُم، ولا بدَّ من ملء الحاجة الطبيعية إلى هذه المحبة، ولا بدَّ لأفراد المجتمع من تلبية هذا الشعور العاطفي والنفسي الذي لديهم.

وعلى صعيد آخر أنَّ وجود مثل هؤلاء الأفراد في المجتمع، أمر لا مهرب منه، لأنَّ أي مجتمع لا يخلو من حادث، لا سيَّما المجتمع الإسلامي الذي يُعدّ فيه الجهاد والدفاع من أهم الواجبات، ومن الطبيعي أن يفقد الأبناء آباءهم أو أُمَّهاتهم بطريقة أو بأُخرى فيعيشون اليتم والحاجة إلى الحنان.

وفي ظل مثل هذه الأوضاع لابدَّ من اتخاذ الخطوات الضرورية المدروسة لاحتواء مشكلة الأيتام. ولهذا السبب بالذات طرح الدِّين الإسلامي المقدَّس مشكلة اليتم كقضية أساسية ومهمة، وعدَّ المسلمين مسؤولين عن مصيرهم على جميع الأصعدة اقتصادية كانت أم عاطفية أم تربوية أم تعليمية وما إليها.

ولا يقتصر البحث هنا على تأمين معاشهم وحاجاتهم المادية، لأنَّ حاجات الإنسان لا تتلخص في الماء والخبز، بل إنَّه متعطش إلى الحب وإلى من يلبي مشاعره وعواطفه. فالإنسان كائن عاطفي ينزع نحو حب الآخرين ويتوق لرؤية حبّ الآخرين له. فالحب كامن في أعماقه. أنَّه ليس مصنوعاً من الحجر أو الخشب كي يكون خالياً من الحب والمشاعر. فحينما يتأثر الكثير من الحيوانات بالحب وتعبِّر عن هذا التأثر بردود فعل إيجابية، فكيف بإمكان الإنسان أن يعيش بعيداً عن الحب وهو الذي قد فُطر عليه وعُجن بطينته؟

وممَّا لا شك فيه، ليس بإمكان أي شيء أن يملأ فراغ الأب والأُم سوى الحب والحنان. وكم هو رائع لو تتكفل كل أُسرة يتيماً أو يتيمين وتأخذ على عاتقها رعايتهما وتربيتهما وإغداق الحنان والعطف عليهما، لا أن تكتفي بتأمين معيشتهما.

ويُعدَّ تأسيس دور الأيتام وتقديم المساعدات المالية لها أمراً محموداً وجميلاً، ولكن ليس بإمكان هذه المؤسسات أن تكون بديلاً لمحيط الأُسرة

الدافىء، إذ ليس بإمكان المعلم أو المربي المتقاضي للراتب، أن يحل محل الأب أو الأُم، في حين أنَّ الطفل بحاجة إلى حنان الأب وعاطفة الأُم.

لذلك نجد الرَّسول الأكرم ﷺ الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وذاق طعم اليتم المر، يؤكد كثيراً على احتضان الأيتام ورعايتهم وتطويقهم بالحنان، ويحثُّ على تكفلهم وتربيتهم، وقد قام بنفسه بهذه المهمة العظيمة أيضاً.

ومن وصاياه ﷺ بهذا الشأن قوله: «أحبُّ البيوتِ بيتٌ فيه يتيمٌ مُكرَّمٌ»[١].

ملاحظة ضرورية:

على ضوء ما ذكرناه، ينبغي التنويه إلى أمر مهم على هذا الصعيد وهو أنَّ أفضل الوسائل لملء الفراغ الذي يعاني منه اليتيم من وجهة نظر الثقافة الإسلامية، هو أن يُعدَّ اليتيم جزءاً من أفراد الأُسرة وأحد أعضائها وأبنائها، وأن ينطلق دعمه وإسداء العون إليه من منطلق الاحترام والتقدير بحيث يعيش وهو يشعر بالعزة والكرامة لا أن يعيش الذلة والامتهان والبؤس.

لهذا يُعدَّ احتضان اليتيم ورعايته أمراً مفيداً إذا كان التعامل خلال ذلك قائماً على أساس تأمين جميع الحاجات المادية والمعنوية والعاطفية، لا أن يقتصر على الجانب المادي. وفي غير هذه الحالة، ستبرز نتائج غير محمودة قد تخلق لدى اليتيم التعقيد والحقد.

ولكي نقف بشكل أوضح على أهمية هذا الواجب الدِّيني والإنساني والأخلاقي، من الأحرى أن نشير إلى بعض الآيات والأحاديث الواردة بهذا الشأن.

اليتامى في نص القرآن

نلاحظ في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدَّث عن اليتامى. ومنها

(١) تفسير المراغي: ج٣، ص١٤٩.

آيات تعتبر عدم الاهتمام بهم، من علامات الكفر والنفاق: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾[١].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾[٢].

وممَّا أوصى به الله تعالى بعد العبادة والإحسان إلى الوالدين وذي القُربى، هو الإحسان إلى اليتامى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[٣].

كما أنَّه تعالى وحين استعراضه لمصاديق البرّ، ذكر إيتاء المال على حبّه لليتامى بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنَّبيِّين، ممَّا يدلُّ على أهمية الإحسان إلى اليتيم وأنَّه بمستوى هذه المصاديق: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾[٤].

وحينما يشير القرآن إلى يُتم الرَّسول محمَّد ﷺ، ويخاطبه قائلاً: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾[٥].

ثمَّ قال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾[٦].

في سورة الضحى، ذكَّر الله تعالى رسوله الأكرم بيتمه، ثم أوصاه باليتامى خيراً، وذلك لأنَّه ﷺ فقد والديه في صغره، ويدرك قبل غيره أنَّ اليتيم الذي حُرم من حنان الأبوين، بحاجة إلى الحب والعاطفة أكثر من أي إنسان آخر. ولهذا يخاطبه الباريء تعالى: مثلما كنت يتيماً فآويناك، فاعطف على اليتامى وأغدق

---

(١) الماعون: ١ ـ ٢.
(٢) الفجر: ١٧ ـ ١٨.
(٣) البقرة: ٨٣.
(٤) البقرة: ١٧٧.
(٥) الضحى: ٦.
(٦) الضحى: ٩.

محبتك عليهم ولا تبعدهم عنك، لأنَّك قد ذقت لوعة اليتم وحرقة فقدان الأبوين، وأنت أعرف بما يعانون.

وتتحدَّث هذه الآيات على العموم عن واجبين لا بدَّ من أدائهما تجاه الأيتام:

١ ـ تأمين حاجاتهم المالية.

٢ ـ ملء الفراغ العاطفي لديهم.

معاشرة الأيتام

ربَّما لا نجد مثل تلك العناية التي أولاها الإسلام لمسألة اليتيم في أيٍّ من المسائل العاطفية والاجتماعية الأُخرى، فقد أظهر الدِّين الإسلامي حساسية خاصَّة تجاه هذه المسألة، وإنَّ الآيات القرآنية الكثيرة وسلوك المعصومين عليهم السلام وأحاديثهم شاهد على هذه الحقيقة.

فإنَّ الحنوّ على اليتيم من المسائل التي شغلت اهتمام جميع الأولياء وعظماء الإسلام، فكثيراً ما تشاهد المسح على رأس اليتيم في سيرة حياة قادة الإسلام، وأنَّ القرآن يوصينا بإصلاح أُمورهم، وقد عدَّ معاشرتهم والاعتناء بهم من جملة حقوقهم.

قال تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[2]

وقال أيضاً في ذكر جملة من أسباب دخول بعض الناس إلى جهنم: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾[3].

وجعل الذي يصدّ اليتيم منكراً للمعاد ويوم القيامة، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾[4].

---

(١) البقرة: ٢٢٠.

(٢) البقرة: ٢١٥.

(٣) الفجر: ١٧.

(٤) الماعون: ٢١.

على الخصوص إذا كان اليتيم من ذوي القربى: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾[(١)].

الوصايا بالأيتام

إنَّ الوصايا الموجودة في الإسلام بشأن الأيتام أكثر ممَّا نروم بحثه في هذا الكتاب، فنكتفي بذكر وصية واحدة أوصاها أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الذي توسّط ضربته واستشهاده، فهي من أحسن وصاياه، وهي عصارة ثلاث وستين سنة من عمره الشريف، قال فيها: «الله الله في الأيتام، فلا تغبُّوا أفواههم، ولا يضيعوا في حضرتكم»[(٢)].

وإنَّما أراد الإسلام من ذلك أن يحول دون بروز الآثار التي يُخلِّفها نقص المحبة، وأن يجعل منهم أفراداً صالحين في المجتمع، فإنَّ الإحصائيات العلمية تؤكد أنَّ أكثر الجرائم والمفاسد الاجتماعية يقوم بها أفراد لم يحصلوا على القدر الكافي من الحنان والعاطفة من والديهم في صغرهم.

أساس المعاشرة:

ينبغي أن يقوم الارتباط بالأيتام ومعاشرتهم على أسس وأُصول نشير إليها فيما يأتي:

١ ـ **تكفل اليتيم**: إنَّ الطفل الذي يفقد أبويه، يبقى أمانة الله في يد النَّاس، فعلى النَّاس أن يحافظوا عليه، ويقوموا بأمره؛ فإنَّ هذا من حق الطفل علينا، مضافاً إلى كونه من الناحية العاطفية والأخلاقية ضرورياً، لعجزه وقصوره عن القيام بما يهمه بمفرده، وقد كان الرَّسول صلى الله عليه وآله على الرغم ممَّا يحمله من وطأة الفقر على عاتقه، يعيل بعض الأيتام، وقال صلى الله عليه وآله: «من كفل يتيماً، وكفَّل نفقته كنت أنا وهو في الجنَّة كهاتين»[(٣)].

---

(١) البلد: ١٥.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٢١.

(٣) قرب الإسناد: ص٤٥.

٢ ـ أخذ اليتيم إلى المنزل: إنَّ أفضل نظام تربوي هو نظام الأُسرة، وذلك لامتزاج الحنان مع التربية فيه، وفي الأُسرة يتمّ تعديل الرغبات وردود الفعل، وفيما يخص اليتيم ينبغي أن يكون كسائر الأطفال، حيث هناك شخص بمنزلة أُمّه وأبيه، يساعده في حلِّ مشاكله، ويجبر نقص الحنان عنده، وقد كان رسول الله ﷺ وأئمّة الهدى عليهم السلام يأخذون الأيتام إلى منازلهم، ويعتنون بهم.

قال رسول الله ﷺ: «أفضل البيوت بيت يداعب فيه اليتيم ويُحسن إليه» وقد كان منزل رسول الله ﷺ كذلك، وقد أمرنا بمعاملة الأيتام كما نعامل أبناءنا دون تمييز.

٣ ـ تربيته: لا يكفي مجرَّد أخذ اليتيم إلى البيت، بل لا بدَّ من تربيته إسلامياً، وأن يجعل من ابنه ميزاناً لتربيته، فيعامله معاملة ابنه، قال الإمام علي عليه السلام: «أدِّب اليتيم ممَّا تؤدِّب به ولدك، واضربه ممَّا تضرب به ولدك»[١].

وعلى الإنسان من خلال صيانة اليتيم من الناحية العملية أن يحفِّز في اليتيم الجوانب العاطفية، وأن يُشعره بالمسؤولية.

٤ ـ مداعبته: أوصانا الإسلام بمداعبة اليتيم كي نسدّ النقص الحاصل من فقدان حنان الأبوين، وقد أوصانا بأن لا نقبِّل أبناءنا بمرأى من اليتيم إلاَّ إذا قبَّلناه معهم.

وهناك الكثير من الروايات بشأن مداعبة اليتيم، نكتفي بالإشارة إلى موردين منها:

قال الإمام العسكري عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾[٢]: «إنَّ الذي يمسح على رأس اليتيم رفقاً أعطاه الله من القصور بعدد ما تقع عليه يده من شعر اليتيم، وهي أوسع من الدُّنيا وما فيها، وفيها ما تلذُّ الأعين وهو فيها من الخالدين»[٣].

---

(١) الكافي: ج٦، ص٤٧.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري: ص٣٣٨.

وقال الإمام الباقر عليه السلام «ما من عبد مسح على رأس اليتيم رحمة به إلاً أعطاه الله من الأنوار يوم القيامة بمقدار ما مسح عليه من شعر اليتيم»[١].

٥ ـ **الرحمة باليتيم:** لا بدَّ من الرحمة باليتيم؛ لأنَّه فاقد للأب الذي يحميه، فهو طفل كسير ذو روح متألمة، وهو طائر سقط من عشّه قبل اكتمال ريشه، فهو بحاجة إلى مسكن يسكن آلامه، وهو ينظر إلى الطعام والثياب والألعاب التي حُرم منها، ولا أحد يفكِّر فيه...

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «من أراد أن يدخله الله عزَّ وجلَّ في رحمته فليرحم اليتيم»[٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾[٣].

٦ ـ **حفظ ماله:** إنَّ الآباء يموتون ويخلِّفون لأبنائهم من الأموال ما قلَّ أو كثر، والأيتام الصغار لا يقدرون على حفظ أموالهم، وعندها تمتدّ الأيادي الأثيمة لتنهبها وتنزعها من أيديهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤] وقال أيضاً: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾[٥].

٧ ـ **إصلاح أُموره:** وقد وردت التعاليم بشأن التدخل في أُمور اليتامى بغية إصلاح أُمورهم وحفظ مصالحهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾[٦].

٨ ـ **الامتناع عن إيذائه:** في مسار الارتباط باليتيم قد يطرأ من الأُمور ما يمهِّد الأرضية لإيذاء اليتيم، كما لو اشترى شخص لولده لعبة ولم يشترِ لليتيم

---

(١) وسائل الشيعة: ج٣، ص٢٨٦.
(٢) راجع بحار الأنوار: ج٧٥.
(٣) الضحى: ٩.
(٤) الإسراء: ٣٢.
(٥) النساء: ٦.
(٦) البقرة: ٢٢٠.

مثلها، أو أنَّه اكتفى بإعطاء اليتيم لعبة ابنه القديمة، أو يشتري له من البضاعة الأرخص، وأحياناً ربَّما يهمل اليتيم أو يحمِّله ما لا يطيق، أو يسبّه أو يسبّ أُمّه أو أباه، ممَّا يؤدِّي إلى تأثر اليتيم وانكساره، قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «إذا بكى اليتيم اهتزَّ له العرش»[١] ومن هنا فرضت المساواة بين اليتيم وأبنائه.

وجاء في حديث قدسي: «من أبكى مؤمناً لي يتيماً في صغره فإنَّني وعزَّتي وجلالي وارتفاع مكاني وعظمتي سأدخله جهنَّم، ومن داعبه فأسكته أوجبت له الجنَّة»[٢].

وسئل المعصوم عليه السلام: هل تبكي الملائكة؟ فقال: نعم تبكي في ثلاث موارد: أحدها حينما يرى اليتيم أبويه في المنام، ثم يستيقظ فيطلبهما وهو يبكي، وعندها فإنَّ أجر من أسكته الجنَّة.

الوصية بعدم طرده:

لا ينبغي طرد اليتيم أو زجره؛ لأنَّ ذلك زيادة في تعقيده قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾[٣] وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢﴾[٤] وإنَّ الله سبحانه وتعالى يذكِّر نبيه صلى الله عليه وآله كيف كان يتيماً فآواه، ويطلب منه أن يشكره على ذلك، فيكرم الأيتام ولا يطردهم عن نفسه.

ويتَّضح حجم العقوبة التي أقرها الله لمن يأكل مال اليتيم، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾[٥].

مساعدة الأيتام

قابل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم امرأة كانت تحمل قربة ماء على كتفيها وتسير بها بمشقَّة.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٤٦.

(٣) الضحى: ٦.

(٤) الماعون: ١ ـ ٢.

(٥) النساء: ١٠.

فقال لها الإمام: هل تأذنين لي أن أساعدك؟

أجابت المرأة: سأكون شاكرة لك إن فعلت.

فحمل أمير المؤمنين القربة، وبدأ يسير بها إلى بيتها في منتصف الطريق قال الإمام: إحضار الماء من واجبات رجل البيت لماذا تفعلين هذا بنفسك؟!

أجابت المرأة قائلة: إنَّ زوجي استشهد في الحرب برفقة الإمام عليّ عليه السلام وعندي أيتام والإمام عليّ لا يعلم بحالنا.

أوصل الإمام القربة إلى بيت المرأة واشترى الطحين والتمر وقال: سأقوم بخبز العجين وإحضار الطعام وأنت تعتنين بالأطفال أو أنت تقومين بطهي الطعام وأنا أعتني بالأطفال؟

أجابت المرأة: أنا باستطاعتي أن أعتني بهم فاحضر أنت الطعام.

بدأ الإمام بإسجار التنور وعندما كان لَهيب النَّار يرتفع من التنور اقترب من النَّار وقال: يا عليّ ذق طعم النَّار حتى لا تغفل عن الأيتام ثانية.

في هذه الأثناء دخلت الجارة إلى البيت وعرفت أمير المؤمنين عليه السلام وذهبت إلى أُمّ الأطفال وقالت لها: ويحك، الذي يخبز لك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. فأسرعت المرأة إلى الإمام عليه السلام واعتذرت منه.

فقال عليه السلام: بل أنا أعتذر إليك فيما قصَّرت في أمرك[١].

مال اليتيم

عن الكنانيّ، عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شرُّ المآكل أكل مال اليتيم ظلماً[٢].

في علل ابن سنان، عن الرّضا عليه السلام: حرَّم الله أكل مال اليتيم ظلماً، لعلل كثيرة من وجود الفساد:

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣١٧/١، عنه البحار: ٥٢/٤١، ح٣ (ذيله).

(٢) أمالي الصدوق ص٢٩٢ في حديث.

أوّل ذلك: إذا أكل مال اليتيم ظلماً، فقد أعان على قتله، إذ اليتيم غير مستغن ولا محتمل لنفسه، ولا قائم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه، كقيام والديه، فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة، مع ما خوّف الله وجعل من العقوبة في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[١] ولقول أبي جعفر عليه السلام: إنَّ الله عزَّ وجلَّ وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين: عقوبة في الدّنيا، وعقوبة في الآخرة، ففي تحريم مال اليتيم استبقاء مال اليتيم، واستقلاله بنفسه، والسّلامة للعقب أن يصيبه ما أصابهم، لما وعد الله فيه من العقوبة، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بثأره إذا أدرك، ووقوع الشحناء والعداوة والبغضاء حتّى يتفانوا[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ في كتاب عليّ عليه السلام: أنّ مَن أكل مال اليتامى ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده، ويلحقه وبال ذلك في الآخرة.

أمّا في الدُّنيا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾.

وأمّا في الآخرة فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾[٣].

عن زرعة، عن سماعة قال: سمعته عليه السلام يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين:

أمّا إحداهما: فعقوبة الآخرة النّار؟

وأمّا عقوبة الدُّنيا: فهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ يعني بذلك ليخش أن أُخلفه في ذريّته كما صنع هو بهؤلاء اليتامى[٤].

---

(١) النساء: ٩.

(٢) علل الشرائع ج٢ ص١٦٦.

(٣) ثواب الأعمال ص٣٠٩.

(٤) ثواب الأعمال ص٢١٠.

وعن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلنا عليه فابتدأ فقال: من أكل مال اليتيم سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾[١].

عن عجلان أبي صالح قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أكل مال اليتيم.

فقال: هو كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾.

ثمَّ قال عليه السلام من غير أن أسأله: من عال يتيماً حتّى ينقطع يتمه أو يستغني بنفسه أوجب الله عزَّ وجلَّ له الجنّة كما أوجب النّار لمن أكل مال اليتيم[٢].

وقال الصّادق عليه السلام: إنّ آكل مال اليتيم سيخلفه وبال ذلك في الدُّنيا والآخرة.

أمّا في الدُّنيا: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾.

وأمّا في الآخرة: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾[٣].

رجل يحفظ مال اليتيم

حدَّثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال: كنت أكتب لموسى بن بُغا، وكنّا بالري وقاضيها إذ ذاك أحمد بن بذيل الكوفي، فاحتاج موسى أن يجمع ضيعة هناك كان له فيها سهام ويعمرها، فكان له فيها سهم ليتيم، فصرت إلى أحمد بن بذيل ـ أو فاستحضرت أحمد بن بذيل ـ وخاطبته أن يبيع علينا حصة اليتيم، ويأخذ الثمن، فامتنع، وقال: ما باليتيم حاجة إلى البيع، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مُستغن عنه،

(١) المصدر نفسه ص٢١٠ وص٢٠ ط حجر.

(٢) الكافي ج٥ ص١٢٨.

(٣) الفقيه ج٣ ص١٠٦ ط نجف.

فيحدث على المال حادثة، فأكون قد ضيَّعْتُه عليه، فقلت: إنَّا نعطيك في ثمن حصته ضعف قيمتها.

فقال: ما هذا إليَّ بعذر في البيع! والصورة في المال إذا كثر مثله إذا قَلَّ.

قال: فأدرته بكل لون وهو يمتنع، فأضجرني، فقلت له: أيُّها القاضي لا تفعل؛ فإنَّه موسى بن بغا، فقال لي: أعَزَّكَ الله، إنَّه الله تبارك وتعالى.

قال: فاستحييت من الله أن أعاوده بعد ذلك، وفارقته، فدخلت على موسى، فقال: ما عملتَ في الضيعة، فقصصتُ عليه الحديث، فلما سمع إنَّه الله بكى، وما زال يكررها، ثم قال: لا تتعرض لهذه الضيعة، وأبصر في أمر هذا الشيخ الصالح، فإن كانت له حاجة فاقضها.

قال: فأحضرته، وقلت له: إنَّ الأمير قد أعفاك من أمر هذه الضيعة، وذلك أنِّي شرحت له ما جرى بيننا، وهو يستعرض حوائجك.

قال: فدعا له، وقال: هذا الفعل أحفظ لنعمته، وما لي حاجة إلى إدرار رزقي، فقد تأخر منذ شهر، وأضر بي ذلك! قال: فأطلقت له جارية[١].

أبو عبد الله بن موسى الهاشمي وأموال اليتيم

حدَّثنا أبو الحسين أحمد بن الحسين الواعظ قال: أُودِعَ أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينار ليتيم، فضاقت يده، وامتدت إليها، فأنفقها فلما بلغ الغلام مبلغ الرجل أمر السلطان بفك الحجر عنه وتسليم ماله إليه، وتقدَّم إلى أبي موسى يحمل المال ليسلم إلى الغلام.

قال ابن أبي موسى: فلما تقدَّم إليَّ بذلك ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، وتَحَيَّرْتُ في أمري، لا أعلم من أي وجهٍ أُغَرَّم المال، فبكرت من داري وركبت بغلتي، وقصدت الكرخ، لا أعلم أين أتوجه، فانتهت بي بغلتي إلى درب السلولي، ووقفت بي على باب مسجد دعلج بن أحمد، فثنيت رجلي، ودخلت المسجد،

(١) عيون الحكايات لابن القيم الجوزية ص٢٠٤.

فصلّيت خلفه صلاة الفجر، فلما سلَّم انفتل إليَّ، ورحَّب بي، وقام، وقمت معه، ودخل إلى داره، فلما جلسنا جاءته الجارية بمائدة لطيفة وعليها هريسة، فقال: يأكل الشريف، فأكلت وأنا لا أحصل أمري، فلما رأى تقصيري قال: أراك منقبضاً، فما الخبر؟

فقصصت إليه القصة، وإنَّني أنفقت المال، فقال: كُلْ، فإنَّ حاجتك تُقْضَى، ثم أحضر حُلْواً، فأكلنا، فلما رُفِعَ الطعام، وغسلنا أيدينا قال: يا جارية، افتحي ذلك الباب، فإذا خزانة مملوءة زُبلاً مجلدة ظفأ خرج إليَّ بعضها، وفتحها إلى أن أخرج النقد التي كانت الدنانير منه، واستدعى الغلام والتخت والطيار، فوزن عشرة آلاف دينار وبدرها، وقال: يأخذ الشريف هذه، فقلت: يُثْبِتُها الشيخ عليَّ، فقال: أفعل، وقمت، وقد كاد عقلي يطير فرحاً، فركبت بغلتي، وتركت الكيس على القربوس وغطيته بطيلساني، وعدت إلى داري، وانحدرت إلى دار السلطان بقلب قوي وجنان ثابت، فقلت:

ما أظن إلاَّ أنَّه قد استشعر فيَّ أنِّي قد أكلت مال اليتيم، واستبددت به، والمال فقد أخرجته، فأحضر قاضي القضاة والشهود والنقباء وولاة العهود وفَكَّ حجره، وسَلَّمَ المال إليه، وعَظَّم الشكر لي والثناء عليَّ، فلما عدت إلى منزلي استدعاني أحد الأمراء من أولاد الخلافة، وكان عظيم الحال، فقال:

قد رغبتُ في معاملتك وتضمينك أملاكي مادرونا ونهر الملك، فضمنت ذلك بما تقرر بيني وبينه من المال، وجاءت السنة، ووفيته، وحصل في يدي من الربح ما له قدر كثير، وكان ضماني لهذه الضياع ثلاث سنين، فلما مضت حسبت حسابي، وقد تحصل في يدي ثلاثون ألف دينار، فعزلت عِوَض العشرة آلاف دينار التي أخذتها من دعلج، وحملتها إليه، وصليت معه الغداة، فلما انفتل من صلاته، ورآني نهض معي إلى داره، وقدَّم المائدة والهريسة، وأكلت بجنانٍ ثابت وقلب طيب، فلما قضينا الأكل وقال لي: خبرك وحالك، فقلت: بفضل الله وبفضلك قد أفدت بما فعلته معي ثلاثين ألف دينار، وهذه عشرة آلاف عوض الدنانير أخذتها منك.

فقال: يا سبحان الله! والله ما أخرجت الدنانير عن يدي، ونويت أخذ عِوَضَها، حَلٍّ بها الصبيان. فقلت له: أيُّها الشيخ، أي شيء أصل هذا المال حتى تهب لي

عشرة آلاف دينار؟ فقال: نشأت، وحفظت القرآن، وسمعت الحديث الكثير، وكنت أتبرز، فوافاني رجل من تجار البحر، فقال:

أنت دعلج بن أحمد، فقلت: نعم. فقال: قد رغبت في تسليم مالي إليك لتتجر به، فما سهَّل الله من فائدة كانت بيننا، وما كان من حاجة كانت في أصل مالي، وسَلِّم إليَّ نازياً مجاف بألف ألف درهم، وقال: ابسط يدك، ولا تعلم موضعاً ينفق هذا المتاع إلاَّ حملته إليه، واستثبت فيه الكفاة، ولم يزل يتردد إليّ سنةً بعد سنةٍ يحمل إليَّ مثل هذا، والبضاعة تنمى، فلما كان في آخر سنة اجتمعنا فيها قال لي: أنا كثير الأسفار في البحر، فإن قضى الله عليَّ بما قضاه على خلقه، فهذا المال لك على أن تتصدَّق منه، وتبني المساجد، وتفعل الخير، فأنا مثل هذا، وقد ثمر المال في يدي، فأسألك أن تطوي هذا الحديث أيَّام حياتي[١].

ملاطفة اليتامى

نُقل عن بعض التواريخ: أنَّه كانت لمسلم بن عقيل بنت كانت لها من العمر ثلاثُ عشرة سنة أو أقل اسمُها (حميدة)، وكانت تعيش في بيت الإمام الحسين عليه السلام وتدرج مع بناته لا تفارقهنَّ.

ولما أخبر الحسين عليه السلام بقتل مسلم، جاء ودخل خيمة النساء، ودعا بتلك البنت، وجعل يلاطفها ويعطف عليها فاستشعرت البنت من ذلك المصيبة، فقالت: يا عم، أراك تعطف عليَّ عطفك على الأيتام، أفأصيب أبي مسلم؟

فرقَّ الحسين عليه السلام لها وجرت دمعته، وقال لها: يا بُنيَّة لا تحزني، فلئن أُصيب أبوك فأنا أبوك وبناتي أخواتك.

فلما سمعت البنت هذا الكلام من الحسين صرخت وأعولت فسمع صراخها آل عقيل، فارتفعت أصواتهم بالبكاء، وانتحبوا انتحاباً عالياً، وساعدهم أهل بيت الحسين في النوح والبكاء. وعظم على أبي عبد الله المصاب، واشتدَّ به الحزن.

---

(١) عيون الحكايات لابن القيم الجوزية ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

أهمية العناية بالأيتام

كان أصحاب النبي وأعوانه قد أحاطوا بنبي المسلمين ﷺ وهم يتسمعون إلى كلامه، إذ رأوا طفلاً جاء نحو النبي ﷺ قائلاً: «يا رسول الله، إنَّني طفل قد توفي والدي وأنَّ أُمِّي وأُختي كذلك ليس لهما من يعول بهما، فتفضل علينا بما تفضل الله به عليك».

فأمر النبي ﷺ، بلال أن يذهب إلى بيته وأن يأتي بما يجده من طعام هناك.

فذهب بلال إلى حجرات النبي ﷺ وبعد البحث وجد (٢١) حبة من التمر وجاء بها إلى النبي ﷺ، فقال النبي لذلك الصبي: «تعال واقبل منِّي هذه التمرات، فسبعة منها لك، وسبعة لأختك، والبقية لأُمّك».

عند ذلك مسح أحد الأصحاب ويدعى «معاذ» مسح بيده على رأس ذلك اليتيم ملاطفاً له وقال له: «أخرجك الله من اليتم وأقامك مقام والدك».

فقال النبي ﷺ لمعاذ: «رأيت ملاطفتك لهذا اليتيم، اعلم أنَّ من تكفَّل يتيماً ومسح بيده على رأسه ملاطفاً له، أعطاه الله بكلِّ شعرة مرَّت يده عليها، أجراً حسناً وغفر له ذنباً من ذنوبه وأعلى درجته»[١].

العناية باليتامى والبركة في الحياة

ذكر بعض المؤرخين أنَّه كان القليل من النِّساء على استعداد أن تكون إحداهنَّ ضئراً «للنبي» محمَّد ﷺ لأنَّهنَّ كن في الغاب يرغبن أن يُرضعن أطفالاً ليسوا بيتامى ليتمتعن بمساعدات آبائهم وحتى حليمة أيضاً، رفضت قبوله ولكن بسبب نحافة جسمها لم يعطها أحد طفله، فاضطرّت أن تقبل حفيد عبد المطلب، فقالت لزوجها: ذرنا نذهب ونأخذ هذا الطفل حيث لا نرجع صفر الأيدي، عسى أن يشمل الله حالنا بلطفه.

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٥٠٦.

وقد صار كذلك، فمن اللحظة التي أبدت حليمة استعدادها لخدمة محمد ﷺ، غمرت الألطاف الإلّهيَّة كافة جوانب حياتها[١].

موعظة للغافلين

إيّاكم والغفلة؟:

(البحر الرمل المجزوء)

أنا مشغول بذنبي	عن ذنوب العالمينا
وخطايا أثقلتني	تركت قلبي حزينا
ولقد كنت جليلاً	في عيون الناظرينا
صرت في ظلمة قبري	ثاوياً فيها رهينا
بعد عز وسرور	فوق وصف الواصفينا
فأتى الموت علينا	بعد هذا فغنينا
وعلمنا ففهمنا	ما لنا الآن نسينا
إنَّ حياً ليس يبقى	غير رب العالمينا
والذي صح لدينا	وعلمناه يقينا
كل حي سوف يفنى	غير محيي الميتينا

إخواني: قلوبنا بالغفلة رحلت عن الأجسام؟

إخواني: إلى متى أتحدث وليس في الحي إلاَّ الخيام؟

إخواني: أما تنظرون إلى ما فعلت بنا الزلات والآثام؟

إخواني: قيدنا التقصير وقد دنا الحمام، فأواه علينا من هول يوم النشور ونفخ في الصور بالله، يا إخواني إلى متى تؤخرون المتاب.

هذا المشيب أتى وقد تولى الشباب، متى تصالح مولاك متى تقف بالباب،

(١) ابن هشام، السيرة: ج١، ص١٧١، ١٧٢.

أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب، وما حدث بعد ذلك من الأمور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾.

وفي الحديث: أنَّ الشاب إذا بكى من ذنوبه واعترف بعيوبه عند سيِّد ومحبوبه، قال: إلَهي أنا أسأت.

فيقول الله تعالى: وأنا سترت.

فيقول: إلَهي وأنا ندمت.

فيقول الله تعالى: وأنا علمت.

فيقول: إلَهي رجعت.

فيقول الله تعالى: قبلت أيُّها الشاب إذا تبت، ثمَّ نقضت فلا تستحي أن ترجع إلينا ثانياً، وإذا نقضت ثانياً فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثاً وإذا نقضت ثالثاً، فارجع إلينا رابعاً، فأنا الجواد الَّذي لا أبخل وأنا الحليم الَّذي لا أعجل، وأنا الَّذي أستر على العاصي وأقبل التائبين، وأعفو عن الخاطئين وأرحم النادمين، وأنا أرحم الراحمين، من ذا الَّذي أتى إلى بابنا فرددناه؟ من ذا الَّذي لجأ إلى جنابنا فطردناه، من ذا الَّذي تاب إلينا وما قبلناه، من ذا الَّذي طلب منَّا وما أعطيناه، من ذا الَّذي استقال من ذنبه فما غفرناه، أنا الَّذي أغفر الذُّنوب وأستر العيوب، وأغيث المكروب وأرحم الباكي الندوب، وأنا علاَّم الغيوب، يا عبدي قف على بابي أكتبك من أحبابي، تمتع الأسحار بخطابي أجعلك من طلابي، لذا بحضرة جنابي أسقيك من لذيذ شرابي، أهجر الأغيار وألزم الافتقار وناد في الأسحار بلسان الذلة والانكسار، وقل: إن كنت من المحبين وأهل الاشتياق والاشتهار:

(البحر السريع)

يا من فؤادي عنه لا يسلو ... وخاطري منه لا يخلو
قد انقضى عمري بلا موعد ... يعلل القلب ولا وصل
انظر إلى حالي بعين الرِّضا ... فالعيش بالهجران لا يحلو
واسمع على عبدك يا سيِّدي ... حوشيت أن ينقصك الفضل
كل عذاب فيك مستعذب ... وكل صعب هين سهل

لـي بـك عـن كـل الـورى شـاغـل يـا فـوز مـن أنـت لـه شـغـلُ

إخواني: جزاء الأعمال بالميزان عسير، والوقوف بين يدي المولى بظلمة المعاصي خطير، فإلى متى في المطال والعمر قصير، لا تدري هول ما أنت إليه تصير وستندم إذا بعثر ما في القبور ونفخ في الصور، وحصل ما في الصدور.

(البحر الخفيف)

ما احتيالي وأمر ربِّي عصيت حين تبدي صحائفي ما جنيت
ما احتيالي إذا وقفت ذليلاً قد نهاني وما رآني انتهيت
يا غنياً عن العباد جميعاً وعليماً بكل ما قد سعيت
ليس لي حجَّة ولا لي عذر فاعف عن زلتي وما قد أتيت

كيف حالك يا أخي إذا بلغت القلوب الحناجر، وقطعت الحسرات الأكباد قطع الحناجر واشتد عطش المفرطين من شدَّة الهواجر، فيا أيُّها العاصي بادر باب مولاك، وإدراك مواسم الأرباح، قبل أن تبور ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾.

(البحر الوافر)

سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنت إلى ألف بعيد
فأزعجت القلوب وأقلقتها وما زلنا نقول لها أعيدي
أرى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود
فرد من ماء موعظة ورودا لتلقي الأمن للقلب الشريد
ولازم خدمة المولى عسى أن تنال الفوز من رب مجيد

إخواني: كم خذلنا التفريط من الباطلين، وكم أقعدت البطالة قلوب الغافلين وكم أعمت الآمال بصائر الآملين، وكم قطعت الأسباب قلوب الخائفين، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، فإذا هم قيام ينظرون، أما لكم عيون من ألم الفراق تدمع، أما لكم قلوب من وحشة الانقطاع تخشع، أما لكم أسماع تصغي إلى المواعظ فتسمع، أما لكم أكباد من طلب الفاني تشبع، بالله لتسئلن عمَّا كنتم تعملون، فإذا هم قيام ينظرون.

إخواني: مدوا أيدي الذل والافتقار، ونادوا برفيع الأصوات بالسر والإجهار

عبيدك أهل المعاصي والإصرار، أتوك يرجون عفوك عن الذُّنوب والأوزار، وقد عثرنا فأقل عثرتنا من النَّار، إلّهنا شفيعنا إليك الذل والانكسار والرجوع والدموع الغزار، إلّهنا إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك، فإنَّ حسن الظن قد أطمعنا في ثوابك فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك، إلّهي إن كنت لا ترحم إلاَّ المجتهدين فمن للمقصرين، وإن كنت لا تقبل إلاَّ المخلصين فمن للمخطئين، وإن كنت لا تكرم إلى المحسنين فمن المسيئين، إلّهي ما أعظم حسرتي سيِّدي ما أبلغ قصتي، أدل غيري وأنا الحائر، إلّهي جد بالعفو على مذكر متكلف وسامع متخلف، إلّهي إذا دللت السالكين عليك فوصلوا بحسن موعظتي إليك، أتراك تقبل المدلول وترد الدليل، إلّهي إن لم يكن كلامي خالصاً لوجهك، ففي مجلسي من حضر خالصاً لوجهك فشفعه في تقصيري بنور وجهك، وارحمنا أجمعين يا أرحم الراحمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

الربا

قال سبحانه:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[3].

وفي ذم اليهود: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[4].

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) البقرة: ٢٧٨.

(٣) آل عمران: ١٣.

(٤) النساء: ١٦١.

(٥) الروم: ٣٩.

ظاهرة الربا:

الربا لغةً هو الزيادة، ويقصد به في التعامل المادي: الزيادة على رأس المال، قلَّتْ أو كثرت.

﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[١].

والربا محرَّم في جميع الديانات، اليهودية والمسيحية والإسلامية.

جاء في العهد القديم: «إذا أقرضت مالاً لأحد من أبناء شعبي، فلا تقف منه موقف الدائن، لا تطلب منه ربحاً لمالك»[٢].

وجاء في العهد الجديد: «إذا أقرضتم لمن تنتظرون منه المكافأة، فأيُّ فضل يُعرف لكم؟ ولكن افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدتها، وإذن يكون ثوابكم جزيلاً»[٣].

وقد حرَّم الإسلام الربا تحريماً قاطعاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٤].

وقال ﷺ: «لعن الله آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه».

والحكمة من تحريم الربا حكمة كبيرة:

١ ـ فالربا يسبب العداوة بين الأفراد، ويقضي على روح الأخوة والتعاون فيما بينهم، وينسي الناس أنَّ الثواب، كل الثواب في القرض الحسن.

٢ ـ والربا يمنع النَّاس من الاشتغال بالمكاسب، لأنَّ الربا يعلِّم الإنسان أن يكسب دون عمل أو جهد.

٣ ـ الربا هو ممارسة نوع من الضغط من قِبَل الأغنياء على الفقراء، وبالتالي

---

(١) البقرة: ٢٧٩.
(٢) خروج: ٢٢/ ٢٥.
(٣) لوقا: ٦/ ٣٤ و٣٥.
(٤) البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

سيزداد الغني غنىً ويزداد الفقير فقراً، ويؤدِّي إلى تضخم الأموال ونموها بيد فئة قليلة.

٤ ـ الربا هو وسيلة للسيطرة، فيسيطر فرد على فرد آخر، ودولة على دولة أُخرى، وهكذا نجد أنَّ الربا هو وسيلة من وسائل الاستعمار والسيطرة على الآخرين.

ولا بدَّ من الإشارة إلى ناحية هامة: وهي أنَّ الإنسان قد يمر بظروف مادية صعبة، ويحتاج فيها للمال، ويبحث عنه ولا يجده، ولا يجد من يقرضه قرضاً حسناً، فهل يحق له أن يقترض من شخص ما، أو من البنك بالفائدة...؟؟

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: درهم ربا أعظم عند الله من ثلاثين زنية كلّها بذات محرم مثل خالته وعمّته[١].

قال أبو جعفر عليه السلام: درهم ربا أعظم عند الله من أربعين زنية[٢].

وقال: السّحت الرّبا[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزَّ وجلَّ لعن آكل الرّبا وموكّله وكاتبه وشاهديه[٤].

وعن الكناني، عن الصّادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شرّ الكسب كسب الربا[٥].

وعن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه.

فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

قال: هؤلاء الّذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان

---

(١) أمالي الصدوق ص١٨١.

(٢) فقه الرضا ص٧٧.

(٣) فقه الرضا ص٧٨.

(٤) أمالي الصدوق ص٤٢٥.

(٥) أمالي الصدوق ص٤٢٦.

من المسّ وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً يقولون ربّنا متى تقوم الساعة[١].

وعن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية بذات محرم في بيت الله الحرام[٢].

وقال: الرّبا سبعون جزءاً أيسره أن ينكح الرَّجل أُمّه في بيت الله الحرام[٣].

وعن الحسن بن زياد العطّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاثة في حرز الله عزَّ وجلَّ إلى أن يفرغ الله من الحساب:

١ ـ رجل لم يهمّ بزنى قط.

٢ ـ ورجل لم يشب ماله بربا قط.

٣ ـ ورجل لم يسع فيهما قط[٤].

فيما أوصى به النّبي صلى الله عليه وآله [عليّاً]: يا عليّ الربا سبعون جزءاً فأيسرها: مثل أن ينكح الرجل أُمّه في بيت الله الحرام.

يا عليُّ درهم ربا أعظم من سبعين زنية كلّها بذات محرم في بيت الله الحرام[٥].

عن محمّد بن عطيّة، عن زرارة، قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما حرّم الرّبا لئلا يذهب المعروف[٦].

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من أكل الرّبا ملأ الله بطنه نار جهنّم بقدر ما أكل، فإن كسب

(١) تفسير علي بن إبراهيم ج١ ص٩٣.
(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج١ ص٩٣.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج١ ص٩٣.
(٤) الخصال ج١ ص٦٣.
(٥) الخصال ج٢ ص٣٧١.
(٦) علل الشرايع ص٤٨٣.

منه مالاً لم يقبل الله شيئاً من عمله، ولم يزل في لعنة الله وملائكته ما دام معه قيراط[١].

وعن شهاب بن عبد ربّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آكل الرّبا لا يخرج من الدُّنيا حتّى يتخبّطه الشيطان[٢].

وعن زرارة، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ﴾ وقد أرى من يأكل الربا يربو ماله.

فقال عليه السلام: أي محق أمحق من درهم ربا يمحق الدين وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن في هلاكها[٤].

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: إذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة والخسف[٥].

موعظة للغافلين

الترغيب على العمل النافع:

يا نفسُ: مثل مَن ترك الدُّنيا وطلَّقها واحتواها وفارقها، كمثل قوم بنى بهم منزل حديث فأمُّوا المنزل الخصيب فاحتملوا غثاء الطريق، وفراق الصديق، ليأتوا سعة دراهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدُون لشيءٍ من ذلك ألماً، ولا يرون النَّفقة فيه مغرماً، ولا شيء أحبَّ إليهم ممَّا قرَّبهم إلى منزلهم، ولأدناهُم إلى محلّهم،

(١) البحار: ج١٠٠، ص١٢٠.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص١٥٢.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٤٢٤، باب تحريم الربا، ح٧.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣، ص٣٣٢، باب تحريم الربا.
(٥) مستدرك الوسائل: ج١٣، ص٣٣٣، باب تحريم الربا.

ومثل مَن اغترَّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل فينابهم[١] إلى منزل محدث فلا شيء أكْرَهَ إليهم، ولا أفظع لديهم إلى ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويَصيرُونَ إليه.

يا نفسُ: العاقلُ مَن أمات شهوته، والقويّ من قمع لذَّته، والاشتغال بالغاية تضييع الوقت، والرغبة في الدُّنيا توجبُ المقت.

يا نفسُ: في الحديث خصلتان تُدْخلان النَّعيم وتقيان الجحيم وهما: احتمال ما يكرهُ إذا أحَبَّه الله وترك ما يُحبّ إذا أبغضَهُ الله.

---

(١) ناب في الأمر عن زيد قام فيه مقامه.

الزنى

قال سبحانه:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[٢].

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

﴿...وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[٤].

خلق الله الإنسان وأودع فيه العقل والشهوة، وميزه عن الملائكة الذين يملكون عقلاً بلا شهوة، وعن الحيوانات التي تملك شهوة بلا عقل. وعلى هذا المعيار فإنَّ الإنسان الذي يعيش ويتصرف بعقله بعيداً عن الشهوات والفواحش وحب الدُّنيا، إنَّما يعيش الحياة بلذَّاتها وسعادتها متظلِّلاً بستائر الإيمان وعزائم الشكر لله الذي سخَّر له كلّ شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[٥] ليعيش حياته كريماً متحصناً بتقوى الله وإيمان الصادقين.

---

(١) الانعام: ١٥١.

(٢) اسرى: ٣٢.

(٣) النور: ٣٣.

(٤) الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

(٥) الزخرف: ١٣.

إنَّ الإنسان العارف، المُسَلِّم لله بكلّ جوارحه وأعضائه، المتقي من وساوس وهمزات الشياطين إنَّما يسير في الطريق الصحيح وفق الفطرة الإلٓهيَّة التي أرادها الله لعباده ووفق العقل الذي حباه الله بالعناية والحب. هكذا إنسان هدفه رضا الخالق والعمل على طاعته تصبح حياته جنَّة ومسيرته آمنة سعيدة لا يطمح إلاَّ رضا الله والتمسُّك بأوامره الرشيدة.

من تلك الألطاف الإلٓهيَّة والتعليمات الربَّانيَّة التي هدفها صلاح الإنسان وتقويم مسيرته، تحذيره من ارتكاب المنكرات والفواحش التي تدمِّر الحياة وتسخِّط الرَّبّ، وهذا يتطلب التحصن منها بوسائل كثيرة:

منها الزواج وغضّ البصر عن مصائد الشَّيطان التي تقود إلى الضلال والهلكة والانحطاط الروحي والعائلي والاجتماعي؛ لذا قال الإمام علي عليه السلام:

«وَلَمحُ العُيُونِ مَصائدُ الشَّيطانِ». وعلى العكس من ذلك، فإنَّ الإيمان ينقي النَّفس من الشوائب والآثام الشيطانية، ويبعدها عن المهالك التي تسلب الغيرة والحمية والإيمان والدِّين، وتجعل الإنسان حيواناً أو أوطأ من ذلك.

المصائد الشيطانية كثيرة في مقدمتها النِّساء، لذلك نرىٰ الشَّيطان يزيِّن للإنسان حبُّ النِّساء والوقوع في شباكهنَّ وغرامهنَّ وسحر عيونهم، وما أن يقع في المصيدة حتى يصبح صيداً سهل القياد كثير الطاعة، مستعداً لارتكاب المعاصي الواحدة تلو الأُخرىٰ، وعليه فإنَّ الزواج هو المفتاح الصحيح الذي يأخذ بيد الإنسان نحو شاطىء الأمان، نحو الاستقرار، حيث الحياة الزوجية السعيدة وحلاوة الأطفال، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[١].

وعليه فإنَّ الزنى جريمة بشعة ينكرها الإسلام والعقل والمنطق وينكرها المسلمون وغير المسلمين على السواء. الإسلام أنكر وحذَّر وهدَّد وعاقب الزناة بأشد العقوبات، واعتبرها جريمة وتحدّياً لحدود الله الذي أراد الخير للناس، لذلك

---

(١) الروم: ٢١.

جعل عقوبتها شديدة رادعة وعلنية في الحياة الدُّنيا، أمَّا في الآخرة فالعقوبة أشد وأقسىٰ، وويل للزناة من غضب الله وعقوبته.

فالزنى رأس الفواحش وقائد كل خطيئة.

والزنى عنوان صحيفة الفاسقين والمنحرفين.

والزنى باب الشَّيطان الأكبر ومدخل مصائده.

والزنى دليل ذهاب الغيرة والإيمان.

لذلك قال الرَّسول ﷺ: «الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن»(١).

الزنى يهدم النَّفس، ويحطم الروح، ويقوض بناء الأُسرة، ويحطم كيان المجتمع، ويغضب الرَّبّ، ونهايته الخلود في نار جهنَّم، جزاءً لهذا العمل الشنيع الذي حذَّر منه القرآن والرَّسول الأكرم حين قال: «في الزنى خمس خصال: يذهب بماء الوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، ويسخِّط الرَّحمٰن، ويخلِّد في النَّار، نعوذ بالله من النَّار»(٢).

أمَّا القرآن فيقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾(٤).

لتلك الأسباب ولهول الجريمة كانت عقوبة الزنى شديدة وعلنية يشهدها طائفة من المؤمنين، كي تكون عبرة يتعظ بها الجميع، ورادع يردع كل نفس يوسوس لها الشَّيطان عمل السوء والفحشاء، فكان القانون الإلٰهي الذي هو أفضل وأحسن وأصح وأقوى قانون تأديبي يقوّم سلوك ومسيرة الإنسان الجاهل، ويجعل حياته فاضلة كريمة بعيدة عن السوء والمنكرات. قال الله في كتابه العزيز:

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٠، ص٣١٠.
(٢) المصدر السابق: ج٢٠، ص٣٠٩.
(٣) الأعراف: ٣٣.
(٤) الإسراء: ٣٢.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾[١].

والإمام علي عليه السلام: وصي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وقد علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن وجلد الزاني غير المحصن».

وقال: «ما زنىٰ غيور قط».

لأنَّ الزنىٰ عملية قبيحة ينكرها كل شريف، مؤمن، غيور، يخاف حساب الله وعذاب اليوم الآخر، حذَّر الإمام عليه السلام من الزنى الذي لا يرتكبه الإنسان العفيف الشريف الذي يكون موضع العناية الإلٰهية تحفظهُ وتحفظ عائلته من الانزلاق في مزالق الشر التي يزينها الشَّيطان فقال: «ليس يزني فرجك إن غضضت طرفك».

الآثار الاجتماعية للزنا:

لا شك فيه أنَّ الزنى يهدم الأُسر ويفكك العوائل، وتنعكس آثاره بصورة سلبية على المجتمع، ومن تلك السلبيات:

١ ـ ازدياد حالات الطلاق بين أفراد الأُسر التي تمارس الزنى.

٢ ـ ازدياد المشاكل والشجار بين الأفراد والعوائل التي تسلك هذا الطريق.

٣ ـ بروز ظاهرة الشذوذ الجنسي بين النِّساء والرِّجال.

٤ ـ ازدياد حالات الإصابة بالأمراض النفسية.

٥ ـ انحراف الأطفال نتيجة سوء التربية العائلية.

٦ ـ الزنى يقود إلى الإدمان على المسكرات والمخدَّرات.

٧ ـ ازدياد ظاهرة الاعتداء والقتل والانتحار ودخول السجون بين الأشخاص المنحرفين.

---

(١) النور: ٢ ـ ٣.

٨ ـ كثرة حالات الإجهاض في أواسط الطبقات المنحرفة.

٩ ـ حدوث تشوهات جينية عند الأطفال المولودين نتيجة الشذوذ الجنسي والعلاقات المحرَّمة.

١٠ ـ تدني المستوىٰ الدراسي والعلمي عند الأشخاص الذين يمارسون الزنى والشذوذ.

١١ ـ تدني مستوىٰ العمل والانتاج لدى المصابين بالانحراف والزنى.

١٢ ـ الزنى أحد وسائل الصيد للخيانة والتجسس واعتناق المبادىء الشاذَّة والهدَّامة.

الآثار الطبية للزنى:

إنَّ الذين يمارسون الزنى معرّضون للإصابة بالأمراض الزهرية والجسدية والنفسية. هذه الظاهرة واضحة عند الكثير من الشاذين، ولعلَّ الإحصاءات التي نشرت وتنشر في صحف ومجلات العالم خير دليل على ما نقول. ومن أهم تلك الآثار:

أ ـ الأمراض الزهرية:

١ ـ مرض السيلان.

٢ ـ مرض السفلس.

٣ ـ مرض الحمىٰ الراشحة.

٤ ـ الإصابة بالفطريات الجلدية والتناسلية.

٥ ـ الإصابة بالجرب.

٦ ـ الإصابة بقمل العانة.

٧ ـ الإصابة بالديدان الخيطية والحلزونية وغيرها.

٨ ـ الإصابة بمرض الدويبات الشعرية.

٩ ـ الإصابة بالثألول الجلدي.

١٠ ـ التعرض للإصابة بمرض الورم الجيبي الليمفاوي المغبني.

١١ ـ الإصابة بالورم الجيبي الأربي.

١٢ ـ الإصابة بمرض الأيدز أو مرض نقص المناعة المكتسب.

١٣ ـ الإصابة بالقرحة الرخوة.

١٤ ـ الإصابة بمرض الكلاميديا المهبلية.

ب ـ الأمراض النفسية:

١ ـ القلق.

٢ ـ الخوف.

٣ ـ الوسوسة.

٤ ـ التوهم.

٥ ـ الانفصام.

٦ ـ حب الاعتداء.

٧ ـ القسوة.

٨ ـ الانتحار.

٩ ـ الأرق.

١٠ ـ بروز ظاهرة الشك.

١١ ـ ضعف الإيمان.

١٢ ـ الإصابة بالحصر القهري.

ج ـ الأمراض الجسدية:

«نظراً للأجواء الخاصَّة التي يكثر فيها الزنى، وسرية الحياة التي يعيشها أولئك الذين يمارسون هذا العمل، إضافة إلى الأجواء النفسية المعقدة، والسهر

الدائم، والتخبط في دوامات الفكر والخوف من المستقبل المجهول والقانون والعقاب كل ذلك يجعلهم في شرود فكري وقلق شديد.

وهذه الأسباب المتعددة والمتضاربة تؤدِّي إلى نشوء أمراض جسدية عديدة بين صفوف تلك الشريحة الشاذة من المجتمع، خصوصاً وأنَّ عادة التدخين وشرب المسكرات والمخدرات شائعة بينهم، مضافاً إليها عقدة الشعور بالذنب والخوف من المجتمع تجعلهم لا يراجعون الأطباء والمراكز الصحية بالسرعة المطلوبة، ممَّا يساعد على تفشي الأمراض بينهم بصورة كبيرة»[1].

ومن هذه الأمراض:

١ ـ الإصابة بالسل الرئوي.

٢ ـ الإصابة بالتهاب اللوزتين المزمن.

٣ ـ الإصابة بالتهاب القصبات الحاد والمزمن.

٤ ـ الإصابة بحساسية القصبات.

٥ ـ الإصابة بالتهاب الجيوب الأنفية المزمن.

٦ ـ الإصابة بحساسية الجلد المزمنة (الأكزما).

٧ ـ الإصابة بالأمراض المعوية كالتهاب المعدة والأمعاء واضطراب القولون.

٨ ـ الإصابة بالأمراض الجلدية المتنوعة.

٩ ـ الإصابة بالسكتة القلبية.

١٠ ـ الإصابة بمرض ارتفاع ضغط الدم.

١١ ـ الإصابة بمرض السكر.

١٢ ـ الإصابة بمرض تصلب الشرايين.

١٣ ـ الإصابة بالسرطانات المختلفة.

---

(١) القرآن والطب الحديث، للمؤلف: ص٢٠٦.

عقوبة الزاني

١ ـ إذا اشترك جماعة في عملية الاتّهام والقذف فالكلّ آثم وإن كان المتصدِّي الأكبر يستحقّ عقوبة أكبر.

٢ ـ على المؤمنين إذا سمعوا التهمة الظن بإخوتهم وأخواتهم خيراً وأن يقولوا: سبحانك هذا إفك مبين وليس لنا أن نتكلَّم بهذا والتجنب عن تأكيد الشائعة وعدم تداولها بالأُلسن والأفواه(١) فإنَّ ذلك عظيم عند الله وليس أمراً هيناً وسهلاً وإن كانوا يتصوَّرون ذلك.

٣ ـ كلّ من يقذف غيره بالزنى أو يشترك مع غيره في عملية القذف وليس لديه شهود أربعة يشهدون بصحَّة النسبة ترتَّبت عليه الأحكام التالية:

أ ـ إنَّه معدود عند الله سبحانه في زمرة الكاذبين.

ب ـ يقوم الحاكم بجلده ثمانين جلدة.

ج ـ لا تقبل شهادته أبداً.

د ـ يحكم عليه بالفسق فلا تجوز الصلاة خلفه ولا تُقبل منه أية قضية مشروطة بالعدالة.

هـ ـ استحقاق اللعن في الدُّنيا والآخرة والعذاب العظيم وسيشهد على المفتري لسانه يوم القيامة بكذبه وتشهد عليه سائر جوارحه إذا كان قد ارتكب جريمة بها.

وعن نوف البكالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يحبُّ الزّنى وكذب من زعم أنّه يعرف الله عزَّ وجلَّ وهو مجترىء على معاصي الله كلَّ يوم وليلة(٢).

---

(١) جاء في الآيات الكريمة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾، أي تتلقونه بألسنتكم، بمعنىٰ تتداولونه بألسنتكم وأفواهكم، عبَّر بالأُلسن والأفواه والحال أنَّ من الواضح إنَّ عملية التداول والتحدُّث لا تكون إلاّ بذلك، معه فما هي النكتة في ذلك؟ يحتمل كونه إشارة إلى أنَّ نسبة الاتّهام لا دليل عليها وإنَّها مجرَّد لقلقة لسان.

(٢) مالي الصدوق ص١٢٦ في حديث.

وعن إبراهيم الكرخيّ، عن الصّادق عليه السلام قال: علامات ولد الزنى ثلاث: سوء المحضر، والحنين إلى الزّنى، وبغضنا أهل البيت[١].

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهنّ إلاّ خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنى[٢].

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ يقول: معصية ﴿وَمَقْتًا﴾ فإنَّ الله يمقته ويبغضه، قال: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ هو أشدُّ النّاس عذاباً، والزنى من أكبر الكبائر[٣].

ولد الزِّنا لا يدخل الجنَّة

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يلج الجنَّة ولد الزِّنا، ولا ابن زانية إلى سبعة بطون.

وروي عنه أيضاً، أنَّه سئل عن ولد الزِّنا، قال: لا يلج الجنَّة، ولا إلى سبعة بطون[٤].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لمّا أُسري بي مررت بنسوان معلّقات بثديهنَّ فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء اللّواتي يورثن أموال أزواجهنَّ أولاد غيرهم[٥].

---

(١) أمالي الصدوق ص٢٠٤.

(٢) أمالي الصدوق ص٢٣٩.

(٣) تفسير القمي ص٣٨١.

(٤) لم نعثر عليهما في المصادر الإماميّة التي راجعناها، ولكن روى مثله البيهقي في سننه ١٠: ٥٨، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا يدخل الجنّة ولد زنية، وفي الفردوس ٥: ١٠٨/ ٧٦٢٥، عن أبي هريرة، عنه صلى الله عليه وآله قال: لا يدخل الجنَّة ولد زنى ولا ولد ولده ولا ولد ولد ولده.

(٥) البحار: ج٧٦، ص١٩، ح٦.

ثمَّ قال رسول الله ﷺ: أشدَّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم في نسبهم من ليس منهم، فاطّلع على عوراتهم، وأكل خزائنهم[١].

وعن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة يدخلهم الله النار بغير حساب: إمام جائر، وتاجر كذوب، وشيخ زان. (الخبر)[٢].

وعن الحسن بن زياد العطّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاثة في حرز الله عزَّ وجلَّ إلى أن يفرغ الله من الحساب: رجل لم يهمَّ بزنى قط، ورجل لم يشب ماله بربا قط، ورجل لم يسع فيهما قسط[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيُّ ﷺ: لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله تبارك وتعالى من رجل قتل نبيّاً أو إماماً أو هدم الكعبة الّتي جعلها الله عزَّ وجلَّ قبلة لعباده، أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً[٤].

وعن سليمان بن حفص البصريّ، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما عجّت الأرض إلى الله عزَّ وجلَّ كعجيجها من ثلاثة: من دم حرام يسفك عليها، أو اغتسال من زنا، أو النوم عليها قبل طلوع الشّمس[٥].

وعن ابن عميرة، عن الصادق عليه السلام قال: من شغف بمحبّة الحرام وشهوة الزّنى فهو شرك شيطان.

ثمَّ قال: إنَّ لولد الزّنى علامات:

أحدها: بغضنا أهل البيت.

وثانيها: أنّه يحنُّ إلى الحرام الّذي خلق منه، (الخبر)[٦].

---

(١) الخصال: ج١، ص٤٠.
(٢) الخصال: ج١، ص٥٠.
(٣) الخصال: ج١، ص٥٩.
(٤) الخصال: ج١، ص٦٩.
(٥) معاني الأخبار: ص٤٠٠.
(٦) الخصال ج١ ص١٠٢.

وعن علي بن حسان، عن عمّه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فشت أربعة ظهرت أربعة:

إذا فشا الزنى: ظهرت الزلازل.

وإذا أمسكت الزكاة: هلكت الماشية.

وإذا جار الحكّام في القضاء: أمسك القطر من السماء.

وإذا خُفرت الذمّة: نصر المشركون على المسلمين[١].

وعن شقيق، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: معشر المسلمين إيّاكم والزّنى فإنَّ فيه ستّ خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة:

فأمّا التي في الدنيا: فإنّه **يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر.**

وأمّا التي في الآخرة: فإنّه **يوجب سخط الرَّب، وسوء الحساب، والخلود في النّار.**

ثمَّ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «سوَّلت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون»[٢].

وفيما أوصى به النبيُّ صلى الله عليه وآله عليّاً: يا عليُّ في الزّنى ستّ خصال: ثلاث منها في الدُّنيا، وثلاث في الآخرة:

فأمّا الّتي في الدُّنيا: فيذهب بالبهاء، ويعجّل الفناء، ويقطع الرزق.

وأمّا الّتي في الآخرة: فسوء الحساب، وسخط الرحمن، والخلود في النّار[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: للزاني ستّ خصال ثلاث في الدُّنيا وثلاث في الآخرة:

---

(١) الخصال ج١ ص١١٥.
(٢) الخصال ج١ ص١٥٥.
(٣) الخصال ج١ ص١٥٥.

فأمّا التّي في الدُّنيا: فإنّه يذهب بنور الوجه، ويورث الفقر، ويعجّل الفناء.

وأمّا التي في الآخرة: فسخط الرّب جلَّ جلاله، وسوء الحساب والخلود في **النار**[١].

وعن سعيد بن علاقة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **الزّنى يورث الفقر**[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: وجدت في كتاب عليّ عليه السلام إذا ظهر الزنى من بعدي ظهرت موتة الفجأة[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذنوب التي تحبس الرزق الزنى[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام أن النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: أخبرني جبرئيل أنَّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام ما يجدها عاقٌ، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا يكلّمهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيّهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك جبّار، ومقلٌّ مختال[٦].

وعن ابن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: مدمن الزنى والسّرقة والشّرب كعابد وثن[٧].

وعن يحيى بن المغيرة، عن حفص قال: قال زيد بن عليّ: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أهبّ الله ريحاً منتنة يتأذّى بها أهل

---

(١) الخصال ج١ ص١٥٥.
(٢) الخصال ج٢ ص٩٤.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٧٤ وج٥ ص٥٤١ وأمالي الطوسي ج١ ص٢١٤. علل الشرايع ج٢ ص٢٧١، ثواب الأعمال ص٢٢٥. أمالي الصدوق ص١٨٥.
(٤) العلل ج٢ ص٢٧١، معاني الأخبار: ٩٦٢ الاختصاص ٢٣٨.
(٥) معاني الأخبار ص٢٠٠.
(٦) ثواب الأعمال ٢٠٠. وتفسير العياشي: ج١، ص١٧٩.
(٧) ثواب الأعمال ص٢١٨.

الجمع، حتّى إذا همّت أن تمسك بأنفاس الناس، ناداهم مناد: هل تدرون ما هذه الريح الّتي قد آذتكم؟

فيقولون: لا، فقد آذتنا، وبلغت منّا كلّ مبلغ.

قال: فيقال: هذه ريح فروج الزُّناة، الّذين لقوا الله بالزّنى، ثمَّ لم يتوبوا، فالعنوهم لعنهم الله، فلا يبقى في الموقف أحد إلاّ قال: اللهمَّ ألعن الزُّناة[١].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يكلّمهم الله عزَّ وجلّ ولا يزكيّهم ولهم عذاب أليم: منهم المرأة التي توطيء فراش زوجها[٢].

وعن صباح بن سبابة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقيل له: يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن؟

قال: لا، إذا كان على بطنها سلب الإيمان منه، فإذا أقام ردَّ عليه، قال: فإنّه إن أراد أن يعود؟

قال: ما أكثر من يهمُّ أن يعود ثمَّ لا يعود[٣].

وعن عبد الملك بن أعين قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا زنى الرجل أدخل الشيطان ذكره فعملا جميعاً، وكانت النطفة واحدة، وخلق منها الولد ويكون شرك شيطان[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: ألا أُخبركم بأكبر الزنى؟

قال: هي امرأة توطيء فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فتلزمه زوجها، فتلك التي لا يكلّمها الله، ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيّها ولها عذاب أليم[٥].

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٣٤.
(٢) ثواب الأعمال ص٢٣٥. والمحاسن: ص١٠٨.
(٣) ثواب الأعمال ص٢٣٤. والمحاسن: ص١٠٧.
(٤) ثواب الأعمال ص٢٣٥.
(٥) المصدر ص٢٣٥. والمحاسن: ص٢٣٥، وتفسير العياشي: ج١، ص١٧٨.

وعن عليٍّ بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ أشدَّ النّاس عذاباً يوم القيامة رجل أقرَّ نطفته في رحم تحرم عليه[١].

وعن ابن بكير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان، قال: قوله عزّ وجلَّ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٢] ذلك الذي يفارقه[٣].

وعن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال يعقوب لابنه: يا بنيَّ لا تزنِ! فلو أنَّ الطير زنى لتناثر ريشه[٤].

وعن السّمندي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أقام العالم الجدار أوحى الله إلى موسى أنّي مجازٍ الأبناء بسعي الآباء إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرٌّ، لا تزنوا فتزني نساؤكم ومَن وَطِيء فرش امرىءٍ مسلم وُطيء فراشه، كما تدين تدان[٥].

وفي رواية أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: لا تزنِ فيحجب عنك نور وجهي، وتغلق أبواب السماوات دون دعائك[٦].

عاقبة نظرة حرام

حدَّثنا أبو عمرو بن علوان قال: خرجت يوماً إلى سوق الرحبة في حاجة، فرأيت جنازة، فتبعتها لأُصلّي عليها، ووقفت في جملة النَّاس حتى يدفن الميت، فوقعت عيني على امرأة مسفرة عن غير تعمد، فلحححت بالنظر، واسترجعت واستغفرت الله، وعدت إلى منزلي، فقالت لي عجوز لي: يا سيِّدي ما لي أرى

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٣٥.
(٢) المجادلة: ٢٢.
(٣) ثواب الأعمال ص٢٣٥. والمحاسن: ص١٠٦.
(٤) المحاسن ص١٠٧.
(٥) المحاسن ص١٠٧.
(٦) المحاسن: ص١٠٧.

وجهك أسود؟ فأخذت المرآة، فإذا وجهي أسود، فرجعت إلى سِرِّي أنظر مِنْ أين ذهبت؟ فذكرت النظرة، فانفردت في موضع أستغفر الله، وأسأله الإقالة أربعين يوماً، فخطر في قلبي: أن زُرْ شيخك الجنيد، فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التي هو فيها، طرقت الباب فقال لي: ادخل يا أبا عمرو، تذنب بالرحبة، وتستغفر لك ببغداد![1].

موعظة للغافلين

إحذر العصيان:

يا نفسُ: فَدراكِ دَراكِ[2] قبل حلول الهلاك، وقبل هجوم ما لا يدفع، وذهاب ما لا يرجع، والاعتذار بما لا يُسمع.

يا نفسُ: ما أقبح التقصير وبعد التحذير، وما أحسن التشمير بعد التنذير، فعلى المشير الاجتهاد في الرأي والنُّصح، وليس عليه ضمان النّجح.

(البحر الخفيف)

كنت في سفرة الغواية والجهل ... دواماً فحان منك قدومٌ
فعسى إن رجعت عن كلّ حوب ... تمحُ بهذا الحديث ذاك القدي

يا نفسُ: إنَّك عن قريب في البَرزخ منبُوذة، وبكبائر ذنوبك وصغائرها مأخوذة، فكيف إذا بلغ كتابك المسطور الأجل، وحَرّر حسابك المحصُور وحَصَل، وقضى قضاؤك المقدور ونزل، وخاب رجاؤك المغرُور وبطل.

(البحر المنسرح)

فيا هنيئاً لخير ما كَسَبت يداه ... خيراً وَجَدَّ في أجْره
وقد تردَّى بحككَة وبقي ... سيَّان في عسره وفي يُسُره

---

(١) عيون الحكايات لابن القيم ص٢٢٢.
(٢) لفظ اسم لفعل الأمر أي أدرك.

وذَاؤُهُ الصَّوْم والصَّلاة معاً ... في يومه والهَجُود في سَحَره

مشتملاً بالظِّلال كم بدع ... أبدع في بدوه وفي حضره

مساعي البغي ينبغي أثراً ... وَحَدّه لا يزال في صغره

فذاك قصراه[1] في قيامته ... يقصره مريق على سرره

وإنَّ هذا بيوم مسغَبة ... مسعّر الجسم طلَّ في سعره

---

(١) القصرى: آخر الأمر (المنجد).

اللواط

تحريم اللواط وحده وبدء ظهوره:

قال سبحانه:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1].

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[2].

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾[3].

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾[4].

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾[5].

---

(١) الاعراف: ٧٩ ـ ٨٣.

(٢) هود: ٨٢.

(٣) الحجر: ٧٥.

(٤) الأنبياء: ٧٣ ـ ٧٥.

(٥) الشعراء: ١٦٥ ـ ١٧٤.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾[1].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ...﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٣٤ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾[2].

عن ابن أسباط، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء:

١ ـ لا يكون فيهم من يسأل بكفّه.

٢ ـ ولا يكون فيهم بخيل.

٣ ـ ولا يكون فيهم من يؤتى في دبره[3].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيّهم ولهم عذاب أليم:

١ ـ النّاتف شيبه.

٢ ـ والناكح نفسه.

٣ ـ والمنكوح في دبره[4].

في خبر الشّامي أنّه سأل أمير المؤمنين عن أوّل من عمل عمل قوم لوط.

فقال: إبليس، فإنّه أمكن من نفسه[5].

في علل ابن سنان، عن الرّضا عليه السلام علّة تحريم الذكران للذكران، والإناث

---

(١) النمل: ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) العنكبوت: ٢٨ ـ ٣٥.

(٣) الخصال ج١ ص٦٥.

(٤) الخصال ج١ ص٥٢.

(٥) علل الشرائع ج٢ ص٢٨٣.

للإناث لما ركّب في الإناث وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران الذكران والإناث الإناث من انقطاع النسل، وفساد التدبير وخراب الدُّنيا[١].

وعن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام أنّه رأى به تأنيثاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أخرج من مسجد رسول الله يا من لعنه رسول الله، ثمَّ قال عليّ عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لعن الله المتشبّهين من الرّجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال.

وفي حديث آخر: أخرجوهم من بيوتكم فإنّهم أقذر شيء[٢].

وعن عليّ عليه السلام قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في المسجد حتّى أتاه رجل به تأنيث فسلّم عليه فردَّ عليه، ثمَّ أكبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض يسترجع، ثمَّ قال: مثل هؤلاء في أُمّتي أنّه لا يكون مثل هؤلاء في أُمّه إلاّ عذِّبت قبل الساعة[٣].

أنَّ الدُّبُر المنكوح لا يجلس على أريكة الجنَّة واستبرقها

عن عامر بن خداعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حرَّم الله على كلِّ دُبُر مستنكح الجلوس على استبرق الجنَّة[٤].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يجد ريح الجنّة زنوق وهو المخنث[٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ألحَّ في وطي الرّجال لم يمت حتّى يدعو الرّجال إلى نفسه[٦].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ينبغي لأحد أن يرجم مرَّتين لرجم اللوطيُّ مرَّتين[٧].

---

(١) علل الشرائع ج٢ ص٢٣٤.

(٢) علل الشرائع ج٢ ص٢٨٩ وفي دعائم الإسلام ج٢ ص٤٥٣.

(٣) علل الشرائع ج٢ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٤) رواه الطبرسي في مكارم الأخلاق: ٢٣٨، والنوري في المستدرك ١٤: ٣٤٩.

(٥) معاني الأخبار ص٣٣٠.

(٦) ثواب الأعمال ص٢٣٨.

(٧) المحاسن ص١١٢.

وقال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اللواط ما دون الدّبر فهو لواط والدّبر هو الكفر[١].

وعن القدّاح، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي فقال له: يابن رسول الله إنّي ابتليت ببلاء فادع الله عزّ وجلّ.

قال: فقيل له: إنّه يؤتى في دبره.

فقال عليه السلام: ما أبلى الله أحداً بهذا البلاء وله فيه حاجة، ثمَّ قال أبي: قال الله عزّ وجلّ: و عزّتي وجلالي لا يعقد على استبرقها وحريرها من يؤتى في دبره[٢].

وعن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لله عباداً لا يعبأ بهم شيئاً، لهم أرحام كأرحام النساء.

فقيل: يا أمير المؤمنين أفلا يحبلون؟

قال: إنّها منكوسة[٣].

وعن ابن أسباط عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبتل شيعتنا بأربع:

١ ـ أن يسألوا النّاس في أكفّهم.

٢ ـ وأن يؤتوا في أنفسهم.

٣ ـ وأن يبتليهم بولاية سوء.

٤ ـ ولا يولد لهم أزرق أخضر[٤].

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله المتشبّهين من الرّجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال، وهم المخنّثون، واللاّتي

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٣٨.

(٢) ثواب الأعمال ص٢٣٨.

(٣) ثواب الأعمال ص٢٣٨. والمحاسن: ص١١٣.

(٤) ثواب الأعمال ص٢٣٨. والمحاسن: ص١١٣.

ينكحن بعضهن بعضاً، وإنّما أهلك الله قوم لوط حين عمل النساء مثل عمل الرّجال: يأتي بعضهنّ بعضاً[١].

وعن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أمكن أحد من نفسه طائعاً يلعب به إلاّ ألقى الله عليه شهوة النساء[٢].

وعن ميمون اللّبّان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقرىء عنده آيات من هود، فلمّا بلغ: ﴿...وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

فقال عليه السلام: من مات مصرّاً على اللّواط فلم يتب يرميه الله بحجر من تلك الحجارة يكون فيه منيّته ولا يراه أحد[٣].

وعن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لمّا عمل قوم لوط ما عملوا، بكت الأرض إلى ربّها حتّى بلغ دموعها إلى السماء، وبكت السماء حتّى بلغ دموعها العرش، فأوحى الله إلى السماء: أن أحصبيهم! وأوحى إلى الأرض: أن اخسفي بهم[٤].

وعن الصّادق عليه السلام قال: حرَّم الله على كلّ دبر مستنكح الجلوس على استبرق الجنّة[٥].

وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: من قبّل غلاماً من شهوة ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار[٦].

وعن الصّادق عليه السلام قال: إنَّ الله تعالى جعل شهوة المؤمن في صلبه، وجعل شهوة الكافر في دبره[٧].

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٣٨. والمحاسن: ص١١٣.
(٢) ثواب الأعمال ص٢٣٨ و٢٣٩.
(٣) تفسير العياشي ج٢ ص١٥٨.
(٤) تفسير العياشي ج٢ ص١٥٩.
(٥) مكارم الأخلاق: ص٢٧٣ و٢٧٤.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

روي أنَّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! خذْ حدَّ الله في جنبي.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ماذا صنعت؟

فقال: لطت بغلام.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لم توقب؟

قال: بل أوقبت يا أمير المؤمنين.

فقال له: اختر من إحدى ثلاث: ضرباً بالسيف أخذ منك ما أخذ، أم هدم جدار عليك، أو حرقاً بالنار.

فقال الرجال: يا أمير المؤمنين وأيّها أشدُّ تمحيصاً لذنوبي؟

فقال عليٌّ عليه السلام: الحرق بالنار.

فقال: إنّي قد اخترته.

فقال: يا قنبر أضرم ناراً، فأضرم له النار.

فقال: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أُصلّي ركعتين وأُحسن؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صلِّ.

قال: فتوضّأ الرجل وأسبغ ثمَّ صلّى ركعتين وأحسن، فلمّا فرغ من صلاته سجد سجدة الشكر، وجعل يبكي في سجوده ويدعو ويقول:

«اللّهمَّ إنّي ابن عبدك، ابن أمتك، مذنب خاطىء، ارتكبت في ذنبي كيت وكيت، وقد أتيت حجّتك في أرضك، وخليفتك في بلادك، وكشفت له عن ذنبي، فعرَّفني أنَّ تمحيص ذلك في إحدى ثلاث خصال: ضرباً بالسيف، أو هدم جدار، أو حرقاً بالنار، اللّهمَّ وقد سألته عن أشدّها تمحيصاً لذنبي فعرّفني أنّه الحرق بالنار، اللّهم وإنّي قد اخترته، فصلِّ على محمّد وآل محمّد، فاجعله تمحيصاً لي في النار.

قال: فبكى أمير المؤمنين عليه السلام ثمَّ التفت إلى أصحابه فقال: مَن أحبّ أن

ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا، ثم قال له: قم! يا هذا الرجل، فقد غفر الله لك ذنبك، ودرأ عنك الحدَّ.

فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين فحدُّ الله من جنبه لا تقيمه؟.

قال: الحدُّ الذي عليه هو للإمام، فإن شاء أقامه، وإن شاء وهبه[1].

مَن أتى بهيمة

عن الحسين بن المختار بإسناده يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: ملعون ملعون مَن كمّه أعمى، ملعون ملعون مَن عبد الدينار والدرهم، ملعون ملعون مَن نكح بهيمة[2].

وفيما أوصى به النبي ﷺ عليّاً عليه السلام: يا عليُّ كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: **القتات، والساحر، والدّيوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والسّاعي في الفتنة، وبايع السلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحجّ**[3].

تنبيه للغافلين

يوم الطامة:

يا نفسُ: يومئذٍ تبرز المخبّآت، وتبدأ المكنزات، وتظهر الفضائح، وتكثر الحوائج، وتشهد الجوارح وتنشر الضّرائح، وتعدّد القبائح، فيا خجل المقصّرين في التوبيخ في محلّ القيامة، ويا حيرة أهل التفريط من زلاّت يوم الطّامّة، ويا سوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة، ويا حسرة الهالكين إذا عاينوا أهل السّلامة، ويا

(١) البحار، ج٧٦، ص٧٣ ـ ٧٤، ح٢٩.
(٢) الخصال ج١ ص٦٤.
(٣) الخصال ج٢ ص٦١ و٦٢، وفيه القتال بدل القتات وهو سهو، والقتات: النمّام..

هوان المتكبِّرين إذا حَرِمُوا دار الكرامة، يوم تنشقُّ السَّماءُ بالغمام، ونزَّل الملائكة فياماً بعد فيام[١]، وقيّد الجبابرة بخطم الإرغام، وجثى الظَّالمون بين يدي حاكم الحُكَّام، وعُرف المجرمون بسيماهم فأخذوا بالنَّواصي والإقدام، وجيء بجهنَّم مزمومة بسبعين ألف زمام، مردُومةً[٢] بالغَضَب والانتقام، وقضى بدار البوار لمن حَرِم دار السَّلام، أفَتُنْسى مثل هذه الأحوال يا أُولي الأفهام، أو ينام قرير العين من طالبه لا ينام، أو يطمعُ في البقاء من ينقصُ عمره في كلّ آن من الأيَّام والساعات والأعوام، صدق عليه السلام: «النَّاس نيام».

(البحر الخفيف)

يـا أيُّـهـا الـرَّاقِـد كـم ذا الـمـنـام ... عَـلامَ ذَا الـغـفْـلَـةِ جَـهْـلاً عَـلامْ

عَـلام تـفـنِـي الـعُـمـر لا تـرْعـوي ... سـكـرت مـا هـذا بـغـيـر الـمـدامْ

فـي طَـمَـعِ الـدُّنْـيـا ولَـذَّاتـهـا ... وجـمـع مـا تـتـركُـه مـن حُـطـامْ

حـلَّ بـكَ الـشَّـيـب أمَـا تـسـتـحـي ... مـا آن إقـلاعـك عـن ذا الـمـرامْ

تـمـارىء الـشُّـبَّـانِ فـي جـهـلِـهِـمْ ... ذو شـيـبـة يـفـعـل فِـعْـل الـغـلامْ

كـأنَّ بـالـصِّـحَّـة قـد حـوَّلـت ... وألـبَسَ الـمِـسْـكـيـنَ ثـوب الـسّـقـامْ

طَـافَ بـهِ الأهـل ولا حـيـلـة ... حـتَّـى سـقـاهُ الـموْت كَـأس الـحِـمـامْ

فـيَـا هَـنـيـئـاً لامـريءٍ قـدَّمـت ... يـداهُ خـيـراً بَـعـده لاَ يـضـامْ

ويَـا حَـيـا الـمُـذْنـبُ مـن زلَّـة ... مُـوبـقـة تـفـضـحُ بـيْـن الأنـامْ

يا نفسُ: ما أعظم المُصيبَة على من فقد قلباً واعياً، وما أسرع العُقوبَة على من عدم طرفاً باكياً.

حد النباش

عن عليٍّ بن إبراهيم، عن أبيه قال: حضر عبد الله بن موسى مجلس أبي جعفر الثّاني عليه السلام فسأل رجل عبد الله بن موسى، ما تقول في رجل أتى بهيمة؟

---

(١) في الخبر من أُمَّتي من يشفع في الفئام وهو بالكسر والهمزة الجماعة الكثيرة من النَّاس لا واحد له من لفظه.

(٢) رُدِم الشيء لفق بعضه ببعضٍ.

فقال: تقطع يمينه، ويضرب الحدُّ.

فغضب أبو جعفر عليه السلام ثمَّ نظر إليه فقال: يا عمَّ اتّق الله!

فقال له عمّه: يا سيّدي أليس هذا قال أبوك صلوات الله عليه؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها: فقال أبي: تقطع يمينه للنبش، ويضرب حدّ الزنى فإنَّ حرمة الميتة كحرمة الحيّة فقال: صدقت يا سيّدي[١].

إيَّاكم وتأخير التوبة:

يا نفسُ: ألا تستحيين من التوبيخ والتعنيف، على طول التسويف، يدْعوكِ إلى التسويف اليوم هُو مَعَك غداً، وإنَّما تزدادين بطول المدَّة ردىٰ، وكلَّما فعلت حوبة، وعَدْتِ نفسك التوبة، وتقولين: إن شبْت تبت، أو عمَّرت أنبت، ويرى جهلك أنَّ الإمعان، يستبعد الموت مع الشُّبَّان، وهذا جهل منك أيُّها القرونة [القرونة النَّفس]، والأمر بالعكس يا مسكينة، لأنَّ الموت في الشُّبَّان أكثر، وفي الشُّيوخ أنزر، ولو عددت مشايخ بلدتك، ومشيب قريتك، لكان المشايخ أقلّ من عشرة رجال، وتجدين الشُّبَّان والأطفال، أكثر منهم على كلِّ حال، فإلى أن يموت شيخ يموت الألف من الأطفال والشُّبَّان والغلمان والصّبيان، على أنَّ الموت ليسَ لَهُ وقت مخصوص، ولا أنَّ عليه منصوصاً بعيداً وقريباً في شبَّان أو شيْب، وفي شتاءٍ أو مصيف أو ربيع أو خريف، فإذاً جهلك بموتك وحبّ الدُّنيا دَعَياكِ إلى طُول الأمل واتّباع الهوى، فعلامَ لنفسك فتنت وتربَّصت وارتبت، حتَّى جاءَ يوْم النُّشُور، وغرَّكِ بالله الغَرورِ.

---

(١) الاختصاص: ١٠٢.

القذف والبذاء والفحش

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ﴾[١].

حدّ القذف

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾[٢].

يُستفاد من الآيتين الكريمتين ما يلي:

١ ـ إنَّ قذف الغير بالزنى أمر محرَّم إلاَّ في مقام الشهادة مع فرض وجود أربعة شهود فإنَّه جائز.

ومورد الآية الكريمة وإن كان خاصًّا برمي المحصنة إلاَّ أنَّه يتعدَّى إلى رمي المحصن إمَّا بتنقيح المناط أو بضم عدم القول بالفصل. وبقطع النظر عن ذلك تكفينا صحيحة أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: «امرأة قذفت رجلاً قال: تجلد ثمانين جلدة»[٣] وغيرها.

٢ ـ إنَّ حرمة القذف تختص بحالة إحصان المقذوف، بمعنى كونه عفيفاً،

---

(١) النور: الآيات ١١ ـ ٢٦.

(٢) النور: ٤ ـ ٥، وقد ذكرنا الآية الأولى منهما برقم ١٨١ في تسلسل آيات الأحكام.

(٣) وسائل الشيعة ١٨: ٤٣٢، الباب ٢ من أبواب حدِّ القذف، الحديث ١.

فالمعروف بالزنى لا حرمة له، فإنَّ قيد «المحصنات» يراد به العفيفات لا المتزوجات لعدم احتمال مدخلية الزواج في ذلك.

٣ ـ إنَّ حدَّ القذف في حالة عدم وجود شهود أربعة ثمانون جلدة.

٤ ـ إنَّ القذف مع عدم وجود شهود أربعة يترتَّب عليه ما يلي:

أ ـ الحدُّ ثمانين جلدة.

ب ـ عدم قبول شهادة القاذف.

ج ـ زوال وصف العدالة عن القاذف والحكم بفسقه إلى أن يتوب، فإذا تاب عادت إليه العدالة وزال عنه وصف الفسق.

د ـ إنَّ التوبة لا تنفع في قبول الشهادة وزوال وصف الفسق إلاَّ إذا اقترنت بالإصلاح، بأن يوضّح القاذف للناس أنَّ ما صدر منِّي من القذف كان غير صحيح وأنَّ المقذوف بريء من ذلك، وقد جاء في حديث يونس عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام: «سألته عن الذي يقذف المحصنات تقبل شهادته بعد الحد إذا تاب؟ قال: نعم. قلت: وما توبته؟ قال: يجيء فيكذب نفسه عند الإمام ويقول: قد افتريت على فلانة ويتوب ممَّا قال»[1].

ومن خلال هذا يتَّضح مطلبان:

الأول: أنَّ التوبة وحدها لا تجدي دائماً، بل لا بدَّ وأن ينضمّ إليها الإصلاح أحياناً، فمن زنىٰ أو لاط ـ والعياذ بالله ـ كفته التوبة الصادقة بينه وبين الله سبحانه ولا حاجة له إلى أكثر من ذلك، أمَّا من ترك الصلاة أو الصوم أو قذف الآخرين فيحتاج إلى الإصلاح أيضاً، والإصلاح في ترك الصلاة يتحقَّق بقضاء ما فات، وفي ترك الصوم بالقضاء والكفَّارة، وفي القذف بما تقدَّم.

الثاني: يمكن أن نستفيد من الآية الكريمة ـ بعد إلغاء خصوصية المورد ـ أنَّ كلّ من نال من سمعة الآخرين وشخصيَّتهم فعليه الإصلاح بعد التوبة، وذلك بترميم ما تصدَّع من السمعة والشخصية.

(١) وسائل الشيعة ١٨: ٢٨٣، الباب ٣٦ من أبواب الشهادات، الحديث ٤.

الفحش والسب والقذف

الفحش هو: التعبير عمَّا يقبح التصريح به، كألفاظ الوقاع، وآلاته ممَّا يتلفظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء، ويعبِّرون عنها بالكناية والرمز كاللمس والمس، كناية عن الجماع.

وهكذا يكنِّي الأدباء عن ألفاظ ومفاهيم يتفادون التصريح بها لياقة وأدباً، كالكناية عن الزوجة بالعائلة وأم الأولاد، وعن التبول والتغوط بقضاء الحاجة، والرمز إلى البرص والقرع بالعارض مثلاً، إذ التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مُسْتَهْجَن عند العقلاء والعارفين.

وأمَّا السب فهو: الشتم، نحو: «يا كلب، يا خنزير، يا حمار، يا خائن، وأمثاله من مصاديق الإهانة والتحقير.

وأمَّا القذف: نحو: يا منكوح، أو يابن الزانية، أو يا زوج الزانية، أو يا أُخت الزانية.

وهذه الخصال الثلاث من أبشع مساوىء اللِّسان، وغوائله الخطيرة، التي استنكرها الشرع والعقل، وحذَّرت منها الآثار والنصوص.

أمَّا الفحش: فقد قال رسول الله ﷺ في ذمِّه: «إنَّ الله حرَّم الجنَّة على كل فحَّاش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنَّك إن فتشته لم تجده إلاَّ لغية، أو شرك شيطان، فقيل: يا رسول الله وفي النّاس شرك شيطان؟!

فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1][2].

والمراد بمشاركة الشيطان للناس في الأموال دفعهم على كسبها بالوسائل المحرمة، وإنفاقها في مجالات الغواية والآثام.

---

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) الوافي: ج٣، ص١٦٠ عن الكافي.

وأمَّا مشاركته في الأولاد: فبمشاركته الآباء في حال الوقاع إذا لم يسموا الله تعالى عنده، وولد غية أي ولد زنا.

بواعث البذاء:

من الواضح أنَّ تلك المهاترات والقوارص، تنشأ غالباً عن العداء، أو الحسد، أو الغضب، وسوء الخُلق، وكثيراً ما تنشأ عن فساد التربية، وسوء الأدب، باعتياد البذاء وعدم التحرج من آثامه ومساوئه.

مساوىء المهاترات:

لا ريب أنَّ لتلك المهاترات من الفحش، والسب، والقذف، أضراراً خطيرة وآثاماً فادحة:

فمن مساوئها: أنَّها تجرّد الإنسان من خصائص الإنسانية المهذَّبة، وأخلاقها الكريمة، وتسمه بالسفالة والوحشية.

ومنها: أنَّها داعية العداء والبغضاء، وإفساد العلاقات الاجتماعية، وإيجابها المقت والمجافاة من أفراد المجتمع.

ومنها: أنَّها تعرض ذويها لسخط الله تعالى وعقابه الأليم، كما صورته النصوص السالفة.

لذلك جاء التحريض على رعاية اللِّسان، وصونه عن قوارص البذاء.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللِّسان سبع إنْ خُلي عنه عقر».

وعن أبي هريرة قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: إيّاكم والفحش فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يحبُّ الفاحش المتفحشّ[1].

وعن موسى المروزيّ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) الخصال ج١ ص٨٣.

أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب، كما ينبت الماء الشجر: استماع اللّهو، والبذاء، وإتيان باب السّلطان، وطلب الصيد[١].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله يحبُّ الحييَّ المتعفّف، ويبغض البذيِّ السائل الملحف[٢].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ما كان الفحش في شيء قطُّ إلاّ شانه، ولا كان الحياء في شيء قطُّ إلا زانه[٣].

وفي خطبة فاطمة عليها السلام: فرض الله اجتناب قذف المحصنات حجباً عن اللّعنة[٤].

وفي علل محمّد بن سنان، عن الرضا عليه السلام: حرَّم الله قذف المحصنات لما فيه من إفساد الأنساب ونفي الولد، وإبطال المواريث، وترك التربية، وذهاب المعارف، وما فيه من المساوي والعلل الّتي تؤدَّي إلى فساد الخلق[٥].

وعن محمّد الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيّهم ولهم عذاب أليم: الديّوث من الرجال، والفاحش المتفحّش، والّذي يسأل الناس وفي يده ظهر غنى[٦].

وعن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله حرَّم الجنّة على كلِّ فاحش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلاّ لغيّة[٧] أو شرك شيطان.

قيل: يا رسول الله ﷺ وفي الناس شرك شيطان؟

---

(١) الخصال ج١ ص١٠٨.
(٢) أمالي الطوسي ج١ ص٧٣.
(٣) امالي الطوسي ج١ ص١٩٣، وترى مثله في مجالس المفيد.
(٤) علل الشرايع ج١ ص٢٣٦.
(٥) علل الشرايع ج٢ ص١٦٥.عيون الأخبار ج٢ ص٩٢.
(٦) تفسير العياشي ج١ ص١٧٨، في آية آل عمران ص٧٧.
(٧) أي زنية، يقال: ولد فلان لغية: نقيض لرشدة، وأصله غوى.

قال: أو ما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾[١].

وعن الحذّاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة والبذاء من الجفا والجفا في النار[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله إلى أن قال: ـ وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[٣].

قذف المحصنات:

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾[٥].

المجالس التي لا ينبغي المشاركة فيها:

قلنا إنَّ الصديق والصاحب يمكن أن يؤثر كثيراً في الحالة الروحية للإنسان وعلى هذا يجب الدقة في اختيار الجليس والمجالس والمحافل، وعلى ضوء الآيات والروايات، تجتنب المجالس التالية:

مجلس الذين يبحثون في الآيات والروايات للعثور على نقاط ضعف.

مجلس أهل الباطل الذين يريدون إضلال النَّاس عن الصراط المستقيم.

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٢٩٩.
(٢) البحار: ج٧٦ ص١١٢، ح١٢.
(٣) كتاب الهداية ص٧٧.
(٤) النور: ٢٣ ـ ٢٤.
(٥) النور: ٤.

مجلس الذين يشتمون أولياء الله، أي الأنبياء والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين.

مجلس أهل البدعة في الدِّين، إلاَّ إذا كان للنهي عن المنكر والاحتجاج لإعادتهم.

مجلس الأشخاص الذين لا يعينون أصدقاءهم وأصحابهم مع تمكنهم ذلك.

مجلس الحمقى، أي الذين تعجز إدراكاتهم عن فهم الحقائق والمعارف.

مجلس اللاأباليين الذين لا يختلف القبيح والحسن في نظرهم.

مجلس الفاسقين الذين لا يخشون من ارتكاب الذنب وخاصَّة قاطعي الرحم.

مجلس أهل الأُلسن السيئة والمنافقين.

مجلس الكذَّابين والأشخاص الجبناء.

مجلس الذين لا يوفون بعهدهم.

مجلس الدَّناة والأشخاص المنحطين.

مجلس شرب الخمر.

قال الشاعر:

(البحر الخفيف)

اخفِض الصوتَ إن نطقتَ بليلٍ والتفت بالنَّهارِ قبلَ الكلامِ

وقال آخر:

(البحر الكامل)

الحلمُ زينٌ والسكوتُ سلامةٌ فإذا نطقتَ فلا تكنْ مهذارا

ما إن ندمت على سكوتٍ مرَّةً ولقد ندمتَ على الكلام مِراراً

وقال آخر:

(البحر الطويل)

تكلَّم وسدِّدْ ما استطعتَ وإنَّما كلامُك حيٌّ والسكوتُ جمادُ

فإن لم تَجِد قَولاً سَديداً تقولهُ فصمتُك عن غير السديد سدادُ

وقال آخر:

(البحر المتقارب)

تُعتِّب نفسُك من لا يعابُ وفي جنبك العيبُ لا تنكرهْ
وتبصرُ في العين منِّي القذا وفي عينك الجذعُ لا تبصرهْ
وتعذرُ نفسَك من غير عذرٍ وغيرُك بالعذرِ لا تعذرهْ
فما أنصفَ المرء من نفسهِ إذا كان يأتي الذي ينكرهْ

حفظ اللسان

كان ابن المقفع رجلاً ذكياً ذا شأن عظيم في عصره، وكان يمتاز عن غيره بقوَّة عقله وحدَّة ذكائه. وقد نجح في بداية شبابه في تلقي العلوم وترجمة بعض الكتب العلمية إلى اللغة العربية لفطنته وكفاءته الفطرية، إلاَّ أنَّ تفوَّقه العقلي والفكري جعل منه إنساناً مغروراً وترك في سلوكه وأخلاقه آثاراً سيئة، ممَّا جعله يواجه مشاكل جمَّة في علاقاته الاجتماعية.

وكان ابن المقفع يستهزىء بالنَّاس ويحقِّرهم بكلمات وألفاظ بذيئة ليثير في نفوسهم روح الحقد والعداء.

وكان سفيان بن معاوية الذي نصبَّه المنصور الدوانيقي والياً على البصرة من جملة الأشخاص الذين لم يأمنوا لسان ابن المقفع، إذ كان هذا الأخير يستهزىء بسفيان بن معاوية أمام النَّاس.

وكان سفيان بن معاوية ذا أنف كبير قبيح الشكل، وكلَّمادخل عليه ابن المقفع في دار الولاية قال بأعلى صوته أمام الملأ: السَّلام عليكما، ويعني به السَّلام عليك وعلى أنفك الكبير، وذات يوم ردَّ عليه سفيان بالقول: إنَّني لست نادماً على التزامي الصمت حيالك، فقال له ابن المقفع: إنَّ من خصلته التلعثم في الكلام يجب أن لا يندم أبداً على التزام الصمت.

وأحياناً كان ابن المقفع يعيِّر سفيان بن معاوية بأُمِّه، حيث كان يناديه بأعلى

الصوت وأمام الجميع: «يابن المغتلمة» أي يابن المنقادة للشهوة. وذات يوم أراد ابن المقفع أن يظهر جهل وسذاجة سفيان، فسأله في محفل عام عن رجل يموت ويخلف زوجة وزوجاً، كيف يتم تقسيم الميراث بينهما؟

أثار ابن المقفع ذلك الرجل الذكي الفطن بكلامه المهين النابع من غروره وتكبّره، حقد سفيان عليه وعداءه له، وبات سفيان يتحيَّن الفرص للانتقام من ابن المقفع شرّ انتقام.

وصادف أن ادَّعى عبد الله بن علي الخلافة على ابن أخيه المنصور الدوانيقي، وخرج لقتاله. فطلب الخليفة المنصور من أبي مسلم الخراساني الخروج إلى البصرة بجيش جرَّار لقتال عمِّه، وأخيراً انتصر جيش أبي مسلم على جيش عبد الله بن علي الذي لجأ إلى أخويه سليمان وعيسى متخفياً عندهما. وبعد فترة توجَّه الأخوان إلى المنصور وطلبا منه الصفح عن أخيهما عبد الله، فقبل المنصور شفاعتهما، وقرر أن يكتبا عهد أمان ليوقّعه المنصور الدوانيقي.

وبعد عودتهما إلى البصرة أوكلا إلى ابن المقفع الذي كان يعمل حينها كاتباً لدى عيسى، كتابة عهد الأمان، وطلبا منه أن يكون الكتاب من القوَّة بمكان بحيث يسلب الدوانيقي كل قدرة على إلحاق الأذى بأخيهما عبد الله فكتب ابن المقفع عهد الأمان وغالى في تنظيمه، حيث ذكر فيه أنَّ المنصور الدوانيقي إذا ما مكر بعمِّه عبد الله بن علي وألحق به الأذى فإنَّ أمواله ستوزع على الرعية وسيعتق عبيده وجواريه ويصبح المسلمون في حلٍّ من بيعته.

وعندما دخلا على المنصور وهما يحملان كتاب الأمان ليوقّعه، ثارت ثائرته فسأل عن الكاتب، فقيل له إنَّه ابن المقفع، فأمر المنصور بعد أن امتنع عن التوقيع، أمر والي البصرة سرّاً بقتل ابن المقفع.

ولمَّا كان سفيان والي البصرة يحمل ما يحمل في جوفه من عداءٍ لابن المقفع الذي طالما مسَّ كرامته وجرح شعوره، ويتحيَّن الفرصة للانتقام، جاءت أوامر الخليفة المنصور بقتل ابن المقفع لتثلج صدر سفيان الذي استغلَّ هذه الفرصة المناسبة للانتقام من غريمه.

فأمر سفيان بحبس ابن المقفع في حجرة، فدخل عليه وقال له: أتذكر ما قلته في شأني وشأن أُمِّي؟ والله إنَّ أُمِّي لمغتلمة إنْ لم أقتلك قتلة لم تر الرعية مثلها من قبل، فأمر سفيان بإشعال التنور، وجيء بابن المقفع وكان حينها في السادسة والثلاثين من العمر، فأخذ يقتطع من جسمه قطعة قطعة ويرميها أمام ناظريه داخل التنور، وما زال كذلك حتى قضى بهذه الطريقة المفجعة[١].

تنبيه للغافلين

شدائد يوم القيامة:

يا نفسُ: إنَّ الجنازة عبرة للبصير، وفيها تنبيهٌ وتذكير، وأهل الغفلة لا تزيدهم مشاهدتها إلاَّ قسوة، ولا تولّيهم مُبَاشرتها إلاَّ صبوة، ومنهم من يضمر التوبة، وترك الحوبة، ومنهم من يغشى من الجزع عليه، وقد خضب مِنَ الدُّمُوع خدّيه، عجبت لمن يبكي على فقد غيره دموعاً، ولا يبكي على نفسه ولوعقل لبكى على نفسِهِ، وما فرَّط في يومه وأمسه.

ولله درّ من قال:

(البحر الطويل)

ويبكي على الموتى ويترك نفسه وتزعم أن قد قلَّ عنهم عزاؤه
فلو كان ذا رأي وعقل وفطنة لكان عليه لا عليهم بكاؤه

يا نفسُ: جاء في الحديث: أزْهَدُ النَّاس من لم يسنى القبر والبلى، وترك فضل زينة الدُّنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعدّ من أيّامه غداً[٢].

يا نفسُ: من أكثر من ذكر قبره وعمل له، وجده رَوضة من رياض النَّعيم، ومن غفل عن ذلك وجده حُفرة من حفر الجحيم.

(١) الشاب بين العقل والعاطفة: ج٢ (لمحمد تقي فلسفي).

(٢) تنبيه الخواطر: ج٢، ص٥٧.

يا نفسُ: تعجَّب الأرض لرجُل يمهد مضجعه للمنام، ولا يمهِّده بالعمل الصالح لطول يوم القيام.

يا نفسُ: ما من أحد من العباد، إلاَّ ويناديه قبرهُ: أنَا بيت الوحدة والانفراد، فإن كنتِ ذا ثواب كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت ذا عقاب فأنا عليك اليَوْم نقمة، أنا الَّذي من دخلني طائعاً خرج منه مَسْروراً، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً، ثمَّ يناديه الموتى من جيرانِهِ: أيُّها الوارد علينا بعد موت إخوانه، اما كان لك فينا عبرةٌ، أما كان في تقدُّمنا إيَّاك فكرة.

(البحر الطويل)

ستندم عند الموت كُلّ ندامة إذا ضمَّ أعضاكَ الثرى المتضايق
فصرت طريحاً في ضريحك مفرداً ويهجرك الجار القريب الملاصِق
فذنبك إن أبغضته فمعانق ومالك إن أحببته فمفارق
وإنَّك مأخوذ بما قد جنيته وإنَّك مطلوب بما أنت سارقُ

يا نفس: تفكَّري كيف تساق الخلق من القبورُ، يوْم البعث والنشور، إلى موقف السَّاهرة حُفاة، وإلى أرض المحشر عراة، يسُوقهم الله بالنَّفخة الأُولى وهي الرَّاجفة، ثمَّ تتبعها بعد أربعين سنة بالنَّفخة الثانية وهي الرَّادفة، وحَقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذٍ واجفة.

حرمة شرب الخمر

قال سبحانه:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[١].

﴿...إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿...مُّنتَهُونَ﴾[٢].

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[٣].

عن السكونيّ عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهنَّ إلاّ خرّب، ولم يعمر بالبركة: **الخيانة**، و**السرقة**، و**شرب الخمر**، و**الزنى**[٤].

وعن أبي هاشم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربعة لا يدخلون الجنّة: **الكاهن**، و**المنافق**، و**مدمن الخمر**، و**القتّات**: وهو **النمام**[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: من شربها لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً وإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقّاً على الله أن يسقيه من طينة خبال، وهو صديد أهل النار، وما

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) النحل: ٦٧.

(٤) أمالي الصدوق ص٢٣٩.

(٥) أمالي الصدوق ص٢٤٤.

يخرج من فروج الزُّناة، فيجتمع ذلك في قدور جهنّم، فيشربها أهل النار، فيصهر به ما في بطونهم والجلود[١].

وعن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شارب الخمر لا تصدِّقوه إذا حدَّث، ولا تزوِّجوه إذا خطب، ولا تعودوه إذا مرض، ولا تحضروه إذا مات، ولا تأتمنوه على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فاستهلكها فليس له على الله أن يخلف عليه، ولا أن يأجره عليها، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[٢] وأيُّ سفيه أسفه من شارب الخمر[٣].

وعن ابن زياد، عن الصادق عليه السلام قال: لا يدخل الجنّة العاقُّ لوالديه، والمدمن الخمر والمنّان بالفعال للخير إذا عمله[٤].

وعن عليّ، عن أخيه عليه السلام قال: سألته عن شارب الخمر ما حاله إذا سكر منه؟

قال: من سكر من الخمر ثمَّ مات بعده بأربعين يوماً، لقي الله عزَّ وجلَّ كعابد وثن[٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تشربوا على مائدة تشرب عليها الخمر، فإنَّ العبد لا يدري متى يؤخذ[٦].

وقال عليه السلام: من شرب الخمر وهو يعلم أنّها حرام، سقاه الله من طينة خبال وإن كان مغفوراً[٧].

وقال عليه السلام: مدمن الخمر يلقى الله عزَّ وجلَّ حين يلقاه كعابد وثن[٨].

---

(١) أمالي الصدوق ص٢٥٥.
(٢) النساء: ٥.
(٣) تفسير القمي ص١١٩.
(٤) قرب الأسناد ص٥٥.
(٥) قرب الأسناد ص ١٥٥.
(٦) الخصال ج٢ ص١٦٠ س١٥.
(٧) الخصال ج٢ ص١٦١ س١١.
(٨) الخصال: ج٢، ص١٦٧.

وعن ابن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الفتن ثلاث: حبُّ النساء: (وهو سيف الشيطان)، وشرب الخمر: (وهو فخُّ الشيطان)، وحبُّ الدينار والدرهم: (وهو سهم الشيطان)، فمن أحبَّ النساء لم ينتفع بعيشه، ومن أحبَّ الأشربة حرمت عليه الجنّة، ومن أحبَّ الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا[١].

وعن محمّد بن سنان، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: السفّاك للدم، وشارب الخمر، ومشّاء بنميمة[٢].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: **عاقٌّ**، و**منّان**، و**مكذِّب بالقدر**، و**مدمن خمر**[٣].

وعن أبي موسى الأشعريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: **مُدمن الخمر**، و**مدمن سحر**، و**قاطع رحم**، ومن مات مدمن خمر سقاه الله عزَّ وجلَّ من نهر الغوطة.

قيل: وما نهر الغوطة؟

قال: نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريحهنَّ[٤].

وعن السكونيّ، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: ستّة لا يسلّم عليهم: **اليهوديّ، والمجوسيّ والنصرانيّ والرجل على غائطه، وعلى موائد الخمر، وعلى الشاعر الّذي يقذف المحصنات، وعلى المتفكّهين بسبّ الأُمّهات**[٥].

عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لمّا خلق الجنّة خلقها من لبنتين: لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصاها اللؤلؤ، وترابها الزعفران، والمسك

---

(١) الخصال ج١ ص٥٦.
(٢) الخصال ج١ ص٨٥.
(٣) الخصال ج١ ص٩٤.
(٤) الخصال ج١ ص٨٥. ومعاني الأخبار: ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.
(٥) الخصال ج١ ص١٥٨.

الأذفر، فقال لها: تكلّمي! فالت: لا إلّه إلاّ الله، أنت الحيُّ القيوم، قد سعد من يدخلني.

فقال عزَّ وجلَّ: بعزَّتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي، لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكيّر ولا قتّات وهو النمام ولا ديّوث وهو القلطبان، ولا فلاّع وهو الشرطيّ، ولا زنّوق وهو الخنثى، ولا جياف وهو النبّاش، ولا عشّار، ولا قاطع رحم، ولا قدريّ[١].

وعن المفضّل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم حرَّم الله الخمر؟

قال: حرَّم الله الخمر لفعلها وفسادها، لأنَّ مدمن الخمر تورثه الارتعاش، وتذهب بنوره، وتهدم مروَّته، وتحمله على أن يجترىء على ارتكاب المحارم، وسفك الدماء، وركوب الزنى، ولا يؤمن إذا سكر أن يثب على حرمه، وهو لا يعقل ذلك، ولا يزيد شاربها إلاّ كلَّ شرّ[٢].

وعن أبي بكر الحضرميّ، عن أحدهما عليه السلام قال: الغناء عشُّ النفاق، والشرب مفتاح كلِّ شرّ، ومدمن الخمر كعابد وثن، مكذِّب بكتاب الله، لو صدَّق كتاب الله لحرَّم حرام الله[٣].

وعن إسماعيل بن بشّار قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن شرب الخمر أشرّ أم ترك الصلاة؟

فقال: شرب الخمر أشرُّ من ترك الصّلاة، وتدري لم ذلك؟

قال: لا.

قال: يصير في حال لا يعرف الله عزَّ وجلَّ ولا يعرف من خالقه[٤].

---

(١) البحار: ج٧٢ ص١٩١ و١٩٢، وج٧٦، ص١٣٠.
(٢) علل الشرايع ج٢ ص١٦١.
(٣) علل الشرايع ج٢ ص١٦٢.
(٤) المصدر نفسه.

وعن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من شرب الخمر لم تقبل صلاته أربعين يوماً، فإن ترك الصلاة في هذه الأيّام ضوعف عليه العذاب لترك الصّلاة[١].

وعن سعد الاسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من شرب الخمر أو مسكراً لم تقبل صلاته أربعين صباحاً، فإن عاد سقاه الله من طينة خبال، قلت: وما طينة خبال؟

قال: صديد يخرج من فروج الزّناة[٢].

عن ابن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّا روينا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ من شرب الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحاً، فقال: صدقوا.

فقلت: فكيف لا تحسب صلاته أربعين صباحاً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر؟

قال: لأنَّ الله تبارك وتعالى قدَّر خلق الإنسان فصيّر النطفة أربعين يوماً، ثمَّ صيّرها علقة أربعين يوماً، ثمَّ نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً، وهذا إذا شرب الخمر بقيت في مشاشه على قدر ما خلق منه وكذلك جميع غذائه وأكله وشربه تبقى في مشاشه أربعين يوماً[٣].

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تحقرنّ بالبول، ولا تتهاون به، ولا بصلاتك، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال عند موته: ليس منّي من استخفَّ بصلاته، لا يرد عليَّ الحوض ولا والله، ليس منّي من شرب مسكراً، لا يرد عليَّ الحوض لا والله[٤].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: مدمن الخمر كعابد الوثن، والناصب لآل محمّد شرٌّ منه.

قلت: جعلت فداك ومن شرٌّ من عابد الوثن؟

---

(١) الخصال ج٢ ص١٠٩.
(٢) معاني الأخبار ص١٦٤.
(٣) علل الشرايع ج٢ ص٣٤.
(٤) علل الشرايع ج٢ ص٤٥.

فقال: إنَّ شارب الخمر تدركه الشفاعة يوما ما، وإنَّ الناصب لو شفع فيه أهل السماوات والأرض لم يشفّعوا[١].

وعن عليّ بن جعفر عليه السلام، عن أخيه موسى عليه السلام قال: حرِّمت الجنّة على ثلاثة: **النمّام، ومدمن الخمر، والديّوث وهو الفاجر**[٢].

وعن إسماعيل بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل فقال: أصلحك الله شرب الخمر شرٌّ أم ترك الصلاة؟

فقال: شرب الخمر، ثمَّ قال: وتدري لم ذاك؟

قال: لا، قال: لأنّه يصير في حال لا يعرف ربّه[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: يجيء مدمن الخمر المسكر يوم القيامة مزرَّقة عيناه، مسودّاً وجهه، مائلاً شفته[٤] يسيل لعابه. مشدودة ناصيته إلى إبهام قدميه، خارجة يده من صلبه فيفزع منه أهل الجمع إذا رأوه مقبلاً إلى الحساب[٥].

وعن مروك، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: من اكتحل بميل من مسكر كحله الله عزَّ وجلَّ بميل من نار، وقال: إنَّ أهل الريِّ في الدُّنيا من المسكر يموتون عطاشى ويحشرون عطاشى، ويدخلون النار عطاشى[٦].

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة، فسألت أهليهم عنهم قالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة.

(١) ثواب الأعمال ص١٨٧.
(٢) ثواب الأعمال ص٢٤١.
(٣) ثواب الأعمال ص٢١٧.
(٤) شقه خ ل.
(٥) ثواب الأعمال ص٢١٧.
(٦) ثواب الأعمال ص٢١٨.

وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه. فقلت: يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟

فقال: يا أبت دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا، فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها، نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة.

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على شر حالة، فيلقى في النار، نعوذ بالله منها[١].

شارب خمر تائب

حدَّثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: بينا أنا أطوف بالبيت الحرام، وقد أعجبني كثرة الحجَّاج والمعتمرين، فقلت: يا ليت شعري! مَنْ المقبول فيهم فأهنيِّه؟ ومَنْ المردود منهم، فأعزيه؟

فلما كان في اللَّيل أريت في منامي كأن قائلاً يقول: مالك بن دينار تتفكر في الحاج والمعتمرين، قد والله غفر الله للقوم أجمعين، الصغير والكبير، والذكر والأُنثى، الأسود والأبيض، والعربي والأعجمي، ما خلا رجل واحد، فإنَّ الله عليه غضبان، وقد ردَّ عليه حجَّه، وضرب به وجهه.

قال مالك: فنمت بليلة لا يعلمها إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، وحسبت أن أكون ذلك الرجل، فلما كان في الليلة الثانية رأيت في منامي مثل ذلك، غير أنَّه قيل لي: ولست ذلك الرجل، بل هو رجل من خراسان، من مدينة تدعى بلخ، يُقال له: محمد بن هارون البلخي، الله عليه غضبان، وقد ردَّ عليه حجَّه، وضرب وجهه.

قال مالك: فلما أصبحت أتيت قبائل خراسان، وهم مجتمعون بمكَّة، ثمَّ سلَّمت، وقلت: أفيكم البلخيون؟ قالوا: نعم. فقلت: فيكم رجل يُقال له: محمد بن هارون البلخي. قالوا: بخٍ! بخ! يا مالك تسأل عن رجل ليس بخراسان

---

(١) الكبائر: ص٨٧.

أعبد ولا أزهد منه! فعجبت من جميل الثناء عليه، وما رأيت في منامي، فقلت: أرشدوني إليه. قالوا: إنَّه منذ أربعين سنة يصوم النَّهار، ويقوم اللَّيل ، ولا يأوي إلاَّ الخراب، تظنه في خراب مكَّة، فجعلت أجول في الخراب، وإذا به قائم خلف جدار، وإذا يده اليمنى مقطوعة معلقة في عنقه، وقد ثقب ترقويه، فأدخل فيها سلسلة، ومدها إلى قيدين في قدميه، وهو ساجد وراكع، فلما أحسّ بهمس قدمي من ورائه انفتل، فقال:

مَنْ تكون؟ ومِنْ أين تكون؟ فقلت: أنا مالك بن دينار من أهل البصرة، قال: أنت مالك الذي يذكر عنك أهل العراق العلم والزهد؟ قلت: العالم الله عزَّ وجلَّ، والزاهد عمر بن عبد العزيز، قَدِرَ على الدُّنيا، فزهد فيها، وأنا أزهدني الفقر.

قال: يا مالك، فماذا جاء بك إليَّ، قد رأيت لي رؤيا اقصصها عليَّ، فقلتُ: أستحي أن أقصصها عليك. قال: لا تستحي يا مالك، فقصصتها عليه، فبكى طويلاً، وقال: يا مالك هذه الرؤيا تُرَى لي منذ أربعين سنة، يراها في كل سنة رجل زاهد، مثلك إنِّي من أهل النَّار.

قلت: بينك وبين الله ذنب عظيم؟ قال: نعم ذنبي عظيم أعظم من السَّماوات والأرض والكرسي والعرش! قلت:

يا هذا، حدَّثني بذنبك لأحَذِّرَ النَّاس العمل به.

قال: يا مالك، كنت رجلاً أُكثر شرب هذا المُسْكِرَ، فشربت يوماً عند خدن[1] لي حتى إذا ثملت وزال عقلي، خرجت، فأتيت منزلي، فقرعت الباب على أهلي، وكانت ابنة عمي، ففتحت الباب، فدخلت فإذا والدتي تحصب[2] تنوراً لنا حتى قد أبيض جوفه، فلما رأتني أتمايل بسكري، أقبلت عليَّ تغطيني وتقول: هذا آخر يوم من شعبان، وأول ليلة من رمضان، يصبح الناس غداً صواماً، وتصبح أنت سكراناً، أما تستحي من الله، فرفعت يدي فلكذتها.

---

(١) صديق.

(٢) تُلقِي بالحطب في التنور، وهو الفرن.

فقالت: تعست، فغضبت من قولها، فحملتها بسكري، فرميتها في التنور، فلما رأتني امرأتي، حملتني فأدخلتني القيطون[١]، وأجافت الباب في وجهي مخافة أن تسمع الجيران.

فلما كان في آخر الليل، وذهب سكري، ورجع ذهني دعوت ابنة عمي لتفتح الباب، فأجابتني بجواب فيه جفاء، فقلت: ويلك ما هذا الجفاء الذي لم أعرفه منك؟ فقالت: تستأهل أن لا أرحمك ، قلت: ولِمَ؟

قالت: قد قتلت أُمّك، رميت بها في التنور، فقد احترقت، فلما سمعت ذلك لم أتمالك أن قلعت الباب، وخرجت إلى التنور، فإذا هي فيه كالرغيف المحترق، فالتفت فإذا أنا بقدوم، فوضعت يدي على عتبة الباب، فقطعتها بيدي الشمال، وثقبت ترقوي فأدخلت فيها السلسلة، وقيَّدت قدمي هذين القيدين، وكان ملكي ثمانية آلاف دينار، فتصدَّقت بها قبل مغيب الشَّمس، وأعتقت ستة وعشرين جارية وثلاثة وعشرين عبداً، وأوقفت ضياعي في سبيل الله، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النَّهار، وأقوم اللَّيل، ولا أفطر إلاَّ في كل أربعين يوماً[٢] على قبضة حمص، وأحج البيت الحرام في كل سنة، ويرى لي في كل سنة رجل عالم مثلك مثل هذه الرؤيا!

قال مالك: فنقضت يدي في وجهه، وقلت: يا مشؤوم، كدتَ أن تحرق الأرض ومَنْ عليها بنارك، وغبت عنه بحيث أسمع حسه، ولا أرى شخصه، فرفع يده إلى السَّماء، وجعل يقول:

يا فارج الهم وكاشف الغم يا مجيب دعوة المضطرين ويا ركني الوثيق ويا خالق البحر العميق ويا إلّهي بالتحقيق يا فتَّاح يا من بيده لكل خير مفتاح أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا تقطع ربِّ رجائي، وأنا أرجوك، ولا تخيب دعائي، وأنا أدعوك، أسألك لذَّة العيش قبل الموت، ولذَّة النظرة إلى وجهك الكريم.

---

(١) القَيْطُونُ المخدع بلغة أهل مصر، أو الحجرة الشتوية.

(٢) هذا من المبالغة التي لا تعقل.

قال مالك: فأتيت منزلي، فرأيت النبي ﷺ في منامي، وهو يقول: يا مالك، لا تُقَنْط النَّاس من رحمة الله، ولا تيئسهم من عفوه، إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد اطلع من الملأ الأعلى على محمَّد بن هارون، فاستجاب له دعوته، وأقاله عثرته، أغد إليه، فقل له: إنَّ الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد، فيقتص للجماء من القرناء، ولا يذهب عليه مثقال ذرَّة، ويقول تبارك وتعالى: وعزَّتي وجلالي لأجزينَّ اليوم بعشر معشار الذر، حتى اقتص للمظلوم ممَّن ظلمه، ويجمع بينك يا محمد بن هارون، وبين أُمّك، فيحكم لها عليك، ويأمر الملائكة يقودونك بسلاسل غلاظ إلى النَّار، فإذا قذفت فيها مقدار ثلاثة أيَّام من أيَّام الدُّنيا ولياليها؛ لأنِّي آليت على نفسي أن لا يشرب المسكر عبد من عبيدي ويقتل النَّفس التي حَرَّمْتُ إلاَّ أذيقه طعم النَّار، ولو كان إبراهيم خليلي، ثم أطرح في قلب أُمّك الرحمة لك، فألهمها أن تستوهبك منِّي، فأهبك لها، فتأخذ بيدها، فتدخلان الجنَّة. قال مالك: فلما أصبحت غدوت إلى الشيخ، وأخبرته برؤياي، فوالذي قبض روحه لكأنَّما كانت حياته حصاة طرحت في طشت فيه ماء، فمات رحمه الله، فكنت فيمن صلَّى عليه[1].

حد شرب الخمر

شرب قدامة بن مظعون الخمر فأراد عمر أن يحدّه، فقال له قدامة: إنَّه لا يجب عليَّ الحد، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ فدرأ عمر عنه الحد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فمشى إلى عمر فقال له: لم تركت إقامة الحد على قدامة في شربه الخمر؟ فقال له: إنَّه تلا عليَّ الآية، وتلاها عمر على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس قدامة من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرَّم الله عزَّ وجلَّ، إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً، فاردد قدامة واستتبه ممَّا قال، فإن تاب فأقم عليه الحد، وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملَّة، فاستيقظ عمر لذلك. وعرف قدامة الخبر. فأظهر التوبة

---

(١) عيون الحكايات ص١٣٥ ـ ١٣٧.

والإقلاع، فدرأ عمر عنه القتل، ولم يدر كيف يحده. فقال لأمير المؤمنين: أشر عليَّ في حده، فقال: حدَّه ثمانين، إنَّ شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فجلده عمر ثمانين[١].

ملعونٌ من جلس على مائدةٍ يشرب عليها الخمر

أقام أحد قادة الجيش المنصور الدوانيقي مجلس ضيافة في الحيرة بمناسبة ختان ولده، ودعا إليه جمعاً من الرجال بينهم الإمام الصَّادق عليه السلام.

ولما امتد السماط وانهمك الجميع في تناول الطعام طلب أحد المدعوين ماءً فجيء إليه بكأس من الشراب، فما كان من الإمام الصَّادق عليه السلام إلاَّ أن نهض وغادر المجلس، ولما سأله صاحب الدعوة عن السبب، قال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعونٌ من جلس على مائدةٍ يشرب عليها الخمر[٢].

تنبيه للغافلين

تذكّر الموت:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من بيت إلاَّ وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرَّات، فإذا وجد الإنسان قد نفد أكله وانقطع أجله، أُلقي عليه هم الموت، فغشيته كرباته وغمرته سكراته، فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها والباكية لشجونها والصارخة لويلها، فيقول ملك الموت: ويلكم مم الفزع وفيم الجزع، فما أذهبت لواحد منكم رزقاً، ولا قربت له أجلاً، ولا أتيته حتَّى أمرت، ولا قبضت روحه حتَّى أستأمرت، وإنَّ لي فيكم عودة ثمَّ عودة، حتَّى لا أبقى منكم أحداً».

---

(١) الإرشاد ١: ٢٠٢.

(٢) الشاب بين العقل والعاطفة: ج٢ (لمحمد تقي فلسفي).

قال النبي ﷺ: «فوالَّذي نفس محمَّد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه، لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم، حتَّى إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش، وهو ينادي: يا ولدي لا تلعبن بكم الدُّنيا كما لعبت بي، جمعت المال من حله ومن غير حله، ثمَّخلفته لغيري فالمال لكم والتبعة علي، فاحذروا مثل ما حلَّ بي.

(البحر المنسرح)

لو كلَّم الميِّت من يشيِّعه	لقال لا تغترر فأنت أنا
قد كنت أرجو وغرني أملي	عاجلني الموت ما بلغت منِّي
مالي لغيري جمعته وبقي علي	من ورزه شقاً وعنا
وهو بما قد جمعت في رغد	يأكله لذَّة له وهنا
فاعتبروا يا ذوي العقول	فقد شرحت حالي لكم وفيه غنى

وقيل: إنَّ الموت ألم لا يعلمه إلاَّ الَّذي يعالجه ويذوقه، هو أشد من الضرب بالسيوف، وأعظم ألماً من النشر بالمناشير، والقرض بالمقاريض، لأن قطع البدن بالسيف إنَّما يؤلم مع بقاء قوَّة في البدن، فلذلك يستغيث المضروب ويصيح بخلاف الموت، فإنَّ الميِّت ينقطع صوته وتضعف قوَّته عن الصياح لشدَّة الألم والكرب على القلب، فإنَّ الموت قد هد كل جزء من أجزاء البدن، وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوَّة للاستغاثة أمَّا العقل غشيته وسوسة، وأمَّا اللِّسان فقد أبكمه، وأمَّا الأطراف فقد أضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح، ولكنَّه ما يقدر على ذلك، فإن بقيت له قوَّة عند نزع الروح، وجذبها خوار وغرغرة من حلقه، وصدره وقدره وقد تغير لونه، وأزبد حتَّى ترتفع الحدقتان إلى أعلى جفونه، وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعهما، وتصفر أنامله ويموت كل عضو منه على حدته، فأوَّل ما يموت قدماه ثمَّ ساقاه ثمَّ فخذاه، ولكلٍّ عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة، حتَّى تبلغ روحه إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدُّنيا وأهلها وتحيط به الحسرة والندامة. وروي أنَّه ﷺ لما احتضر كان عنده قدح من ماء يدخل يده فيه ويمسح، ويقول: «لا إلّه إلاَّ الله إنَّ للموت لسكرات».

وفي رواية كان يقول ﷺ: اللَّهمَّ هوِّن عليَّ سكرات الموت، وفي رواية: أعنِّي على سكرات الموت.

(البحر المتقارب)

ليبك على نفسه العاقل ... لينتبه النائم الغافل
يؤمل ذو الجهل آماله ... فيفجؤه موته العاجل
علام الجدال وهذا المآل ... وفيم القتام ولا طائل
ودنياكمو هي معشوقة ... ولكن حقيقتها باطل
وبرق ولكنَّه خلب ... وودق ولكنَّه ماحل
وطيف ولكنَّه هاجر ... وشهد ولكنَّه قاتل
منام وأضغاث أحلامها ... أماني يؤملها الجاهل
فأين الشريف وأين الضعيف ... وأين المفضل والفاضل
وأين الشجاع وأين الجبان ... وأين المهذب وأين العاقل
فكل سيشرب كأس الفنا ... وكل بهذا الفنا نازل

إخواني: لا واعظ كالموت وما تتعظون، وهو طالب لكم وأنتم عنه غافلون أتظنون لكم في الدُّنيا مخلدون، ولا بدَّ من ورود كأس المنون تزودوا للرحيل، إلى متى لا تذكر حيلك عن جميع ما تسلك حتَّى لا تفهم المواعظ، وقد قبلت من أجلك تقيظاً، يا غافل كم لعب الهوى بمثلك.

(البحر الكامل)

يا نفس ما لك عن حمامك غافلهْ ... وأراك في ثوب الأماني رافلهْ
دنياك منزلة أقمت بظلها ... فتزودي منها فإنَّك راحلهْ
إن لم يزل عنك الَّذي تحوينه ... منها وإلاَّ كنت عنه زائلهْ

يا هذا: احذر أن تصبح عن طريق الهدى حائراً وأن تعاهد على التوبة فتضحي غادراً، وقم إلى خلاص نفسك مبادراً، وكن لعواقب الأُمور في كلِّ حال ذاكراً، ولازم خدمة مولاك حامداً له شاكراً، واحذر أن تكون عند ربح المتَّقين خاسراً، فكأنِّي بك وقد أقبل إليك الموت متسلِّطاً قاهراً.

(البحر الخفيف المجزوء)

آه للموت زائراً قد أباد العشائرا
كم سعى الدَّهر باطناً ورأيناه ظاهرا
ومحا من محاسن قد طواهن سائرا
كم جمال بقهر، قد أحل المقابرا
ثمَّ أفنى أوائلا وأباد الأواخرا
آه للناعم النضير طوى منه ناظرا
آه للغصن إذا سما حلة الموت كاسرا
كم أفنى من أكابر وأباد الأصاغرا
فاز من كان خائفاً منه في الأمن حاذرا
واتقى اللَّه حيثما منه قد كاد حاضرا

القمار

من الذنوب التي صرح بكونها كبيرة هو القمار حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[1].

والتعبير بالذنب لم يكن في القرآن إلا لشرب الخمر والقمار.

ظاهرة القمار:

إنَّ ظاهرة القمار ـ الميسر ـ هي من الظواهر الخطيرة، والتي تلعب دوراً كبيراً في هدم البيوت، وتشريد الأُسر، وقد ذكره القرآن الكريم مقترناً مع الخمر، تنفيراً منه، وتذكيراً بعظم جرم من يمارس هذه العادة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[2].

ولتحريم القمار حكم كثيرة منها:

١ ـ إنَّ الإسلام يريد من الإنسان أن يسعى لكسب رزقه، بعمله وجهده، لا بالجلوس وراء الطاولات، وانتظار الربح من المال بلعب القمار.

٢ ـ إنَّ الإسلام قد جعل لمال المسلم حرمة، لا يباح معها الاعتداء على

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) المائدة: ٩٠.

ماله، أو أخذ جزء منه إلاَّ عن طريق مبادلة مشروعة، أو عن طيب نفس منه بأيِّ وسيلة مباحة كانت، أمَّا القمار فلا . . !

٣ ـ إنَّ القمار يولِّد التباغض والكراهية بين المتقامرين، وإن أظهروا خلاف ذلك، فاللاعب دائماً إمَّا غالب أو مغلوب، والمغلوب إذا سكت فإنَّما يسكت على مضض، ويكظم غيظه وحنقه ويلعب مجدداً محاولاً أن يعوض ما خسر، والغالب يلعب مجدداً عسى أن يعود ليَغلب، ويحسَ بنشوة الظفر بمال الآخرين، وهكذا يصبح اللاعب مدمناً على القمار.

٤ ـ إنَّ هذه العادة ضارة بالفرد والأسرة والمجتمع، فالفرد يضيع وقته وماله، وإذا كسب كان كسبه حراماً، والأسرة تفقد جزءاً كبيراً من حقوقها في اللباس والغذاء وكل احتياجاتها، والمجتمع يخسر نتيجة إضاعة هؤلاء لوقتهم، وانشغالهم عن العمل والانتاج.

وإنَّ عاشق القمار لا يبتعد عن ـ الطاولة الخضراء ـ إلاَّ ويعود إليها، وربَّما قامر بماله وبعرضه وشرفه، وبكلِّ غالٍ عليه في سبيل الفوز ـ بظنه ـ، وإنَّما هو في الحقيقة خاسر، وخاسر كبير، حتى ولو ربح بعض الدراهم. .

وصدق من قال في القمار:

(البحر الوافر)

هو الداء الذي لا برء منه ... وليس لذنب صاحبه اغتفار
تُشَادُ لَهُ المنازل شاهقات ... وفي تشييد ساحتها الدمار

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال عليه السلام: بيع الشطرنج حرام وأكل ثمنه سحت واتخاذها كفر واللعب بها شرك والسلام على اللاهي بها معصية كبيرة موبقة والخائض يده فيها كالخائض يده في لحم الخنزير. . . وفي (من لا يحضره الفقيه وردت بعد كلمة معصية هكذا). وتعليمها كبيرة موبقة[١].

---

(١) وسائل الشيعة كتاب التجارة، ج٥٧، ص٢٤١، باب١٠٣، ح٤.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: يغفر الله في شهر رمضان إلاّ لثلاثة: صاحب مسكر، أو صاحب شاهين، أو مشاحن قلت وأي شيء صاحب شاهين.

فقال عليه السلام الشطرنج[١].

ومن الشواهد على كبر القمار أن الله سبحانه وتعالى ذكره في القرآن مع الخمر والأنصاب: ﴿...إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[٢].

قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[٣].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿...وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[٥].

وعن بكير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اللعب بالشطرنج.

فقال: إنَّ المؤمن لفي شغل عن اللّعب[٦].

وعن عبد الله بن عليّ، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ عليهم الصلاة والسّلام قال: كلّ ما ألهى عن ذكر الله فهو من الميسر[٧].

وعن الأشعريّ، رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦، ص٢٣٨، باب١٠٢، ح٤.
(٢) المائدة: ٩٠.
(٣) البقرة: ٢١٩.
(٤) المائدة: ٤.
(٥) المائدة: ٩٣.
(٦) قرب الأسناد ص٨١ ط حجر.
(٧) أمالي الطوسي ج١ ص٣٤٥ وفي ط حجر ٢١٤.

يسلّم على أربعة: على السكران في سكره، وعلى من يعمل التماثيل، وعلى من يلعب بالنرد، وعلى من يلعب بالأربعة عشر وأنا أزيدكم الخامسة: أنهاكم أن تسلّموا على أصحاب الشطرنج[١].

وعن أسباط بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[٢] قال: هو القمار[٣].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بيع الشطرنج حرام، وأكل ثمنه سحت، واتّخاذها كفر، واللّعب بها شرك، والسلام على اللاّهي بها معصية وكبيرة موبقة، والخائض يده فيها كالخائض يده في لحم الخنزير، لا صلاة له حتّى يغسل يده كما يغسلها من مسّ لحم الخنزير، والناظر إليها كالناظر في فرج أُمّه واللاّهي بها والناظر إليها في حال ما يلهى بها والسّلام على اللاّهي بها في حالته تلك في الاثم سواء.

ومن جلس على اللّعب بها فقد تبوّأ مقعده في النار، وكان عيشه ذلك حسرة عليه في القيامة، وإيّاك ومجالسة اللاّهي المغرور بلعبها، فإنّه من المجالس الّتي باء أهلها بسخط من الله، يتوقّعونه في كلّ ساعة فيعمّك معهم[٤].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: يقول عليه السلام: الميسر هو القمار[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: من لعب الاسترنق[٦] يعني الشطرنج والناظر إليه كآكل لحم الخنزير.

وفي خبر آخر: الناظر إليه كالناظر إلى فرج أُمّه[٧].

---

(١) الخصال ج١ ص١١٢.
(٢) النساء: ٢٩.
(٣) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٥ تحت الرقم ١٠٠.
(٤) السرائر: ٤٧٠.
(٥) تفسير العياشي: ج١، ص٣٣٩.
(٦) الاسترنق معرب استرنك وهو معنى سترنك وقد مر معناه، وفي الأصل كما في المصدر المطبوع الاسترنق، وهو تصحيف.
(٧) البحار: ج٧٦، ص٢٣٧.

قال الشاعر نجيب الحداد:

(البحر الوافر)

لـكُـلِّ نَـقـيـصـةٍ فـي الـمـرء عـارُ وشـرُّ مـعـايـب الـمـرءِ الـقِـمـارُ
هــو الــدَّاء الــذي لا بُـرء مـنـه ولـيـس لـذنـب صـاحـبـه اغـتـفـارُ
تـشـادُ لـه الـمـنـازل شـاهـقـاتٍ وفـي تـشـيـيـد سـاحـتـهـا الـدمـارُ
نـصـيـبُ الـنـازلـيـن بـهـا سُـهـادٌ فـإفـلاسٌ فـيـأسٌ فـانـتـحـارُ

تنبيه للغافلين

التوبة قبل فوات الأوان:

فيا معشر التائبين أبشروا بالصيانة والعصمة، واشكروه على هذه النعمة، فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة، وأجرى لكم بالسعادة قلمًا، فالعارفون قد بشرهم بنيل المقصود في الوجود علماً والمحبون قد أباحهم الجنَّة، والنظر إليه وسقاهم بكؤوس آنسه، فأضحوا لحضرة قدسه ندماً، والخائفون قد لزموا له ذلاً وخضوعاً، وأبدوا على ما أسلفوا بكاء وخشوعاً، فأخرج لهم ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1] فألبسهم من الأمان بالغفران تاجاً معلماً، فيا مَن أيامه في الغفلة ضائعة، وصحائفه لزلّاته جامعة، أقبل على مولاك بنية خالصة، ونفس طائعة فقد قال تعالى لنبيّه صاحب الشفاعة الشائعة: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾[2] فكم غفر ذنوباً، وكم جبر قلباً وكم قبل متندماً:

(البحر الكامل)

قـل لـلَّـذي ألـف الـذُّنـوب وأجـرمـا وغــداً عــلــى زلاَّتــه مــتــنــدمــا
لا تـيـأسـن مـن الـجـمـيـل فـعـنـدنـا فـضـل يـنـيـل الـتـائـبـيـن تـكـرمـا

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) الأنعام: ١٤٧.

يا معشر العاصين جودوا واسمعوا تـوبـوا ودونـكـم الـمـنـى والـمـغـنـمـا
لا تخشوا من قبح وذنب سالف إنِّـي أحـب أن أجـود وأرحـمـا
ها قد أبحتكمو جناني فادخلوها بالأمن فهو لمن أتى بأبي حمى
يا أيُّها العبد المسيء إلى متى تفني زمانك في عسى ولربَّما
بادر إلى مولاك يا من عمره قد ضاع في عصيانه وتصرَّما
واسأله عفواً ثمَّ لذ متوسلاً بمحمَّد جالي الضلالة والعمى
خير الأنام الهاشمي المجتبى والمرتضى وهوالكريم المنتمى
أزكى البرية عنصراً وأجل من قد خصَّ بالتقريب من ربّ السَّما

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1].

خاطب الله سبحانه وتعالى عباده المسرفين على أنفسهم المخالفة، وبما اكتسبوا من الذُّنوب والعصيان، وبما اقترفوا من الفسق والطغيان فظنوا أنَّهم لا يغفر لهم، وقنطوا من رحمة الله عزَّ وجلَّ فقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ يعني لا تيأسوا من عفو الله وكرمه ومغفرته إنَّ الله يغفر الذُّنوب جميعاً لمن أناب وتاب من ذنبه، ورجع عن ظلمه، واستغفر من قبيح فعله، أنَّه هو الغفور الرحيم، الغفور لمن تاب وندم على ما فعل من الذُّنوب، الرحيم لمن رجع عن الأفعال المذمومة إلى الأفعال المحمودة.

وروي عقيل بن أحمد، بإسناده عن ابن سيرين قال: قال الإمام علي عليه السلام: ما في القرآن آية أوسع من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾.

(البحر البسيط التام)

لا تقنطن فإنَّ اللَّه منَّان وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية فعند ربك أفضال وإحسان

ويا هذا لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه، لما

(١) الزمر: ٥٣.

أحالك في مغفرة الذُّنوب عليه، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] ثمَّ قال سبحانه وتعالى: لما رأى عفوه وسيعاً ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

ولله درّ من قال:

(البحر البسيط التام)

إن كان ذنبك خفت عواقبه ... فما سجدت لطاغوت ولا وثن

أو كنت ذا سيِّئات جل موقعها ... فإنَّ ربّك ذو فضل وذو منن

إن لم يكن عفوه للمذنبين غداً ... فعفوه ليت شعري بعد ذا لمن

إخواني: لو أراد الله عقوبة المؤمن في جهنَّم وتخليده، لما ألهمه معرفته وتوحيده وقد قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾[2].

(البحر الرجز)

يا من أسى فيما مضى ثمَّ اعترفْ ... كن محسناً فيما بقي تعطى الشرف

وابشر بقول اللّه في تنزيله ... إنْ ينتهوا يغفرْ لهم ما قد سلفْ

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) الليل: ١٥.

المعازف والملاهي

﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾[١].

قال: السحت هو بين الحلال والحرام وهو أن يواجر الرجل نفسه على حمل المسكر، ولحم الخنزير، واتّخاذ الملاهي، فاجارته نفسه حلال، ومن جهة ما يحمل ويعمل هو سحت[٢].

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾[٣].

عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله بعثني رحمة للعالمين، ولأمحق المعازف والمزامير، وأُمور الجاهليّة وأوثانها وأزلامها[٤].

وعن السيّاري. رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن السفلة فقال: من يشرب الخمر ويضرب بالطنبور[٥].

في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام: ثلاث يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان[٦].

---

(١) المائدة: ص٦٢ و٦٣.
(٢) تفسير القمي ص١٥٨.
(٣) الجمعة: ١١.
(٤) أمالي الصدوق ص٢٥٠.
(٥) الخصال ج١ ص٣٢.
(٦) الخصال ج١ ص٦٢.

وعن ابن نباتة قال: قال عليٌ عليه السلام: ستّة لا ينبغي أن يسلّم عليهم: **اليهود، والنصارى، وأصحاب النرد والشطرنج، وأصحاب الخمر، والبربط، والطنبور، والمتفكّهون بسبّ الأُمّهات، والشعراء.** (الخبر)[١].

وعن عبد الأعلى، عن نوف، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا نوف! إيّاك أن تكون عشّاراً، أو شاعراً، أو شرطياً، أو عرّيفاً، أو صاحب عرطبة ـ وهي الطنبور ـ أو صاحب كوبة ـ وهي الطبل ـ فإنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وآله خرج ذات ليلة فنظر إلى السماء فقال: أما إنّها السّاعة الّتي لا يردُّ فيها دعوة إلاّ دعوة عرّيف أو دعوة عاشر أو شرطيّ أو صاحب كوبة[٢].

وعن موسى المروزي، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللّهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيّد[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحشر صاحب الطنبور يوم القيامة وهو أسود الوجه وبيده طنبور من النار، وفوق رأسه سبعون ألف ملك، بيد كلِّ ملك مِقمعة يضربون رأسه ووجهه، ويحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم، ويحشر الزاني مثل ذلك، وصاحب المزمار مثل ذلك، وصاحب الدّفّ مثل ذلك[٤].

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فرق بين النكاح والسفاح ضرب الدّف[٥].

---

(١) الخصال ج١ ص١٦٠، ومثله في السرائر من كتاب ابن قولويه عن ابن نباتة ص٤٩٠.

(٢) الخصال ج١ ص١٦٤.

(٣) الخصال ج١ ص١٠٨.

(٤) جامع الأخبار ص١٨٠.

(٥) نوادر الراوندي ص٤٠، وبعده قال علي عليه السلام: قالت الأنصار: يا رسول الله ماذا نقول زفننا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قولوا:

(البحر الهزج)

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
لولا الذهبة الحمراء ... ما حلت فتاتنا بواديكم

مَلِك يتوب عن المعاصي والملاهي

حدَّثنا أبو بكر القرشي قال: سمعت عياد بن عباد المهلبي يذكر أنَّ رجلاً من ملوك أهل البصرة تَنَسَّكَ، ثمَّ مال إلى الدُّنيا والسلطان، فبنى داراً وشيَّدها ومر بها ففرشت له ونُجِّدَتْ، واتخذ مائدة وصنع طعاماً، ودعا النَّاس فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه، ويتعجبون من ذلك ويدعون له ويتفرقون.

قال: فمكث بذلك زماناً حتى فرغ من أمر النَّاس، ثم جلس ونفر من خاصة إخوانه، فقال: قد ترون سروري بداري هذا، وقد حدَّثْتُ نفسي أن اتّخذ لكل واحدٍ من ولدي مثلها، فأقيموا عندي أيَّاماً استمتع بحديثكم وأشاوركم فيما أُريد من هذا البناء لولدي، فأقاموا عنده أيَّاماً يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبني لولده، وكيف يريد أن يصنع فبينا هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً يقول مِنْ أقاصي الدار:

(البحر البسيط التام)

يا أيُّها الباني الناسي منيته لا تأملن فإنَّ الموت مكتوب
على الخلائق إن سروا وإن فرحوا فالموت حتف لذي الآمال منصوب
لا تبنين دياراً لست تسكنها وراجع النسك كيما يُغفَر الحُوب[1]

قال: ففزع لذلك، وفزع أصحابه فزعاً شديداً، وراعهم ما سمعوا من ذلك فقال لأصحابه: هل سمعتم ما سمعتُ؟ قالوا: نعم. فقال: هل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجد والله مُسْكَة[2] على فؤادي، وما أراها إلاَّ علَّة الموت.

فقالوا: كلا بل البقاء والعافية. قال: فبكى، ثم أقبل عليهم، فقال: أنتم أخلائي وإخواني، فماذا لي عندكم؟ قالوا: مُرنَا بما أحببت من أمرك.

قال: فأمر بالَّراب فأهريق، ثم أمر بالملاهي فأُحْرِقَتْ، ثمَّ قال: اللَّهمَّ إنِّي أشهدك ومَنْ حضر مِنْ عبادك أنِّي تائب إليك من جميع ذنوبي نادمٌ على ما فرَّطت

---

(١) الذنب.
(٢) أثر وبقية.

أيَّام مهلتي، وإيَّاك أسأل إن أقلتني أن تتم نعمتك عليَّ بالإنابة إلى طاعتك، وإن أنت قبضتني إليك أن تغفر لي ذنوبي تَفَضُّلاً منك عليَّ.

واشتد به الألم، فلم يزل يقول: الموت والله، الموت والله، حتى خرجت نفسه، فكانت الفقهاء يرون أنَّه مات على توبة[1].

موعظة للغافلين

إيَّاكم والغفلة يوم الحسرة؟

إخواني: أهل القبور قد أسروا وأكثر القوم في تجارتهم خسروا، فمروا أنتم عليهم واعتبروا، وتفكَّروا في أحوالهم وانتظروا، يتمنون العود وهيهات، ويسألون التدارك وقد فات، يا مطلقاً اذكر قيودهم يا متحرِّكاً قد عرفت همودهم، خلِّص نفسك من أسر الذُّنوب، وتأهل فإنَّك مطلوب، وتذكَّر بقلبك يوماً تتقلَّب فيه القلوب، قبل أن يمسك اللِّسان ويتحيَّر الإنسان، ويزول العرفان وتنشر الأكفان، وتزول الخضرة وتطول السفرة، ويأتي منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير، ويلقى العبد ما أسلفه وينساه من خلفه، ويبقى هناك أسيراً إلى أن يعود فيقوم عرياناً حسيراً، فحينئذٍ تسلب الكرائم وتنشر الجرائم، وتعظم المصائب وتنسد المذاهب وتبين العجائب، وتسود الوجوه ويفوت العاصي ما يرجوه، وتثقل على الظهور الأوزار، ويؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار، وليس لأحد هناك قرار إلاَّ الجنَّة أو النَّار، فبادروا رحمكم الله بالمتاب، قبل ما تعاينوا هذه الأهوال وتشهدون: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

(البحر الرمل)

قف بنا يا صاح نبكي الندما ... بعد من قد كان فيها سكنا

وتنادي من غرام مقلق ... بعدهم في دارهم واحزنا

---

(١) عيون الحكايات ص٤٠٤ ـ ٤٠٥ لابن القيم الجوزية.

طالما كنَّا بها في دعة ... نجتني من وصلهم ما يجتنى
كم بلغنا بين أكناف الحمى ... من لبانات المنى ما سرنا
وافترقنا فكأنَّا لم نكن ... أبداً في الدار نولي المننا
ليت روحي قبل أن فارقتهم ... فارقت من قبل ذاك البدنا
يا لأصحابي انتهوا وانتهزوا ... فرصة الأوقات فالموت دنا

إخواني: كأنِّي بكم وقد بلغتم يومكم الموعود، وغائصكم ما لم تفتدوا منه بوالد ولا مولود، مقام تشهد عليكم فيه الألسنة والجوارح والجلود ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

وكأنِّي بأحدكم يقول:

(البحر البسيط التام)

القلب محترق والدمع مستبق ... والقلب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ... ممَّا جناه الأسى والشوق والقلق

إخواني: ما الَّذي أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت، وما الَّذي قدمتموه من زاد التَّقوى، قبل حلول الفوت، كم ينادي الغافلين مناد المواعظ فلا يستجيبون ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

(البحر البسيط التام)

يا نفس قد طاب في إمهالك العمل ... فاستدركي قبل أن يدنو لك الأجل
إلى متى أنت في لهو وفي لعب ... يغرك الخادعان الحرص والأمل
وأنت في سكر لهو ليس يدفعه ... عن قلبك الناصحان العتب والعذل
تزودي لطريق أنت سالكة ... فيها فعمَّا قليل يأتك المثل
ولا تغرك أيَّام الشباب ففي ... أعقابها الموبقان الشيب والأجل
يا نفس توبي من العصيان واجتهدي ... ولا يغرنك الأبعاد والملل
ثمَّ احذري موقفاً صعباً لشدَّته ... يغشى الورى المتلفان الحزن والوجل
ويختم الفم والأعضاء ناطقة ... ويظهر المفصحان الخط والخطل
ويحكم اللَّه بين النَّاس معدلة ... فتذكر الحالتان البر والزلل

إخواني: تداركوا ما فرطتم في أيَّام البطالة، فسيلقى كل عامل منكم أعماله، يوم يستقيل فلا يجاب إلى الإقالة، ويعضُّ أنامله بالندم على الضلالة، فيا لها حسرة ما أهولها ورقدة في التراب ما أطولها، بالله عليكم نوحوا على الأيَّام الغافلات، بالله عليكم تفكَّروا في مصارع الأموات، بالله عليكم بادروا باب الحبيب قبل الفوات، فكأنِّي بكم وقد غائصكم المنون ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

إخواني: فكوا أنفسكم من أسر الشهوات، وأيقظوا عقولكم من سكرة الغفلات واستعدُّوا لدار البقاء قبل الفوات، فكأنِّي بكم وقد وافاكم حادي المنون ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ هيهات بعد فوات الأعمار، لا تنفع الحسرة، وعند انقطاع الآمال لا تفيد الفكرة، وليت شعري ما جوابكم يوم الحيرة، إذ نودي هذا يوم لا ينطقون ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

الغناء

قال سبحانه:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[١].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾[٢].

قال رسول الله ﷺ: إنّه سيكون قوم يبيتون وهم على اللّهو وشرب الخمر والغناء، فبيناهم كذلك إذ مسخوا من ليلتهم، وأصبحوا قردة وخنازير[٣].

عن عاصم بن حميد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنّي أُريد أن أسألك عن شيء أستحي منه، قال: سل!

قلت: في الجنّة غناء؟

قال: إنَّ في الجنّة شجراً يأمر الله رياحها فتهبُّ فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حسناً، ثمَّ قال: هذا عوض لمن ترك السماع في الدُّنيا من مخافة الله. (الخبر)[٤].

---

(١) الحج: ٣٠.
(٢) لقمان: ٦.
(٣) تفسير القمي: ١٦٨.
(٤) الخصال ج١ ص١٤.

وعن الحسن بن هارون قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الغناء يورث النفاق ويعقب الفقر[١].

وعن نصر بن قابوس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المنجّم ملعون والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغَنّية ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها فهو ملعون. (الخبر)[٢].

وعن ثور بن سعيد، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كثرة الاستماع إلى الغناء تورث الفقر[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الغناء نوح إبليس على الجنّة[٤].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي أخاف عليكم استخفافاً بالدِّين وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، وأن تتّخذوا القرآن مزامير، وتقدّمون أحدكم وليس بأفضلكم في الدين[٥].

وعن أبي الحسن الثالث، عن آبائه، عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ قال: الرجس الشطرنج، وقول الزور الغناء[٦].

وعن هشام بن الغار، عن أبيه، عن جدّه ربيعة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يكون في أُمّتي الخسف والمسخ والقذف.

قال: قلنا: يا رسول الله بم؟

قال: باتّخاذهم القينات وشربهم الخمور[٧].

---

(١) الخصال ج١ ص١٤.
(٢) الخصال ج١ ص١٤٣.
(٣) الخصال ج٢ ص٩٣ في حديث طويل.
(٤) الخصال ج٢ ص١٥٥ في حديث طويل.
(٥) عيون الأخبار ج٢ ص٤٢.
(٦) أمالي الطوسي ج١ ص٣٠٠.
(٧) أمالي الطوسي ج٢ ص١١.

وعن أبي بكر الحضرميّ، عن أحدهما عليه السلام قال: الغناء عشُّ النفاق، والشراب مفتاح كلِّ شرّ، ومدمن الخمر كعابد وثن، مكذّب بكتاب الله، لو صدَّق كتاب الله لحرَّم حرام الله[١].

وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: الغناء رقية الزنى[٢].

وروى أبو أمامة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما رفع أحد صوته بالغناء إلاّ بعث الله شيطانَيْنِ على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره، حتّى يمسك[٣].

وعن موسى المروزي، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللّهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيّد[٤].

موعظة للغافلين

ذمُّ الفسّاق:

يا نفسُ: إنَّ قلوب النَّاس لاهية، ومجالستهم لاغيةٌ، والفاحشة فيهم فاشية، فتنحّي عنهم ناحيةً، تجدي الأمن والعافية.

(البحر المتقارب)

فطوبى لمُستخلص بينه ... قنوع لهُ بلغة كافيهْ
نداماه دُون الورى كتبه ... فلا إثم فيها ولا لاغيهْ
فمِن شرّه النَّاسُ في راحة ... ومن شَرِّهم نفسُه ناجيهْ

(١) علل الشرايع ج٢ ص١٦٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) جامع الأخبار ص١٨٠.
(٤) الخصال ج١ ص١٠٨.

يا نفس: متى فتّشت أحوال العالم، وَجدت الصَّالح منها ذا لونين، فإن ذقتِه وجدتِه ذا طعمَيْن، فإن قبَّلته وجدتِه ذا وجهين، فإن استنطقته وجدتِه ذا لسانين، فإن كشفته وجدتِه ذا طبعين، ظاهِرُهُ مليحٌ، وباطنُهُ قبيحٌ، يروقكِ[1] منظرهُ، ويسوؤك مخبره.

(١) راقهُ الشَّيء: أعجبه وَسَرّهُ.

الكذب

قال الله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾(١).

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾(٢).

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾(٣).

﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾(٤).

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾(٥).

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠﴾(٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(٧).

---

(١) المائدة ٤١ ـ ٤٢.

(٢) براءة: ٧٧.

(٣) النحل: ٦٢.

(٤) النحل: ٤٢.

(٥) الحج: ٣٠.

(٦) الأحزاب: ٦٠

(٧) الزمر: ٣.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[١].

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾[٢].

ظاهرة الكذب:

إنَّ الكذب مرض خطير يمكن أن يصيب الإنسان من أولى أدوار حياته، وقد يظل مصاباً به حتى نهاية العمر، وللأسف فهناك من الأهل من ينظر إلى كذب الطفل وكأنَّه شيء طبيعي، بل والأخطر من ذلك عندما يضحكون له ويثنون عليه من خلال كذبه، فيكونون بذلك قد شجعوه ورسخوا في نفسه هذا المرض الخطير..

وهناك عدَّة حالات قد يمر فيها الإنسان في مرحلة الطفولة أو غيرها من المراحل، وهي التي تكون الدافع له على الكذب، ومن هذه الحالات:

١ ـ **الخوف**: فالخوف من العقوبة، وعدم وعي الأهل لذلك قد يدفع الطفل إلى الكذب، أو خوف الموظف من سلطة أعلى منه قد تجعله يلجأ إلى الكذب... وهكذا.

٢ ـ **الضعف**: فالإحساس بالضعف والعجز أمام الآخرين قد يدفع للكذب.

٣ ـ **الإحساس بتحقير الآخرين**: فعندها يكون الكذب محاولة للتعويض النفسي.

٤ ـ **القدوة**: فالطفل يرى المربي، وقد يتخذه قدوة له، فإذا كان المربي كذاباً، نشأ الطفل على الكذب، وقد تستمر معه هذه الظاهرة إلى كبره، ومن حرص الإسلام في منع الكذب حتى على الأطفال أنَّه لم يسمح لأحد أن يقول للطفل تعال لأعطيك شيئاً ثم يأتيه الطفل ولا يعطيه. فعدَّ هذا من الكذب...

---

(١) المؤمن: ٢٨.

(٢) الجاثية: ٧.

نظرة الإسلام إلى الكذب:

إنَّ الكذب دافع أساسي إلى اختلال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ودافع لفقد الثقة بين قطاعات الأُمَّة على اختلافها، لذلك نفَّر الإسلام كثيراً من هذه الظاهرة المقيتة وجعل هناك تصنيفاً خاصّاً لهؤلاء الكذَّابين:

١ ـ **الكذب صفة من صفات النفاق**: «أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر...».

٢ ـ **الكذب خيانة كبيرة**: «كَبُرَتْ خيانة أن تحدَّث أخاك حديثاً هو لك مصدَّق وأنت له به كاذب».

٣ ـ **الكذب يؤدّي إلى سخط الله وغضبه**، وبالتالي للكذَّاب عذاب أليم عند الله ما لم يحدث توبة...

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، ومَلِك كذاب، وعائل مُستكبر».

٤ ـ **الكذب وسيلة من الوسائل الموصلة إلى الفجور**، وقد حذَّر الإسلام من اتخاذ الكذب أسلوباً وطريقة في الحياة، فالكذب يؤدّي إلى الفجور، والكذب المستمر يكتب لصاحبه هذه الصفة عند الله عزَّ وجلَّ: «إيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النَّار، وما يزال العبد يكذب ويتحرّى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذَّاباً»[١].

والفجور هو الميل عن الاستقامة، وقيل هو الانبعاث في المعاصي..

لذلك كله يجب على المربين أن ينفِّروا أبناءهم من الكذب، ويحذّروهم من عواقبه، ويجب على جميع أفراد المجتمع تطويق ومحاربة هؤلاء الكذَّابين إذا أرادوا الحفاظ على مجتمعهم نظيفاً وخالياً من مثل هذه الأمراض.

---

(١) رواه الشيخان.

مساوىء الكذب:

وإنَّما حرمت الشريعة الإسلامية (الكذب) وأنذرت عليه بالهوان والعقاب، لما ينطوي عليه من أضرار خطيرة، ومساوىء جمَّة، فهو:

١ ـ باعث على سوء السمعة، وسقوط الكرامة، وانعدام الوثاقة، فلا يُصدّق الكذّاب وإن نطق بالصدق، ولا تقبل شهادته، ولا يوثق بمواعيده وعهوده.

ومن خصائصه أنَّه ينسى أكاذيبه ويختلق ما يخالفها، وربَّما لفق الأكاذيب العديدة المتناقضة، دعماً لكذبة افتراها، فتغدو أحاديثه هذراً مقيتاً، ولغواً فاضحاً.

٢ ـ إنَّه يضعف ثقة النَّاس بعضهم ببعض، ويشيع فيهم أحاسيس التوجس والتناكر.

٣ ـ إنَّه باعث على تضييع الوقت والجهد الثمينين، لتمييز الواقع من المزيف، والصدق من الكذب.

٤ ـ وله فوق ذلك آثار روحية سيئة، ومغبة خطيرة، نوهت عنها النصوص السالفة.

دواعي الكذب:

الكذب انحراف خلقي له أسبابه ودواعيه، أهمها:

١ ـ **العادة**: قد يعتاد المرء على ممارسة الكذب بدافع الجهل، أو التأثر بالمحيط المتخلف، أو لضعف الوازع الديني، فيشبّ على هذه العادة السيئة، وتمتد جذورها في نفسه، لذلك قال بعض الحكماء: «من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه».

٢ ـ **الطمع**: وهو من أقوى الدوافع على الكذب والتزوير، تحقيقاً لأطماع الكذّاب، وإشباعاً لنهمه.

٣ ـ **العداء والحسد**: فطالما سوَّلا لأربابهما تلفيق التهم، وتزويق الافتراءات والأكاذيب، على من يعادونه أو يحسدونه. وقد عانى الصلحاء والنبلاء الذين

يترفعون عن الخوض في الباطل، ومقابلة الإساءة بمثلها ـ كثيراً من مآسي التهم والافتراءات والأراجيف.

أنواع الكذب:

للكذب صور شوهاء، تتفاوت بشاعتها باختلاف أضرارها وآثارها السيئة، وهي:

اليمين الكاذبة:

وهي من أبشع صور الكذب، وأشدّها خطراً وإثماً، فإنَّها جناية مزدوجة:

جرأة صارخة على المولى عزَّ وجلَّ بالحلف به كذباً وبهتاناً، وجريمة نكراء تمحق الحقوق وتهدر الكرامات.

الكذب الساخر:

فقد يستحلي البعض تلفيق الأكاذيب الساخرة، للتندر على الناس، والسخرية بهم، وهو لهو عابث خطير، ينتج الأحقاد والآثام.

قال الصَّادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية، يريد بها شينه، وهدم مروَّته ليسقط من أعين النَّاس، أخرجه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشَّيطان، فلا يقبله الشَّيطان»[١].

علاج الكذب:

فجدير بالعاقل أن يعالج نفسه من هذا المرض الأخلاقي الخطير، والخُلُق الذميم، مستهدياً بالنصائح التالية:

١ ـ أن يتدبَّر ما أسلفناه من مساوىء الكذب، وسوء آثاره المادية والأدبية على الإنسان.

---

(١) الكافي.

٢ ـ أن يستعرض فضائل الصدق ومآثره الجليلة وفي ذلك قال الشاعر:

(البحر الرجز)

الصدق في أقوالنا أقوى لنا والكذب في أفعالنا أفعى لنا

٣ ـ أن يرتاض على التزام الصدق، ومجانبة الكذب، والدأب المتواصل على ممارسة هذه الرياضة النفسية، حتى يبرأ من هذا الخلق الماحق الذميم.

مسوغات الكذب:

لا شك أنَّ الكذب رذيلة مقيتة حرَّمها الشرع، لمساوئها الجمَّة، بيد أنَّ هناك ظروفاً طارئة تبيح الكذب وتسوغه، وذلك فيما إذا توقفت عليه مصلحة هامَّة، لا تتحقَّق إلاَّ به، فقد أجازته الشريعة الإسلامية حينذاك، كإنقاذ المسلم، وتخليصه من القتل أو الأسر، أو صيانة عرضه وكرامته، أو حفظ ماله المحترم، فإنَّ الكذب والحالة هذه واجب إسلامي محتم.

وهكذا إذا كان الكذب وسيلة لتحقيق غاية راجحة، وهدف إصلاحي، فإنَّه آنذاك راجح أو مباح، كالإصلاح بين النَّاس، أو استرضاء الزوجة واستمالتها أو مخادعة الأعداء في الحروب.

وعن ابن عميرة، عمّن حدَّثه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول لولده: اتّقوا الكذب الصّغير منه والكبير، في كلّ جدّ وهزل، فإنَّ الرَّجل إذا كذب في الصغّير اجترىء على الكبير، أما علمتم أنَّ رسول الله قال: ما يزال العبد يصدق حتّى يكتبه الله صدِّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتّى يكتبه الله كذَّاباً[1].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل للشرِّ أقفالاً وجعل مفاتيح الأقفال الشراب، والكذب شرٌّ من الشّراب[2].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٣٨.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٣٨.

وعن أبي إسحاق الخراسانيّ قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إيّاكم والكذب فإنَّ كلَّ راج طالب، وكلَّ خائف هارب[١].

وعن محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الكذب هو خراب الإيمان[٢].

وعن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ أوّل من يكذِّب الكذّابَ الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ الملكان اللّذان معه، ثمَّ هو يعلم أنّه كاذب[٣].

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ الكذّاب يهلك بالبيّنات ويهلك أتباعه بالشّبهات[٤].

وعن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ آية الكذّاب بأن يخبرك خبر السّماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء[٥].

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يترك الكذب هزله وجدّه[٦].

وعن الحسين بن طريف، عن أبيه، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه: من كثر كذبه ذهب بهاؤه[٧].

وعن محمّد بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ينبغي للرَّجل المسلم أن يجتنب مواخاة الكذّاب فإنّه يكذب حتّى يجيء بالصدق فلا يصدَّق[٨].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٤٣.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٣٩.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٣٩.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٣٩.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٤٠.
(٦) الكافي ج٢ ص٣٤٠.
(٧) الكافي ج٢ ص٣٤١.
(٨) الكافي ج٢ ص٣٤١.

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقل النّاس مروّة من كان كاذباً[١].

وعن طلحة بن زيد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كثرة المزاح تذهب بماء الوجه، وكثرة الضحك يمحو الإيمان، وكثرة الكذب تذهب بالبهاء[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا سَوء أسوأ من الكذب[٣].

وعن الحارث الأعور، عن عليّ عليه السلام قال: لا يصلح من الكذب جدٌّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيته ثمَّ لا يفي له، إنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النّار، وما يزال أحدكم يكذب حتّى يقال: كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتّى لا يبقى في قلبه موضع أبرة صدق، فيسمّى عند الله: كذّاباً[٤].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شرُّ الرّواية رواية الكذب[٥].

وعن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تمزح فيذهب نورك، ولا تكذب فيذهب بهاؤك، وإيّاك وخصلتين: الضّجر والكسل، فإنّك إن ضجرت لم تصبر على حقّ وإن كسلت لم تؤدِّ حقّاً.

قال: وكان المسيح عليه السلام يقول: من كثر همّه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر كذبه ذهب بهاؤه، ومن لاحا الرجال ذهبت مروّته[٦].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ألا فاصدقوا فإنَّ الله مع الصادقين وجانبوا الكذب

---

(١) أمالي الصدوق ص١٤.
(٢) أمالي الصدوق: ١٦٣.
(٣) أمالي الصدوق ص١٩٣.
(٤) أمالي الصدوق ص٢٥٢.
(٥) أمالي الصدوق ص٢٩٢.
(٦) أمالي الصدوق ص٣٢٤.

فإنَّ الكذب مجانب الإيمان، ألا وإنَّ الصادق على شفا منجاة وكرامة ألا وإنَّ الكاذب على شفا مخزاة وهلكة[١].

وعن حسين بن الحسن الكنديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الرَّجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة اللّيل، فإذا حرم صلاة اللّيل حرم بها الرِّزق[٢].

وعن ابن فضّال رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً فكحله النّعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الكبر[٣].

وعن يونس رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ أنهاك عن ثلاث خصال عظام: **الحسد، والحرص، والكذب**[٤].

وعن جبلة الأفريقي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة، وبيت في وسط الجنّة، وبيت في أعلى الجنّة، لمن ترك المراء وإن كان محقّاً ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً، ولمن حسّن خلقه[٥].

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: أربع من كنَّ فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهنَّ كانت فيه خصلة من النّفاق حتّى يدعها:

١ ـ من إذا حدَّث كذب.

٢ ـ وإذا وعد أخلف.

٣ ـ وإذا عاهد غدر.

٤ ـ وإذا خاصم فجر[٦].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الصّدق أمانة، والكذب خيانة[٧].

---

(١) علل الشرائع ج١ ص٢٣٥. أمالي الطوسي ج١ ص٢٢٠.
(٢) علل الشرائع ج٢ ص٥١.
(٣) معاني الأخبار ص١٣٨.
(٤) الخصال ج١ ص٦٢.
(٥) الخصال ج١ ص٧٠.
(٦) الخصال ج١ ص١٢١.
(٧) الخصال ج٢ ص٩٤.

قال النبيُّ ﷺ: لا يكذب الكاذب إلاّ من مهانة نفسه وأصل السّخريّة الطّمأنينة إلى أهل الكذب[١].

وعن أبي محمّد العسكريّ عليه السلام قال: جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب[٢].

وقال النبيُّ ﷺ: أربا الرّبا الكذب، وقال رجل له صلّى الله عليه وآله: المؤمن يزني؟

قال: قد يكون ذلك.

قال: المؤمن يسرق؟

قال صلّى الله عليه وآله: قد يكون ذلك؟

قال: يا رسول الله المؤمن يكذب؟

قال: لا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣][٤].

قال عليه السلام: إيّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النّار.

وعن عبد الرزّاق، عن نعمان، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتنٌ حتّى يبلغ العرش ويلعنه حملة العرش وكتب الله عليه لتلك الكذبة سبعين زنية أهونها كمن يزني مع أُمّه[٥].

قال موسى عليه السلام: يا ربِّ أيُّ عبادك خير عملاً؟

قال: من لم يكذب لسانه ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه.

---

(١) الاختصاص: ٢٣٢.
(٢) البحار: ج٦٩، ص٢٦٣، ح٤٦.
(٣) النحل: ١٠٥.
(٤) البحار: ج٦٩، ص٢٦٣، ح٤٧.
(٥) البحار: ج٦٩، ص٢٦٣، ح٤٨.

وقال الإمام الزكيُّ العسكريُّ عليه السلام: جعلت الخبائث كلّها في بيت وجعل مفتاحها الكذب[١].

الراضي بالكذب:

عن محمَّد بن سنان قال: كنت عند الرِّضا عليه السلام فقال لي: يا محمَّد إنَّه كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفر من المؤمنين فأتى واحد منهم الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم، فقرع الباب فخرج إليه الغلام فقال: أين مولاك؟ فقال: ليس هو في البيت، فرجع الرجل ودخل الغلام إلى مولاه فقال له: من كان الذي قرع الباب؟ قال: كان فلان فقلت له: لست في المنزل فسكت ولم يكترث ولم يلم غلامه ولا اغتمَّ أحد منهم لرجوعه عن الباب، وأقبلوا في حديثهم.

فلمَّا كان من الغد بكَّر إليهم الرجل فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لبعضهم، فسلَّم عليهم، وقال: أنا معكم، فقالوا: نعم، ولم يعتذروا إليه وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال، فلمَّا كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلَّتهم فظنُّوا أنَّه مطر فبادروا فلمَّا استوت الغمامة على رؤوسهم إذ منادٍ ينادي من جوف الغمامة: أيّتها النَّار خذيهم وأنا جبرئيل رسول الله، فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر، وبقي الرجل مرعوباً يعجب بما نزل بالقوم، ولا يدري ما السبب.

فرجع إلى المدينة فلقي يوشع بن نون فأخبره الخبر وما رأى وما سمع فقال يوشع بن نون: أما علمت أنَّ الله سخط عليهم بعد أن كان عنهم راضياً، وذلك بفعلهم بك، قال: وما فعلهم بي؟ فحدَّثه يوشع، فقال الرجل: فأنا أجعلهم في حلٍّ وأعفو عنهم، قال: لو كان هذا قبل لنفعهم، وأمَّا الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم من بعد[٢].

(١) جامع الأخبار ص١٧٣.
(٢) البحار: ج٧٥، ص١٩١.

كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب؟

أيها العبد: لا شيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافها، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها.

لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقي بعد شيب الذوائب؟ يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب. يمضي زمن الصبا وحب الحبائب. كفى زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب. يا غافلاً فإنه أفضل المناقب، أين البكا لخوف العظيم الطالب؟

أين الزمان الذي ضاع في الملاعب؟ نظرت فيه آخر العواقب، كم في القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب! من لي إذا قمت في موقف المحاسب وقيل لي: ما صنعت في كل واجب؟

كيف ترجو النجاة وتلهو باسر الملاعب، إذا أتتك الأماني بظن الكاذب. الموت صعب شديد مر المشارب، يلقي شره بكأس صدور الكتائب. فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب.

يا آملاً أن تبقى سليماً من النوائب بنيت بيتاً كنسيج العناكب. أين الذين علوا متون الركايب، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وأنت بعد قليل حليف المصايب، فانظر وتكفر وتدبر قبل العجايب.

فعن النبي ﷺ: واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهكلة[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: من قال علم الله ما لا يعلم اهتز له العرش إعظاماً لله عز وجل[2].

---

(١) المستدرك: ج٩، ص٨٨، باب١٢٠، ح٢٥.

(٢) الكافي: ج٧، ص٤٣٧، باب اليمين الكاذبة، ح٣.

وورد ضمن الرسالة التي أرسلها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحارث الهمداني: «ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك ذلاً»[١].

يقول الإمام السجاد عليه السلام: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب جده وهزله[٣].

موعظة للغافلين

حسن العمل:

واعلمي يا نفسُ: أنَّه من كانت مطيَّته اللَّيل والنَّهار فإنَّه يسار به، وإن كان مُقيماً واطناً ويقطع المسافة، وإن كان واقفاً ساكناً، إنَّ اللَّيالي والأيَّام مناهل تطوى وتنشر دُونها الأعمارُ.

يا نفسُ: إنَّما كرهَت الموتَ لأنَّك عمَّرتِ دُنياك، وأخربت أُخراك، فأنت لا تريدين إلى الخراب الرَّحلة، وتكرهين من العمران النَّقلة، إن قلت فكيف ترى حالي عند الله ومآلي قلت اعرضي لنفسك [نفسك]: (كذا) على القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾[٤]، فإن كنتِ مِنَ الأبرار فالجنَّة مأواكِ، وإن كنتِ من الفجَّار فالنَّارُ مثواكِ، فإن قلتِ أينَ صَومي وصلاتي وحجِّي وزكاتي، قلت اعرضيه على الكتاب المبين في قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٥]، فإن قلتِ: فأين شفاعة الرَّسول يوم العرضِ المهول، قلت اعرضيه

(١) نهج البلاغة.
(٢) الكافي: ج٢، ص٣٣٨، باب الكذب، ح٢.
(٣) الكافي: ج٢، ص٣٤٠ن باب الكذب، ح١١.
(٤) الانفطار: ١٣.
(٥) المائدة: ٢٧.

على الكتاب المكنون في قوله: ﴿...وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[(١)] فإن قلتِ فأينَ رحمة الله الواسعة، ومِنَنِه المتتابعة، قلت اعرضيه على كتابه المُبين في قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)].

---

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) الأعراف: ٥٦.

اليمين الفاجرة

قال تعالى:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[1].

روى الشعبي أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: والّذي احتجب بسبع طباق، فعلاه بالدرَّة ثمَّ قال: يا ويلك إنَّ الله أجلّ من أن يحتجب عن شيء أو يحتجب عنه شيء، سبحان الّذي لا يحويه مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فقال الرّجل: أفأكفّر عن يميني يا أمير المؤمنين؟

قال: لا، لم تحلف بالله فتلزمك الكفارة، وإنّما حلفت بغيره[2].

وعن الحارث الأعور، عن عليّ بن أبي طالب أنّه دخل السوق فإذا هو برجل مولّيه ظهره يقول: لا والّذي احتجب بالسبع، فضرب عليٌّ ظهره ثمَّ قال: من الّذي احتجب بالسبع؟

قال: الله يا أمير المؤمنين.

قال: أخطأت ثكلتك أُمّك، إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليس بينه وبين خلقه حجاب، لأنّه معهم أينما كانوا.

قال: ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟

---

(١) القيامة: ٢.

(٢) إرشاد المفيد ص١٢٠ طبع النجف.

قال: أن تعلم أنَّ الله معك حيث كنت.

قال: أُطعم المساكين.

قال: إنما حلفت بغير ربّك[١].

وعن وهب بن عبد ربه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال: يعلم الله لما لا يعلم الله، اهتزَّ العرش إعظاماً لله عزَّ وجلَّ[٢].

وعن ابن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قال العبد علم الله فكان كاذباً قال الله عزَّ وجلَّ: أما وجدت أحداً تكذب عليه غيري[٣]؟!.

وعن شهاب بن عبد ربّه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال: الله يعلم فيما لا يعلم اهتزّ العرش إعظاماً له[٤].

وفي خبر المناهي أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله نهى عن اليمين الكاذبة وقال: إنها تترك الديار بلاقع وقال: من حلف بيمين كاذبة صبراً ليقطع بها مال امرىء مسلم لقي الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبان إلاّ أن يتوب ويرجع[٥].

وروي عن أبي أمامة الحارثي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من رجل اقتطع مال امرىء مسلم بيمينه إلاّ حرّم الله عليه الجنة وأوجب له النار.

فقيل: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟

قال: وإن كان سواكاً من أراك[٦].

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهنَّ أبداً حتّى يرى وبالهنَّ: **البغي، وقطيعة الرّحم، واليمين الكاذبة**

---

(١) البحار: ج١٠١، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) أمالي الصدوق ص٣٥٧.

(٣) أمالي الصدوق: ٤٢٠.

(٤) أمالي الصدوق: ٤٢٠.

(٥) أمالي الصدوق ص٤٢٤.

(٦) كتاب الأعمال المانعة ص٦١ ضمن مجموعة جامع الأحاديث.

يبارز الله بها، وإنَّ أعجل الطّاعة ثواباً لصلة الرّحم، وإنَّ القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم، ويبرّون فتزاد أعمارهم، وإنَّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الدّيار بلاقع من أهلها ويثقلان الرَّحم، وإنَّ تثقل الرحم انقطاع النسل[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السرّ تطفي غضب الرب، وإنَّ قطيعة الرحم واليمين الكاذبة لتذران الدّيار بلاقع من أهلها ويثقّلان الرّحم، وإنّ تثقل الرّحم انقطاع النسل[٢].

وفي خطبة فاطمة عليها السلام: إنَّ الله جعل الوفاء بالنذر تعرّضاً للرحمة[٣].

وعن بشير الدّهان، عمّن ذكره، عن ميثم رفعه قال: قال الله عزَّ وجلَّ: لا أنيل رحمتي من تعرَّض للأيمان الكاذبة، ولا أدني منّي يوم القيامة من كان زانياً[٤].

وعن يعقوب الأحمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله عزَّ وجلَّ[٥].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ يمين الصبر الكاذبة تترك الدّيار بلاقع[٦].

وعن مليح بن أبي بكر الشيباني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اليمين الصبّر الكاذبة تورث العقب الفقر[٧].

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ اليمين الفاجرة لتثقل الرّحم.

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها ص١٩٩ والخصال ج١ ص٨٠. وأمالي المفيد: ص٥٣.
(٢) معاني الأخبار ص٢٦٣.
(٣) علل الشرايع ص٢٤٨ ضمن حديث.
(٤) عقاب الأعمال ص١٩٩.
(٥) نفس المصدر ص٢٠٣.
(٦) نفس المصدر ص٢٠٣.
(٧) نفس المصدر ص٢٠٤.

قلت: ما معنى تثقل الرحم؟

قال: تعقم، وأمّا محمّد بن يحيى فإنّه روى ينقل في الرحم[١].

وعن عليّ بن جرير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اليمين الغموس التي توجب النار: الرّجل يحلف على حقّ امرىء مسلم على حبس ماله[٢].

وعن أبي الحسن شيخ من أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق ديكاً أبيض عنقه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السّابعة له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب لا تصيح الدّيكة حتّى يصيح، فإذا صاح خفق بجناحيه ثمَّ قال: سبحان الله سبحان الله العظيم الذي ليس كمثله شيء، فيجيبه الله تبارك وتعالى: ما آمن بما تقول من يحلف بي كاذباً[٣].

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: شرك طاعة قول الرجل لا والله وفلان ولولا الله وفلان والمعصية منه[٤].

اليمين المغموس:

قال سبحانه:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[٥].

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٧﴾[٦].

---

(١) عقاب الأعمال: ٢٠٤.
(٢) عقاب الأعمال: ٢٠٤. والمحاسن: ص١١٩.
(٣) عقاب الأعمال ص٢٠٤. والمحاسن: ص١١٨.
(٤) تفسير العياشي ج٢ ص١٩٩.
(٥) القيامة: ٢.
(٦) آل عمران: ٧٧.

تنبيه للغافلين

لا تنسوا الموت:

يا نفسُ: الموت يطلبك وأنت للدُّنيا تأملين، والله يمقتك وأنت مِلْءَ فيك تضحكين.

يا نفسُ: الموتُ من الإنسان قريبٌ، وللنَّقصِ في كلِّ يوم منه نصيبٌ، وعند صفو اللَّيالي يحدث الكدر، فبادري بفعل الجميل، قبل أنْ يُنادي بالرَّحيل، أبالصَّحَّة تغترِّين، أم بطول العافية تفرحين، أم من الموت تأمنين.

يا نفسُ: لو رأيتِ قرب ما بقي من أجلك، لزهدتِ في طويل أملك، ولرعيتِ في الزِّيادة من صالح عملك، ولقصرتِ من حرصكِ وحيلكِ، وإنَّما تلقَّاك غداً ندمكِ، لو زلَّت بكِ قدمك، واسْتلمك أهلك وحشمكِ، وفارقك الولد القريب، ورفضك الوالد والنَّسيبُ، فلا أنتِ إلى دُنياك عائدة، ولا في حَسناتك زائدة، فاعملي ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة.

يا نفسُ: كم من عامِر مونق يخرب، وكم من سالم صحيح يعطب.

شهادة الزور

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾[3].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[5].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[6].

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) البقرة: ٢٨٣.

(٣) النساء: ١٣٥.

(٤) المائدة: ٨.

(٥) الفرقان: ٧٢.

(٦) المعارج: ٣٣.

ظاهرة شهادة الزور:

إنَّ الشهادة مشتقة من المشاهدة، وهي المعاينة لأنَّ الشاهد يُخبر عمَّا شاهده وعاينه، ولا يحل لأحد أن يشهد إلاَّ بعلم، وتطلب الشهادة عادة للوصول إلى معرفة حقيقة أمر ما. . لذلك غالباً ما تكون الشهادة هي السبيل للحكم لأحد الطرفين المتنازعين، إذا كان هناك نزاع، وقد تُطلب الشهادة لإثبات النكاح أو الموت أو الوصية.

وشهادة الزور هي من أكبر الكبائر، وأعظم الجرائر، لأنَّها مناصرة للظالم، وهضم لحقوق المظلوم، وتضليل للقضاء وإيغار للصدور، وتأريث للشحناء بين النَّاس.

﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1].

وقال ﷺ: «لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النَّار».

وقد أمر الإسلام الحنيف بالتثبت من كل أمر قبلَ نقله والتلفظ به. .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2].

وقد جعل الإسلام شهادة الزور في مرتبة عظيمة من مراتب الكبائر، فهي ثالث كبيرة بعد الشرك بالله، وعقوق الوالدين!!

قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئاً فجلس، فقال: **ألا وقول الزور وشهادة الزور**».

وهذا النهي هو المنهج السليم والقويم، فإنَّ شهادة الزور هي وراء الكثير من الجرائم والجنايات التي تُرتكب بسببها، عندما يشعر المظلوم أنَّ حقه سيضيع بشهادة «فلان» الباطلة، فتدفعه هذه الشهادة لارتكاب الجريمة. .

---

(١) الحج: ٣٠.

(٢) الإسراء: ٣٦.

ومعلوم ما في شهادة الزور من أكل لحقوق النَّاس، ونصر للباطل على الحق، لذلك كان من الطبيعي أن يحاربها الإسلام محاربة شديدة، وهدفه في ذلك حفظ المجتمع، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

شهادة الزور:

وهي كسابقتها جريمة خطيرة، وظلم سافر هدَّام، تبعث على غمط الحقوق، واستلاب الأموال، وإشاعة الفوضى في المجتمع، بمساندة المجرمين على جرائم التدليس والابتزاز.

أضرار اليمين الكاذبة وشهادة الزور:

وإنَّما حرمت الشريعة الإسلامية اليمين الكاذبة، وشهادة الزور، وتوعدت عليهما بصنوف الوَعيد والإرهاب، لآثارهما السيئة، وأضرارهما الماحقة، في دين الإنسان ودنياه، من ذلك:

١ ـ أنَّ مقترف اليمين الكاذبة، وشهادة الزور، يسيىء إلى نفسه إساءة كبرى بتعريضها إلى سخط الله تعالى، وعقوباته التي صورتها النصوص السالفة.

٢ ـ ويسيىء كذلك إلى من سانده ومالأه، بالحلف كذباً، والشهادة زوراً، حيث شجَّعه على بخس حقوق النَّاس، وابتزاز أموالهم، وهدر كراماتهم.

٣ ـ ويسيىء كذلك إلى من اختلق عليه اليمين والشهادة المزورتين، بخذلانه وإضاعة حقوقه، وإسقاط معنوياته.

٤ ـ ويسيىء إلى المجتمع عامة بإشاعة الفوضى والفساد فيه، وتحطيم قيمه الدينية والأخلاقية.

٥ ـ ويسيىء إلى الشريعة الإسلامية بتحدّيها، ومخالفة دستورها المقدَّس، الذي يجب اتباعه وتطبيقه على كل مسلم.

«شهادة الزور» هي مجلس المعصية

في سورة الفرقان، أشار الله سبحانه إلى عدَّة صفات من الأوصاف الحسنة للمؤمنين ومنها عدم المشاركة في مجالس المعصية، والتي جاءت تاسع علامة لهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[١]. هذه الآية فسَّرها المفسِّرون بصورتين:

١ ـ فاعتبروا شهادة الزور بمعنى شهادة الباطل، لأنَّ «الزُّور» في اللغة تعني الرغبة في الانحراف، ويُقال للكذب والباطل «زوراً» لأنَّهما من الأُمور الانحرافية. وتعبير «شهارة الزور» يطرح بهذا العنوان في كتاب الشهادات في الفقه، وقد نُهي عنه في عدد من الروايات أيضاً، وإن لم يلاحظ في تلك الروايات استدلال بالآية التي مرَّ ذكرها.

٢ ـ المقصود من «الشهود» هو الحضور، أي أنَّ عباد الله الخواص لا يحضرون في مجالس الباطل. وفي بعض الروايات الواردة عن أئمَّة أهل البيت، فُسّر بـ«مجلس الغناء» وهي المجالس التي يجري فيها غناء لهوي مقرون باستعمال آلات الموسيقى أو بدونها.

ولا شك أنَّ المقصود من هذا النوع من الروايات تحديد المفهوم الواسع لـ«الزُّور» بـ«الغناء»، وإنَّما الغناء هو أحد مصاديقه الواضحة، وهو يشمل سائر مجالس اللهو واللعب وشرب الخمر والكذب والغيبة وأمثال ذلك.

ولا يبدو من المستبعد احتمال جمع كلا التفسيرين في معنى الآية، فعباد الرَّحمان لا يشهدون كذباً، ولا يحضرون في مجالس اللهو والباطل والمعصية؛ لأنَّ الحضور في هذه المجالس هو مقدمة لفساد قلب الإنسان وروحه، إضافة إلى تأييد المعصية[٢].

رُوي في كتاب التكليف لابن أبي العزاقر رواه عن العالم عليه السلام أنه قال: من

---

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) تفسير «نمونة»: ج١٥، ص١٦٤.

شهد على مؤمن بما يثلمه أو يثلم ماله أو مروّته سماه الله كذاباً وإن كان صادقاً، ومن شهد لمؤمن ما يحيي به ماله أو يعينه على عدوّه أو يحفظ دمه سمّاه الله صادقاً وإن كان كاذباً[١]

وعن النبيّ ﷺ قال: من شهد شهادة زور على رجل مسلم أو ذمّي أو من كان من الناس علّق بلسانه يوم القيامة هو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار[٢].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ أقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي ومن الله مجلساً شاهد زور[٣].

وفي خبر المناهي أنَّ النبيّ ﷺ نهى عن شهادة الزور، ونهى عن كتمان الشهادة وقال: من كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلايق وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: شاهد الزور لا تزول قدماه حتّى تجب له النار[٥].

وعن صالح بن ميثم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من رجل يشهد شهادة زور على مال رجل مسلم ليقطعه إلاّ كتب الله عزَّ وجلَّ له مكانه صكّاً إلى النار[٦].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرىء مسلم أو ليزوى بها مال امرىء مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مدّ البصر وفي وجهه كدوح تعرفه الخلايق باسمه ونسبه، ومن شهد

---

(١) غوالي اللئالى المسلك الأول من الباب الأول (مخطوط).
(٢) البحار: ج١٠١، ص٣١٠، ح٣.
(٣) كتاب الغايات ص٨١.
(٤) أمالي الصدوق ص٤٢٨ ضمن حديث.
(٥) ثواب الأعمال وعقابها ص٢٠٢ وأمالي الصدوق ص٤٨٢.
(٦) ثواب الأعمال وعقابها ص٢٠٢ وأمالي الصدوق ص٤٨٢.

شهادة حقّ ليحيى بها حقّ امرىء مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مدّ البصر يعرفه الخلايق باسمه ونسبه، ثمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: ألا ترى الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾(١).

وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال صلى الله عليه وآله: من شهد شهادة زور على أحد من الناس علّق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار ومن حبس من أخيه المسلم شيئاً من حقه حرم الله عليه بركة الرزق إلاّ أن يتوب(٢).

وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر.

قلنا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال صلى الله عليه وآله: الإشراك بالله تعالى، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس ثم قال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت(٣).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يبعث شاهد الزور يوم القيامة، يدلع لسانه في النار، كما يدلع الكلب لسانه في الإناء»(٤).

وبهذا الإسناد: عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: يا علي، إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الفاجر، نزل معه بسفود من نار، فينزع روحه فتصيح جهنم، فاستوى علي عليه السلام جالساً فقال: يا رسول الله، فهل يصيب ذلك أحداً من أمتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: نعم: حاكم جائر، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور»(٥).

الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره: عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال في خطبة

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها ص٢٠٣.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨، ص٢٣٧، باب ٩، ح٥.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٧، ص٤١٦، باب ٦، ح١١.
(٤) الجعفريات ص١٤٥.
(٥) الجعفريات ص١٤٦.

على المنبر: «إن شهادة الزور تعادل الشرك بالله تعالى، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1][2].

وعن الباقر عليه السلام: لقد ساوى الله في القرآن الكريم بين شهادة الزور والشرك[3].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار...[4].

موعظة للغافلين

تنبيه النَّفس عن معايبها:

يا نفسُ: إن أردت أن تقفي على عيُوب نفسك، فخذي بها من السنة أعدائِك، لا من السنة أحبَّائك وأوليائك، ولعلَّ انتفاع الإنسان بعدوِّه يذكر معائبه، أكثر من انتفاعه بصديق يشهر مناقبه، فعن عليّ عليه السلام: جَهْل المرءِ بعيوبه، أكبر من ذنوبه، ومن داهنك في عيبك، عابك في غيبك.

واعلمي: إنَّ نسيانك إن مسَّك، ومحبَّتك لنفسك، قد أصمَّك، وأعماك وأضلَّك، وأرداك، لأنَّ الإنسان إذا أحبَّ الشَّيء أغفل عن مَواضع عيوبه، كأنّه لا ينظرها، وأعرض عن المقابح من ذنُوبه كأنَّه لا يَسمَعها، فصار من هذا الوجه كالأعمى لتغاضيه، والأصمّ لتغابيه.

(البحر الطويل)

فعين الرِّضا عن كلِّ عيب كليلة كما أنَّ عَيْنَ السُّخْط تبدِي المساويا

---

(١) الحج ٢٢: ٣٠.

(٢) تفسير أبي الفتوح الرازي ج٣ ص٥٩٥.

(٣) المستدرك: ج١٧، ص٤١٩، باب ٧، ح١٨.

(٤) المستدرك: ج١٧، ٤١٦، باب ٦، ح١٢.

يا نفسُ: جاهدي نفسكِ على أربعة أقسام: قلَّة القوتِ من الطعام، والغمض من المنام، وترك إكثار الكلام، واحتمال الأذى من الأنام، فإنَّه يتولَّد من قلَّة الطعام موت الشَّهوات، ومن قلَّة المنام صفو الإرادات، ومن قلَّة الكلام السَّلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البُلوغ إلى الغايات.

يا نفسُ: إيَّاك والبطنة، فإنَّها ثقل في الحياة، ونتن في الممات، فمن لزمها كثرت أسقامُهُ، وفَسَدت أحْلامه، لأنَّه إذا امتلأت المعدة قلَّت الإفادة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

يا نفسُ: أتذنبين، والشَّاهدُ عَليك الملك الجبَّار وتضحكينَ، ولَعَلَّ أكفانك قد خرجت من عند القصَّار.

الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال تعالى:

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾[2].

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[3].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[4].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾[5].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[6].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[7].

---

(١) البقرة: ١٠٠.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) أسرى: ٣٤.

(٤) مريم: ٥٤.

(٥) المؤمنون: ٨.

(٦) الصف: ٢ ـ ٣.

(٧) المعارج: ٣٢.

خلف الوعد:

الوفاء بالوعد من الخلال الكريمة التي يزدان بها العقلاء، ويتحلى بها النبلاء، وقد نوّه الله عنها في كتابه الكريم فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥٤﴾[١].

ذلك أنَّ إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً، فمكث في انتظاره سنة كاملة، في مكان لا يبارحه، وفاءً بوعده.

وإنَّه لمن المؤسف أن يشيع خلف الوعد بين المسلمين اليوم، متجاهلين نتائجه السيئة في إضعاف الثقة المتبادلة بينهم، وإفساد العلاقات الاجتماعية، والإضرار بالمصالح العامَّة.

وعن أبي مالك قال: قلت لعليِّ بن الحسين عليه السلام: أخبرني بجميع شرايع الدِّين.

قال: **قول الحقِّ والحكم بالعدل، والوفاء بالعهد**[٢].

وعن الحسين بن مصعب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا عذر لأحد فيها: **أداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وبرُّ الوالدين برَّين كانا أو فاجرين**[٣].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث من كنَّ فيه أوجبن له أربعاً على الناس: **من إذا حدَّثهم لم يكذبهم، وإذا خالطهم لم يظلمهم، وإذا وعدهم لم يخلفهم**، وجب أن تظهر في الناس عدالته، وتظهر فيهم مروءته، وأن تحرم عليهم غيبته وأن تجب عليهم أُخوَّته[٤].

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: أربع من كنَّ فيه فهو منافق،

---

(١) مريم: ٥٤.

(٢) الخصال ج١ ص٥٥.

(٣) الخصال ج١ ص٦٦.

(٤) الخصال ج١ ص٩٨.

وإن كانت فيه واحدة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتّى يدعها: **من إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**[(١)].

وعن الجعفريّ، عن الرّضا عليه السلام قال: تدري لم سمّي إسماعيل صادق الوعد؟

قال: قلت: لا أدري.

قال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره[(٢)].

عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا دين لمن لا عهد له[(٣)].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: «عدة المؤمن أخاه نذر كفارة له فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرض وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ...﴾»[(٤)].

وقال أمير المؤمنين: «الخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾»[(٥)].

صادق الوعد

وعن السمنديّ، عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ أفضل الصدقة صدقة اللّسان، تحقن به الدماء، وتدفع به الكريهة، وتجرُّ المنفعة إلى أخيك المسلم، ثمَّ قال صلى الله عليه وآله: إنَّ عابد بني إسرائيل الّذي كان أعبدهم كان يسعى في حوائج النّاس عند الملك وإنّه لقيَ إسماعيل بن حزقيل فقال: لا تبرح حتى أرجع إليك بإسماعيل، فسها عنه عند الملك فبقي إسماعيل إلى الحول هناك فأنبت الله

---

(١) الخصال ج١ ص١٢١.
(٢) علل الشرايع ج١ ص٧٢. عيون ا.هبار ج٢ ص٧٩.
(٣) نوادر الراوندي ص٥.
(٤) الوسائل كتاب الحج: ج٨، ص٩٥، ب١٠٩، ح٣.
(٥) نهج البلاغة في عهده عليه السلام إلى ملك الأشتر.

لإسماعيل عشباً فكان يأكل منه وأجرى له عيناً وأظلَّه بغمام فخرج الملك بعد ذلك إلى التنزُّه ومعه العابد فرأى إسماعيل فقال: إنَّك لهٰهنا يا إسماعيل؟!

فقال له: قلت: لا تبرح فلم أبرح فسُمِّي صادق الوعد.

قال: وكان جبَّار مع الملك فقال: أيُّها الملك كذب هذا العبد قد مررت بهذه البريَّة فلم أره هٰهُنا.

فقال له إسماعيل: إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما أعطاك، قال: فتناثرت أسنان الجبَّار، فقال الجبَّار: إنِّي كذبت على هذا العبد الصالح فاطلب أن يدعو الله أن يردَّ عليَّ أسناني فإنِّي شيخ كبير فطلب إليه الملك فقال: إنِّي أفعل قال: الساعة؟ قال: لا وأخَّره إلى السحر ثمَّ دعا ثمَّ قال: يا فضل إنَّ أفضل ما دعوتم الله بالأسحار، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾[1][2].

وفي الحلية في ترجمة أبي عبد الله القلانسي أنَّه ركب البحر في بعض سياحاته فعصفت عليهم الريح فتضرَّع أهل السفينة إلى الله تعالى ونذروا النذور إن نجَّاهم الله تعالى، فألحُّوا على أبي عبد الله في النذر فأجرى الله على لسانه أن قال:

إن خلَّصني الله تعالى ممَّا أنا فيه لا آكل لحم الفيل، فإنكسرت السفينة وأنجاه الله وجماعة من أهلها إلى الساحل فأقاموا بها أيَّاماً من غير زاد، فبينا هم كذلك إذا هم بفيل صغير فذبحوه وأكلوا لحمه سوى عبد الله فلم يأكل منه وفاءً بالعهد الذي كان منه، فلمَّا نام القوم جاءتهم أُمّ ذلك الفيل تتبع أثره وتشمّ الرائحة فمن وجدت منه رائحة لحمه داسته بيديها ورجليها إلى أن تقتله، قال: فقتلت الجميع ثمَّ جاءت إليَّ فلم تجد منِّي رائحة اللحم فأشارت إليَّ: أن أركبها، فركبتها فسارت بي سيراً شديداً اللَّيل كلّه، ثمَّ أصبحت في أرض ذات حرث وزرع، فأشارت إليَّ: أن أنزل، فنزلت عن ظهرها فحملني أُولئك القوم إلى ملكهم فسألني ترجمانه فأخبرته

---

(١) الذاريات: ١٨.

(٢) البحار: ج١٣، ص٣٨٩.

بالقصَّة، فقال لي: إنَّ الفيلة سارت بك في هذه الليلة مسيرة ثمانية أيَّام، قال: فكنت عندهم إلى أن حملت ورجعت إلى أهلي[١].

الوفاء بالوعد

واعد رسول الله ﷺ يوماً رجلاً في مكان معين عند صخرة، وجاء قبل الموعد إلى ذلك المكان وتوقَّف قرب تلك الصخرة وطفق ينتظر مجيء الرجل، وعندما حلَّ الموعد المقرر لم يأت.

ومضت عدَّة ساعات وارتفعت الشمس في كبد السَّماء وأخذت حرارتها تحمي بدنه المبارك وتؤذيه، فجاء بعض الصحابة ورأوه على تلك الحال فقالوا له:

ـ يا رسول الله! لو تحوَّلتَ إلى الظلّ.

فقال ﷺ: واعدته هٰهُنا ولا أغادر مكاني حتى يأتي.

ومضت ساعات أُخرى ثم جاء ذلك الرجل، فقال له النبي الأكرم ﷺ: ـ لو لم تأتِ إلى هنا لما تحركت حتى أموت[٢].

ناكثو العهد

في السنة السادسة للهجرة جاء إلى النبي جمع من العرنيين وأسلموا على يده. وأقاموا مدة في المدينة المنورة ولازموا رسول الله ﷺ لكن الجو لم يلائمهم فأصيبوا بالأمراض، فأمرهم النبي بالنزوح من المدينة والذهاب إلى سفوح جبل (عير) والبقاء هناك مدةً وشرب حليب النوق حتى يستردُّوا سلامتهم.

وغادرت هذه الثلة من العرنيين المدينة واستقرت عند جبل (عير) وظلوا فيه مدة كي يستعيدوا سلامتهم. لكنَّهم ارتدوا في أحد الأيَّام عن الإسلام بأجمعهم وسيطروا على خمس عشرة ناقة من نوق رسول الله ﷺ وتحركوا نحو ديار قبيلتهم.

(١) البحار: ج٦٥، ص٢٣١.
(٢) الذُّنوب الكبيرة/ الجزء الأول/ ص٤٣٤.

وعند وصول خبرهم إلى المدينة خرج في أثرهم راعي إبل النبي ـ أو غلامه ـ (يسار) وجمع من فرسان المسلمين فلما وصلوا إليهم قاتلوهم، لكن عدد المرتدين كان كبيراً والتعب قد أرهق المسلمين فانغلب المسلمون وسقط عدد منهم أسرى بيد المرتدين فيما قتل بعضهم الآخر منهم (يسار) راعي إبل النبي، حيث مثلوا به فقطَّعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه وقتلوه صبراً.

وعندما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر جهَّز سرية وعقد اللواء (كُريز) فخرج في أثرهم مغذّاً، وعندما لحق بهم حاصرهم وأسرهم وأوثقهم كتافاً وجاء بهم إلى النبي ﷺ فنزل قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[1].

فأمر رسول الله بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم لكي لا يفكر غيرهم بخداع المسلمين وغدرهم ويكونوا عبرةً للآخرين[2].

الوفاء بالنذر

عندما كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين أصيبا بمرض ورقدا بالفراش.

وعندما عرف الرسول ﷺ بمرض حفيديه العزيزين طلب من أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزَّهراء أن ينذروا نذراً لسلامة طفليهما.

فنذر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزَّهراء أن يصوموا ثلاثة أيَّام لوجه الله إن استعاد الطفلان صحتهما.

بعد فترة شفى الله الطفلين وقرَّر أمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام أن يفيا بنذرهما عندما اطّلع الإمام الحسن والحسين عليهما السلام على تصميم أبويهما قرَّرا أن

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) الذُّنوب الكبيرة/ الجزء الثاني/ ص٢١١.

يشاركاهما هذا العمل وكذلك الخادمة فضَّة التي كانت امرأة مؤمنة وتعلَّمت درس الإيثار من فاطمة الزَّهراء عليها السلام واقتدت بهم وقررت أن تصوم ثلاثة أيَّام، في اليوم الأول لم يكن يوجد طعام في البيت وخرج الإمام علي عليه السلام من البيت للحصول على الطعام وذهب إلى تاجر.

اقترح التاجر أن يأخذ منه القليل من الصوف ويغزله ويأخذ شعيراً بالمقابل. فقبل الإمام اقتراح التاجر وأخذ الصوف وكيس الشعير وأخذهما إلى البيت وهناك أعطى الصوف لفاطمة الزَّهراء عليها السلام وخرج من البيت للعمل. قسَّمت ابنة النبي الشريف الصوف إلى ثلاثة أقسام وغزلت القسم الأول فأخذت قسماً من الشعير وطحنته وخبزت خمسة أقراص من الخبز.

عند الغروب وعندما حان وقت الإفطار وضعت فاطمة الزَّهراء عليها السلام السفرة. كان يوجد فيها خمسة أقراص من الخبز وإناء ماء في هذه الأثناء طرق أحدهم الباب قائلاً:

مسكين أعطوني ممَّا أعطاكم الله. فأعطاه الإمام علي عليه السلام قرص الخبز وفاطمة الزَّهراء عليها السلام تبعت زوجها المؤمن وأعطت قرصها. والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام تبعا أبويهما أيضاً وأهدوا الفقير طعامهما برؤية هذا المشهد وهبت فضَّة طعامها أيضاً للفقير. ابتعد الفقير فرحاً من عند البيت وفطر أهل البيت بالماء في تلك الليلة وناموا جائعين ولكن بقلوب تفوح بالإيمان.

عند السحر لم يكن عندهم الطعام شربوا القليل من الماء وناموا بعد الصلاة. وفي اليوم التالي كانت الشَّمس تبعث أشعتها المحرقة على (المدينة). خرج الإمام علي عليه السلام وهو جائع للعمل في خارج المدينة. غزلت فاطمة الزَّهراء القسم الآخر من الصوف وطحنت الشعير وخبزت خمسة أقراص من الخبز. بدأ الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام في اليوم الثاني من الصوم وهما نحيفان وما زالا ناقهين.

انتهى ذلك اليوم وعند الغروب فرشت السفرة بعد تأدية الصلاة. وكالعادة كان يوجد خمسة أقراص من الخبز وإناء من الماء. عندما مدَّ الإمام علي عليه السلام يده ليأخذ اللقمة الأولى طرق الباب كان طفل يتيم واقفاً على الباب والإمام علي يردُّ

على اليتيم المحتاج آثر ذلك اليتيم وأعطى طعامه له وتبعه باقي أهل البيت كفاطمة الزَّهراء عليها السلام والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وأهدوا طعامهم لذلك اليتيم فاشتركت (فضَّة) في التفاني وأعطت خبزها لليتيم.

وأفطروا بالماء للمرَّة الثانية وذهبوا إلى الفراش وهم جياع. في السحور ما كان يوجد إلاَّ إناء الماء على السفرة فحمدوا الله على نعمته بالصحَّة والعافية وشكروه لأنَّهم استطاعوا أن يفوا بنذرهم.

بدأ ثالث يوم النذر. أرسلت الشمس أشعتها المحرقة على أزقة المدينة فخرج أمير المؤمنين عليه السلام من البيت ليذهب إلى الصحراء للعمل ويقضي يوماً صعباً في العمل.

غزلت فاطمة عليها السلام الصوف في اليوم الثالث من النذر وطحنت الشعير وصنعت خبزاً منه. انتشرت رائحة الخبز في البيت. وفي البيت الذي لم يتذوّق أهله الطعام منذ ثلاثة أيَّام رضاً لله كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام يساعدان أُمَّهما بأيديهما الصغيرتين، حتى الأبطال لا يستطيعون تحمُّل ثلاثة أيَّام من الجوع ولكن هذين الطفلين تحمَّلا الأمر العجيب.

عند الغروب جلس أهل الدار حول سفرتهم المحضرة ليفطروا بالخبز بعد ثلاثة أيَّام من الجوع فطرق الباب.

كان أسير عند الباب وقال: بأنَّه يتضوَّر جوعاً. فترحَّم أمير المؤمنين عليه وأعطاه خبزه فتبعته فاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وأعطوه طعامهم وتبعتهم (فضَّة) أيضاً. ابتعد الأسير فرحاً وبقي أهل الدار جائعين في البيت.

في هذه الأثناء نزل جبرئيل على رسول الله بالآية التالية: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[1] وأعلمه نبأ تفاني أهل البيت عليهم السلام فذهب الرسول إلى بيت أمير المؤمنين. عندما دخل النبي صلى الله عليه وآله وجد ابنته وأحفاده بوجوه مصفَّرة ولكن

---

(١) الإنسان: ٨.

بقلوب مليئة بالإيمان وشفاه ضاحكة. نزل جبريل من السَّماء وأهداهم طعاماً سماوياً. عطر الطعام بقي في البيت لمدَّة أسبوع كامل[1].

وتأمل قول القائل:

(البحر الطويل)

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علّة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زيّنوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وفاء الكلب وغدر أبي سماعة

كان للأعمش كلب يتبعه في الطريق إذا مشى، حتى يرجع، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت صبياناً يضربونه، ففرقت بينهم وبينه، فعرف لي ذلك فشكره، فإذا رآني يبصبص لي، ويتبعني.

ولو عاش ـ أيدك الله ـ الأعمش إلى عصرنا، ووقتنا هذا، حتى يرى أهل زماننا هذا، ويسمع خبر أبي سماعة المعيطي ونظائره، لازداد في كلبه رغبة، وله محبة.

قال: هجا أبو سماعة المعيطي، خالد بن برمك، وكان إليه محسناً، فلما ولي يحيى الوزارة، دخل إليه أبو سماعة، فيمن دخل من المهنئين.

فقال: أنشدني الأبيات التي قلتها.

فقال: ما هي؟

قال: قولك:

(١) أمالي الصدوق: ١٥٥. عند البحار: ٣٥/٢٣٨، ح١، وكشف الغمَّة للأربلي: ٨٨، عنه البحار: ٣٥/ ٢٤٥، ح٦.

(البحر الخفيف)

زرت يحيى وخالداً مخلصاً للّـ ـه ديني فاستغصرا بعض شأني
ولو أنِّي ألحدت في اللّه يوماً أو لو أنِّي عبدت ما يعبدان
ما استخفَّا فيما أظن بشأني ولأصبحت منهما بمكان
إنَّ شكلي وشكل من جحد اللّـ ـه وآياته لمختلفان

قال أبو سماعة: لا أعرف هذا الشعر، ولا من قاله.

فقال له يحيى: ما تملك صدقة إن كنت تعرف من قالها؟ فحلف.

فقال يحيى: وامرأتك طالق، فحلف.

فأقبل يحيى على الغساني، ومنصور بن زياد، والأشعثي، ومحمد بن محمد العبدي ـ وكانوا حضوراً في المجلس ـ وقال: ما أحسبنا إلاَّ وقد احتجنا أن نجدد لأبي سماعة منزلاً، وآلة، وحرماً، ومتاعاً، يا غلام: ادفع له عشرة آلاف درهم، وتختاً فيه عشرة أثواب، فدفع إليه.

فلما خرج تلقَّاه أصحابه، يهنئونه، ويسألونه عن أمره، فقال: ما عسيت أن أقول إلاَّ أنَّه ابن زانية أبى إلاَّ كرماً.

فبلغت يحيى كلمته من ساعته، فأمر به، فحضر، فقال له: يا أبا سماعة، لِمَ تعرق في هجائنا، وتغرق في شتمنا؟

فقال له أبو سماعة: ما عُرِفْتَه أيُّها الوزير، افتراء وكذب عليَّ.

فنظر إليه يحيى مليّاً، ثم أنشأ يقول:

(البحر الوافر)

إذا ما المرء لم يخدش بظفر ولم يوجد له أن غضَّ ناب
رمى فيه الغميزة من بغاها وذلَّت من قرائنه الصعاب

فقال أبو سماعة: كلاَّ أيُّها الوزير، ولكنَّه كما قال:

(البحر البسيط التام)

لم يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا حتَّىٰ يذلّوا، وإن عزّوا، لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا صفح ذلّ ولكن صفح أحلام

فتبسَّم يحيى، وقال: إنَّا عذرناك، وعلمنا أنَّك لن تدع مساوىء شيمك، ولؤم طبعك، فلا أعدمك الله ما جبلك عليه من مذموم أخلاقك، ثم تمثَّل قائلاً:

(البحر الوافر)

متى لم تتَّسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد
إذا ما المرء لم يخلق لبيباً فليس اللب عن قدم الولاد

ثم قال: هو والله، كما قال عمر بن الخطاب: المؤمن لا يشفي غيظه.

ثم إنَّ أبا سماعة، هجا بعد ذلك سليمان بن أبي جعفر، وكان إليه محسناً، فأمر به الرشيد، فحلق رأسه ولحيته[١].

موعظة للغافلين

التضرُّع إلى الله:

يا نفسُ: من خافَ شيئاً فهو منه هاربٌ، ومَن رَجَا شيئاً فهو له طالبٌ، فمن هَرِب مِنَ النَّار تركَ المعاصي والشَّهوات، ومن رَجَا الجنَّة لازم النَّوافل والطَّاعاتِ.

يا نفسُ: انظري أوَّلاً في ذُنُوبك الظَّاهرة، قبل حُلول السَّاهرة، ثمَّ انظري في الموت وسكرته، والقبر وضيقته، ثمَّ انظري بعد هذه الثلاث، إلى عذاب الأجداث، ثمَّ في أهوال النِّداء يوم النُّشور، عند نفخة الصُّور، ثمَّ جمع الخلائق على صعيد، وهول ذلك اليوْم الشديد، ثمَّ في المناقشة في الحساب في القليل والكثير، والاستقصاء والمُضايقة في النقير والقطمير، ثمَّ صَوِّري في نفسك جهنَّم وأهوالها، وسلاسلها وأغلالها، ثمَّ ضجِّي يا نفس بعد ذلك إلى الله ضجيج

(١) فضل الكلاب على من لبس الثياب: ١١.

الآملين، وناديه يا وليَّ المؤمنين، يا غياث المستغيثين، يا حبيبَ قلوب الصَّادقين، يا إلّه الأوَّلين والآخرين يا أرْحَمَ الرَّاحمينَ.

(البحر الكامل)

يَا مَنْ يَرى ما في الضَّمير وَيَسْمَعُ ... أنْتَ المُعدُّ لِكُلِّ ما يُتَوقَّعُ
يا من يُرجَّى للشَّدائِدِ كُلِّها ... يَا مَنْ إليْه المُشْتكىٰ والمفزَعُ
يا من خزائن مُلكه في قول كن ... امنن فإنَّ الخير عندكَ أجْمع
ما لي سوى فقري إليك وَسيلة ... بالافتقار إليْكَ فقري أدْفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئِن ردَدْتِ فأيّ باب أقرع
وَمَن الَّذي ادعُو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عَنْ فقيرك يمنع
حاشا لمجْدك أن تقنّط عاصياً ... الفَضْل أجزلُ والمواهب أوسَع

ثمَّ ادعي بما وَرَدَ مِن الصَّادقين، واستشعري الإجابة عن يقين.

يا نفسُ: فالدُّعاءُ مَفاتيح الرَّحمَة، ومماريح النِّقمة.

يا نفسُ: كيف ترجين لقاء الله وأنت تعصينه، فلو عصيت آدمياً ما اشتهيت إن تلقيه.

الخيانة وعقاب أكل الحرام

محاسن الأمانة ومساوىء الخيانة:

تلعب الأمانة دوراً خطيراً، في حياة الأُمم والأفراد، فهي نظام أعمالهم، وقوام شؤونهم، وعنوان نبلهم واستقامتهم، وسبيل رقيهم الماديّ والأدبي.

وبديهي أنَّ من تحلى بالأمانة، كان مثال التقدير والإعجاب، وحاز ثقة النَّاس واعتزازهم وائتمانهم، وشاركهم في أموالهم ومغانمهم.

ويصدق ذلك على الأُمم عامَّة، فإنَّ حياتها لا تسمو ولا تزدهر، إلاَّ في محيط تسوده الثقة والأمانة.

وبها ملك الغرب أزمّة الاقتصاد، ومقاليد الصناعة والتجارة، وجنى الأرباح الوفيرة، ولكنَّ المسلمين وأسفاه! تجاهلوها، وهي عنوان مبادئهم، ورمز كرامتهم، فباؤوا بالخيبة والإخفاق.

من أجل ذلك كانت الخيانة من أهم أسباب سقوط الفرد وإخفاقه في مجالات الحياة، كما هي العامل الخطير في إضعاف ثقة النَّاس بعضهم ببعض، وشيوع التناكر والتخاوف بينهم، ممَّا تسبب تصدّع المجتمع، وفصم روابطه، وإفساد مصالحه، وبعثرة طاقاته.

صور الخيانة:

وللخيانة صور تختلف بشاعتها وجرائمها باختلاف آثارها، فأسوأها نكراً هي

الخيانة العلمية التي يقترفها الخائنون المتلاعبون بحقائق العلم المقدَّسة، ويشوّهونها بالدس والتحريف.

ومن صورها إفشاء أسرار المسلمين، التي يحرصون على كتمانها، فإشاعتها والحالة هذه جريمة نكراء، تعرضهم للأخطار والمآسي.

ومن صورها البشعة: خيانة الودائع والأمانات، التي أؤتمن عليها المرء، فمصادرتها جريمة مضاعفة من الخيانة والسرقة والاغتصاب.

وللخيانة بعد هذا صور عديدة كريهة، تثير الفزع والتقزز، وتضر بالنَّاس فرداً ومجتمعاً، ماديّاً وأدبياً، كالخداع والغش والتطفيف بالوزن أو الكيل، ونحوها من مفاهيم التدليس والتلبيس.

عن عبد العظيم الحسنيّ، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: كان فيما ناجى موسى ربّه: إلّهي ما جزاء من ترك الخيانة حياء منك؟

قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة[١].

وعن السكونيّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهنَّ ألاّ خرب، ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنى[٢].

وفي خبر المناهي، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: من خان جاره شبراً من الأرض جعلها الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتّى يلقى الله يوم القيامة مطوَّقاً، إلاّ أن يتوب ويرجع.

وقال: من خان أمانة في الدُّنيا ولم يردّها إلى أهلها ثمَّ أدركه الموت مات على غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان.

وقال: من اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالّذي خانه[٣].

(١) أمالي الصدوق: ١٢٥.
(٢) أمالي الصدوق: ١٦٣.وأمالي الطوسي: ج٢، ص٥٤.
(٣) أمالي الصدوق: ٢٥٣.

وعن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأمانة تجلب الغناء والخيانة تجلب الفقر[١].

وعن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث من كنَّ فيه زوَّجه الله من الحور العين كيف شاء:

١ ـ كظم الغيظ.

٢ ـ والصبر على السيوف لله عزَّ وجلَّ.

٣ ـ ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله عزَّ وجلَّ[٢].

وعنه عليه السلام: «من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه»[٣].

لا يدخل الجنَّة لحمٌ نبت من سُحت

روي عن كعب بن عجرة أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقٌّ للحم نبت من سُحت[٤] أن لا يدخل الجنَّة.

وروي عنه أيضاً، أنَّه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعاذك الله من أُمراءٍ يكونون من بعدي قال، قلت: إلى ما ذاك يا رسول الله؟

قال: من دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس منَّي ولست منه، ولا يرد حوضي. ومن دخل عليهم فلم يصدِّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فذاك منَّي وأنا منه، وعلى حوضي يرد، ولا يدخل الجنَّة لحم نبت من سحت، وكلُّ لحم نبت من سحت فالنّار أولى به، والنّاس غاديان[٥]: فبائع نفسه

(١) قرب الأسناد: ٥٥.
(٢) الخصال ج١ ص٤٢.
(٣) الكافي: ج٢، باب من أذى المسلمين واحتقرهم، ص٣٥١، ح٤.
(٤) السُّحت: كلُّ مال حرام لا يحلُّ كسبه ولا أكله. رواه الديلمي في الفردوس ٢: ١٣٣/٢٦٧٨.
(٥) أثبتناه من المصدر، وفي النسخ: عاديان. والمعنى: أي ذاهبان ومنطلقان يسعيان، من غَدا غدوّاً.

فموبقها، وفادٍ[١] نفسه فمعتقها. والصَّلاة برهان، والصَّوم جُنَّة، والصَّدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النّار[٢].

لا يدخل الجنَّة جسد غُذّي بحرام

روي عن زيد بن أرقم أنَّ النَّبي ﷺ قال: لا يدخل الجنَّة جسد غذّي بحرام[٣].

وروى أبو هارون، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفون بنا؟

فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ الله لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك. فقال عليه السلام: بل إنك أحد من استخف بي، فقال: معاذ الله لوجه الله أن استخف بك! فقال له عليه السلام: ويحك، ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله عييت، والله ما رفعت به رأساً، لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيَّع حرمة الله عزَّ وجلَّ»[٤].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

وعن العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول إبليس لعنه الله: ما أعياني في ابن آدم فلن يعيني منه واحدة من ثلاث: أخذ مال من غير حلّه، أو منعه من حقّه، أو وضعه في غير وجهه[٦].

---

(١) اسم الفاعل من الفداء: وهو استنقاذ الأسير باشتراء، أي يجدّ في إطلاق نفسه من عذاب الله فيعمل صالحاً ليزيل عنه الضيق والأسر.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٢١ و٣٩٩.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس ٥: ١٠٥/ ٧٦١٤، عن أبي بكر.

(٤) وسائل الشيعة: ج٨، باب١٤٨، ص٥٩٢و٥٩٣، ح١.

(٥) الأنفال: ٢٧.

(٦) الخصال ج١ ص٦٥.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الله يعذّب ستّة بستّة إلى أن قال: **والتجّار بالخيانة**[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: استعمال الأمانة يزيد في الرزق[٢].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: مررت بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث يأكلون اللحم الخبيث، ويدعون الطيّب، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء الّذين يأكلون الحرام، ويدعون الحلال، وهم من أُمتك يا محمّد[٣].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزال أُمّتي بخير مالم يتخاونوا، وأدّوا الأمانة، وآتوا الزكاة فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين[٤].

إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من مؤمن ضيّع حقّاً ألاّ أعطى في باطل مثليه، وما من مؤمن يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي له في حوائجه قضيت أو لم تقض إلاّ ابتلاه الله بالسعي في حاجة من يأثم عليه، ولا يؤجر به، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما رضي الله إلاّ ابتلى أن ينفق أضعافها فيما يسخط الله[٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منّا من يحقّر الأمانة حتّى يستهلكها إذا استودعها، وليس منّا من خان مسلماً في أهله وماله[٦].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع لا تدخل بيتاً

---

(١) الخصال ج١ ص١٥٩.
(٢) الخصال ج٢ ص٩٤.
(٣) تفسير القمي: ٣٧٠.
(٤) ثواب الأعمال: ٢٢٥.
(٥) الاختصاص: ٢٤٢.
(٦) الاختصاص: ٢٤٨.

واحدة منهنَّ إلاّ خرب، ولم يعمر بالبركة: **الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنى**(١).

موعظة للغافلين

عباد الله أما الليالي والأيام تهدم الآجال؟ أما مآل المقيم في الدنيا إلى الزوال، أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال، أما غاية السلامة نقصان الكمال، أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال، أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟

وقال الشاعر:

(البحر الرمل)

وعزيز ناعم ذل له	كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعد لين ملبساً	خشناً بالرغم منه في الرغام
ووجوه ناضرات بدلت	بعد لون الحسن لوناً كالقتام
وشموس طالعات أفلت	بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيانه	لين الأعطاف مهتز القوام
أف للدنيا فما شيمتها	غير نقض العقد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا	صالحاً من قبل تقويض الخيام

يا متعلقاً بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق، يا مضيعاً في الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق؟ يا مؤثراً أعلى العلالي ساتراً ذلك الفسوق، ألا سترى ذلك الفسوق! يا متولهاً مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق، ابكِ على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق، عجباً لمن رأى فعل الموت لصحبه، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه، ونام غافلاً على جنبه، ونسي جزاءَه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ريه من الهوى عن ربه، كأني

(١) أمالي الصدوق: ١٦٣.

به وقد سقي كأس حمام يستغيث من شربه، وأفرده الموت عن أهله وسربه، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه. فيا ذا اللب جز على قبره وعج[١] به. لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع. فما بالها لا تسكب المدامع؟ يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع، لقد نشبت فيه مخالب المطامع. يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع؟ انتبه لما بقي وانتهِ وراجع، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع، إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع.

الخيانة والأمانة:

عباد الله! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها، وما أجهل النفوس وقد أطعتموها، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود، وتصيروا طعاماً للدود في بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود:

(البحر الخفيف)

أين أهل الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم في النمارق والاستبـ ... ـرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً ... وهو أدنى للموت ممن يعود

يقول النبي ﷺ: من خان أمانته في الدنيا ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه غضبان ومن اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالذي خانها[٢].

وفي حديث آخر: فيؤمر به إلى النار فيهوى به في شفير جهنم[٣].

---

(١) أي أكثر واهتم به.
(٢) الوسائل: ج١٩، ص٧٧، باب تحريم الخيانة، ح٢.
(٣) الوسائل ح١٩، ص٧٨، باب تحريم الخيانة، ح٥.

ويقول أيضاً ﷺ: من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرائيل عليه السلام يقول: إن المكر والخديعة في النار ثم قال: ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مؤمناً[١].

وعنه عليه السلام: لا تغتروا بكثرة صلاتهم وصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث، وأداء الأمانة[٢].

إن رجلاً قال لأبي عبد الله عليه السلام الناصب يحل لي اغتياله؟

قال عليه السلام: أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك وأراد منك النصيحة ولو إلى قاتل الحسين عليه السلام[٣].

وعن علي بن الحسين عليه السلام يقول لشيعته: عليكم بأداء الأمانة فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه[٤].

قال النبي ﷺ: «إن الله حرّم الجنّة على كل فحّاش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده إلاّ لغية أو شرك شيطان» فقيل يا رسول الله: وفي الناس شرك شيطان؟ فقال ﷺ: «أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٥].

وعن سماعة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدئاً: يا سماعة، هذا الذي بينك وبين جمّالك؟ إياك أن تكون فحاشاً أو صخاباً أو لعّاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك إنه ظلمني.

---

(١) الوسائل: ج١٩، ص٧٧، باب تحريم الخيانة، ح٣.
(٢) الوسائل: ج١٩، ص٦٧، باب وجوب أداء الأمانة، ح١٢.
(٣) الوسائل: ج١٩، ص٧٣، باب٢، ح٤.
(٤) الوسائل: ج١٩، ص٧٥، باب٢، ح١٣.
(٥) الكافي: ج٢، باب البذاء ص٣٢٣، ح٣.

فقال عليه السلام: إن كان ظلمك لقد أربيت عليه، إن هذا ليس من فعلي، ولا آمر به شيعتي، استغفر ربك ولا تعد[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من طعن في مؤمن شطر كلمة حرم الله عليه ريح الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أنب مؤمناً أنّبه الله في الدنيا والآخرة»[٤].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله: «من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ومن عير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»[٥].

وقال عليه السلام: «من اطّلع من مؤمن على ذنب أو سيئة فأفشى ذلك عليه ولم يكتمها، ولم يستغفر الله له، كان عند الله كعاملها، وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه، وكان مغفوراً لعاملها، وكان عقابه ما أفشى عليه في الدنيا مستوراً عليه في الآخرة، ثم يجد الله أكرم من أن يثني عليه عقاباً في الآخرة»[٦].

ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إني اشتريت داراً في بني فلان وإن أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شره.

قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وسلمان وأبا ذر أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم، بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً.

---

(١) الكافي: ج٢، باب البذاء، ص٣٢٦، ح١٤.
(٢) مستدرك الوسائل: ج٩، باب ١٣٩، ص١٤٠و١٤١، ح٥.
(٣) الكافي: ج٢، باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم، ص٣٥٤، ح٢.
(٤) الكافي: ج٢، باب التعيير، ص٣٥٦، ح١.
(٥) الكافي: ج٢، باب التعيير، ص٣٥٦، ح٢.
(٦) مستدرك الوسائل: ج٩، باب ١٣٧، ص١٣٥، ح٦.

ثم أومأ بيده ﷺ إلى كل أربعين داراً، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله[١].

وعن رسول الله ﷺ: «من أذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة، ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيع حق جاره فليس منا، ومازال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢].

عاقبة الخيانة

كان لأحد الخلفاء خادمٌ يحبه ويعطف عليه كثيراً، وفي أحد الأيَّام مرض ذلك الخادم مرضاً خبيثاً وكان كلّ يوم يمر عليه يشتد مرضه، فدعا الخليفة جميع الأطباء ومن شتَّىٰ أنحاء البلاد كي يعالجوه ولكن دون جدوى، فقد أعطوه مختلف الأدوية والعلاج وكانت النتيجة أن ازدادت حالته سوءاً، فحضر أحد الأطباء الماهرين واكتشف بأنَّ السبب في مرضه هو عامل نفسي، فأخرج جميع من كان في الغرفة وقال للخادم: أخبرني بصراحة ما الذي عملته في حياتك حتَّى أصبحت هكذا؟ فأنا أعرف بأنَّك عملت شيئاً ما في حياتك، وأخذ يكرر السؤال عليه.

وبعد لحظات بكىٰ الخادم وقال: لقد أرغمني عدد من أعداء الخليفة على أن أضع السمّ في طعام الخليفة بعد أن أغروني ورشوني بالأموال، ولكن الخليفة عرف بالمكيدة ولم يتناول ذلك الشراب، وكنت أتوقع من الملك أن يعاقبني على فعلتي هذه ولكن بالعكس زاد في رعايته وإحسانه إليَّ، وعند ذلك أحسست بتأنيب الضمير ونشأت عندي عقدة الذنب وبدأت أتألَّم وأتعذب وكل يوم يمر وحالتي تزداد سوءاً وبؤساً، وهذا الداء ليس لَه دواء، وإنَّني أفضّل الموت على الحياة.

هذه القصة ترينا أنَّ الله سبحانه وتعالى مطلع على كلّ شيء ولا يفوته شيء وأنَّه أقرب للإنسان من حبل الوريد[٣] وهو الذي يحاسب الإنسان فيعاقبه إن أساء ويكافئه إن أحسن.

---

(١) الكافي: ج٢، باب حق الجوار، ص٦٦٦، ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٨، باب ٨٦، ص٤٨٨، ح٥.

(٣) مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ق: ١٦.

الأمانة

حدَّثني أبو الحسن محمَّد بن إسحاق بن عبَّاد النجَّار، وهو شيخ من وجوه التمَّارين بالبصرة، طال عمره، وحدَّث، وكتبت عنه، ولم أسمع هذه الحكاية منه، قال:

كان في جوارنا فلان، فتصدَّق ليلة على ضرير اجتاز به، وهو لا يعرفه، فأراد أن يفتح إحدى صرتين في كمّه، في إحداهما دنانير، وفي الأُخرى دراهم، فيعطيه درهماً، فأعطاه ديناراً.

وانصرف الضرير، وهو لا يشكّ أنَّ معه درهماً.

فبكَّر به إلى بقال يعامله. فقال: خذ هذا الدرهم، واحسب ما لك عليَّ، وأعطني بالباقي كذا وكذا.

فقال له البقال: يا هذا، من أين لك هذا؟

قال: أعطانيه البارحة فلان.

قال: إنَّه دينار، فخذه.

فأخذه الضرير، وجاء به من الغد إلى الرجل، وقال: إنَّك تصدَّقت عليَّ بهذا، وأظنّك أردت أن تعطيني درهماً، وغلطتَ، وما أستحلّ أخذه مغالطة، فخذه.

فقال له الرجل: قد وهبته لك، وإذا كان في رأس كلّ شهر، فتعال إليَّ، أعطيك شيئاً آخر، مجازاة لأمانتك.

وكان يجيئه في رأس كل شهر، فيعطيه خمسة دراهم.

قال: فلم أر أعجب من أمانة البقَّال والضرير، ولو كان في هذا الوقت، لجرى الأمر بضدّ ذلك.

حدَّثني عبيد الله بن أحمد بن بكير[1]، قال: حدَّثني أبو جعفر الضبيّ، الفقيه الحنفي، وقد شاهدته أنا[2]، وكان من شيوخ التجَّار المستورين، فقيهاً، يحضر

---

(١) لعلَّ الصحيح: عبد الله بن أحمد بن بكر بن داسه.

(٢) الضمير يعود لمؤلف.

مجلس أبي[١] للخلاف[٢]، ويناظر، ولم أسمع منه هذه الحكاية، قال: حدَّثني شيخ من التجَّار، بسيراف، قال:

كان عندنا نفسان، يمشيان في طريق، فرأيا صرَّة دراهم ملقاة في الطريق، فقال أحدهما للآخر: خذها واحفظها لصاحبها.

فقال الرجل: لا أفعل.

فقال: لكني آخذها، وأحفظها، فإن وجدت صاحبها، رددتها عليه.

قال: فأخذها ومشى. فإذا برجل يصيح.

فقالا له: ما لك؟

فقال: صرَّة صفتها كذا وكذا، فيها دراهم لي، سقطت منِّي الساعة.

فقال الَّذي هي معه: خذها، فإنَّها هذه.

فسلَّمها إليه، ثمَّ قال لصاحبه: أليس لو كان النَّاس كلهم على مذهبك، في أن لا يحفظوا على النَّاس، لضاعت أموالهم.

فقال له الآخر: أليس لو كان النَّاس كلهم على مذهبي، ما ضاعت الصرَّة، ولكانت تبقى في الطريق مكانها، حتى يرجع صاحبها، فيأخذها.

جزاء الخيانة

وأنبئت عن المؤيّد قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى بن هبة الله الخازن، قال: حدَّثنا الحسين بن عليّ الكوفيّ، قال: حدَّثنا المبارك بن عبد الجبَّار بن أحمد الصيرفيّ[٣]، قال: حدَّثنا أبو القاسم عليّ بن المحسن بن عليّ التنوخي.

وأنبئت، عن المؤيّد، وعبد الوهاب الأمين، وغيرهما، عن محمد بن

---

(١) والد المؤلف أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي: ترجمته في حاشية القصة: ٢/ ٧٤ من النشوار.

(٢) يراد بالخلاف: المناقشة في الأمور الاعتقادية والمباحثة في الآراء والمذاهب.

(٣) أبو الحسين المبارك بن عبد الجبَّار بن أحمد بن القاسم بن أحمد الطيوري والصيرفي، ويعرف بابن الحمامي: ولد سنة ٤١١ وتوفي سنة ٥٠٠ كان أميناً صدوقاً (المنتظم ٩/ ١٥٤).

عبد الباقي، عن عليّ بن المحسن، قال: حدَّثنا أبي، قال: أخبرني أحمد بن يوسف الأزرق التنوخيّ، مناولة، قال: أخبرني أبو الحسن عليّ بن الفتح الكاتب، المعروف بالمطوّق[١]، مناولة من كتابه: «كتاب مناقب الوزراء، ومحاسن أخبارهم، وفيه ذكر كثير من الحوادث، فقال فيه: وفي رجب سنة خمس عشرة وثلثمائة[٢]، أنَّ رجلاً أمسى، في بعض محال الجانب الغربي من مدينة السلام، ومعه دراهم لها قدر، فخاف على نفسه من الطائف[٣]، ومن بليَّة تقع عليه، فصار إلى رجل من أهل الموضع، أراد أن يبيت عنده، فأدخله.

فلما تيقَّن أنَّ معه مالاً، حدَّثته نفسه بقتله، وأخذ ماله.

وكان له ابن شاب، فنوَّمه مع الرجل في بيت واحد، ولم يعلم أحداً بما في نفسه، وخرج، وقد عرف مكانهما، وطفَّى المصباح.

فقدر الأمر، أنَّ الابن انتقل من موضعه إلى موضع آخر، وانتقل الضيف إلى موضع الابن، وجاء أبوه، ليطلب الضيف، فصادف ابنه، وهو لا يشكّ، أنَّه الضيف، فخنقه.

وانتبه الضيف باضطرابه، وعرف ما أريد به، فخرج هارباً من الدار، وصاح في الطريق.

ووقف الجيران على خبره، فأغاثوه، وأخذوا الرجل، فقرَّر، فأقرَّ بقتل ابنه، فحبس، وأخذ المال من داره، فردَّ على الضيف، وسلم.

أداء الأمانة زيادة في الرِّزق

كان في عهد عبد الملك بن مروان تاجر معروف بالصدق والعمل الصالح،

---

(١) المطوق: علي بن الفتح، يكنى أبا الحسن، له من الكتب، كتاب الوزراء، وصل به كتاب محمد بن داود الجراح، وعمله إلى أيَّام أبي القاسم الكلوذاني (الفهرست ١٢٩).

(٢) أيَّام لخليفة المقتدر، والوزير علي بن عيسى.

(٣) الطائف: الذي ينيط به السلطان الطواف بالليل صحبة رجال من الشرطة لمنع التلصص والاستقفاء.

ولحسن سمعته في سوق دمشق واعتماد النَّاس عليه وثقتهم به كانوا يودعونه ممتلكاتهم وبضاعتهم ليبيعها لهم ويأخذ أجرته على ذلك.

وذات يوم انحرف التاجر في إحدى صفقاته عن قويم مسيره وخان الأمانة، فشاع الخبر وانتشر بسرعة البرق بين الناس وأصبح الشغل الشاغل لألسنتهم، ففقد التاجر ثقة العامَّة والخاصَّة به واهتزَّت شخصيته وسحب النَّاس ثقتهم به، فلم يأمنوه بعدها على بضاعتهم، حتَّى ساءَت أُموره وتشتَّت تجارته وأخذ دائنوه يلحون في الطلب.

وكان للتاجر ولد عاقل تبدو على ملامحه الفراسة والذكاء، قد اعتبر من تجربة أبيه المريرة وتعلم منها درساً لا ينسى، وعرف أنَّ مجرد انزلاق أو خيانة واحدة قد تؤدِّي إلى القضاء على كرامة الإنسان وشرفه وتبدل حياة العز إلى الذل والسوء، فقرر في قرارة نفسه أن يبتعد حتى عن مجرد التفكير بالخيانة والذنب ويضع على الدوام نصب عينيه الطهارة والتقوى والنزاهة، وكان لسلوكه السليم هذا مردود إيجابي عليه فقد رفعه عزاً وأدخله في جميع القلوب، واتفق أن بعث عبد الملك بن مروان جاراً له وهو قائد عسكري كبير بمعيَّة جيش المسلمين في مهمة لقتال الروم، فاستدعاه الجار قبل توجهه إلى ميادين القتال وأودعه جميع ماله البالغ عشرة آلاف دينار من الذهب وأوصاه بأن يحتفظ بالمال كأمانة لديه حتى عودته من القتال إن سلم، ووعده بأن يعطيه أجراً على أمانته إذا لم يعد فأوصاه بأن يسلِّم المبلغ إلى أُسرته متى ما ضاقت عليهم الأرض بعد أن يقتطع منها عُشرها ليعيشوا حياة كريمة. . . وهكذا كان، فقد رحل القائد دون أن يعود.

وحينما علم والد الشاب ـ أي التاجر المفلس ـ بمقتل جاره قال لابنه: إنَّه لا أحد يعلم عن القطع الذهبية المؤمَّنة لديك، وأنا ـ أي الأب ـ الآن على ما تراني في أشد الضيق وأطلب أن تعطيني بعضها على أن أردَّها عليك متى صلح حالي وحسنت عيشتي.

فأجابه الشاب: يا أبتاه إنَّ الخيانة والانحراف هو الذي أدَّى بك إلى ما أنت عليه من الشقاء، فبالله لن أخون الأمانة لو قطِّعت إرباً إرباً، ولا أُعيد خطأك ثانية كي لا أشقى كما شقيت.

ومضت فترة، ساءت فيها أحوال ذوي القائد القتيل، فجاؤوا إلى الشاب

طالبين منه أن يكتب رسالة عنهم إلى عبد الملك بن مروان يعلمه فيها بفقرهم وشدَّة حالهم فلربَّما رثى لهم وأعانهم ببعض المال. فكتب لهم ما أمر به وسلمت الرسالة ولكن دون جدوى، فقد أجاب عبد الملك: أنَّ أي شخص يقتل يُحذف اسمه من ديوان بيت المال.

ولما علم الشاب بالجواب واليأس الذي سيطر على ذوي القائد القتيل قال في نفسه: حانت الآن فرصة أداء الأمانة فلا بدَّ من أن أضع القطع الذهبية تحت تصرفهم لإنقاذهم من الفقر والفاقة، فدعا أُسرة القائد إلى منزله وقال لهم: إنَّ أباكم استودعني شيئاً من المال وأوصاني أن أُسلِّمه إيَّاكم عند الحاجة الماسَّة إليه بعد أن أقتطع عُشْرَه، فطار أبناء القائد فرحاً لدى سماعهم النبأ وقالوا: سنعطيك ضعف ما أوصى به أبونا.

جاء الشاب بالمال وسلمهم إيَّاه، فأعادوا إليه ألفي دينار وأخذوا ثمانية آلاف، ولم تمض أيَّام على هذه القضية، حتَّى استدعى عبد الملك أُسرة القائد القتيل إلى بلاطه ليحقق حول الرسالة، وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم مع الشاب، عندها استدعى عبد الملك الشاب فوراً وأثنى عليه لأمانته وصدقه وسلَّمه مسؤولية خزينة البلاد قائلاً له: إنَّني لا أعرف أحداً قد قام بأداء الأمانة كما أديَّتها أنت[1].

عباد الله! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها، وما أجهل النفوس وقد أطعتموها، وما أدقّ السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود، وتصيروا طعاماً للدود في بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود:

(البحر الخفيف)

أين أهل الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم في النمارق والاستبـ ... ـرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً ... وهو أدنى للموت ممن يعود

(١) الشاب بين العقل والعاطفة: ج١ (لمحمد تقي فلسفي).

عقاب من أكل أموال الناس ظلماً أو سعى إلى السلطان بالباطل أو تولى خصومة ظالم أو منع مسلماً حقه

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾[٣].

وقال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾[٤].

في خبر المناهي أنّه قال النبيّ ﷺ: من تولّى خصومة ظالم أو أعان عليها ثمّ نزل به ملك الموت قال له: ابشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير وقال: من دلّ جائراً على جور كان قرين هامان في جهنّم[٥].

---

(١) البقرة: ١٨٨.

(٢) النساء: ١٠٥.

(٣) النساء: ١٠٧.

(٤) النساء: ١٠٩.

(٥) أمالي الصدوق ص٤٢٦.

وقال: من حبس عن أخيه المسلم شيئاً من حقّه حرّم الله عليه بركة الرزق إلاّ أن يتوب[١].

وقال: من يبطل على ذي حقّ حقّه وهو يقدر على أداء حقّه، فعليه كلّ يوم خطيئة عشّار[٢].

وعن ابن زياد، عن الصّادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ شرّ الناس يوم القيامة المثلّث.

قيل: يا رسول الله وما المثلّث؟

قال: الرجل يسعى بأخيه إلى أمامه فيقتله فيهلك نفسه وأخاه وإمامه[٣].

وعن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: المحمدية السمحة: إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصيام شهر رمضان، وحجّ البيت، والطاعة للإمام وأداء حقوق المؤمن، فإنَّ من حبس حقّ المؤمن أقامه الله يوم القيامة خمس مائة عام على رجليه حتّى يسيل من عرقه أودية، ثمَّ ينادي منادٍ من عند الله جلَّ جلاله: هذا الظالم الّذي حبس عن الله حقه، فيوبّخ أربعين عاماً ثمَّ يؤمر به إلى نار جهنّم[٤].

عن النوفلي، عن حفص، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم والجحيم، ينادون بالويل والثبور، يقول: أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى:

١ ـ فرجل معلّق في التابوت من جمر.

٢ ـ ورجل يجرّ أمعاءه.

٣ ـ ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً.

---

(١) نفس المصدر ص٤٣٠.

(٢) نفس المصدر ص٤٣٢.

(٣) قرب الأسناد: ١٥.

(٤) الخصال ج١ ص٢٣٢.

٤ ـ ورجل يأكل لحمه.

فقيل لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء، ولا وفاء.

ثمّ يقال للّذي يجرّ أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده.

ثمَّ يقال للّذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكي فينظر إلى كلّ كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها.

ثمَّ يقال للّذي كان يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد كان يأكل لحوم النّاس بالغيبة، ويمشي بالنميمة[١].

وعن الحذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقّه لم يزل الله عزَّ وجلَّ معرضاً عنه ماقتاً لأعماله الّتي يعملها من البرّ والخير، لا يثبتها في حسناته حتّى يتوب، ويردّ المال الذي أخذه إلى صاحبه[٢].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أعظم الخطايا اقتطاع مال امرىء مسلم بغير حقّ[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: درهم يردّه العبد إلى الخصماء خير له من عبادة ألف سنة، وخير له من عتق ألف رقبة، وخير له من ألف حجّة وعمرة[٤].

---

(١) ثواب الأعمال وعقابها ص٢٢١ وأمالي الصدوق ص٥٨١.
(٢) ثواب الأعمال ص٤١ طبع بغداد.
(٣) عقاب الأعمال ص٤١ طبع بغداد.
(٤) جامع الأخبار ص١٥٦ طبعة الحيدرية الثالثة.

وقال ﷺ: من بات غير تائب زفرت جهنم في وجهه ثلاث زفرات:

فأوّلها: لا يبقي دمعة إلاّ جرت عن عينه.

والزفرة الثانية: لا يبقى دم إلاّ خرج من منخريه.

والزفرة الثالثة: لا يبقى قيح إلاّ خرج من فمه، فرحم الله من تاب ثمَّ أرضى الخصماء فمن فعل فأنا كفيله بالجنّة[١].

سماعة بن مهران قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليس بوليّ لنا من أكل مال مؤمن حراماً[٢].

عن النبي ﷺ قال: من حبس حقّ المؤمن أقامه الله يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتّى يسيل من عرقه أودية، وينادي منادٍ من عند الله: هذا الظالم الّذي حبس حقّ المؤمن ويؤمر به إلى النار[٣].

موعظة للغافلين

لوم النَّفس:

يا نفسُ: لستِ مُسْتعدّة للموت إن أتاك، ولا مجمعة على التحوُّل عن هواكِ، أترين بعد الموت داراً لكِ فيها كرَّةً، أو هل تأمنِين الموت أن يأتيك على غرَّة.

يا نفسُ: إيَّاك ومُلازمَة الشيطان، ومجانبة رضا الرَّحمٰن، فإنَّ ذاك يصدع الرِّجال، ويقطع الآجال، ويُزيل النِّعم، ويُطيل النَّدَم.

يا نفسُ: كلّ إثم اقترفته في سرّ أو علانية، فهو عليك مرقومٌ، وكلّ شيء يشغلكِ عن مراضي ربّكِ فهو عليك مَشْؤوم.

(١) جامع الأخبار ص١٥٧.
(٢) البحار: ج١٠١، ص٢٩٦، ح١٨.
(٣) البحار: ج١٠١، ص٢٩٦، ح١٨.

السرقة

وهي من بيت المال ومن الزكاة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[١].

قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[٣].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال لا ألفين[٤] أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[٥] يقول: يا رسول الله أغثني.

فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[٦] فيقول: يا رسول الله أغثني.

---

(١) الأنفال: ٥٨.

(٢) آل عمران: ١٦١.

(٣) المائدة: ٣٨.

(٤) أي لا أجدن.

(٥) الرغاء: صوت البعير.

(٦) الحمحمة: صوت الفرس.

فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[1] يقول: يا رسول الله أغثني.

فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح.

فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق.

فيقول: يا رسول الله أغثني.

فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت.

فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك. (أخرج هذا الحديث مسلم)[2].

ولقول النبي ﷺ: «أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة» ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم، وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال: «والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله، فلا أعرف رجلاً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو، ثم رفع يده ﷺ فقال: اللهم هل بلغت»[3]؟.

وعن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي (يعني وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى رفاعة بن يزيد

---

(١) الثغاء: صوت الشاة.

(٢) يعني بها اللفظ وإلا فقد عزاه في الترغيب للبخاري أيضاً، وقال: واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي حميد الساعدي، الخوار: صوت البقر، واليعار صوت الغنم (منذري).

من بني الضبيب)، فلما نزل (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله، فرمي بسهم فكان فيه حتفه.

فقلنا: هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم».

قال: ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال: أصبت يوم خيبر). فقال رسول الله ﷺ شراك أو شراكان من نار متفق عليه[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو قال: كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له: كركرة فمات، فقال النبي ﷺ: «هو في النار» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها.

وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه، وقال: إن صاحبكم غل في سبيل الله. قال: ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوي درهمين[(٢)].

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»[(٣)].

وعن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أُتي أمير المؤمنين عليه السلام برجال قد سرقوا فقطع أيديهم، فقال: إنَّ الّذي بان من أجسادكم قد يصل إلى النار، فإن تتوبوا تجرُّوها، وإلاّ تتوبوا تجرّكم[(٤)].

وعن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهنَّ إلاّ خرّب ولم يعمّر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنى[(٥)].

---

(١) الكبائر: ص٩٦.
(٢) الكبائر: ص٩٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) علل الشرائع: ج٢، ص٢٢٤.
(٥) ثواب الأعمال ص٢١٧.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مدمن الزّنا والسرق والشرب كعابد وثن[١].

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة»[٢].

موعظة للغافلين

إتمام العمل:

يا نفسُ: ما أجهل من يتوقَّع المغفرة مَعَ الإصرار، وما أسفه من يتمنَّىٰ العفو معَ مُلازمة الأوزار.

يا نفسُ: لا تكوني كالَّذي يسبِّح الله ويُهَلِّلهُ مئة مرَّةٍ في تذكاره، ثمَّ يغتاب المسلمين ويمزِّق أعراضهم سائر نهاره، فهو أبداً يتأمَّل في فضائل تسبيحاته وتهليلاته، ولا يلتفت إلى ما وَرَد من عقوبة نميماته وغيباته، ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبُون منه أجر التسبيح، وما يكتبونه عن هذيانه القبيح، لزاد أجرة هذيانه على ثوابه، ونقصَت مدَّة حَسَناته عن مُدَّة عقابه.

(١) ثواب الأعمال ص٢١٨.

(٢) الكبائر: ص٩٨.

الكيل والوزن

قال الله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[(١)].

حاكياً عن شعيب: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[(٣)].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾[(٤)].

حاكياً عن شعيب: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾[(٥)].

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[(٦)].

﴿...وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾[(٧)].

---

(١) الانعام: ١٥٢.
(٢) آل عمران: ٨٥.
(٣) الحجر: ١٩.
(٤) الإسراء: ٣٥.
(٥) الشعراء: ١٨١ ـ ١٨٣.
(٦) الشورى: ١٧.
(٧) الرحمن: ٧ ـ ٩.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[١].

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[٢].

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: القسطاس المستقيم هو الميزان الّذي له لسان[٣].

قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ فيكم خصلتين هلك فيهما من قبلكم أُمم من الأُمم.

قالوا: وما هما يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: المكيال والميزان[٤].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدت في كتاب عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام: إذا ظهر الزّنا من بعدي ظهرت موتة الفجأة، وإذا طففّت المكاييل أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزّكاة منعت الأرض بركاتها من الزّرع والثمار والمعادن كلّها، وإذا جاروا في الحكم تعاونوا على الإثم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم شرارهم ثمَّ تدعو خيارهم فلا يستجاب لهم[٥].

مع الإمام علي (ع) في خطبة له في ذكر المكاييل والموازين

الإمام علي عليه السلام ومن خطبة له في ذكر المكاييل والموازين: عباد الله إنّكم وما تأملون من هذه الدُّنيا أثوياء مؤجّلون، ومدينون مقتضون، أجل منقوص، وعمل محفوظ، فربَّ دائب مضيّع، وربّ كادح خاسر، قد أصبحتم في زمن لا يزداد

---

(١) الحديد: ٢٥.
(٢) المطففين: ٢ ـ ٤.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج٢ ص١٩.
(٤) قرب الأسناد ص٢٧.
(٥) أمالي الطوسي ج١ ص٢١٤. وعلل الشرائع: ص٥٨٤.

الخير فيه إلاّ إدباراً، والشرّ فيه إلاّ إقبالاً، والشيطان في هلاك النّاس إلاّ طمعا، فهذا أوان قويت عدَّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته.

اضرب بطرفك حيث شئت من النّاس فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقِّ الله وفراً، أو متمرّداً كأنّ بأُذنه عن مسع المواعظ وقراً، أين خياركم وصلحاؤكم، وأين أحراركم وسمحاؤكم، وأين المتورّعون في مكاسبهم والمتنزّهون في مذاهبهم، أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدُّنيا الدنيّة، والعاجلة المنقضية، هل خلّفتم إلاّ في حثالة لا تلتقي بذمّهم الشفتان، استصغاراً لقدرهم، وذهاباً عن ذكرهم.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر مغيّر، ولا زاجر مزدجر أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله دار قدسه، وتكونوا أعزّ أوليائه عنده، هيهات لا يخدع الله عن جنّته، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والنّاهين عن المنكر العاملين به[(١)].

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا طفّفت أُمّتي مكيالها وميزانها، واختانوا، وخفروا الذّمة، وطلبوا بعمل الآخرة الدُّنيا، فعند ذلك يزكّون أنفسهم ويُتورّع منهم[(٢)].

تشديد الإسلام إزاء البخس في الكيل والميزان:

قد شدَّد الإسلام موقفه إزاء البخس في المكيال والميزان ـ التطفيف ـ كما نلمس ذلك من خلال كثرة التحذير منه في كتاب الله العزيز بألسنة مختلفة، فتارة أثبت الويل لمن يزاول ذلك: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، وأُخرى عدَّ صاحبه من المفسدين في الأرض: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥﴾[(٣)]، وثالثة عدَّه في زمرة الغافلين عن ذلك

---

(١) نهج البلاغة ج٢ ص١٥ ـ ١٧.

(٢) نوادر الراوندي ص١٦.

(٣) هود: ٨٥.

اليوم العظيم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[١].

وقد يُستفاد من بعض الأحاديث تنزيل المطفف منزلة الكافر، فلاحظ رواية محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام: «. . . وأنزل في الكيل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ ولم يجعل الويل لأحد حتَّى يسميه كافراً. . .»[٢].

ويحكى أنَّ تجَّار المدينة كانوا يزاولون التطفيف فنزلت سورة المطففين فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقرأها على المسلمين، ثم قال: «خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلاَّ سلَّط الله عليهم عدوهم.

وما حكموا بغير ما أنزل الله إلاَّ فشا فيهم الفقر.

وما ظهرت فيهم الفاحشة إلاَّ فشا فيهم الموت.

ولا طففوا الكيل إلاَّ مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين.

ولا منعوا الزكاة إلاَّ حبس عنهم المطر»[٣].

وقد ذكر على أنَّها من الكبائر كما في رواية الفضل بن شاذان عن الإمام الرِّضا عليه السلام، وفي رواية الأعمش عن الإمام الصَّادق عليه السلام حيث يقولان: «البخس في المكيال والميزان».

العشّار لا يدخل الجنَّة

روي عن عقبة بن عامر قال: سمعت النَّبي صلى الله عليه وآله يقول: لا يدخل الجنَّة صاحب مَكس[٤] يعني العشار[٥].

---

(١) المطففين: ٣ ـ ٦.

(٢) الكافي ٢: ٣٢.

(٣) التفسير الكبير ١٦: ٨٩.

(٤) المَكس: الجباية، ثمّ سمِّي المأخوذ مكساً تسميةً بالمصدر، وقد غلب استعمال المَكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٤٣، الفردوس ٥: ١٠٨/٧٦٢٦.

وقد ورد الوعيد عليه بالعذاب في القرآن بأشد بيان، وخصص الله عز وجل سورة كاملة في القرآن الكريم للحديث عن هذا الموضوع حيث يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[١].

وفي مورد الدعوة إلى الخوف من عذاب الله وترك التطفيف يقول سبحانه: ﴿...إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾[٢].

ويقول سبحانه على لسان شعيب: ﴿...وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾[٣].

يقول في تفسير منهج الصادقين: عن رسول الله ﷺ:

«ما نقض قوم العهد إلاّ سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله ألاّ فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة إلاّ فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلاّ منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلاّ حبس عنهم القطر».[٤].

عن النبي ﷺ: يحشر الخائن في الكيل والميزان يوم القيامة في قعر جهنم، ويكون ذلك بين جبلين من نار، فيقال له: زن الجبال فيكون ذلك شغله الشاغل[٥].

وما نقله الصدوق عن رسول الله ﷺ: من غش مسلماً في بيع أو شراء فليس منا ويحشر مع اليهود يوم القيامة لأنه من غش الناس فليس بمسلم إلى أن قال ﷺ: ومن غشنا فليس منا قالها ثلاثاً ومن غش أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه وأفسد معيشته ووكله إلى نفسه[٦].

---

(١) المطففين: ١ ـ ٦.
(٢) المطففين: ٧ ـ ٩.
(٣) هود: ٨٤ ـ ٨٥.
(٤) تفسير منهج الصادقين
(٥) الرواية بالمضمون.
(٦) عقاب الأعمال.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «مر النبي صلى الله عليه وآله في سوق المدينة بطعام، فقال لصاحبه: ما أدري طعامك إلاّ طيباً، فأوحى الله إليه أن يدس يده في الطعام ففعل، فأخرج طعاماً ردياً، فقال لصاحبه: ما أراك إلاّ وقد جمعت خيانة وغشاً للمسلمين»[١].

موعظة للغافلين

إيَّاك والغرور:

يا نفسُ: قد أشرَفت على الهلاك، وحَلَّ بك الارتباك، دان فوتك، واقترب مَوْتك، عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأُمُور ولا تحسّين عواقب يوم النُّشور وقد قيل: من تدبَّر العَواقب، أمِنَ من المعاطب، وكيف تبيعين ما يبقى أبد الآبدين، بما لا يبقى إلاَّ عدد سنين.

أما تعلمين أنَّ الموت ميعادك، والتُّراب في القبر وسادُك، والدُّود يأكل لحم خَدّيك، وإنسانُ عيْنيك، والفَزع الأكبرَ بين يدَيكِ.

أما تعلمين أنَّ الأموات يتمنُّون الرَّجعَة إلى هذه الدَّار، ليشغلوا ابتدارك تكفير الأوزار، ولو قدرُوا من يوم من عمرك، أو ساعة من دهرك، لاشتروا ذلك بأغلى الأثمان، ومَعادن العِقيان[٢]، وأنت الآن في أُمنيَّتهم، لا في منيَّتهم، وفي مقامتهم لا في قيامتهم، أما تستحيين بتزيين ظاهرِكِ للعوالم، وتبارزين الله في السرّ بالعظائم، وكيفَ تأمرين بالخير الدَّاني والقاصي، وأنت ملطَّخة بالمعاصي، تدعين إلى اللّين وأنت قاسية، وتُذَكِّرين بالله وأنت له ناسية.

يا نفسُ: ألا تنظرين إلى الَّذين مَضوا نظرة، أما لك بهم عبرة، كيف أصبح

---

(١) الذُّنوب الكبيرة.
(٢) ارتبك في الوحل سقط فيه وفي الأمر وقع فيه ولم يكد يتخلَّص منه.
العقيان الذَّهب الخالص.

جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وخُلِّفُوا فرادى في أضيق المضاجع، وصرعتهم المنايا في أعجب المصارع، وذهَبَت الشَّهوات وبَقيت التَّبعات.

يا نفسُ: كيف يفرح بصحبة الدُّنيا صَدْرُك، وكيف يلتئم في غمراتها أمرك، وقد دعاك باقتراب الأجل قبرُك.

يا نفسُ: قد خفقت فوق رأسُكِ أجنحة الموت، ودمعتك من قريب أعين القرت[١]، واهملي عبراتك إذا ذكرت عثراتك.

يا نفسُ: حتَّام إلى الحياة سُكونكِ، وعمارتها إلى الدُّنيا ركونك، أما اعتبرت بمن مَضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من الآفك، ومن فُجِعْتَ به من إخوانَكَ، ونقلت إلى دار البلى من أقرانِك.

وكما قال الشاعر:

(البحر الطويل)

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوالٍ دواثر

خلت دورهم وأقوَت عراصهم ... وساقتهم نحو المنايا المقادر

وخَلُّوا عَنِ الدنيا وما جمعوا لها ... وضمَّتهم تحت التُّراب الحفائر

وحُلُّوا بدار الا تزاور بينهُمْ ... وأنَّى لسُكَّان القبور التَّزاور

فكيف أنتِ يا نفس وهذه الحالة، وأنتِ صائرة إليها لا محالة، أم كيف تتهنَّئين بحياتك، وهي مطيَّتك إلى مماتك، أم كيف تسبغين طعامك، وأنت تنتظرين حمامك، وهل يحرِصُ على الدُّنيا لبيبٌ، ويسرّ بلذَّتها أريبٌ، وهو على ثقة من فنائها، وغير طامِعٍ في بقائها، أم كيفَ تنام عينٌ من يخشى البيات، أو تسكن نفس من يتوقَّع الممات.

يا نفسُ: أراكِ تفرحين كلّ يوم بزيادة مالك، ولا تحزنين لنقصان عُمْركِ وصالح أعمالك، ولا ينفع مال زيدَ وعُمْر ينقص، ولهمٌ يدُوم ونعيم يخلُص،

---

(١) القرت: الجَمَد والمعنى إنَّ دموعك عن قريب يجمد ولا يخفى ما في العبارة. ولعلَّ إنَّ الفوت أصحّ.

حياتك أنفاس تعدّ، وكلَّما مَضى نفس منها انتقصت به جُزءاً فأعدِّي، أيّتها النَّفسُ اللَّوَّامَة، يَوْم الحَسْرة والنَّدامة للسُّؤال جواباً، وللجواب صواباً، واحذري ناراً قعرُها بعيدٌ، وحرّها شديدٌ، وعذابها جديد، وحَلَقها حديد، وإذا قيل لها: هل امتلأت، تقولُ: هل من مَزيد.

الركون إلى الظالمين

قال الله تعالى:

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[(٢)].

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[(٣)].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[(٥)].

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾[(٦)].

---

(١) الانعام: ٦٨.
(٢) هود: ٥٩، ٩٧، ١١٣.
(٣) الكهف: ٥١.
(٤) الشعراء: ١٥٠ ـ ١٥٢.
(٥) القصص: ١٧.
(٦) الصافات: ٢٢ و٢٣.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾[1].

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ﴾[2].

﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١﴾[3].

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾[4].

التحاكم إلى الطاغوت:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾[5].

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾[6].

الطاغوت اسم مشتقّ من الطغيان بمعنى التمرُّد على الحقّ والعدل[7]، وعلى هذا فكلّ من لم يحكم بالعدل فهو طاغوت والتحاكم إليه تحاكم إلى الطاغوت.

والآية الكريمة الأُولى تدلُّ على حرمة التحاكم إلى الطاغوت بل إنَّ الآية الكريمة الثانية تدلُّ على ذلك أيضاً لأنَّ التحاكم إليه نحو ركون إلى الظالم فيكون منهيّاً عنه.

ثم لا يخفى أنَّ القضاء وظيفة خاصَّة بالعادل العالم بالقضاء، كما جاء في صحيحة سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام:

---

(١) الزمر: ١٧.

(٢) الجاثية: ١٩.

(٣) نوح: ٢١.

(٤) الدهر: ٢٤.

(٥) النساء: ٦٠.

(٦) هود: ١١٣.

(٧) مفردات الراغب: ٥٢٠. ومجمع البحرين ١: ٢٧٥.

«اتَّقوا الحكومة، فإنَّ الحكومة إنَّما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين، لنبي أو وصي نبي»[١]، والتحاكم إلى غير محرَّم حتَّى على فرض قضائه بالحقّ، فإنَّ التحاكم إليه بنفسه محرَّم، وقد ورد في صحيحة أبي خديجة: «قال أبو عبد الله جعفر بن محمَّد الصَّادق عليه السلام:

إيَّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنِّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»[٢]، فإنَّ ذيلها يدلُّ على لزوم التحاكم إلى خصوص من نصبوه قاضياً.

وعلى هذا يكون التحاكم إلى من لا يحكم بالحقّ باعتبار أنَّه تحاكم إلى الطاغوت، وهو محرَّم بمقتضى الآية الأُولى، وأمَّا التحاكم إلى من لم ينصب للقضاء ـ على تقدير قضائه بالحقّ ـ فهو محرَّم أيضاً بمقتضى الروايات الشريفة بل يمكن استفادة تحريمه من الآية الكريمة الثانية لأنَّ التصدِّي للقضاء ممَّن لم ينصب له مصداق للظلم، والتحاكم إلى مثله نحو من الركون إلى الظالم فيكون منهياً عنه.

وتبقى قضية يجدر الالتفات إليها، وهي أنَّ التصدِّي للقضاء ممَّن ليس له أهليته إذا كان محرماً فكيف أبقى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شريحاً في منصب القضاء أيَّام خلافته؟

والجواب: إنَّ من المحتمل أن يكون شريح في تلك الفترة عادلاً، وعلى تقدير عدم عدالته فمن القريب أن يكون الوجه في ذلك قوَّة المركزية التي كان يمتلكها شريح إلى حدٍّ لم يتمكن عليه السلام من عزله. ولعلَّه من باب الجمع بين الأمرين أَمَرَه بأن لا ينفِّذ حكماً إلاَّ بعد عرضه عليه فقد جاء في صحيحة هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: لمَّا ولَّى أمير المؤمنين صلوات الله عليه شريحاً القضاء اشترط عليه أن لا ينفِّذ القضاء حتَّى يعرضه عليه»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ١٨ : ٧، الباب ٣ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٣.
(٢) وسائل الشيعة ١٨ : ٤، الباب ١ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٥.
(٣) وسائل الشيعة ١٨ : ٦، الباب ٣ من أبواب صفات القاضي، الحديث ١.

معنى الظلم

الظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، فالشرك ظلم عظيم، لجعله موضع التوحيد عند المشركين.

وعرفاً هو: بخس الحق، والاعتداء على الغير، قولاً أو عملاً، كالسباب، والاغتياب، ومصادرة المال، واجترام الضرب أو القتل، ونحو ذلك من صور الظلامات المادية أو المعنوية.

والظلم من السجايا الراسخة في أغلب النُّفوس، وقد عانت منه البشرية في تاريخها المديد ألوان المآسي والأهوال، ممَّا جهَّم الحياة، ووسمها بطابع كئيب رهيب.

(البحر الكامل)

والظلم من شيم النُّفوس فإن تجد ذا عفَّة فلعلَّة لا يظلم

من أجل ذلك كان الظلم جماع الآثام ومنبع الشرور، وداعية الفساد والدمار.

أنواع الظلم:

يتنوع الظلم ويأتي صوراً نشير إليها إشارة لامحة:

١ ـ ظلم الإنسان نفسه:

وذلك بإهمال توجيهها إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ، وتقويمها بالخلق الكريم، والسلوك الرضي، ممَّا يزجها في متاهات الغواية والضلال، فتبوء آنذاك بالخيبة والهوان.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنْهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنْهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنْهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنْهَا ۞﴾[1].

---

(١) الشمس: ٧ ـ ١٠.

٢ ـ ظلم الإنسان عائلته:

وذلك بإهمال تربيتهم تربية إسلامية صادقة، وإغفال توجيههم وجهة الخير والصلاح، وسياستهم بالقسوة والعنف، والتقتير عليهم بضرورات الحياة ولوازم العيش الكريم، ممَّا يوجب تسيبهم وبلبلة حياتهم، مادياً وأدبياً.

٣ ـ ظلم الإنسان ذوي قرباه:

وذلك بجفائهم وخذلانهم في الشدائد والأزمات، وحرمانهم من مشاعر العطف والبر، ممَّا يبعث على تناكرهم وتقاطعهم.

٤ ـ ظلم الإنسان للمجتمع:

وذلك بالاستعلاء على أفراده وبخس حقوقهم، والاستخفاف بكراماتهم، وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم. ونحو ذلك من دواعي تسيب المجتمع وضعف طاقاته.

وأبشع المظالم الاجتماعية، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صد العدوان عنهم؛ ولا يملكون إلاَّ الشكاة والضراعة إلى العدل الرَّحيم في أساهم، وظلاماتهم.

فعن الباقر عليه السلام قال: لما حضر علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة، ضمني إلى صدره، ثمَّ قال: «يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنَّ أباه أوصاه به، قال: يا بني إيَّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاَّ الله تعالى»[1].

٥ ـ ظلم الحكَّام والمتسلِّطين:

وذلك باستبدادهم، وخنقهم حرية الشعوب، وامتهان كرامتها، وابتزاز أموالها، وتسخيرها لمصالحهم الخاصَّة.

---

(١) الوافي: ج٣، ص١٦٢ عن الكافي.

من أجل ذلك كان ظلم الحكَّام أسوأ أنواع الظلم وأشدّها نُكراً، وأبلغها ضرراً في كيان الأُمَّة ومقدراتها.

وخامة الظلم:

بديهي أنَّ استبشاع الظلم واستنكاره، فطري في البشر، تأباه النُّفوس الحرَّة، وتستميت في كفاحه وقمعه، وليس شيء أضرّ بالمجتمع، وأدعى إلى تسيبه ودماره من شيوع الظلم وانتشار بوائقه فيه.

فالإغضاء عن الظلم يشجع الطغاة على التمادي في الغيّ والإجرام، ويحفِّز الموتورين على الثأر والانتقام، فتشيع بذلك الفوضى، وينتشر الفساد، وتغدو الحياة مسرحاً للجرائم والآثام، وفي ذلك انحلال الأُمم، وفقد أمنها ورخائها، وانهيار مجدها وسلطانها.

علاج الظلم:

من العسير جداً علاج الظلم، واجتثاث جذوره المتغلغلة في أعماق النَّفس، بيد أنَّ من الممكن تخفيف جماحه، وتلطيف حدته، وذلك بالتوجيهات الآتية:

١ ـ التذكُّر لما أسلفناه من مزايا العدل، وجميل آثاره في حياة الأُمم والأفراد، من إشاعة السلام، ونشر الوئام والرخاء.

٢ ـ الاعتبار بما عرضناه من مساوىء الظلم وجرائره المادية والمعنوية.

٣ ـ تقوية الوازع الديني، وذلك بتربية الضمير والوجدان، وتنويرهما بقيم الإيمان ومفاهيمه الهادفة الموجهة.

٤ ـ استقراء سِيَر الطغاة وما عانوه من غوائل الجور وعواقبه الوخيمة.

القاتل مقتول

وقد جاء في كتاب حياة الحيوان عند ذكر الحجلان: أنَّ بعض مقدِّمي الأكراد حضر على سماط بعض الأمراء، وكان على السماط حجلتان مشويتان، فنظر

الكردي إليهما وضحك، فسأله الأمير عن ذلك، فقال: قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر فلما أردت قتله، تضرَّع فما أفاد تضرعه، فلما رآني أقتله لا محالة، التفت إلى حجلتين كانتا في الجبل، فقال: إشهدا عليه إنَّه قاتلي، فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه، فقال الأمير: قد شهدتا، ثم أمر بضرب عنقه(١).

عظة بالغة

وفي سراج الملوك لأبي بكر الطرطوسي: أنَّ عبد الملك بن مروان أرق ليلةً فاستدعى سميراً له يحدِّثه، فكان فيما حدَّثه أنْ قال: يا أمير المؤمنين، كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها، فقالت بومة البصرة: لا أفعل إلاَّ أنْ تجعلي صداقها مائة ضيعة خراب! فقالت بومة الموصل: لا أقدر على ذلك الآن، ولكن إن دام والينا علينا، سلَّمه الله تعالى سنة واحدة فعلت ذلك، فاستيقظ عبد الملك، وجلس للمظالم، وأنصف الناس بعضهم من بعض، وتفقد أمر الولاة(٢).

العدل واجب

الآيات الآمرة بالعدل والناهية عن الظلم والاعتداء كثيرة، ولعلَّ ما ذكرناه قسم منها.

ويمكن أن نستفيد من الآيات الآمرة بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ... ﴿٩٠﴾﴾ إنَّ العدل مطلوب في جميع تصرفات الإنسان وليس في مجال خاصّ، فالعدل في الحكم واجب، والعدل في الحياة الزوجية واجب، والعدل في السوق واجب، والعدل في جميع المجالات واجب.

وقد يُستفاد من الآيات المذكورة حرمة ظلم الإنسان لنفسه، فكما يحرم ظلم

---

(١) كشكول البهائي طبع إيران: ص٢١.

(٢) سفينة البحار: ج١، ص١١٠.

الغير كذلك يحرم ظلم النَّفس. وإذا ثبتت حرمة ظلم النَّفس فيترتب على ذلك حرمة قطع الإنسان لبعض أعضاء بدنه أو تعطيلها عن الفعالية بشكل كامل، كما لو أجرى عملية جراحية أوجبت له العقم الدائم أو تبرَّع بكلتا كليتيه أو عينيه بل بإحديهما، إنَّ هذه الموارد وما شاكلها قد يحكم فيها بالتحريم تمسُّكاً بفكرة حرمة ظلم النَّفس على ما صار إليه بعض الأعلام[١].

(١) صراط النجاة ١ : ٣٥٣.

حرمة الركون إلى الظلَمة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[1].

تدلُّ الآية الكريمة على حرمة الركون إلى الظالم دلالة مؤكدة حيث لم تكتفِ بالنهي بل قرنته بالتعليل وبيان النتيجة.

وماذا يُراد من الركون إلى الذين ظلموا؟ هل خصوص العمل معهم ولهم؟

كما أنَّه ماذا يُراد من الذين ظلموا؟ هل خصوص الكفَّار؟

والجواب بالنسبة إلى السؤال الأول: أنَّ المراد من الركون مطلق ما يصدق عليه عرفاً عنوان الركون إلى الذين ظلموا لا خصوص العمل معهم ولهم، فالذهاب إلى مراكزهم والجلوس معهم لقضاء الوقت نحو من الركون إليهم عرفاً فيكون منهياً عنه أيضاً.

وبالنسبة إلى السؤال الثاني: لا موجب للتخصيص بخصوص الكفَّار بل المراد مطلق مَنْ يصدق عليه عرفاً العنوان المذكور.

ثم أنَّه لا تخفى النكتة في النهي المذكور، وهي تأييد الظلم والظلَمة وتقوية شوكتهم، ومن ثمَّ تضعيف القانون الإلَهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[2].

وقد جاءت أحاديث أهل البيت عليهم السلام لتحذِّر بقوَّة من عنوان أعوان الظلمة

---

(١) هود: ١١٣.

(٢) النحل: ٩٠.

وإعانتهم فضلاً عن عنوان الركون إليهم، ففي الحديث عن ابن أبي يعفور: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: جعلت فداك ربَّما أصاب الرجل منَّا الضيق والشِّدَّة فيدعى إلى البناء يبنيه أو النهر يكريه[١] أو المسناة[٢] يصلحها فما تقول في ذلك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أُحب أنّي عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وأنَّ لي ما بين لابتيها[٣]، لا، ولا مدة قلم[٤]، إنَّ أعوان الظلَمة يوم القيامة في سرادق[٥] من نار حتى يفرغ الله من الحساب»[٦].

وجاء في رواية محمد بن عذافر، عن أبيه: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عذافر نبئت أنَّك تعامل أبا أيُّوب والربيع فما حالك إذ نودي بك في أعوان الظلَمة؟ قال: فوجم[٧] أبي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأى ما أصابه: أي عذافر أنِّي إنَّما خوَّفتك بما خوَّفني الله عزَّ وجلَّ به. قال محمد: فقدم أبي فما زال مغموماً مكروباً حتى مات»[٨].

الجمال وكراؤها

وفي حديث صفوان بن مهران الجمال ورد ما نصَّه: « على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي: يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً، قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ يعني هارون ـ

---

(١) أي يحفر فيه حفرة جديدة. مجمع البحرين ١: ٣٥٨.
(٢) المسناة: السدُّ. المصباح المنير: ٢٩٢.
(٣) أي وإن كان لي في مقابل ذلك ما بين لابتي المدينة المنورة من الملك. واللابة: الأرض ذات الحجارة السوداء، والمدينة تقع ما بين لابتين كما جاء في الحديث: «حرم المدينة ما بين لابتيها». لاحظ الوافي ١٧: ١٥٦.
(٤) أي غمسة قلم في الدواة. مجمع البحرين ٣: ١٤٥.
(٥) السُرادق: كل ما أحاط بالشيء من حائط أو خباء ونحوهما. مجمع البحرين ٥: ١٨٦.
(٦) وسائل الشيعة ١٢: ١٢٩، الباب ٤٢ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٦.
(٧) أي اشتد حزنه. مجمع البحرين ٦: ١٨٢.
(٨) وسائل الشيعة ١٢: ١٢٨، الباب ٤٢ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٣.

قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً[١] ولا للصيد ولا للهو ولكني أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكة ـ ولا أتولاه بنفسي ولكني أبعث معه غلماني، فقال لي: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، فقال لي: أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم، قال: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار. قال صفوان: فذهبت فبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنَّك بعت جمالك قلت: نعم قال: ولِمَ؟ قلت: أنا شيخ كبير وأنَّ الغلمان لا يفون بالأعمال، فقال: هيهات هيهات، إنِّي لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: ما لي ولموسى بن جعفر؟ فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك»[٢].

السلطان العادل

وعن موسى بن إسماعيل بن موسى، عن أبيه، عن جدِّه موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال لشيعته: يا معشر الشيعة لا تذلّوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله إبقاءه، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فإنَّ صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإنَّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم[٣].

وعن جميل بن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: لا تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم (الخبر)[٤].

---

(١) أشِر ـ بفتح الهمزة وكسر الشين وفتحها ـ شدَّة الفرح. مجمع البحرين ٣: ٢٠٧.
والبَطِر ـ بفتح الباء وكسر الطاء ـ الطغيان بالنعمة. مجمع البحرين ٣: ٢٢٦.
أي ما أكريت جمالي لأجل أن يفرح ويأنس من خلالها ولا لعمل ما فيه نحو من الطغيان للنعمة وصرفها عن وجهها الصحيح.

(٢) وسائل الشيعة ١٢: ١٣١، الباب ٤٢ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١٧.

(٣) أمالي الصدوق ص٢٠٣.

(٤) البحار: ج٧٢، ص٣٧٠، ح٦.

وفيما أوصى به النبي ﷺ إلى عليّ عليه السلام: يا عليُّ ثلاث يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان[(١)].

عن أبي الحسن الأوَّل قال: قال رسول الله ﷺ: أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيد[(٢)].

وعن عمّار بن مروان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: السُّحت أنواع كثيرة منها ما أُصيب من أعمال الولاة الظلمة، ومنها أُجور القضاء، وأُجور الفواجر، وثمن الخمر والنبيذ المسكر، والربا بعد البيّنة فأمّا الرشا يا عمّار في الأحكام فإنَّ ذلك الكفر بالله العظيم برسوله[(٣)].

وعن ابن محبوب، عن حديد المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صونوا دينكم بالورع، وقوُّوه بالتقيّة والاستغناء بالله عن طلب الحوائج من السلطان، واعلموا أنّه أيّما مؤمن خضع لصاحب سلطان أو من يخالطه على دينه طلباً لما في يديه من دنياه أخمله الله ومقته عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه وصار في يده منه شيء نزع الله البركة منه، ولم يأجره على شيء ينفقه في حجّ ولا عمرة ولا عتق[(٤)].

وعن الصادق، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظلمة وأعوانهم!؟ من لاق دواة أو ربط لهم كيساً أو مدَّ لهم مَدَّة قلم، فاحشروهم معهم[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ: إيّاكم وأبواب السلطان وحواشيها، فإنَّ أقربكم من

---

(١) الخصال ج١ ص٦٢.
(٢) الخصال ج١ ص١٠٨.
(٣) الخصال ج١ ص١٦٠.
(٤) ثواب الأعمال ص٢٢٠.
(٥) ثواب الأعمال ص٢٣٢.

أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله عزَّ وجلَّ، ومن آثر السلطان على الله عزَّ وجلَّ، أذهب الله عنه الورع وجعله حيران[١].

وعن ابن بنت الوليد بن صبيح الناهليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سوَّد اسمه في ديوان ولد فلان حشره الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة خنزيراً[٢].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عذر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته[٣].

وعن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عزَّ وجلَّ عليه ساخطاً حتّى ينزع عن معونته[٤].

وعن سليمان بن جعفر الجعفريّ قال: قلت لأبي الحسن الرِّضا عليه السلام: ما تقول في أعمال السلطان؟

فقال: يا سليمان الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر، والنظر إليهم على العمد من الكبائر الّتي يستحقُّ به النار[٥].

وعن عمرو بن جميع، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من أتى غنيّاً فتواضع لغنائه ذهب الله بثلثي دينه[٦].

وعن بعض أصحابنا قال أحدهم: أنّه سئل عن قول الله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال: هو الرجل من شيعتنا يعوّل على هؤلاء الجائرين[٧].

ومن كتاب أبي القاسم بن قولوية، روى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ثواب الأعمال ص٢٣٣.

(٣) ثواب الأعمال ص٢٤٤.

(٤) ثواب الأعمال ص٣٤٤.

(٥) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٨.

(٦) البحار: ج٧٢، ص٣٧٤.

(٧) تفسير العياشي ج٢ ص١٦١.

مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله، وخوَّفه ووعظه، كان له مثل أجر الثقلين من الجنِّ والإنس ومثل أعمالهم[١].

وقال النبيُّ ﷺ: من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنّه ظالم فقد خرج من الإسلام.

ووقال الباقر عليه السلام: العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاث.

وقال ﷺ: شرُّ الناس المثلّث.

قيل: يا رسول الله وما المثلّث؟

قال: الذي يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه، ويهلك أخاه، ويهلك السلطان.

وقال ﷺ: من مشى مع ظالم فقد أجرم[٢].

التعامل مع السلطان

محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليٌّ عليه السلام يقول: إنّما هو الرضا والسخط، وإنّما عقر الناقة رجل واحد، فلمّا رضوا أصابهم العذاب، فإذا ظهر إمام عدل فمن رضي بحكمه وأعانه على عدله فهو وليّه، وإذا ظهر إمام جور فمن رضي بحكمه وأعانه على جوره فهو وليّه[٣].

وطلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: العامل بالظلم، والمعين له والراضي به شركاء فيه[٤].

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنَّ أباه كان يقول: من دخل على

(١) السرائر ص٤٩٨.
(٢) جامع الأخبار ص١٨٠.
(٣) البحار: ج٧٢، ص٣٧٧.
(٤) البحار: ج٧٢، ص٣٧٨.

إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا، لعن القاري بكلّ حرف عشر لعنات، ولعن المستمع بكلِّ حرف لعنة(١).

الوصولية

عن محمّد بن هاشم، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ قوماً ممّن آمن بموسى صلوات الله عليه، قالوا: لو أتينا عسكر فرعون وكنّا فيه ونلنا من دنياه، فإذا كان الّذي نرجوه من ظهور موسى صرنا إليه، ففعلوا فلمّا توجّه موسى ومن معه هاربين، ركبّوا دوابّهم وأسرعوا في السير ليوافوا موسى ومن معه فيكونوا معهم فبعث الله ملائكة فضربت وجوه دوارّهم فردَّتهم إلى عسكر فرعون، فكانوا فيمن غرق مع فرعون(٢).

إعانة السلطان

عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ملعون ملعون عالم يؤمُّ سلطاناً جائراً معيناً له على جوره.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ترك معصية الله مخافة من الله أرضاه الله يوم القيامة، ومن مشى مع ظالم يعينه وهو يعلم أنّه ظالم فقد خرج من الإيمان(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الإسراء مكتوباً على أبواب النار ومن جملته: «لا تكن عوناً للظالمين»(٤).

وهي من الذنوب التي جاء وعيد الله تعالى عليها بالعذاب يقول عز من قائل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾(٥).

---

(١) الاختصاص: ٢٦٢.

(٢) البحار: ج٧٢، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٣) البحار: ج٧٢، ص٣٨١.

(٤) الوسائل: ج٦، ص١٣٠، باب ٤٢، ح١٤.

(٥) هود: ١١٣.

وعن النبي ﷺ: «من علّق سوطاً بين يدي سلطانٍ جائر جعلها الله تعالى حية طولها سبعون ذراعاً فيسلّطها الله عليه في نار جهنم خالداً فيها مخلداً»[١].

وعن النبي الأكرم ﷺ: «من عظم دنيا وأحبه طمعاً في دنياه سخط الله عليه وكان في درجته مع قارون في التابوت الأسفل من النار»[٢].

وعن النبي ﷺ أيضاً: «من مدح سلطاناً جائراً أو تخفف أو تضحضح له طمعاً فيه كان قرينه في النار».

وعنه ﷺ: «إذا مُدح الفاجر اهتز العرش وغضب الرب»[٣].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من سوّد اسمه في ديوان ولد سابع بني العباس حشره الله يوم القيامة خنزيراً»[٤].

وفي رواية أخرى: «حشره الله يوم القيامة مسوداً وجهه»[٥].

وعنه عليه السلام: «لا تعنهم على بناء مسجد»[٦].

يقول الرسول ﷺ: «من نكث بيعة أو رفع لواء ضلالة أو كتم علماً أو اعتقل مالاً ظلماً أو أعان ظالماً على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد برىء من الإسلام»[٧].

ويقول ﷺ في حديث المعراج وضمن بيانه للكلمات المكتوبة على أبواب جهنم: «وعلى الباب الرابع من أبواب النار مكتوب ثلاث كلمات: أذل الله من أهان الإسلام أذل الله من أهان أهل البيت، أذل الله من أعان الظالمين على ظلمهم للمخلوقين»[٨].

---

(١) الوسائل: ج٦، ص١٣٠، باب٤٢، ح١٤.
(٢) الوسائل: ج٦، ص١٣٠، باب٤٢، ح١٤.
(٣) الوسائل: ج٦، ص١٣٣، باب٤٣، ح١.
(٤) الوسائل: ج٦، ص١٣٠، باب٤٢، ح٩.
(٥) المستدرك: ج١٣، ص١٢٦، باب٣٥، ح١٧.
(٦) الوسائل: ج٦.
(٧) المستدرك: ج١٣، ص١٢٣، باب ٣٥، ح٤.
(٨) الأنوار النعمانية: ج٣، ص٤٤.

وعن ابن فضّال قال: سمعت الرضا عليه السلام، يقول: من واصل لنا قاطعاً، أو قطع لنا واصلاً، أو مدح لنا عائباً، أو أكرم لنا مخالفاً، فليس منّا ولسنا منه[١].

وعن ابن فضّال، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله وحقٌّ على الله أن يدخله في نار جهنّم[٢].

الظلم إذا زاد رفع نفسه

حدَّث القاضي أبو علي، قال: حدَّثني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله، قال: حدَّثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي، قال: قال لنا أبو الحسن بن الفرات يوماً، وقد جرى بحضرته ذكر رجل قد أسرف في الظُّلم، الظلم إذا زاد رفع نفسه[٣].

على الباغي تدور الدوائر

ذكر القاضي التنوخي، في كتابه نشوار المحاضرة، قال: حدَّثني إبراهيم النصيبي، عن جار له يُقال له: أبو القاسم الصفَّار، قال: خرجت من نصيبين، بسيف نفيس، كنت ورثته عن أبي، وقصدت العبَّاس بن عمرو، أمير ربيعة، لأهديه له، وهو في رأس العين، فصحبني شيخ من شيوخ الأعراب، وسألني عن خبري، فأخبرته، وقد كنَّا قريبين من رأس العين، فدخلناها وافترقنا.

وكان يأتيني ويراعيني، ويظهر لي البرّ، ويسألني عن حالي، فأخبرته أنَّ الأمير قبل هديتي، وأعطاني ألف درهم وثياباً، وأنّي أريد الخروج يوم كذا وكذا، فمضى.

(١) صفات الشيعة الرقم١٠.

(٢) صفات الشيعة الرقم١١.

(٣) راجع أقوال الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات التي تجري مجرى الحكمة، في القصة ٥/ ٣٢ من النشوار، وفي حاشيتها، وفي القصة ٤/ ٧١ من النشوار. الوزراء للصابي ص٢٣٨.

فلما كان ذلك اليوم، خرجت من الدار، راكباً حماراً، فلما صرت في الصحراء، إذا أنا بالشيخ راكباً دويبة ضعيفة، متقلِّداً سيفاً.

فلما رأيته استربت به، وأنكرت وجهه، وأيقنت بالشر في عينيه، فقلت: ما تصنع [هٰهنا].

فقال: قضيت حوائجي، وأريد الخروج في صحبتك، وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك.

فقلت: على اسم الله.

فمضينا، وهو يجتهد أن آنس به، وأدنو منه، وكلَّما دنا منِّي، تباعدت عنه، إلى أن سرنا شيئاً كثيراً من الطريق، وليس معنا ثالث، إلاَّ الله تعالى، فقصر عنِّي، فحثثت حماري لأفوته، فما أحسست إلاَّ بركضه في إثري، فالتفتُّ، [وإذا هو] قد جرَّد سيفه، وقصدني، فرميت بنفسي عن الحمار، وعدوت.

فلما خاف أن أفوته، صاح: يا أبا القاسم، إنَّما مزحت معك.

فلم التفت إليه، فضرب دابته، وزاد في الجري، ولاح لي ناووس، فقصدته، وقد كاد الأعرابي أن يلحقني، فلما دخلت الناووس، وقفت وراء بابه.

قال: ومن صفة هذا الناووس، أنَّه مبني بحجارة، وباب هذا الناووس حجر واحد عظيم، قد نقر، وخفّف، فلا تستمكن اليد منه، وله من خارج الباب حلقة، وليس من داخله شيء تلزم به اليد، وإنَّما يدفع من خارجه، فينفتح، فيدخل إليه، فإذا خرجت، وجذبت الحلقة، انغلق الباب وتمكَّن الذي يكون من خارجه.

فاختبأت وراء باب الناووس، فجاء الأعرابي، فشدَّ دابته في حلقة الباب ودخل يطلبني في الناووس، وكان مظلماً، فلم يرني، ومشى إليَّ، فخرجت من خلف الباب، وجذبت الحلقة، حتى صار مغلقاً، ورأى الموت عياناً.

فصاح من الناووس: يا أبا القاسم، اتَّق الله، فإنِّي تالف لا محالة، فقلت: تتلف أنت، أهون من أن أتلف أنا.

قال: أخرجني، وأنا أعطيك أماناً، وأستوثق لك بالأيمان، إنِّي لا أضمر لك بسوء، واذكر الحرمة.

فقلت: أنت لم ترعها، وأيمانك كاذبة فاجرة، لا أثق بك.

وأخذ يكرِّر هذا، فقلت: لا تهذ، فإنِّي أركب الآن دابتك، وأجنب حماري التعب، والوعد بيننا بعد أيَّام هٰهنا، فلا تبرح [حتى أجيء، وآتي لك بطعام، فعليك بجيف العلوج، فنعم الطعام لك].

قال: فأخذ يبكي، ويستغيث، ويصيح: قتلتني، والله.

فقلت: إلى لعنة الله.

فركبت دابته، وجنبت حماري، فوجدت على دابته خرجاً فيه ثيابه، وعرفت أنه من نصيبين، فبعت ثيابه ودابته، وكتمت أمري.

فلما كان بعد شهور، عرض لي المسير إلى رأس العين، فخرجت إلى تلك الطريق، وبدا لي ذلك الناووس، فقصدته، ودخلته، فإذا بالأعرابي صار عظاماً نخرة، فحمدت الله على سلامتي، وهلاكه.

فحرَّكته برجلي، وقلت على سبيل العبث: كيف خبرك يا فلان؟

فإذا بشيء يتخشخش تحت رجلي، فمسسته، فإذا هو هميان، فأخذته، وأخذت سيفه، وخرجت من الناووس، وفتحت الهميان، فإذا فيه خمسمائة درهم، وبعت السيف بمائة درهم[١].

عاقبة البغي

روى القاضي التنوخي، في كتابه أخبار المذاكرة، ونشوار المحاضرة، عن عبيد الله بن محمد الخفاف، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني صديق لي من أولاد الجند، قال: كنت مجتازاً يوماً في الكرخ ببغداد، فرأيت امرأة لم أرَ أحسن منها

---

(١) تحفة المجالس ونزهة المجالس: ٢٤٢.

قط، فوقفت أنظر إليها، وإذا بها قد ولَّت، وإذا بعجوز معها قد جاءتني، فمازحتني عنها، وقالت: تقول لك، تجيء في دعوتي؟

فقلت: لا يمكنني أن أمضي مع أحد، ولكن تجيء في دعوتي أنا.

فقالت: لا، بل تجيء أنت.

فحملني فرط شهوتي لها [أن مضيت معها]، إلى أن حصلنا في طرف من أطراف بغداد، ووافت إلى باب، فدقَّته.

فقالوا: من هذا؟

فقالت: أنا، صيد.

فحين قالت ذلك، وجب قلبي، فولّيت.

فقالت: إلى أين يا فتى، ما بدا لك منَّا؟

فقلت: خير، ودخلت البيت، فإذا بدار فارغة، قليلة الآلات جداً، وإذا بجارية سوداء قد جاءت بطشت وماء، فغسلت وجهي، ورجلي، واسترحت، وجاؤوني بطعام غير نظيف، فأكلت منه لفرط الجوع.

وخرجت الجارية، وإذا هي من أحسن النساء وجهاً، وجاؤوني بنبيذ، فجلست أشرب، وهي معي.

فأهويت إليها، فمكَّنتني من عناقها، فلما تجاوزت ذلك، قالت: أنا لا أدخل في حرام، واصبر حتى يجيء من يزوّجني بك.

وجاءت المغرب، وصار الوقت بين الصلاتين، وإذا بالباب يدقّ.

فقالت: ويه، ويه.

فقلت لها: ما الخبر؟

فقالت: قد جاء أخي وغلامه، وإن رآك لم آمن عليك، قم إلى ذلك البيت فاختبىء فيه، حتى إذا ناموا جئتك.

فأدخلتني بيتاً، فلما حصلت فيه، زرفنت بابه[1]، فأيقنت أنِّي مقتول، وأنَّ ذلك لغرض كان في ثيابي ومالي، فتبت إلى الله من الحرام، وعاهدته إن خلَّصني، أن لا أدخل في شيء من ذلك.

قال: وأقبلت أسمع ما يجري من خلف الباب، فإذا بالداخل غلام أسود، لم أر قط أهول منه خلقة، ولا أعظم، وهو يقبِّل المرأة، وهي تترشَّفه ترشُّف عاشقة له، وجلسا يتحدَّثان، وجاؤوه بما أكله، وشربه، ثم جامعها دفعات.

وقال لها في خلال ذلك: أيش حصل اليوم؟

فقالت: ما وقع اليوم غير رجل مخذول، لم يكن في كمِّه شيء، قال: وأخرجت ثيابي، فسلَّمتها إليه، فشتمها وضربها.

وقال: هذا أيش، نحن أردنا صاحب كيس كبير.

فقالت: كما اتفق، ولم تزل تقبِّل رجله، وتبكي، وتعتذر إليه، إلى أن رضي عنها.

وأيقنت أنا بالهلاك، وأقبلت على الدُّعاء.

وما زالا يشربان، وهو يجامعها في خلال ذلك، إلى أن عددت أنَّه قد جامعها عشر دفعات، وسكر.

فقالت له: قد أخذ النبيذ منك يا سيِّدي، قم فافرغ من هذا الميشوم، حتى نتخلَّص منه.

فتشهَّدت حينئذٍ.

ففتح الباب، ودخل الأسود إليَّ بسيف مسلول، فما زال يضربني موشّحاً، وأنا أصيح، فلا يسمع أحد صياحي، إلى أن بردت، وانقطع صياحي، ولم يشك الأسود في موتي، فجذبني وطرحني في البئر، وإذا تحتي فيها أشلاء ثلاثة، فصرت أنا قريباً من رأسها، فوق القوم، فخرج ولم يغلق الباب، فقالت له: ما عملت؟

---

(١) زرفن الباب: أقفله بالزرفين، وهي حلقة الباب (الألفاظ الفارسية المعربة ٧٨).

قال: فرغت منه.

فنام إلى جانبها، وقامت العجوز، فجللتهم، ولم يكن في الدار غيرهم.

فلما كان بعد نصف اللَّيل، حملتني حلاوة الحياة، على طلب الخلاص فقمت، فإذا البئر إلى صدري، وإذا أنا قويّ، فتسلَّقت، وخرجت منها إلى البيت.

ووقفت أتسمَّع، فلم أسمع لهم حسّاً، إلاَّ غطيطاً يدلُّ على نومهم، فخرجت قليلاً قليلاً، حتى فتحت الباب، وخرجت من الدار، وما شعروا بي، فجئت إلى بيتي قبل طلوع الشمس.

فقالوا: ما دهاك؟

فقلت: كنت البارحة عند صديق لي، وبكَّرت من عنده، فلقيني لص يستقفي[١]، فمنعته ثيابي، فأخذها، وعمل بي هذا.

فأقمت شهوراً أعالج، إلى أن عوفيت، فلما خرجت، وتصرَّفت، لم يكن لي همّ إلاَّ طلب المرأة في الطريق والأسواق.

فاجتزت يوماً بالكرخ، فرأيتها، فلم أكلّمها، وعدت إلى منزلي، وكنت قد غيَّرت زيِّي، وطوَّلت لحيتي، حتى تغيَّرت هيئتي عليها، ومشيت ويدي مكتوفة إلى ظهري، على مذهب الخراسانية، وجئت أطلبها، وصادفتها في الموضع.

فحين رأتني العجوز، أقبلت عليَّ، وبدأتني بالكلام، فأجبتها بالفارسية، وعلمت أنَّها لم تعرفني.

وجئت معها، فحملتني إلى الدار بعينها، وجرت قصة على الرسم الأول، إلى أن قالت: قد جاء أخي وغلامه، قم لا يراك، فأقامتني إلى البيت بعينه، فدخلته، وأغلقت عليَّ، ووقفت أسمع، وكان تحت ثيابي سيف لطيف ماضٍ.

فقال لها الأسود، بعد أن وطئها خمس عشرة مرَّة: أيش جبتِ اليوم؟

---

(١) المستقفي: اللص الذي يهاجم من القفا، ويخطف العمامة أو الطيلسان أو الرداء، ويهرب، ويُسمَّى هذا الضرب من اللصوصية: الاستقفاء.

قالت: بطة سمينة، خراساني معه هميان ملآن.

قال: فأين هو؟

قالت: في وسطه.

فقال: غاية[١].

فأخرجت أنا السيف، ووقفت خلف الباب أنتظره، فأكل، وشرب حتى سكر، وجاء، فدخل، فخالفت طريقه، ومضى يريد صدر البيت، فصرت خلفه، وضربته في ساقه ضربة محكمة، أجلسته منها، وثنيّتها بأُخرى، فماقدر أن ينهض، وواليت ضربه، حتى قطَّعته، فلما برد، تقدَّمت فحززت رأسه، وفصلته عن بدنه، لتزول عنِّي الشبهة في أمره، ووقفت موضعي.

فلما أبطأ خروجه على الجارية، قالت للعجوز: قومي انظري أيش خبره؟

فقامت العجوز المسماة صيد، تطلبه، وجاءت إلى البيت، تقول: يا سيِّدي، لِمَ لَمْ تخرج؟ أين أنت؟

فما تكلمت.

فدخلت إلى البيت، فضربتها في ساقها أيضاً، فقعدت زمنةً، فحين جلست، جررت برجلها، فأخرجتها إلى برًّا، وقلت: مرحباً يا صيد، إلى كم تصطادين ولا تصادين؟ وقتلتها.

وخرجت إلى الدار، وتكلمت بلسان فصيح، وقد كنت أكلمهم بلسان الخراسانية، فأيقنت الجارية بالهلاك.

ثم قلت لها: أنا الرجل الذي فعلت بي كذا وكذا.

قالت: فأين الأسود؟

فقلت: قتلته، وهذا رأسه.

---

(١) غاية: كلمة استحسان، بمعنى أنَّ ما تم صنعه كان غاية المطلوب.

قالت: سألتك بالله، إلاَّ قتلتني بعده، فلا حاجة لي في الحياة.

فقلت: لا تحتاجين إلى مسألتي في هذا، فإنِّي أفعله، ولكن أين الأموال؟ وإلاَّ عذَّبتك، ولم أقتلك، وأخرجتك إلى السلطان، فحصلت في العقوبات.

فقالت: افتح ذلك البيت، وذلك البيت.

ففتحت أبواباً، فخرج عليَّ منها أمر عظيم.

فقلت: الأموال.

وما زلت أقرّرها، وكلَّما امتنعت، ضربتها بالسيف، إلى أن عرَّفتني مواضع الدفائن، وأوقفتني على جميع ما عندها من الذخائر، فقتلتها حينئذٍ.

وخرجت سحراً، وقد قلعت الدفائن، وأخذت منها ما أطقت حمله من فاخر ما وجدته، ولم أقرب الناحية إلى الآن، ولا أدري إلى أي شيء انتهى خبر القتلى والأسود والدار.

فكان ما وصل إليَّ من ذلك ما قيمته ألوف كثيرة[1].

لا تصلح الدُّنيا إلاَّ بالعدل

حدَّثني أبو الحسين، قال: سمعت حامد بن العبَّاس، في وزارته، يتحدَّث، قال: كان صاعد بن مخلد، وصفني للناصر لدين الله، وعظّم عنده من أمري، حتى اختصصت بخدمته.

فاستدعاني يوماً على خلوة، وقال: قد علمت ما لحقنا من هذا العدوّ، يعني صاحب الزنج، حتى عدنا إلى هٰهنا.

قال: وكان ذلك بعد انهزامه من بين يدي صاحب الزنج، وعوده من مقامه بواسط، ليستريح، ويتأهب الرجوع، ويستعد لقتاله.

قال: وقال لي الناصر: وأمري كما ترى مختلّ، وجميع ما في خزانتي

(١) تحفة المجالس ونزهة المجالس: ٢٨٥.

ثلاثون ألف دينار عيناً، وهذا لا يقع منّي، وأريد أن تصرف همّتك إلى ما يثمر معه، ويضعف قدره.

قال: فقلت له: هٰهنا وجه فيه مرفق عظيم.

فقال: ما هو؟

فقلت: هذه أسناية[١] الخيزران، ومنها يشرب المبارك[٢] بأسره، وبعض الصلح[٣]، وكانت إقطاعاً لأُمّ الرشيد، الخيزران[٤]، فحفرت لها هذه الأسناية، وكانت تغلّها غلّة عظيمة، وقد تعطّلت الآن، وخرب الصلح، والمبارك، كلّه، فإن صرفت هذه الثلاثين الألف الدينار، في حفر الأسناية، وإطلاق البذر والبقر، لأهل هاتين الناحيتين، تولّيت لك تفرقة ذلك، ومشاهدة الحفر بنفسي، حتى لا يضيع منه دانق واحد، ولا يرتفق أحد بحبّة منه، وتغلّ في سنة، ضعف هذا وأكثر.

قال: فأنفقت على حفر الأسناية عشرين ألف دينار، بأتمّ احتياط، وأطلقت العشرة آلاف دينار، الباقية، للضعفاء من الأكرة، والتنّاء، والمزارعين، في أثمان بقر وبذور، واحتطت في جميع ذلك، وطالبت الأقوياء بالزراعة من أموالهم، وحرصوا هم أيضاً الحرص كله، لما رأوا الماء، وأنَّ الضياع معطّلة منذ سنين كثيرة، وطمعوا في كثرة الريع، ووفور الأسعار في النواحي.

فزرع الناس بالرغبة والرهبة، حتى استنفذوا جهدهم.

فلما أدركت[٥]، حصلت في بيدر واحد، من بيادر الصلح، وقد كان ارتفع أصل الكيل منه، ثلاثة آلاف كرّ وستمائة كرّ حنطة، بالنصف، فحصلت منه الثلث،

---

(١) السناية: السقي (لسان العرب)، والسانية: الساقية (المنجد)، والأسناية: القناة أو النهر يحفر ويجري فيه الماء.

(٢) المبارك: نهر وقرية فوق واسط، بينهما ثلاثة فراسخ (معجم البلدان: ٤/ ٤٠٩).

(٣) الصلح: بالكسر، كورة فوق واسط، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يُسمّى فم الصلح، بها كانت منازل الحسن بن سهل (معجم البلدان: ٤/ ٤١٣).

(٤) الخيزران: جارية المهدي، أم الهادي والرشيد، ترجمتها في حاشية القصة: ٦/ ١٥ من النشوار.

(٥) يعني الغلّة.

والعشر، على المقاسمة مع الأجور، وفضل الكيل، ألف كرّ وستمائة كرّ للسلطان، وبعتها بحساب الكرّ بنيف وعشرين ديناراً، فحصل الثمن ستة وثلاثون ألف دينار عيناً من بيدرٍ واحد، وبقي البلد كلّه بأسره ربحاً.

فحصل له منه في أوَّل سنة، أضعاف ما أنفق مضاعفاً.

فتقوَّى بذلك على الرجوع إلى الخائن[١]، وكان ذلك من أكبر أسباب تقدّمي عنده ورفعتي.

قال: وكان محمد يحدِّث بهذا، عقيب شيء جرى، قال حامد معه: لا تصلح الدُّنيا إلاَّ بالعمارة، والعدل، وقمع العمَّال عن السرقات.

ثمَّ تحدَّث بهذا الحديث.

وما ظالم إلاَّ سيبلى بأظلم

أخبرنا محمَّد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبَّار، قال: أنبأنا الجوهري.

وأخبرني ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبرنا أبو القاسم التنوخي، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: حدَّثنا محمد بن خلف: حدَّثني لصّ تائب، قال: دخلت مدينة، فطلبت شيئاً أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي موسر، فما زلت أحتال، حتى سرقت كيساً له، وانسللت.

فما جزت غير بعيد، إذ أنا بعجوزٍ معها كلب، قد وقعت في صدري، تبوسني، وتلزمني، وتقول: يا بنيَّ، فديتك، والكلب يبصبص، ويلوذ بي، ووقف الناس ينظرون إلينا.

وجعلت المرأة تقول: يا الله، انظروا إلى الكلب، قد عرفه، فعجب الناس من ذلك، وتشككت أنا في نفسي، وقلت: لعلَّها أرضعتني، وأنا لا أعرفها؟

---

(١) يريد صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني.

وقالت: معي إلى البيت، أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها.

وإذا عندها أحداث يشربون، وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين، فرحبوا بي، وقرَّبوني، وأجلسوني معهم.

ورأيت لهم بزَّة حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي، إلى أن ناموا، ونام كلّ من في الدار.

فقمت وكوَّرت ما عندهم، وذهبت أخرج.

فوثب عليَّ الكلب وثبة الأسد، وصاح، وجعل يتراجع وينبح، إلى أن انتبه كل نائم، فخجلت، واستحييت.

فلما كان النَّهار، فعلوا مثل فعلهم بالأمس، وفعلت أنا بهم أيضاً مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى اللَّيل، فما أمكنتني فيه حيلة.

فلما ناموا، رمت الذي رمته، فإذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني به.

فجعلت أحتال، ثلاث ليال، فلما أيست، طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت: أتأذنون لي، فإنِّي على وفز[1].

فقالوا: الأمر إلى العجوز.

فاستأذنتها، فقالت: هات الذي أخذته من الصيرفي، وامض حيث شئت، ولا تقم في هذه المدينة، فإنَّه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل.

فأخذت الكيس وأخرجتني، ووجدتُ مناي أن أسلم من يدها.

وكان قصاراي أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليَّ، وخرجت معي، حتى أخرجتني عن المدينة، والكلب معها، حتى جزت حدود المدينة.

---

(١) الوفز: العجلة.

ووقفت، ومضيتُ، والكلب يتبعني، حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إليَّ، ويلتفت، وأنا أنظر إليه، حتى غاب عن عيني[١].

موعظة للغافلين

سكرة الموت:

فيا غافلاً عن الموت وقد هدم ركن عمره المشيد، إلى متى أنت في نوم غفلتك لا تبدي ولا تعيد، أما سمعت قول العزيز الحميد: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[٢] قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ يريد، بذلك وعد الله تعالى على لسان نبيه ﷺ من ظهور ملك الموت، وأن يكشف له عن مقعده إمَّا في الجنَّة وإمَّا في النَّار، وذلك عند مجيء سكرة الموت، وهو الحق الَّذي ذكره المصطفى ﷺ من الإيمان بالغيب، ثمَّ من بعده سؤال القبر من منكر ونكير، وهو أوَّل ما يلقى الميت إذا ألحد، وأمَّا سكرة الموت فهو اسم مفرد للجنس لأنَّ للموت سكرات، ولما كان رسول الله ﷺ يعالج سكرات الموت كان يقول: «إنَّ للموت سكرات، وسكرات الموت بحسب كل شخص بما فعل في دار الدُّنيا، وسميت سكرة لأنَّها تدخل العقول عند ظهورها، فيبقى الإنسان كالسكران وذلك أنَّ أعمال العبد تظهر له عند الموت، صفاتها في الحسن والقبح يريد جزاء العمل، فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار، السامع للغيبة يسلك في أذنيه نار جهنَّم، والظالم تتفرق روحه بكل مظلوم، وآكل الحرام يقدم له الزقوم، وكذلك إلى آخر أفعال العبد، فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة، فعند آخرهم تقبض روحه، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يعني تحيد بطول الآمال، والحرص على البقاء في دار الدُّنيا، وعن أبي سعيد الخدري؛ أنَّ رسول الله ﷺ رأى أُناساً يضحكون فقال:

---

(١) كتاب الأذكياء ص١٨٨.
(٢) ق: ١٩.

«أما إنَّكم لو ذكرتم هادم اللذات لشغلكم عمَّا أرى»، ثمَّ قال: «أكثروا من ذكر هادم اللذَّات، وإنَّما القبر روضة من رياض الجنَّة، أو حفرة من حفر النَّار».

وروي عن عيسى ﷺ، أنَّ بني إسرائيل أتوا إلى قبر سام بن نوح ﷺ، فقالوا له: يا روح الله ادع الله تعالى أن يحيي لنا صاحب هذا القبر، حتَّى نسمع منه حديث الموت، فجاء عيسى ﷺ إلى قبر فصلَّى ركعتين، ودعا الله تعالى أن يحيي سام بن نوح، فأحياه الله تعالى فقام، وإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا.

فقال له: ما هذا الشيب فإنَّه لم يكن في زمانك.

قال: سمعت النِّداء فظننت أنَّ القيامة قد قامت، فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة.

فقال له: منذ كم أنت ميت؟

قال: منذ أربعة آلاف سنة، وما ذهبت مرارة الموت عنِّي.

(البحر الخفيف)

نحن في عيشة الوصال الهنيهْ ... نجتلي الراح في الكؤوس السنيهْ

قد هجرنا دار الفناء وسرنا ... لدار حياتها أبديهْ

آنستنا هياكل النور لما ... فارقتنا الهياكل البشريهْ

وسمعنا الخطاب طيبوا فلا حزن ... عليكم ولا تخافوا منيهْ

قد حظيتم برؤيتي وخطابي ... وسكنتم دار الجنان العليهْ

عباد الله: أين الذين عمّروا فنعموا، وعلِّموا ففهموا، وأُنظروا فلهوا، وسلِّموا فنسوا! أُمهلوا طويلاً، وصفحوا جميلاً وحذِّروا أليماً، أحذروا الذُّنوب المورطة، والعيوب المسخطة.

رحم الله امرءاً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر.

فاعتبروا بنزولكم منازل مَن كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم!

أيها الغافلون غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم. مالي أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين!.

مَن حاسب نفسه ربح، ومَن غفل عنها خسر، ومَن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومَن أبصر فهم ومَن فهم علم.

(البحر الخفيف)

إلهي كأنّي في القيامة واقفٌ	وقد فاضَ دمعي حين أقرأ كتابيا
يقول لي الجبّارُ اقرأ فإنني	أُثيبك يا عبدي بما كنت ساعيا
فياسوأتا من موقفي وصحيفتي	تخبّرهُ تحصي علي الدواهيا
تعرّفني ذنباً قديماً عملته	وقد كنت عنها ساهيَ القلب لاهيا
وقد وُضع الميزان للفصل والقضا	كفى لعباد الله بالله قاضيا
فهذا بوجهٍ مسفر اللون ضاحكٍ	وآخرُ مصروفاً إلى النار باكيا

قال رسول الله ﷺ: «سكرات الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف، وإن بعده سبعين هولاً كلّ هول أشد من الموت بسبعين ضعفاً» وقال الحسن البصري: تفكَّرت ليلة في الموت والقبر، فرأيت تلك اللَّيلة كأنّي في المقابر، والأموات في لحودهم ولهم فرش ورائحة طيِّبة، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هم المطيعون، وهم في كرامة الله إلى يوم يبعثون قلت: فأين المذنبون؟ فقيل لي: غارت بهم الأرض في ظلمات الوحشة، لا يرون ولا يرون شتَّان بين الطائفتين، من كان الدُّنيا سجنه كان القبر فرجه، ومن كانت الدُّنيا فرجه كان القبر سجنه، ومحنته ما نالوا حلاوة الوصل وراحة الوجد، إلاَّ بعد مرارة التعب ما طربوا على سماع الإيقاع إلاَّ بسد السمع، ولا شاهدوا وجه الجمال إلاَّ بغضِّ البصر.

عجَّ بالمعالم والربوع واسأل بهنَّ عن الجموع من سادة في دهرهم.

صبروا على الضيم الفظيع أين الَّذين عهدتهم يا دار في العز المنيع إن لم تجبك ديارهم عن ذا ولا القصر الرفيع فلسان حالهم يقول أما نظرت إلى الربوع قد أصبحت مهجورة من بعد منظرها البديع هيهات أن ينجو غداً يوم الحساب سوى المطيع.

إخواني: ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير، وما هذا التواني والعمر قصير، وإلى متى هذا التمادي في البطالة والتقصير، وما هذا الكسل وقد أنذرك النذير، فإلى متى تتبهرج والناقد بصير، يا هذا جولانك في البطالة حيرك، وركونك إلى اغترارك غيرك، وهروبك عمَّن صورك إلى النَّار وصيرك، أما تذكر ساعة يعرق لهولها الجبين، وتخرس من فجأتها الألسن، وتقطر قطرات الأسف من الأعين، فتذكروا رحمكم الله فالأمر شديد، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾[1].

إخواني: أين أحبابكم الَّذين سلفوا؟ أين أترابكم الَّذين رحلوا؟ أين أرباب الأموال وما خلفوا؟ ندموا على التفريط، يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

يا من جسده حي وقلبه ميِّت، ستعاين عند الحسرات ما لا تريد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

يا أخي كم أزعج المنون نفوساً من ديارها وكم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها، وكم نقل إلى الحفائر أرواحاً بأوزارها وكم أذلَّ في التُّراب خدوداً بعد مزارها، فابك يا أخي على نفسك، قبل بكاء لا يفيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

انتبه يا هذا فالدُّنيا أضغاث أحلام ودار الفناء لا تصلح للمقام، ستفهم قولي بعد قليل من الأيَّام، وما غاب عنك بعضه ستراه على التمام، إذا جاء الكشف وذهب التقليد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

ويحك أما علمت أنَّك ترحل في كل مرحلة، أما علمت أنَّه يحصي عليك من الأعمال خردلة، وكم من مؤمن خانه في الحساب ما أمله، غامضه مر القضاء وعاجله، ولم تبلغه الآمال إلى ما يريد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

---

(١) ق: ١٩.

يا معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض، وقد ولّىٰ شبابك في طلب الأعراض أما علمت ويحك أنَّ عمرك في انقراض، وقواك كل ساعة في انتقاض، ويحك تزوّد فالسفر والله بعيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ نح على نفسك فربَّما ينفع التعديد.

أما علمت أنَّ الموت لك بالمرصاد، أما صاد غيرك ولك سيصطاد، أما بلغك ما فعل بسائر القصاد، أما حذرك غفلتك عنه في كل موطن وواد.

أما سمعت قول الملك المجيد: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ عباد الله تدبَّروا القرآن المجيد، واحذروا قلوبكم بفهم الوعد والوعيد، ولازموا طاعة الله فهذا شأن العبيد، واحذروا غضبه فكم قصم من جبَّار عنيد، إنَّ بطش ربّك لشديد.

أين من بني وشاد وطول وتأمر على العباد، وسارق الأوّل وظنَّ جهلاً منه أنّه لا يتحوّل، فسقوا إذ فسقوا كأساً على هلاكهم عول، أتراهم لم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ فيا من أنذره يومه وأمسه وحادثه بالعبر قمره وشمسه وهو مصر على الخطايا وقد دنا رمسه وهو غافل عمَّا جاء بالزجر والوعيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

أما علمت أيُّها الإنسان أنّك مسؤول عن الزمان ومحاسب على خطوات القدم وهفوات اللِّسان، وتشهد عليك الجوارح والأركان، بما فعلت في زمن الأمكان، أما علمت أنَّ الموت لك بالمرصاد، وهو أقرب إليك من حبل الوريد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ فيا من ينظر العبر بعينيه ويسمع المواعظ بأذنيه، وكلماته معدودة عليه، ونذير الموت قد دنا إليه بالإسراع والتأكيد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ كأنّك بالموت قد اختطفك اختطاف البرق، ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق، وتأسفت على ترك الأوّل والآخر والأسف الشديد ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ كان وكان ويحك تهدم عمرك وربيع قلبك قد خرب، أما ترى الشيب أبيض

والقلب في التسويد من عن يمينك كاتب لكل خير تفعله كذلك للشر حاسب على الشمال قعيد، تزوغ مثل الثعلب إذا أسرت بتوبتك وإن بدت لك شهوة وثبت كالصنديد، ويحك فقرِّب قلبك إلى سبيل الموعظة، عسى قساوة قلبك تلين بالتشديد، فكل قلب قاسٍ يلين عند الموعظة يرجى له الخير، فافهم إشارة التجريد إن كان ما لك عدَّة ولا سلاح يحملك فاحرص عسى تسلم لك علامة التوحيد.

السحر والكهانة

قال الله تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[١] الآيات.

لمَّا توفي سليمان عليه السلام أخذت الشياطين ـ وهم المتمردون من البشر أو من الجنّ[٢] ـ تبثّ دعايات كاذبة عن سليمان عليه السلام وأنَّه لم يكن نبياً بل كان كلّ ما لديه قائماً على أساس السحر.

وكانت الشياطين تعلّم النَّاس السحر، وفي المقابل أنزل الله سبحانه ملكين باسم هاروت وماروت لتعليم النَّاس كيفية إبطال السحر الذي تقوم به الشياطين وكان تعليمهما للناس مقروناً بالتحذير وأنَّه ينبغي تعلُّم السحر منَّا لإبطال السحر لا لإعماله للضرر والتفرقة بين المرء وزوجه ولكن لم يأخذوا بالتحذير وكانوا يعملون السحر للضرر والتفرقة[٣].

ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله مرسلاً من الله سبحانه أخذ البعض يدَّعي أنَّه ساحر وأنَّ كلّ

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) مجمع البحرين ٦: ٣٧٢.

(٣) مجمع البيان ١: ٢٥٦ ـ ٢٦٠.

ما يقوم به مبتنٍ على السحر فنزلت الآية الكريمة لتقول: إنَّ نفس ما قالته الشياطين في حقّ سليمان قاله المشركون في حقّ النبي ﷺ وهم بذلك قد اتَّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ولكن الأمر في سليمان ليس كذلك وهو لم يكفر باستعماله للسحر.

والحكم المستفاد من الآية الكريمة حرمة السحر وأنَّه على حدِّ الكفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾. وعلى هذا فحرمة السحر حرمة مؤكدة ومشدَّدة.

وقد شدَّدت السُّنَّة الشريفة الأمر في السحر أيضاً، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من تعلَّم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربِّه، وحدُّه أن يقتل إلاَّ أن يتوب»[1].

وعلى هذا يحرّم السحر تعليماً وتعلُّماً وعملاً.

أجل يستثنى من ذلك إعمال السحر مقابل السحر لإبطال أثره، فإنَّه ليس محرَّماً باعتبار أنَّ الآية الكريمة منصرفة عن مثل السحر المذكور بل ربَّما يظهر منها جوازه. هذا وقد جاء في الحديث: «دخل عيسى بن شفقي على أبي عبد الله عليه السلام وكان ساحراً يأتيه الناس ويأخذ على ذلك الأجر فقال له: جعلت فداك أنا رجل كانت صناعتي السحر وكنت آخذ عليه الأجر وكان معاشي، وقد حججت منه ومَنَّ الله عليَّ بلقائك وقد تبت إلى الله عزَّ وجلَّ فهل لي في شيء من ذلك مخرج؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: حلّ ولا تعقد»[2].

والمسألة محلّ خلاف بين علمائنا، ولعلَّ المشهور جواز حلِّ السحر به. وقيل بالتحريم في مثل ذلك أيضاً، كما هو المختار للعلاَّمة الحلي والشهيدين[3].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[4].

---

(١) وسائل الشيعة ١٢: ١٠٧، الباب ٢٥ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ٧.

(٢) وسائل الشيعة ١٢: ١٠٥، الباب ٢٥ من أبواب ما يكتسب به، الحديث ١.

(٣) تذكرة الفقهاء ١: ٥٨٣، والدروس الشرعية ٣: ١٦٤، ومسالك الأفهام ٣: ١٢٨.

(٤) الاعراف: ١١٦.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[٥].

وعن أبي سعيد هاشم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربعة لا يدخلون الجنّة: **الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقتّات**: وهو **النمّام**[٦].

وعن جعفر، عن أبيه عليهما السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال: من تعلّم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربّه، وحدُّه أن يقتل إلاّ أن يتوب[٧].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من تكهّن أو تكهّن له، فقد برىء من دين محمّد صلى الله عليه وآله، قلت: فالقيافة قال: ما أُحبّ أن تأتيهم، وقلَّ ما يقولون شيئاً إلاّ كان قريباً ممّا يقولون، وقال: القيافة فضلة من النبوّة ذهبت في الناس[٨].

---

(١) يونس: ٧٧.
(٢) يونس: ٨١.
(٣) طه: ٦٦ ـ ٦٩.
(٤) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣.
(٥) الفلق: ٣ و٤.
(٦) أمالي الصدوق ص٢٤٣.
(٧) قرب الأسناد ص٧١ ط حجر.
(٨) الخصال ج١ ص١٣.

وعن النبيّ ﷺ أنّه قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: **مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم**[١].

نصر بن قابوس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **المنجّم ملعون، والكاهن ملعون، والسّاحر ملعون، والمغنّية ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها ملعون.**

وقال عليه السلام: المنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كافر، والكافر في النّار[٢].

وقال الصدوق ـ رضي الله عنه ـ: المنجّم الملعون هو الّذي يقول: بقدم الفلك ولا يقول بمفلّكه وخالقه عزَّ وجلَّ[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ينفخ الرجل في موضع سجوده، ولا ينفخ في طعامه، ولا في شرابه، ولا في تعويذه[٤].

وعن الصّادق، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفّار لا يقتل، فقيل: يا رسول الله ﷺ ولم لا يقتل ساحر الكفّار؟

قال: لأنَّ الشرك أعظم من السحر، ولأنَّ السحر والشرك مقرونان.

وروى أنَّ توبة الساحر أن يحلَّ ولا يعقد[٥].

وفي مناهي النبيّ ﷺ أنّه نهى عن إتيان العرّاف، وقال: من أتاه فصدَّقه فقد بريء ممّا أُنزل على محمّد ﷺ[٦].

وعن ابن محبوب في المشيخة، عن الهيثم بن واقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ عندنا بالجزيرة رجلاً ربّما أخبر من يأتيه يسأله عن الشيء يسرق أو شبه ذلك، فنسأله؟

---

(١) الخصال: ج١، ص٨٥.

(٢) الخصال ج١ ص١٤٣.

(٣) الخصال ج١ ص١٤٣.

(٤) الخصال ج٢ ص١٥٦.

(٥) علل الشرايع ج٢ ص٢٣٣.

(٦) أمالي الصدوق ص٢٣٩.

فقال: قال رسول الله ﷺ: من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذّاب يصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله من كتاب[١].

وعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾[٢] قال: كانوا يقولون: نمطر بنوء كذا ونوء كذا، ومنها أنّهم كانوا يأتون الكهّان فيصدّقونهم بما يقولون[٣].

وقال عليٌّ عليه السلام: أقبلت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنَّ لي زوجاً وله عليَّ غلظة، وإنّي صنعت به شيئاً لأعطفه عليَّ؟

فقال رسول الله ﷺ: أُفّ لك! كدرت دينك! لعنتك الملائكة الأخيار، لعنتك الملائكة الأخيار، لعنتك الملائكة الأخيار، لعنتك ملائكة السماء، لعنتك ملائكة الأرض.

فصامت نهارها وقامت ليلها ولبست المسوح، ثم حلقت رأسها، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ حلق الرأس لا يقبل منها حتّى تُرضي الزوج[٤].

موعظة للغافلين

الموت ينتظركم:

عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم، وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم، أين الأقران الإخوان، أين من شيد الإيوان، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾[٥]، تقلبت بهم الأحوال، ولعب بهم في أيدي

(١) السرائر: ٤٧٣.
(٢) يوسف: ١٠٦.
(٣) تفسير العياشي ج٢ ص١٩٩.
(٤) نوادر الراوندي: ص٢٥.
(٥) الرحمن: ٢٦.

الليالي، وشغلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال، عانقوا التراب وفارقوا الأموال، فلو أذن لأحدهم في المقال لقال:

(البحر الرمل)

من رآنا فليحدث نفسه ... أنه وقف على قرب زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تأتي به صم الجبال

رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليهم قدمت ... وعتاق الخيل تردى بالجلال

عمروا دهراً بعيش ناعم ... أبيض دهرهم غير محال

ثم أضحوا لعب الدهر بهم ... وكذاك الدهر يودي بالرجال

ترك حب الدُّنيا:

يا نفسُ: استيقظي من غفلتك، وانتبهي من رقدَتك، قبل أن يُقال فلان عليل، ومدنف ثقيل، فهل على الدَّواء من دليل، أم هل إلى طبيبٌ من سبيل، ثمَّ عرق جبينك، وتتابع أنينك، وأطبقت جُفونكِ، وصَدَقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، ثمَّ حَلَّ بكِ القضاء، ونزعت نفسك من الأعضاء، ثمَّ غسّلتِ وكفّنت، ثمَّ بعْدَ ذلك دُفِنتِ، وانصَرَف أهلك إلى مالك، وبقيت مُرتهنة بأعمالك، فكوني من الله عَلى وجلٍ، ولا تغترِّي بالأمل ونسيان الأجل، وإن تخرجي بغير زادٍ، وتقدمي بغير مَهادٍ، فتعظم ندامتك يوم قيمتك، وتكثر حَسْرتك يوم كرَّتك، وتغصين في ذلك المقام المهول بريقك، وتصبحين شماتة عَدُوّك وَرَحمة صديقك.

وكما قال الشاعر:

(البحر الوافر)

أراكِ يَزيدُكِ الإثراء حِرصاً ... على الدُّنيا كَأنَّكِ لن تموتي

يا نفسُ: فهلمِّي إلى محاسَبَة نفسك، قبل مواثبة رمسك، وتداركي يومك، قبل شهادة جوانبك، وفضّ طريقك.

وهذا ما أشار إليه الشاعر:

(البحر الطويل)

ومن ينفق السَّاعات في جمع ماله مخافة فقر فالَّذي فعل الفقر

يا نفسُ: إن لم تقنعي بالقليل، وطلبْتِ المال الجزيل، ساهَمَت اليهود والنصارى والأرجاس، ومن لا دين له ولا عقل من النَّاس، وإن قنعت بالحقيرة، ورضيت باليسيرة، ساهَمعت الأولياء في رتبتهم، والأنبياء في منزلتهم، إن كان لا يُغنيك ما يكفيكِ، فكلّ ما في الأرض لا يغنيكِ، وأقلُّ ما في الخطر في جمع المال يوم المقام، أن يدخل الفقراءُ الجنَّة قبلك بخمسمئة عام.

الإسراف والتبذير

قال الله تعالى في مجال الإسراف:

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١].

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[٢].

وقال تعالى في التبذير والبخل:

﴿...وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾[٣].

عن عليّ بن جذاعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتّق الله ولا تسرف ولا تقتر، وكن بين ذلك قواماً، إنَّ التبذير من الإسراف، وقال الله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ إنَّ الله يعذب على القصد[٤].

وعن عامر بن جذاعة قال: دخل على أبي عبد الله عليه السلام رجل فقال: يا أبا عبد الله قرضاً إلى ميسرة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إلى غلّة تدرك؟

فقال: لا والله.

(١) الانعام: ١٤١.
(٢) الاعراف: ٣١.
(٣) أسرى: ٢٦ ـ ٢٩.
(٤) تفسير العياشي ج٢ ص٢٨٨.

فقال: إلى تجارة تودّي؟

فقال: لا والله.

قال: فإلى عقدة تباع؟

فقال: لا والله.

فقال: فأنت إذاً ممّن جعل الله له في أموالنا حقّاً فدعا أبو عبد الله بكيس فيه دراهم فأدخل يده فناوله قبضة، ثمَّ قال: اتّق الله ولا تسرف ولا تقتر، وكن بين ذلك قواماً إنَّ التبذير من الاسراف، قال الله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ وقال: إنَّ الله لا يعذِّب على القصد[1].

وعن أبي إسحاق رفعه إلى عليٍّ بن الحسين عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للمسرف ثلاث علامات: **يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشتري ما ليس له**[2].

وعن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: للمسرف ثلاث علامات: يشري ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويأكل ما ليس له[3].

عن أبي عبيد رفعه قال: نهى النبيُّ صلى الله عليه وآله عن: **قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.**

يقال: إنَّ قوله: إضاعة المال يكون في وجهين:

أمّا أحدهما: وهو الأصل فما أنفق في معاصي الله عزَّ وجلَّ من قليل أو كثير، وهو السرف الّذي عابه الله تعالى ونهى عنه.

والوجه الآخر: دفع المال إلى ربّه، وليس له بموضع، قال الله عزَّ وجلَّ:

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٢٨٨.
(٢) الخصال ج١ ص٤٨.
(٣) الخصال ج١ ص٦٠.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾[١] وهو العقل ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ وقد قيل: إنَّ الرشد هو صلاح في الدين وحفظ المال[٢].

وجاء في الفقيه ضمن حديث المناهي عن رسول الله ﷺ: ومن بنى بنياناً رياءً وسمعةً، حمله يوم القيامة من الأرض السابعة وهو نار تشتعل، ثم يطوق في عنقه، ويلقى في النار، فلا يحبسه شيء منها دون قعرها إلاّ أن يتوب.

قيل: يا رسول الله ﷺ كيف يبني رياء وسمعة؟

قال ﷺ: يبني فضلاً على ما يكفيه استطالة منه على جيرانه، ومباهاة لإخوانه[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف[٤].

وعن العباس قال: استأذنت الرضا عليه السلام في النفقة على العيال فقال عليه السلام: «بين المكروهين» قلت: لا أعرف المكروهين.

قال عليه السلام لي: «كره الإسراف وكره الاقتار إن الله تعالى كره الإسراف وكره الإقتار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾[٥].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا يستجاب لهم، أحدهم كان له مال فأفسده فيقول: يا رب ارزقني... ألم آمرك بالاقتصاد[٦]؟..

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «رب فقير هو أسرف من الغني، إن الغني ينفق مما أوتي والفقير ينفق من غير ما أوتي»[٧].

---

(١) النساء: ٥.
(٢) معاني الأخبار ٢٧٩ و٢٨٠.
(٣) بحار الأنوار، جوامع نواهي النبي ﷺ.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٥، باب ٢١، ص٢٦٦، ح١٨٢٠٣.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٥، باب٢٧، ص٢٦٢، ح٦.
(٦) الكافي (الأصول): ج٢، باب من لا تستجاب دعوته، ص٥١٠، ح٢.
(٧) فرع الكافي: ج٤، باب كراهية السرف والتقتير، ص٥٥، ح٤.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يذوق المرء من حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: **الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التدبير في المعاش**»[١].

الإسراف مذموم

كان منصور بن عمَّار ماراً قرب بيت قاضي بغداد وكان باب البيت مفتوحاً، فوقف منصور أمام الباب وأخذ ينظر إلى داخل البيت، فلاحظ أنَّ هذا البيت واسع وضخم، ولفت نظره الغرف المفروشة والأواني الفاخرة وتعدد الغلمان والخدَّام وتعجب من هذه الزخارف والزينة.

طلب منصور ماءً للوضوء، فملأ أحد الغلمان إبريقاً كبيراً وجاء به إليه، وعندما جلس ليتوضأ أراق ماء الإبريق كله، وشاهده قاضي بغداد فقال له:

يا منصور لماذا هذا الإسراف في الماء؟

أجاب منصور: أيُّها القاضي أنت تحاسبني في الماء المباح للوضوء ولا تحاسب نفسك على هذا الإسراف العجيب في البناء.

والله يعلم من أين جاءتك هذه الأموال ولم تكتف بمنزل صغير وخادم؟

لماذا كل هذا الإسراف وتحمل المعصية؟

انتبه قاضي بغداد من غفلته بسبب كلام منصور، واعتدل بعد ذلك في صرف الأموال[٢].

الإسراف مذموم من أي كان

كان مسلمة بن عبد الملك أحد أمراء الجيش في حرب الروم وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمح لمسلمة بزيارته كل يوم.

---

(١) سفينة البحار: ج٢، ص١٣٥.
(٢) الأخلاق: ج١. (لمحمد تقي فلسفي).

في أحد الأيَّام وصل خبره إلى الخليفة بأنَّ مسلمة يسرف كثيراً بتهيئة الطعام فأدَّى هذا الخبر إلى عدم ارتياح الخليفة وصمَّم على نصيحته وإرشاده، فأمر الخليفة في أحد الأيَّام بإعداد وجبة عشاء مخصصة لمسلمة وفي تلك الدعوة أمر الخليفة طباخ القصر بتهيئة أنواع مختلفة من الطعام ومنها حساء من العدس والبصل والزيتون، أمره عندما يحين وقت الغداء أن يقدِّم الحساء وبعد فترة يقدِّم أنواع الأطعمة الأُخرى.

لما حضر مسلمة بدأ الخليفة يسأل مسلمة عن أوضاع الروم والحرب في تلك المنطقة فأجابه وبعد ساعتين من وقت العشاء أمر الخليفة الطباخ بجلب العشاء أول الأطعمة المطلوبة الحساء، وكان مسلمة جائعاً فلم يستطع انتظار بقية الطعام فبدأ بأكل الحساء وشبع وعندما قدموا بقية الأطعمة المختلفة لم يستطع مسلمة الأكل بعد ذلك.

سأله عمر بن عبد العزيز: لماذا لا تأكل؟

أجاب: لقد شبعت.

قال الخليفة: سبحان الله أنت شبعت من هذا الحساء الذي كلَّفنا درهماً واحداً، ما لهذه المأكولات المختلفة فإنَّك تصرف آلاف الدراهم! خف الله ولا تسرف! يجب أن تعطي هذه المبالغ إلى المحتاجين لمرضاة الله.

وقد كانت نصيحة عبد العزيز لمسلمة مؤثرة طول حياته.

إنَّ تقديم النصح علناً والإشارة إلى الأخطاء أمام النَّاس وتوبيخ الخاطىء على ما فعل وتخطئته على رؤوس الأشهاد وانتظار زلاته في حضور الآخرين إنَّما هو في الحقيقة تحطيم لشخصيته ومثل هذا النصح فضلاً عن كونه لا يأتي بأيِّ أثر مفيد فإنَّه يبعث على العداوة والبغضاء، ويثير الرغبة في الانتقام وتكون له نتائج ضارَّة[١].

---

(١) الأخلاق: ج١. (لمحمد تقي فلسفي).

موعظة للغافلين

عدم ارتكاب الفضائح:

يا نفسُ: إذا رغبت عن أن تكوني في زمرة المقرَّبين مِن الأولياء والمؤمنين، والأنبياء والمرسلينَ، في جوار ربّ العالمين، لتكوني من جملة الهالكين، والسُّفهاء الجاهِلين، أيَّاماً مَعدودات عَلى اليقين، لقد خسِرَت الدُّنيا والدِّين، فإذاً ما أخسَّ همَّتك، واحقر قيمتك، واسخف[1] عَقلكِ، فاعظم جَهلك، لقد استحوذ عَليك الشَّيطانُ، وأزدادَك الطُّغيان، فصورَتك صُورَة إنسان، وقلبك قلب حيوان، لا تقتفين أثر نبيّ، ولا تعبدين بعمل وصيّ، فيا ويلك ثمَّ يا ويلك، إذا قمت عَلى ضلالتك، وثبتِّ على جهالتك، ودمت على إصرارك، وتماديت في اغترارك، فكم من جرم اجترمت، وإثم قد اقترفت وما أكثر انهماكك في غوايتكِ، وتهوّركِ في عمايتك، وتمسّك في شقاوتك، وغمركِ في سكرتكِ، وتردُّدك في غمرتكِ، وخبطكِ في عشوائكِ، واستمرارك عَلى أهوائك، وما أعظمَ عنودك وشقاقك، وكنودك ونفاقكِ، وطغواك وعدوانك، وفسقك وعصيانك، إن قلت كذبتِ، أو عوتبتِ غضبتِ، أو سبّلت لخَلَيتِ، أو وعدت مطلباً، أنت الَّتي حَسَدتِ، أنت الَّتي أفسدتِ، أنت الَّتي وشَيتِ، أنت الَّتي التويتِ، أنت الَّتي هويتِ، أنت الَّتي غويتِ، أنت الَّتي منعت، أنت الَّتي قطعتِ، أنت الَّتي زللتِ، أنت الَّتي جهلتِ، أنت الَّتي أثمتِ، أنت الَّتي ظلمتِ، أنت الَّتي أسَأتِ، أنت الَّتي أخطأتِ، أنت الَّتي هتكتِ، أنت الَّتي أهلكتِ، أنت الَّتي اقترفتِ، أنت الَّتي فتنتِ، أنت الَّتي فَسَقتِ، أنت الَّتي ابوتِ، أنت الَّتي ضللتِ، أنت الَّتي ظلمتِ، أنت الَّتي غللتِ، أنت الَّتي غفلتِ، أنت الَّتي أخلفتِ، أنت الَّتي نكثتِ، أنت الَّتي خبثتِ، أنت الَّتي قتتتِ، أنت الَّتي نَمَمتِ، أنت الَّتي اغتبتِ، أنت الَّتي راءَيتِ، أنت الَّتي ماريتِ، أنت الَّتي نزأتِ، أنت الَّتي اجترأُتِ، أنت الَّتي هزِئتِ، أنت الَّتي هفوتِ، أنت الَّتي جفوتِ، أنت الَّتي قسوتِ، أنت الَّتي سهوتِ، أنت الَّتي ضررتِ، أنت الَّتي غررتِ، أنت الَّتي

(١) السُّخَف بالضمّ رقَّة العقل وقد سخف الرجل بالضمّ سخافة فهو سخيفٌ.

فجرتِ، أنت الَّتي شاردتِ، أنت الَّتي غَدَرتِ، أنت الَّتي حَفَرتِ، أنت الَّتي اختلت، أنت الَّتي اغتلتِ، أنت الَّتي فرَّطتِ، أنت الَّتي شططتِ، أنت الَّتي أسقطتِ، أنت الَّتي خدعتِ، أنت الَّتي طمعتِ، أنت الَّتي ضيعتِ، أنت الَّتي ضجعتِ، أنت الَّتي قصَّرتِ، أنت الَّتي كذَّبتِ، أنت الَّتي سببتِ، أنت الَّتي خَسَستِ، أنت الَّتي مننتِ، أنت الَّتي خفتِ، أنت الَّتي خالفتِ، أنت الَّتي سوَّفتِ، أنت الَّتي أسرفتِ، أنت الَّتي شاققتِ، أنت الَّتي نافقتِ، أنت الَّتي بغيتِ، أنت الَّتي طغيتِ، أنت الَّتي عَمَّهتِ، أنت الَّتي سَفَهتِ، أنت الَّتي حَقَدتِ، أنت الَّتي عانَدتِ.

وبالجملة: فخيركِ يَسيرٌ، وشَرُّكِ كثِيرٌ، بَلْ خيركِ ظفرٌ، وشَرُّكِ شَرٌّ، لا تزيدُكِ المَوْعِظة إلاَّ خَسَاراً، ولا تفيدكِ الوَصِيّة إلاَّ إصْراراً.

ولاَ جَرَم أنَّ من كانت هذه صفته، واعتماده وسيرته، فقد استوجَبَ سخط الخالق، وَمَقت الخَلائق، فعلام بعت الدِّين بالدُّون، ودَنَّسْتِ ثوب عرضِكِ المصُون، فإنَّا لله وإنَّا إليْه رَاجعُونَ.

الكبر

قال اللهتعالى في معنى الكبر:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[٢].

وقال تعالى في موارد أخرى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤].

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٥].

﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[٦].

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾[٧].

---

(١) البقرة: ٨٧.

(٢) البقرة: ٢٠٦.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) المائدة: ٨٢.

(٥) الأعراف: ١٣.

(٦) يونس: ٧٥.

(٧) إبراهيم: ١٥.

﴿...فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[3].

﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾[4].

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[5].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[7].

﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[8].

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾[9].

الكبر وعلاجه

وأمَّا الكبر فإنَّه من نتائج العجب والتكبُّر ينشأ من الحقد أو الحسد أو الرياء وقد ذمَّ الله التكبُّر في مواضع من كتابه.

التكبُّر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون، وقد يكون على رسله كما

---

(١) النحل: ٢٢ ـ ٢٣.
(٢) المؤمنون: ٤٥ ـ ٤٧.
(٣) الفرقان: ٢١.
(٤) الشعراء: ١٨٦.
(٥) القصص: ٣٩.
(٦) لقمان: ١٨.
(٧) المؤمن: ٣٥.
(٨) نوح: ٧.
(٩) المدثر: ٢٣ ـ ٢٤.

كان لمن كان يقول: أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا، وقد يكون على سائر النَّاس بأن يستعظم نفسه ويستصغر غيره فإذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله واشمأز بجحده كما يكون لأكثر المناظرين في العلوم للغلبة والأفحام، ثم قد يكون بالعلم، وقد يكون بالعبادة والورع، وقد يكون بالحسب والنسب والجمال والمال والقوَّة وكثرة الأنصار والأتباع.

والتكبُّر بالعلم له سببان:

أحدهما: أن يكون اشتغاله بما يُسمَّى علماً وليس بعلم حقيقي.

والثاني: أن يخوض في العلم وهو خبيث النفس ردي الأخلاق لم يهذِّب نفسه أولاً ولم يزكها بالمجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة ربِّه، فبقي خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أي علم كان، صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره.

وعلاجه أن يعلم أنَّ الكبر لا يليق إلاَّ بالله تعالى وحده، وأنَّه إذا تكبَّر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً، وقد أحبَّ الله منه أن يتواضع فلا بدَّ أن يكلف نفسه ما يحب مولاه وأن يعلم أنَّ حجَّة الله على أهل العلم أوكد وأنَّه يحتمل من الجهل ما لا يحتمل عشره من العالم، وأنَّه من عصى الله من معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم.

وعلى العابد الورع أن يعلم أنَّ من يتقدَّم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبَّر عليه لما عرف من فضيلة العلم، وكما أنَّ العلمَ يمكن أن يكون حجَّة على العالم، يمكن أن يكون وسيلة له وكفَّارة لذنوبه، إنَّ الحسنات يذهبنَّ السَّيِّئات، وأمر غير العالم في حقه مستور وإنَّما المدار على الخاتمة، فعليه إن رأى من هو شرّ منه أن يقول:

لعلَّ هذا ينجو وأهلك أنا، فلا يراه شرَّاً منه خائفاً من العاقبة، ويقول: لعلَّ برّ هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعلَّ فيه خلق كريم بينه وبين الله عزَّ وجلَّ فيرحمه ويتوب عليه، ويختم له بأحسن الأعمال وبرِّي ظاهر وذلك شرّ لي لا أمن فيما أظهر من الطاعة أن يكون دخلتها الآفات فأحبطتها.

وبالجملة من جوّز أن يكون عند الله شقيَّاً وقد سبق القضاء الأزلي بشقوته فما

له سبيل إلى أن يتكبَّر بحال الأحوال، نعم إذا غلبه الخوف رأى كل أحد خيراً من نفسه، وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1]، أي يؤتون بالطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها.

ومن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوِ قلبه بمعرفة أمرين:

أحدهما: أنَّ هذا جهل من حيث تعززه بكمال غيره ولذلك قيل:

(البحر البسيط التام)

لــئــن فــخــرت بــآبــاء ذوي شــرف لـقـد صـدقـت ولـكـن بـئـس مـا ولـدوا

والمتكبِّر بالنسب إن كان خسيساً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته كمال غيره، بل لو كان الذي ينسب إليه حيَّاً لكان أن يقول الفضل لي ومن أنت إنَّما أنت دودة خلقت من فضلتي.

والثاني: أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجدَّه، فإنَّ أباه القريب نطفة قذرة وجدّه البعيد تراب ذليل، وعرف الله نسبه فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾[2].

وأمَّا الكبر بالجمال: فدواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ليرى من الفضائح ما يكدر عليه التعزُّز بجماله، فإنَّه وكل به الأقذار في جميع أجزائه: الرَّجيع في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والبصاق في فيه، والوسخ في أذنه، والدم في عروقه، والصَّديد تحت بشرته، والصنان[3] تحت إبطه، يغسل الغائط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده، يتردَّد إلى الخلاء كل يوم مرَّة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً أن يمسّه أو يشمه، وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور، من النطفة ودم الحيض، وخرج من مجرى البول إلى الرحم مفيض

---

(١) المؤمنون: ٦٠.

(٢) السجدة: ٧ و٨.

(٣) الصنان: ذفر الإبط بالخصوص، ورائحة معاطن الجسد إذا تغيَّرت؛ ومنه الحديث: نعم البيت الحمام يذهب بالصنة.

دم احيض ثم مجرى القذر، ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والأقذار، وسيموت فيصير جيفة أقذر من جميع الأقذار.

وأمَّا التكبُّر بالقوَّة: فيمنعه من ذلك أن يعلم ما سلَّط عليه من العلل والأمراض وأنَّه لو توجَّع عرق واحد من بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل، وأنَّه لو سلبه الذّباب شيئاً لم يستنقذه منه، وأنَّ بقة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته، وأنَّ شوكة لو دخلت رجله لأعجزته؛ وأنَّ حمى يوم تحلّل من قوَّته ما لا ينجبر في مدَّة، ثمَّ إنَّ أقوى إنسان لا يكون أقوى من حمار أو فيل أو جمل أو بقر، وأي افتخار في صفة تسبقه البهائم فيها.

وأمَّا التكبُّر بالغنى وكثرة المال والاتباع: فذلك تكبُّر بمعنى خارج من ذات الإنسان، لا كالجمال والقوَّة والعمل، وهذا أقبح أنواع التكبُّر، فأفّ لشرف يسبقه اليهود، وأفّ لشرف يأخذه السَّارق والمتكبِّر يتمكن السُّلطان بناء أمره على قلب هو أشدّ غلياناً من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكلّ متكبِّر بأمر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل.

الشفاء من الكبر

اعلم أنَّه لا يتم الشفاء من الكبر إلاَّ استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب وذلك بأن يعرف ربه وأنَّه لا تليق العظمة والكبرياء إلاَّ به، وأن يعرف نفسه حقّ المعرفة ليعلم أنَّه بذاته أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل، ولا يليق به إلاَّ التواضع والذُّلّ والمهانة وتكفيه آية واحدة من كتاب الله عزَّ وجلَّ إن فتحت بصيرته، قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[(١)] نعم لو أكمله وفوض إليه الأمر وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنَّه سلَّط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات

---

(١) عبس: ١٧ ـ ٢٢.

المختلفة والطبائع المتضادة، من المرة والبلغم والرِّيح والدَّم ليهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى، رضي أم سخط.

فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شرًّاً يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمه فيحول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وتكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة فتهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحييه، ولا يأمن في لحظة من ليله ونهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، وهو مضطر ذليل إن ترك، وإن اختطف فهو عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه، وأنّى يليق الكبر به لولا جهله، فهذا وسط أحواله فليتأمل.

وأمَّا آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾[1] فيصير جيفة منتنة قذرة، ثم تبلى أعضاؤه وصورته، وتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه فتصير رميماً رفاتاً ثمَّ يصير روثا في أجواف الدِّيدان، يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان، فيصير تراباً يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان، فما أحسنه لو ترك تراباً بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة، وسماء ممزَّقة مشققة، وأرض مبدلة، وجبال مسيرة، ونجوم منكدرة، وشمس منكسفة، وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد، وجحيم تزفر، وجنَّة ينظر إليها المجرم فيتحسَّر، ويرى صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير، وهو معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[2] فما لمن هذا حاله والتكبُّر، بل ما له وللفرح في لحظة فضلاً عن البطر والتجبر.

---

(١) عبس: ٢١.

(٢) عبس: ٢٢.

وأمَّا العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين.

فقد ورد أنَّ رسول الله ﷺ: «كان يأكل على الأرض ويقول: إنَّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد»[1].

وقيل لسلمان: لم لا تبلس جيداً؟ فقال: إنَّما أنا عبد فإذا أعتقت يوماً لبست، أشار به إلى العتق في الآخرة، وللمتواضع امتحانات يعرف لها تواضعه فلا بدَّ أن يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بأنَّه متواضع، فإنَّه قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فإذا وقعت الواقعة عادت النَّفس إلى طبعها، ونسيت وعدها، ثم المحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسر، فإنَّ كلا طرفي الأُمور ذميم، وأحبّ الأُمور إلى الله أوسطها، وهو أن يعطى كلّ ذي حقّ حقّه وهو العدل.

مساوىء التكبُّر:

من الواضح أنَّ التكبُّر من الأمراض الأخلاقية الخطيرة، الشائعة في الأوساط الاجتماعية، التي سرت عدواها، وطغت مضاعفاتها على المجتمع، وغدا يعاني مساوئها الجمَّة.

فمن مساوىء التكبُّر وآثاره السيئة في حياة الفرد:

أنَّه متى استبد بالإنسان، أحاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجُنَّ بحب الأنانية والظهور، فلا يسعده إلاَّ الملق المزيف، والثناء الكاذب، فيتعامى آنذاك عن نقائصه وعيوبه، ولا يهتم بتهذيب نفسه، وتلافيي نقائصه، ما يجعله هدفاً لسهام النقد، وعرضة للمقت والإزدراء.

هذا إلى أنَّ المتكبِّر أشد النَّاس عُتوَّاً وامتناعاً عن الحق والعدل، ومقتضيات الشرائع والأديان.

ومن مساوىء التكبُّر الاجتماعية:

---

(١) إحياء علوم الدِّين: ج٣، ص٣٣٦.

أنَّه يُشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء، ويعكِّر صفو العلاقات الاجتماعية، ممّا يسيىء إلى النَّاس ويستثير سخطهم ومقتهم، كما يستثيره المتكبِّر الذي يتعالى عليهم بصلفه وأنانيته.

إنَّ الغطرسة داء يُشقي الإنسان، ويجعله منبوذاً يعاني مرارة العزلة والوحشة، ويشقي كذلك المرتبطين به بصنوف الروابط والعلاقات.

بواعث التكبُّر:

الأخلاق البشرية كريمة كانت أو ذميمة، هي انعكاسات النفس على صاحبها، وفيض نبعها، فهي تُشرق وتُظلم، ويحلو فيضها ويمرّ تبعاً لطيبة النفس أو لؤمها، استقامتها أو انحرافها، وما من خلق ذميم إلاَّ وله سبب من أسباب لؤم النَّفس أو انحرافها.

فمن أسباب التكبُّر: مغالاة الإنسان في تقييم نفسه، وتثمين مزاياها وفضائلها، والإفراط في الإعجاب والزهو بها، فلا يتكبَّر المتكبِّر إلاَّ إذا آنس من نفسه علماً وافراً، أو منصباً رفيعاً، أو ثراءً ضخماً، أو جاهاً عريضاً، ونحو ذلك من مثيرات الأنانية والتكبُّر.

وقد ينشأ التكبُّر من بواعث العداء أو الحسد أو المباهاة، ممَّا يدفع المنصفين بهذه الخلال على تحدي الأماثل والنبلاء، وبخس كراماتهم، والتطاول عليهم، بصنوف الازدراءات الفعلية أو القولية، كما يتجلى ذلك في تصرفات المتنافسين والمتحاسدين في المحافل والندوات.

درجات التكبُّر:

وهكذا تتفاوت درجات التكبُّر وأبعاده بتفاوت أعراضه شدَّةً وضعفاً.

فالدرجة الأولى: وهي التي كَمِنَ التكبُّر في صاحبها، فعالجه بالتواضع، ولم تظهر عليه أعراضه ومساوئه.

والدرجة الثانية: وهي التي نما التكبُّر فيها، وتجلت أعراضه بالاستعلاء على الناس، والتقدم عليهم في المحافل، والتبختر في المشي.

والدرجة الثالثة: وهي التي طغى التكبُّر فيها، وتفاقمت مضاعفاته فجُن صاحبها بجنون العظمة، والإفراط في حب الجاه والظهور، فطفق يلهج في محاسنه وفضائله، واستنقاص غيره واستصغاره. وهذه أسوأ درجات التكبُّر، وأشدّها صَلَفاً وعتوّاً.

أنواع التكبُّر:

وينقسم التكبُّر باعتبار مصاديقه إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ التكبُّر على الله عزَّ وجلَّ:

وذلك بالامتناع عن الإيمان به، والاستكبار عن طاعته وعبادته. وهو أفحش أنواع الكفر، وأبشع أنواع التكبُّر، كما كان عليه فرعون ونمرود وأضرابهما من طغاة الكفر وجبابرة الإلحاد.

٢ ـ التكبُّر على الأنبياء:

وذلك بالترفع عن تصديقهم والإذعان لهم، وهو دون الأول وقريب منه.

٣ ـ التكبُّر على النَّاس:

وذلك بازدرائهم والتعالي عليهم بالأقوال والأفعال، ومن هذا النوع التكبُّر على العلماء المخلصين، والترفع عن مساءَلتهم والانتفاع بعلومهم وإرشادهم، ممَّا يفضي بالمستكبرين إلى الخسران والجهل بحقائق الدِّين، وأحكام الشريعة الغراء.

علاج التكبُّر:

وحيث كان التكبُّر هوساً أخلاقياً خطيراً ماحقاً، فجدير بكل عاقل أن يأخذ حذره منه، وأن يجتهد ـ إذا ما داخلته أعراضه ـ في علاج نفسه، وتطهيرها من مثالبه، وإليك مجملاً من النصائح العلاجية:

١ ـ أن يعرف المتكبر واقعه وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز: فأوله نطفة قذرة، وآخره جيفة منتنة، وهو بينهما عاجز واهن، يرهقه الجوع والظمأ، ويعتوره السقم والمرض، وينتابه الفقر والضُّر، ويدركه الموتُ والبِلى، لا يقوى على جلب المنافع وردّ المكاره، فحقيق بمن اتصف بهذا الوهن، أن ينبذ الأنانية والتكبُّر، مستهدياً بالآية الكريمة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

فأفضل الناس أحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم نفعاً، وأشدّهم تقوى وصلاحاً.

٢ ـ أن يتذكر مآثر التواضع ومحاسنه، ومساوىء التكبُّر وآثامه، وما ترادف في مدح الأول وذم الثاني من دلائل العقل والنقل، قال بزرجمهر: «وجدنا التواضع من الجهل والبخل، أحمد عند العقلاء من الكبر مع الأدب والسخاء، فأنبِل بحسنة غطَّت على سيئتين، وأقبح بسيئة غطَّت على حسنتين»[2].

٣ ـ أن يروض نفسه على التواضع، والتخلق بأخلاق المتواضعين، لتخفيف حدة التكبُّر في نفسه، وإليك أمثلة في ذلك:

أ ـ جدير بالعاقل عند احتدام الجدل والنقاش في المساجلات العلمية أن يذعن لمناظره بالحق إذا ما ظهر عليه بحجته، متفادياً نوازع المكابرة والعناد.

ب ـ أن يتفادى منافسة الأقران في السبق إلى دخول المحافل، والتصدر في المجالس.

ج ـ أن يخالط الفقراء والبؤساء، ويبدأهم بالسلام، ويؤاكلهم على المائدة، ويجيب دعوتهم، متأسياً بأهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام.

بعض صفات التكبُّر:

١ ـ مكروه من قبل أكثر النَّاس.

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب.

٢ ـ يُستغاب في كثير من المواقف والحالات.

٣ ـ مُقاطَع من قبل أكثر أفراد المجتمع.

٤ ـ يسيطر عليه مرض الشك.

٥ ـ ضعيف الإيمان.

٦ ـ يعاني دائماً من مشاكل عائلية واجتماعية.

٧ ـ يحتقر الفقراء والمستضعفين.

٨ ـ مصاب بمرض داء العظمة.

٩ ـ تبدو على تصرفاته علامات الغرور.

١٠ ـ يغضب لأتفه الأسباب.

١١ ـ مصاب ببعض أعراض مرض الوسوسة.

١٢ ـ لا يقيم وزناً للعلم والعمل.

١٣ ـ قاسي القلب.

١٤ ـ مصاب بأمراض نفسية مختلفة.

التكبُّر والفخر

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «عجباً للمختال الفخور وإنَّما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع»[(١)].

ونظم أحد الشعراء في هذا المعنى أبياتاً جميلة المغزى، وهي:

(البحر المنسرح)

عجبت من فاخرٍ بنخوته ... وكان من قبل نطفة مذرهْ

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في القبر جيفة قذرهْ

(١) الكافي: ج٢، ص٣٢٩.

وهو على عجبه ونخوته ما بين جنبيه يحمل العذرة

وممَّا يروى في هذا المجال أنَّ رجلاً اسمه عقبة بن بشير الأسدي جاء إلى الإمام أبي جعفر عليه السلام وقال له: أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي، قال: فقال: «ما تمنَّ علينا بحسبك؟ إنَّ الله رفع بالإيمان من كان النَّاس يسمّونه وضيعاً إذا كان مؤمناً ووضع بالكفر من كان النَّاس يسمّونه شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحد فضل على أحد إلاَّ بالتقوى»[1].

ونُقل عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «آفة الحسب الافتخار»[2].

التواضع ضد التكبُّر:

جاء في كتاب الكافي أنَّ النجاشي [ملك الحبشة] أرسل إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التُّراب وعليه خُلقان الثياب. قال جعفر عليه السلام: فأشفقنا منه حينما رأيناه على تلك الحال. فلمَّا رأى ما بنا وتغيّر وجوهنا قال:

«الحمد لله الَّذي نصر محمَّداً وأقرَّ عينه، ألا أبشركم؟...الخ». فقلت: بلىٰ أيُّها الملك. فأخبرهم بانتصار المسلمين على الكفار في معركة بدر. وعند ذاك سألوه عن سبب جلوسه على التُّراب فقال لهم: من حق الله على عباده أن يتواضعوا له عندما يُنعم عليهم. وإنِّي تواضعت لله بسبب ما منَّ به عليَّ من انتصار محمَّد صلى الله عليه وآله. فلمَّا بلغ النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام قال لأصحابه:

«إنَّ الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله، وإنَّ التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإنَّ العفو يزيد صاحبه عزّاً، فاعفوا يعزكم الله»[3].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٢٨.

(٢) الكافي: ج٢، ص٣٢٩.

(٣) الكافي: ج٢، ص١٢١.

وعن حكيم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى الالحاد، قال: إنَّ الكبر أدناه(١).

وعن الحسين بن أبي العلا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: الكبر قد يكون في شرار النّاس من كلِّ جنس والكبر رداء الله، فمن نازع الله عزَّ وجلَّ رداءه لم يزده الله إلاّ سفالاً، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ في بعض طرق المدينة، وسوداء تلقط السّرقين فقيل لها: تنحّي عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إنَّ الطريق لمعرض، فهمَّ بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعوها فإنّها جبّارة(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: العزُّ رداء الله، والكبر إزاره، فمن تناول شيئاً منه أكبّه الله في جهنّم(٣).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرَّة من كبر(٤).

وعن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من الكبر، قال: فاسترجعت، فقال: مالك تسترجع؟

قلت: لما سمعت منك.

فقال: ليس حيث تذهب إنّما أعني الجحود، إنّما هو الجحود(٥).

وعن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام: الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحقَّ(٦).

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٠٩.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٠٩.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٠٩.
(٤) الكافي ج٢ ص٣١٠.
(٥) الكافي ج٢ ص٣١٠.
(٦) الكافي: ج٢، ص٣١٠.

عن عبد الأعلى بن أعين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحقّ.

قال: قلت: وما غمص الخلق وسفه الحقّ؟

قال: يجهل الحقَّ ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عزَّ وجلَّ رداءه[١].

وعن داود بن فرقد، عن أخيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ المتكبر ين يجعلون في صور الذرّ يتوطّأهم الناس حتّى يفرغ الله الحساب[٢].

وعن يعقوب بن سالم، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما الكبر؟

فقال: أعظم الكبر أن تسفه الحقَّ وتغمص النّاس.

قلت: وما تسفّه الحقّ؟

قال: تجهل الحقّ وتطعن على أهله[٣].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيّهم ولهم عذابٌ أليم: **شيخ زان، وملك جبّار، ومقلٌّ مختال**[٤].

وعن مروك بن عبيد، عمّن حدَّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ يوسف عليه السلام لمّا قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزُّ الملك فلم ينزل إليه، فهبط عليه جبرئيل فقال: يا يوسف ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع، فصار في جوّ السّماء.

فقال يوسف عليه السلام: ما هذا النّور الّذي خرج من راحتي؟

---

(١) الكافي ج٢ ص٣١٠.
(٢) الكافي ج٢ ص٣١١.
(٣) الكافي ج٢ ص٣١١.
(٤) الكافي ج٢ ص٣١١.

فقال: نزعت النبوّة عن عقبك، عقوبة لمّا لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون من عقبك نبيٌّ[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آفة الحسب الافتخار والعجب[(٢)].

وعن ابن الضحّاك قال: قال أبو جعفر عليه السلام: عجباً للمختال الفخور، وإنّما خلق من نطفة، ثمّ يعود جيفة، وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به[(٣)].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمقت النّاس المتكبّر.

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يستكبر يضعه الله[(٤)].

وعن ابن خالد، عن الرضا، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى ليبغض البيت اللحم، واللحم السمين.

قال له بعض أصحابه: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّا لنحبُّ اللحم، وما تخلو بيوتنا منه، فكيف ذاك؟

فقال: ليس حيث تذهب إنّما البيت اللحم الّذي يؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة، وأمّا اللحم السمين فهو المتكبّر المتبختر المختال في مشيه[(٥)].

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ يقول: بالعظمة[(٦)].

وفي روية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الفرح والمرح والخيلاء كلَّ ذلك في الشرك والعمل في الأرض بالمعصية[(٧)].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣١١.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٢٨ ومثله في ص٣٢٩.
(٣) الكافي: ج٢، ص٣٢٩، ومنه في ص٣٢٨.
(٤) أمالي الصدوق: ١٤.
(٥) معاني الأخبار: ٣٨٨. وعيون أخبار الرِّضا: ج١، ص٣١٤.
(٦) تفسير القمى ٥٠٩.
(٧) تفسير القمى ٥٨٨ في آية المؤمن: ٧٧.

عن ابن أبي نجران رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من رقّع جيبه، وخصف نعله، وحمل سلعته، فقد أمن من الكبر(١).

وفي وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام: يا عليُّ أنهاك عن ثلاث خصال عظام: **الحسد، والحرص، والكِبر**(٢).

وعن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على جماعة فقال: علامَ اجتمعتم؟

فقالوا: يا رسول الله هذا مجنون يصرع فاجتمعنا عليه.

فقال: ليس هذا بمجنون، ولكنّه المبتلى، ثمَّ قال: ألا أُخبركم بالمجنون حقَّ المجنون؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: المتبختر في مشيه، النّاظر في عطفيه، المحرِّك جنبيه بمنكبيه، يتمنّى على الله جنّته وهو يعصيه، الّذي يؤمن شرُّه، ولا يرجى خيره، فذلك المجنون، وهذا المبتلى(٣).

وعن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: عجبت لابن آدم أوَّله نطفة، وآخره جيفة، وهو قائم بينهما وعاء للغائط، ثمَّ يتكبّر(٤).

وعن ابن فضّال رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً فكحله النعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الفخر(٥).

وعن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ أعظم الكبر غمص الخلق، وسفه الحقّ.

(١) الخصال ج١ ص٥٤.
(٢) الخصال ج١ ص٦٢.
(٣) الخصال ج١ ص١٦١.
(٤) علل الشرايع ج١ ص٢١٦.
(٥) معاني الأخبار: ١٣٨، وفيه سعوطه الكبر.

قلت: وما غمص الخلق وسفه الحقّ؟

قال: يجهل الحقَّ ويطعن على أهله، ومن فعل ذلك فقد نازع الله عزَّ وجلَّ في ردائه[١].

وعن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من دخل مكة مبرّءاً من الكبر غفر ذنبه، قلت: وما الكبر؟

قال: غمص الخلق، وسفه الحقّ.

قلت: وكيف ذاك؟

قال: يجهل الحقَّ ويطعن على أهله[٢].

وفي المحاسن: عن أبيه بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ المتكبّرين يجعلون في صور الذرّ فيطأهم الناس حتّى يفرغوا من الحساب[٣].

وفي رواية معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد فمن تجبّر وضعاه[٤].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل عليه السلام أنَّ ريح الجنّة يوجد من مسيرة ألف عام ما يجدها عاقٌّ ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌّ إزاره خيلاء، ولا فتّان، ولا منّان، ولا جعظري.

قال: قلت: فما الجعظريُّ؟

قال: الّذي لا يشبع من الدُّنيا[٥].

عن كريب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يدخل الجنَّة شيء من الكبر.

---

(١) معاني الأخبار ص٢٤١.
(٢) البحار: ج٧٠، ص٢٣٦.
(٣) المحاسن: ١٢٣.
(٤) المحاسن: ١٢٣.
(٥) معاني الأخبار: ٣٣٠.

فقال قائل: يا نبيَّ الله إنِّي لأُحبُّ أن أتجمَّلُ بحلان[١] سوطي وشسع نعلي.

فقال النَّبي ﷺ: أنّى ذلك وليس من الكبر، إنّ الله يحبُّ الجمال، إنَّما الكبر مَن سفه الحقّ وغمض النّاس بعينه[٢].

وعن جابر بن عبد الله قال، قال لنا رسول الله ﷺ: ألا أُخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، إنَّ نوحاً قال لابنه: آمُرك بأمرين، وأنهاك عن أمرين، قل: لا إلّه إلاّ الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحَمد يُحيي ويُميت ويُميت وهو على كلِّ شيء قدير، فإنَّ السَّماوات والأرض لو جعلتا في كفَّة لوزنتهما، ولو جعلتا في حلقة لصبَّتهما. يا بُنيّ آمرك أن تقول: سُبحانَ الله وبحمده، فإنَّها صلاة الخلاّق وبها يرزق الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٣].

يا بُنيّ وأنهاك عن أمرين: لا تشرك بالله، فإنَّه مَن أشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنَّة، وأنهاك عن الكبر، فإنَّ أحداً لا يدخل الجنَّة في قلبه مثقال حبَّة من خردل من كبر.

قال، فقال معاذ بن جبل: بأبي وأُمّي يا رسول الله، أمِن الكبر أن يكون لأحَدِنا دابَّة يركبها، أو الثياب يلبسها، أو الطعام يجمع عليه أصحابه؟ قال: لا، ولكن من الكبر أن يسفه الحق ويغمص[٤] المؤمن[٥].

(١) كذا في جميع النسخ، وفي المصدر: بحبلان. ولعلَّ صحيحه «بخلال» والخلال: جمع خِلَّة وهي كلّ جلدة منقوشة.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢: ١٣٣ و١٣٤، رواه النوري في المستدرك ١٢: ٣٤.

(٣) الإسراء (١٧): ٤٤.

(٤) كذا في النسخ، ولكن في المصدر: «يغمص» بالصاد غير معجمة وغمص الناس، أي احتقرهم ولم يَرَهم شيئاً، قال الصدوق ﷺ: في كتاب الخليل بن أحمد: تقول: فلان غمص الناس وغمص النعمة، إذا تهاون بها وبحقوقهم ويقال: إنّه لمغموص عليه في دينه، أي مطعون عليه، وقد غمص النعمة العافية إذا لم يشكرها، وقال أبو عبيدة في قوله ﷺ: سفه الحق: هو أن يرى الحق سفهاً وجهلاً... وأمّا قوله: غمص الناس، فإنّه الاحتقار لهم... راجع معاني الأخبار: ٢٤٢. أقول: وغمض الناس بالعين كناية عن احتقارهم أيضاً.

(٥) رواه الهندي في كنز العمال ١٦: ١٠٦/ ٤٤٠٧٧، والنوري في المستدرك ١٢: ٣٤.

وروي عن جابر مثله، وزاد في حديثه: ألا أُنبِّئكم بخمس من كنَّ فيه فليس بمتكبِّر؟ اعتقال الشاة[١] ولبس الصوف، ومجالسة الفقراء، وأن يركب الحمار، وأن يأكل الرَّجل مع عياله[٢].

ومن أجمل ما قرأت في هذا المعنى:

(البحر الكامل)

حسن ثيابك ما استطعتَ فإنها زَينُ الرجال بها تُعز وتُكرم
ودع التَّخَشُّنَ في الثياب تواضعاً فالله يعلم ما تُكِنُّ وتكتم
فقشيب ثوبك لا يزيدك رفعة عند الإلَه وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الإلَه وتتقي ما يحرم

وتأمل معي كذلك قول القائل الذي أرجو إن شاء الله أن تكون أهلاً لتنفيذه، وهو:

(البحر الطويل)

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

وقال الشاعر:

(البحر الطويل)

يا صاحبَ الكبر الذي قد علا بهِ إذا كنت يوماً في التُّراب فما الكِبرُ
ويا قومِ لا يغرركمُ دار قلعةٍ بباطلها جدّوا فإنّكم سفْرُ
وهل يغفَل الإنسان أو يأمَنُ الردى إذا كان لا يدري متى ينزل الأمرُ

وقال آخر:

---

(١) اعتقل شاته: وَضعَ رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها.

(٢) الفردوس ٣: ١٩٠/ ٤٥٢٧، رواه الهندي في كنز العمّال ١٦: ١٠٦/ ٤٤٠٧٧، والنوري في المستدرك ١٢: ٣٥.

(البحر الوافر)

هَبْ أنت[١] [أنْ] قد ملكت الأرضَ طرّاً ودانَ لـك الـعـبـادُ فـكـان مـاذا؟
ألـسـتَ تـصـيـرُ فـي قـبـر ويـحـثـو عـلـيـك الـتـربَ هـذا ثـمَّ هـذا[٢]؟

وأنشد:

(البحر الهزج)

تــوكَّــلــتُ عــلــى الــلَّــهِ ومــا أرجــو ســوىٰ الــلَّــهِ
ومــا الــرِّزقُ مــن الــنَّــاسِ بــل الــرِّزقُ مــن الــلَّــهِ

وقال آخر:

(البحر الرمل المجزوء)

قــلــتُ لــلــمــعــجَــب لــمَّــا قــال مــثــلــي لا يُــراجَــعْ
يــا قــريــبَ الــعــهــد بــالــمــخــرجِ لــم لا تــتــواضَــعْ

موعظة للغافلين

الاعتبار من الأموات:

يا نفسُ: ألا تنظرين إلى الَّذين عمَّروا الدُّنيا زماناً، وجَعَلوها أوطاناً، واتَّخذوا منها أموالاً وأعواناً، فأخرجوا مِنها وحْداناً، وزوَّدوا مِنْ متاعها أكفاناً، ولم يجدوا من خوفها أماناً.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

(البحر الكامل)

جـرت الـرِّيـاحُ عـلـى مـحـلِّ ديـارهـم فـكـأنَّـهُـمْ كـانـوا عـلـى مـيـعـادِ

أقاموا في بطون الأرض بعد ظهورها، وسَكنوا في قبورها بعد قصورها، في

(١) في المخطوط: «أنَّك» بدل «أنت».
(٢) البداية والنهاية: ١٠/ ٢٠٠ نحوه عن بهلول.

مضاجع الهلكات راقدونَ، وفي بلاقع الفَلوات خامدُون، فيا عجباً لمن يخربُ أيَّام عَمره وهو يعمر داراً، ويا رَحْمتاهُ لمن أيقن بحُلول الموت به وهو يلذُّ قراراً.

وقال الشاعر:

(البحر الوافر)

ومـا الـدُّنـيـا بـبـاقـيـة لـحـيٍّ ولا حـيّ عـلـى الـدُّنـيـا بـبـاقِ

يا نفسُ: السَّعيدُ من اعتبر بأمسه، واستظهر لنفسه، والشقيُّ من جمع لغيره، وبخل على نفسه بميره[1].

(١) المير: مصدر الطعام، يقال ما عنده خير ولا ميرٌ، أي لا عاجلٌ ولا آجل.

محاربة المسلمين

يقول تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

روي عن سورة بن كليب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل يخرج من منزله يريد المسجد أو يريد الحاجة، فيلقاه رجل يخرج أو يستقفيه فيضربه ويأخذ ثوبه...

قال عليه السلام: «هؤلاء من أهل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من أذى عبدي المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن[3].

وعنه تعالى قال: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة[4].

عن [أبي] إسحاق المدائني قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ دخل عليه رجل فقال له: جعلت فداك إنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إلى ﴿أَوْ يُنفَوْاْ﴾.

---

(١) المائدة: ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) الكافي: ج٧، باب حد المحارب، ص٢٤٥، ح٢.
(٣) الكافي: ج٢، باب من أذى المسلمين واحتقرهم، ص٣٥٠، ح١.
(٤) المصدر نفسه: ص٣٥٢، ح٨.

فقال: هكذا قال الله تعالى.

فقال له: جعلت فداك فأيُّ شيء الّذي إذا فعله استحقّ واحدة من هذه الأربع؟

قال: فقال له أبو الحسن عليه السلام: أربع، فخذ أربعاً بأربع:

إذا حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً فقتل قتل، وإن قتل وأخذ المال قتل وصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ولم يقتل ولم يأخذ المال نُفي من الأرض.

فقال له الرجل: جعلت فداك وما حدُّ نفيه؟

قال: ينفى من المصر الّذي فعل فيه ما فعل إلى غيره، ثمَّ يكتب إلى أهل ذلك المصر أن ينادي عليه بأنه منفيٌّ فلا تؤاكلوه، ولا تشاربوه، ولا تناكحوه، فإذا خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك، فيفعل به ذلك سنة، فإنّه سيتوب من السّنة وهو صاغر.

فقال له الرجل: جعلت فداك فإن أتى أرض الشرك فدخلها.

قال: يضرب عنقه إن أراد الدخول في أرض الشرك[1].

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أشار على أخيه المسلم بسلاحه لعنته الملائكة حتّى ينحيّه.

وقال: قال عليه السلام أيضاً: من شهر فدمه هدر[2].

موعظة للغافلين

الاستعداد للموت:

يا نفسُ: لا تُحدِّثي نفسك بفقر، ولا بطول عُمر.

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٣١٧.

(٢) نوادر الراوندي ص٣٣ وما بين العلامتين ساقط من الأصل.

يا نفسُ: لا تعمِّري الدُّنيا فلا بدَّ من فراق محلّها، وصانعي وجهاً يكفِكِ الوجوه كلّها.

يا نفسُ: الوَيل كلّ الويل لمن باع نعيماً دائم البقاء بكسرة تفنى، وخرقة تبلى، كفى حزناً إلاَّ حياة لذيذة ولا عمل يرضى به الله صالح.

يا نفسُ: في طلب الدُّنيا ذلّ النُّفوس، وفي طلب الجنَّة عزّ النُّفوسُ، فيا عجباً لمن يختار المذلَّة في طلب ما يفنى، أو يترك العزّ في طلب ما يبقى.

يا نفسُ: اتَّقي في الخلوات المآثم، فإنَّ الشَّاهد هو الحاكم.

تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر

يقول تعالى في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[1]

عن محمد بن عبد الله، عن بعض أصحابه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم حرم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟

فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده، وأحل لهم ما سواه رغبة منه فيما حرم عليهم، ولا رهبة مما أحل لهم، ولكنه خلق الخلق وعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم، فأحله لهم وأباحه تفضلاً منه عليهم لمصلحتهم، وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم، ثم أباحه للمضطر وأحله له في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلّا به، فأمر أن ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك، ثم قال:

أما الميتة: فإنه لا يدنو منها أحد ولا يأكل منها، ألاّ ضعف بدنه، ونحل جسمه، وذهبت قوته، وانقطع نسله، ولا يموت إلاّ فجأة.

وأما الدم: فإنه يورث آكله الماء الأصفر[2]، ويبخر الفم، وينتن الريح، ويسيء الخلق، ويورث الكلة والقسوة للقلب، وقلة الرأفة والرحمة، حتى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالديه، ولا يؤمن على حميمه وعلى من صحبه.

وأما لحم الخنزير: فإن الله مسخ قوماً في صور شتى شبه الخنزير والقرد

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الماء الأصفر: مرض يصيب البطن (لسان العرب ج٤ ص٤٦١.

والدب، وما كان من الأمساخ، ثم نهى عن أكل مثله لكي لا ينتفع بها، ولا يستخف بعقوبته.

وأما الخمر: فإنه حرمها لفعلها وفسادها، وقال: إن مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه الارتعاش ويذهب بقوته، ويهدم مروءته، ويحمله على أن يجسر على المحارم، من سفك الدماء، وركوب الزنى، ولا يؤمن إذا سكر أن يثب على محارمه»[١].

موعظة للغافلين

تحذير النَّفس من الضرر:

يا نفسُ: ما أقلَّ حياءَكِ وانزر وفاءَكِ، أترى لو أنَّ أحَداً من جُلسائكِ وعَبيدكِ وإمائكِ واجَهَكِ بما تمقتينه، أو عاملِكِ بما تكرهينه، لقلَّمت منه الأظفار، واحللت به دار البَوار، فَبأيِّ جَسارة تتعرَّضين لمقت الله وَعَذابه وشدَّة عقابه، وقوتِ إصبعك من الحميم، إن ألهاكِ النَّظَرِ عن عقابه الأليم، وكيف تدَّعين الإيمان بلسانكِ وأثر النِّفاق ظاهِرٌ عن أركانكِ، ولا جرم أنَّهُ تعالى تكفَّل في الدُّنيا بإصلاحِ أحوالكِ، فعَلام كذَّبتِهِ بأفعالكِ، وأصبحت تتكالبين عن طَلب الدُّنيا تكالبَ المدهوش المستهتر، وأعرضتِ عن الآخرة إعراض المغرور المستجير، ما بنا مِن علات من يتبع السُّنَّة، ويبتغي الجنَّة.

ويحكِ يا نفسُ مِن العَذاب، كأنَّكِ لا تُؤمنين بيوم الحساب، أتظنّينَ انَّكِ إذا متِّ انفلتِ، وإذ احُشرتِ رُدِدت، هيهات هَيهات كُلّ ما توعَدُون لأتٍ.

وكما قال الشاعر:

(البحر الوافر)

وَلَـو أنَّـا إذا مِـتـنـا تـرَكـنـا ... لَـكـانَ الـمَـوت راحَـةَ كُـلّ حَـيٍّ
وَلَـكـنَّـا إذا مِـتـنـا بُـعـثـنـا ... ونُـسـألُ بَـعـدَهُ عَـن كُـلِّ شَـيءٍ

(١) الاختصاص: ص١٠٣.

أَتَحْسَبِينَ أن تُتْرَكِي سُدىً، ألم تكوني نطفَة مِنْ منيٍّ يمنى، ثمَّ كنتِ عَلقة فخلق فسوَّىٰ، أليسَ ذلكَ بقادر على أن يحييَ الموتى، فما لكَ لا تعرفين قَدرَكِ، ولا تأخذين حذركِ، ولو أنَّ طبيباً يهوُديَّاً أو حَكيماً نصرانيَّاً أخبَركِ في ألذّ أطعمتك بدائِه وعدم دوائه لَصَبرت عنه وتركته، وجاهَدت نفسَك فيه، أفكان قول القرآن المبين والأنبياء والمرسَلين، أقلّ تأثيراً مِن قول يهوُديّ يخبر عن تخمين، أو نصرانيّ يُنبي عن غير يقين، والعَجبُ أنَّه لو أخبركِ طفل بأنَّ عقرباً في جيبك، لرميت ثوبك، أو حيَّة في إزارك لرميتِ بأطمارك، أفكانَ قول الأنبياء والأبدال، أقلّ عندكِ من قول الأطفال، أم صار حرّ جهنَّم وزقُّومها، أحقر عِندكِ من العَقربُ سُموُمها، ولا جرم فلو انكشف للبهائم علانيتكِ وسَريرتك، لضحكوا من غفلة سيرتك.

فإن كنت يا نفس قد آمنتِ في المحشر بسؤالك، وقد عرفتِ جميع ذلك هُنالك، فما بالك تسوِّفين العمل وقد دَنَا الأجلُ، ولعَلَّه يختطفكِ من غير مَهَل، وكانَا للموت ركب مخبّون، سراع لمنهل موردون، فمن لا يطّعم الدَّابَّة إلاَّ في الحَضيض، لا يقدر على قطع العقبة، ومن لا يملكُ قيراطاً مِنَ المال كيفَ يفكُّ الرَّقبَة، وهب أنَّ الجَهد في آخِر العُمر نافِع، وأنَّه مُرق إلى أسعَد المطالع، فلعَلَّ اليوم آخِر عُمرك ونهاية دهرك، فَما المانِع لكِ مِنَ المبادرة إلى صالح الأعمال، وما الباعِثُ لَك عَلَىٰ التَّسويف والإهمال، وهل سَببه إلاَّ عجزك عن مخالفة شهوتك، وضعفك عن مخالفة أئمَّتك.

يا نفسُ: غالبي الشَّهوة قبل قوَّة ضراوتها، وَلم يقدر على منعِها صاحبها، لأنَّ الشَّهوة كالشَّجَرة النَّابتة، والصَّخرة الثَّابتة، الَّتي تعبّد العَبد بقلِعها وأمر بنزعها، فمَن ترك قلعها وعجز عن نزعها، كان كمن عجز عن قلع شجَرة وهو شابّ قويّ الهمَّة، فأخصرها بعد أمَّة[1] إلى الضَّعف وابيضاض اللّمِة، مع العلم بأنَّ طول المدَّة، تزيد الشَّجَرة قوَّة وثباتاً، وتزيد القالع ضعفاً وشتاتاً.

وبالجملة: فما لا يقدر عليه في المشيب، لكن مِنَ التَّعذيب تهذيب الذَّنب ومن العناء رياضة الهَرِم.

---

(١) أمّ يؤمّ أمّاً أي قصد فأخّرها بعد أمّه أي بعد التوجُّه إلى الضَّعف.

في ترك الصلاة

قال الله تعالى في ترك الصلاة:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا...﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ... ﴿٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[3].

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ﴾[4].

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾[5].

قال رسول الله ﷺ: الصّلاة عماد الدّين، فمن ترك صلاته متعمداً فقد هدم

(١) مريم: ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) المنافقون: ٩.
(٣) المدثر: ٤٢ ـ ٤٨.
(٤) فاطر: ١٨.
(٥) القيامة: ٣١.

دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويل واد في جهنّم كما قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[١].

وقال النبيُّ ﷺ: حافظوا على الصّلوات، فإنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يأتي بالعبد فأوّل شيء يسأله عنه الصّلاة، فإن جاء بها تامّة وإلاّ زجَّ في النّار[٢].

وقال النبيُّ ﷺ: لا تضيّعوا صلاتكم فإنَّ من ضيّع صلاته حشره الله مع قارون وفرعون وهامان، لعنهم الله وأخزاهم، وكان حقّاً على الله أن يدخله النّار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته[٣].

وقال ﷺ: من ترك صلاته حتّى تفوته من غير عذر، فقد حبط عمله، ثمَّ قال: بين العبد وبين الكفر ترك الصّلاة.

وقال ﷺ: لا يزال الشيطان يرعب من بني آدم ما حافظ على الصّلوات الخمس، فإذا ضيّعهنَّ تجرَّأ عليه وأوقعه في العظائم[٤].

وقال ﷺ: من ترك صلاة لا يرجو ثوابها، ولا يخاف عقابها، فلا أُبالي أيموت يهوديّاً، أو نصرانيّاً، أو مجوسيّاً[٥].

وعن خالد القلانسيّ قال: قال الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام: يؤتى بشيخ يوم القيامة فيدفع إليه كتابه، ظاهره ممّا يلي النّاس، لا يرى إلاّ مساوي، فيطول ذلك عليه، فيقول: يا ربّ أتأمرني إلى النار؟

فيقول الجبّار جلّ جلاله: يا شيخ أنا أستحيي أن أُعذّبك وقد كنت تصلّي في دار الدُّنيا، أذهبوا بعبدي إلى الجنّة[٦].

---

(١) الماعون ص ٤ و٥.
(٢) جامع الأخبار ص٨٦ و٨٧.
(٣) جامع الأخبار ٨٧.
(٤) جامع الأخبار ص٨٧.
(٥) جامع الأخبار ص٨٧.
(٦) أمالي الصدوق ص٣٢. الخصال: ج٢، ص١١٥ ـ ١١٦.

وعن عبد العظيم الحسنيّ، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: كلّم الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام قال موسى: إلٰهي ما جزاء من صلّى الصّلوات لوقتها؟

قال: أعطيته سؤله وأُبيحه جنّتي (الخبر)(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزال أُمّتي بخير ما تحابّوا وتهادوا، وأدّوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وقروا الضيف، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين.(٢).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أُسري بي إلى السماء مضيت وأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء الّذين ناموا عن صلاة العشاء(٣).

اعلم أنَّ تارك الصلاة مستحلاً كافر إجماعاً كما ذكره في المنتهى، ثمَّ قال: ولو تركها معتقداً لوجوبها لم يكفر، وإن استحقَّ القتل بعد ترك ثلاث صلوات والتعزيز فيهنَّ، وقال أحمد في رواية: يقتل لا حداً بل لكفره، ثمَّ قال: ولا يقتل عندنا في أوَّل مرّة ولا إذا ترك الصلاة ولم يعزّر، وإنّما يجب القتل إذا تركها مرَّة فعزَّر تركها ثانية فعزّر، ثمَّ تركها ثالثة فعزّر، فإذا تركها رابعة فإنّه يقتل وإن تاب، وقال بعض الجمهور: يقتل بأوَّل مرَّة انتهى.

وحمل تلك الأخبار على الاستحلال بعيد إذ لا فرق حينئذ بين ترك الصلاة وفعل الزنى، بل الظاهر أنّه محمول على أحد معاني الكفر، وهو مقابل للإيمان الّذي يطلق على يقين لا يصدر معه عن المؤمن ترك الفرائض، وفعل الكبائر بدون داع قوي، وهذا الكفر لا يترتّب عليه وجوب القتل، ولا النجاسة، ولا استحقاق خلود النار، بل استحقاق الحدّ والتعزيز في الدُّنيا والعقوبة الشديدة في الآخرة،

---

(١) أمالي الصدوق ص١٢٥.

(٢) عيون الأخبار ج٢ ص٢٩.

(٣) تفسير القمي ص٣٧١.

وقد يطلق على فعل مطلق الكبائر وترك مطلق الفرائض، وعلى هذا المعنى لا فرق بين ترك الصلاة وفعل الزنى.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين المسلم وبين أن يكفر إلاّ أن يترك الصلاة الفريضة متعمّداً أو يتهاون بها فلا يصلّيها[(١)].

وعن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين الكفر والإيمان إلاّ ترك الصلاة[(٢)].

وعن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾.

قال: ترك الصلاة الّذي أقرَّ به.

قلت: فما موضع ترك العمل حتّى يدعه أجمع؟

قال: منه الّذي يدع الصلاة متعمّداً لا من سكر ولا من علّة[(٣)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر»[(٤)].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «إن تارك الفريضة كافر»[(٥)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إن تارك الصلاة كافر يعني من غير علة»[(٦)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أوصني، فقال صلى الله عليه وآله: لا تدع الصلاة متعمداً فإن تركها متعمداً فقد برئت منه ملة الإسلام»[(٧)].

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٠٧ والمحاسن: ص٨٠.
(٢) ثواب الأعمال ص٢٠٧.
(٣) المحاسن ص٧٩.
(٤) لآلىء الأخبار: ج٤، باب في شدة عقاب تارك الصلاة ومن أعانه، ص٤٨.
(٥) وسائل الشيعة: ج٣، باب١١، ص٢٨، ح١.
(٦) وسائل الشيعة: ص٢٩، ح٤.
(٧) وسائل الشيعة: ح٥.

روى الصدوق في علل الشرائع أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: ما بال الزاني لا تسميه كافراً وتارك الصلاة تسميه كافراً، وما الحجة في ذلك؟

فقال عليه السلام: «لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلاّ استخفافاً بها»[١].

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: ليس مني من استخف بصلاته، ليس مني من شرب مسكراً، لا يرد علي الحوض لا والله[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: إنه لما حضر أبي الوفاة قال لي: «يا بني إنه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «إن في جهنم لوادياً يستغيث منه أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة، وفي ذلك الوادي بيت من نار، وفي ذلك البيت جب من نار، وفي ذلك الجب تابوت من نار وفي ذلك التابوت حية لها ألف رأس، وفي كل رأس ألف فم وفي كل فم ألف ناب، وفي كل ناب ألف ذراع.

قال أنس: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله لمن يكون هذا العذاب؟

قال صلى الله عليه وآله: لشارب الخمر وتارك الصلاة»[٤].

عن النبي صلى الله عليه وآله: «من أعان تارك الصلاة بلقمة أو كسوة فكأنما قتل سبعين نبياً أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله»[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله: «من أعان تارك الصلاة بشربة ماء فكأنما حارب وجادل معي ومع جميع الأنبياء»[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ص٢٨، ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ص١٥، ح١.
(٣) فروع الكافي: ج٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها، ص٢٦٧، ح١٥.
(٤) لآلىء الأخبار: ج٤، ص٥١.
(٥) لآلىء الأخبار: ج٤، ص٥١.
(٦) لآلىء الأخبار: ج٤، ص٥١.

وقال ﷺ أيضاً: «من تبسَّم في وجه تارك الصلاة فكأنما هدم المعمور سبع مرات»(١).

موعظة للغافلين

ذمُّ الدُّنيا وخسَّتها:

يا نفسُ: للدُّنيا يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا عِلم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له.

قال الشاعر:

(البحر الطويل)

نـرقِّـع دنـيـانـا بـتـمـزيـق ديـنـنـا فـلا ديـنـنـا يـبـقـى ولا مـا نُـرقِّـع
فـطُـوبـىٰ لـعـبـد آثـر الـلَّـه ربّـهُ وجـاد بـدُنـيـاهُ لـمـا يـتـوقَّـعُ

يا نفسُ: دَعي المساخِرَة والمشاجرة، وصُومي عن الدُّنيا وافطري بالآخرة، فإنَّ رأس مال الدُّنيا الهوى، وربحها لظى تقرِّب المنية، وتبعِّد الأمنيَّة.

وفي ذلك قيل:

(البحر الطويل)

وَمَنْ يـحـمـد الـدُّنـيـا لـعـيشٍ يـسـرَّه فـسـوف لـعـمـري عـن قـلـيـل غـمـومـهـا
إذا أدْبـرت كـانـت عـلـى الـمـرء حَـسْـرةً وإن أقـبـلـت كـانـت كـبـيـراً هـمـومـهـا

يا نفسُ: لو أنَّ الدُّنيا مِنْ ذهب يفنى، والآخرة من خزفٍ يبقى، لكان ينبغي لكِ أن تختاري، ما يبقى على ما يفنى، فكيف وقد اخترت خَزفاً يفنى على ذهبٍ يبقى.

وفي هذا المورد قيل:

---

(١) لآلىء الأخبار: ج٤، ص٥١.

(البحر الوافر)

هَب الدُّنيا تساق إليك عَفواً ... أليسَ مصير ذاك إلى انتقال

وما دُنياك إلاَّ مِثلَ فَيْءٍ ... أظلَّك ثمَّ آذن بالزَّوال

يا نفسُ: بيعي دُنياك بآخِرتك تربحينهما، ولا تبيعي آخرتِك بدُنياك تخسرينهما.

وصحَّ قول الشاعر:

(البحر السريع)

يَا خَاطبَ الدُّنيا إلى نفسها ... تنحَّ عَنْ خطبتها تسلَم

إنَّ الَّتي تخطب غدَّارة ... قريبة العرس من المآتم

يا نفسُ: إذا سألتِ الله الدُّنيا فإنَّما تسألينه طول الوقوف، يوم الحشر الموصوف، هذا سوى ما يقاسُه أرباب الأموال في الدُّنيا، مِنَ الخوف والحزن وتجشُّم المصائب في الحفظ والحزن، ودريَاق الدُّنيا مَا قُصِدَ به المراضي والمثوبات، وما صُرِفَ إلى الجيران والقرابات، وما أُعْطِيَ في الزَّكوات والصَّدقات، وما عدا ذلك سُموم وآفات.

يا نفسُ: الدُّنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يشيدها ويخطبها، والجنَّة دار عمرانٍ وأعمر منها قلب من يُريدها ويطلبها.

وصدق الشاعر حيث قال:

(البحر البسيط التام)

يا أهل لذَّات دُنيا لا بقاء لها ... إنَّ اغتراراً بظلّ زائلٍ حمقُ

مانع الزكاة

قال الله تعالى في منع الزكاة ومانعيها:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾[3].

﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾[4].

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾[5].

عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من ذي زكاة مال إبل ولا بقر ولا غنم يمنع زكاة ماله إلاّ أُقيم يوم القيامة بقاع قفر

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) براءة: ٣٥ - ٣٦.

(٣) الروم: ٣٩.

(٤) فصلت: ٧.

(٥) القيامة: ٣١.

ينطحه كلُّ ذات قرن بقرنها، وينهشه كلُّ ذات ناب بأنيابها ويطأه كلّ ذات ظلف بظلفها، حتّى يفرغ الله من حساب خلقه، وما من ذي زكاة مال نخل ولا زرع ولا كرم يمنع زكاة ماله إلاّ قلّدت أرضه في سبعة أرضين يطوّق بها إلى يوم القيامة[١].

وعن يوسف الطّاطري أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول، وذكر الزكاة فقال: الّذي يمنع الزّكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شجاعاً من نازله ريمتان[٢] فيطوّقه إيّاه ثمَّ يقال له: ألزمه كما لزمك في الدُّنيا، وهو قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ الآية[٣].

وعنهم عليهم السلام قال: مانع الزَّكاة يطوّق بشجاع أقرع يأكل من لحمه وهو قوله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾الآية[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أدّى الزَّكاة إلى مستحقّها وأقام الصّلاة على حدودها، ولم يلحق بهما من الموبقات ما يبطلهما جاء يوم القيامة يغبطه كلُّ من في تلك العرصات حتّى يرفعه نسيم الجنّة إلى أعلى غرفها وعاليها بحضرة من كان يواليه من محمّد وآله الطيّبين.

ومن بخل بزكاته وأدّى صلاته كانت محبوسة دُوين السمّاء إلى أن يجيء خبر زكاته، فإن أدّاها جعلت كأحسن الأفراس مطيّة لصلاته فحملتها إلى ساق العرش فيقول الله عزَّ وجلَّ: سر إلى الجنان فاركض فيه إلى يوم القيامة فما انتهى إليه ركضك فهو كلّه بسائر ما تمسّه لباعثك[٥] فيركض فيها، على أن كلَّ ركضة مسير سنة في قدر لمحة بصره من يومه إلى يوم القيامة حتّى ينتهي به إلى يوم القيامة إلى

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص٢٠٧.

(٢) كذا في جميع النسخ، وهكذا نقله في المستدرك أيضاً، والصحيح: «زبيبتان» تثنية زبيبة وهما نقطتان سوداوان فوق عيني الحية والكلب، يخيل للرائي أنَّ لها أربعة أعين وإذا كانت كذلك كان عضها قتالاً.

(٣) آل عمران: ١٨٠.

(٤) تفسير العياشي: ج١ ص٢٠٨.

(٥) في المصدر: فهو كله يمينه ويساره لك.

حيث ما شاء الله تعالى فيكون ذلك كلّه له، ومثله عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه وفوقه وتحته.

فإن بخل بزكاته ولم يؤدَّها أُمر بالصّلاة فردَّت إليه، ولفّت كما يلفُّ الثوب الخلق، ثمَّ يضرب بها وجهه، ويقال له: يا عبد الله ما تصنع بهذا دون هذا[١]؟

عن أبي أيُّوب الأنصاريّ، عن رسول الله ﷺ: أيّما رجل له مال لم يعط حقّ الله منه إلاّ جعله الله على صاحبه يوم القيامة شجاعاً له زبيبتان ينهشه حتّى يقضي بين الناس فيقول: مالي ومالك؟

فيقول: أنا كنزك الّذي جمعت لهذا اليوم، قال: فيضع يده في فيه فيقضمها.

وروى أبو ذرّ قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ظلِّ الكعبة وهو يقول: هم الأخسرون وربِّ الكعبة، فقلت: من هم يا رسول الله؟

فقال: ما من صاحب إبل أو غنم لا يؤدِّي زكاته ألاّ جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها، وتطأه بأخفاقها، كلّما نفد عليه آخرها عاد إليه أوَّلها حتّى يقضى بين الناس[٢].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أسخى الناس من أدَّى زكاة ماله، وأبخل الناس من بخل بما افترض الله عليه[٣].

قال الصادق عليه السلام: من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة[٤].

وعن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: داووا مرضاكم بالصّدقة، وادفعوا أبواب البلاء بالدّعاء وحصّنوا أموالكم بالزكاة فإنّه ما يصاد ما تصيد من الطير إلاّ بتضييعهم التّسبيح[٥].

---

(١) تفسير الإمام: ٣٦.

(٢) أخرجه في المستدرك: ج١ ص٥٠٨، وفيه اختلال.

(٣) أمالي الصدوق: ١٣.

(٤) تفسير القمي: ٤٤٤.

(٥) قرب الأسناد: ٧٤.

وعن عليّ بن المعلّى قال: أُنبئت عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ لله بقاعاً تسمى المنتقمة فإذا أعطى الله عبداً مالاً لم يخرج حقّ الله عزّ وجلّ منه سلّط الله عليه بقعة من تلك البقاع فأتلف ذلك المال فيها ثمّ مات وتركها(١).

وعن إسماعيل بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: السّراق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحلُّ مهور النّساء، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه(٢).

وعن السّكونيّ، عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: تكلّم النّار يوم القيامة ثلاثة: أميراً، وقارئاً، وذا ثروة من المال.

فتقول للأمير: يا من وهب الله له سلطاناً فلم يعدل! فتزدرده كما يزدرد الطيّر حبَّ السّمسم.

وتقول للقاري: يا من تزيّن للنّاس وبارز الله بالمعاصي! فتزدرده.

وتقول للغني: يا من وهب الله له دنياً كثيرة واسعة فيضاً وسأله الحقير اليسير قرضاً فأبى إلاّ بخلاً فتزدرده(٣).

وعن الحارث بن دلهاث، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أُخرى:

أمر بالصّلاة والزّكاة، فمن صلّى ولم يزكِّ: لم تقبل منه صلاته.

وأمر بالشكر له وللوالدين: فمنِ لم يشكر والديه لم يشكر الله.

وأمر باتّقاء الله وصلة الرَّحم: فمن لم يصل رحمه لم يتّق الله(٤).

وعن عليّ بن حسان، عن عمّه عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فشت أربعة ظهرت أربعة:

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢.
(٢) الخصال: ج١ ص٧٤.
(٣) الخصال: ج١ ص٥٥.
(٤) الخصال: ج١ ص٧٠. وعيون الأخبار: ج١، ص٢٥٨.

١ ـ إذا فشا الزّنا: ظهرت الزلازل.

٢ ـ وإذا أُمسكت الزّكاة: هلكت الماشية.

٣ ـ وإذا جار الحكّام في القضاء: أمسك القطر من السّماء.

٤ ـ وإذا خفرت الذمّة: نصر المشركون على المسلمين.[1].

فيما أوصى به النبيّ ﷺ عليّاً عليه السلام: يا عليُّ كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: **القتّال، والسّاحر، والديّوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والسّاعي في الفتنة، وبايع السّلاح من أهل الحرب، ومانع الزّكاة، ومن وجد سعةً فمات ولم يحجَّ**[2].

وعن الرِّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أوّل من يدخل النّار أمير متسلّط لم يعدل، وذو ثروة من المال لم يعط المال حقّه، وفقير فخور[3].

قال رسول الله ﷺ: لا تزال أُمتّي بخير ما تحابّوا وتهادوا أو أدّوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وقروا الضيّف، وأقاموا الصّلاة، وآتوا الزكاة فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسّنين[4].

وعن ياسر، عن الرِّضا عليه السلام قال: إذا كذب الولاة حبس المطر وإذا جار السّلطان هانت الدولة، وإذا حبست الزّكاة ماتت المواشي.[5].

قال الصادق عليه السلام: ليس السخيُّ المبذّر الّذي ينفق ماله في غير حقّه ولكنّه الّذي يؤدّي إلى الله عزَّ وجلَّ ما فرض عليه في ماله من الزّكاة وغيرها والبخيل الّذي لا يؤدّي حقَّ الله عزَّ وجلَّ في ماله[6].

---

(١) الخصال: ج١ ص١١٥.
(٢) الخصال ج٢ ص٦١.
(٣) عيون الأخبار: ج٢ ص٢٨.
(٤) عيون الأخبار: ج٢ ص٢٩.
(٥) أمالي الطوسي: ج١ ص٧٧.
(٦) أمالي الطوسي: ج٢ ص٨٩.

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مانع الزَّكاة يجرُّ قُصبه في النّار، يعني أمعاءه في النار: ومثّل له ماله في النار في صورة شجاع أقرع له زبيبان أو زبيبتان يفرّ الإنسان منه، وهو يتبعه حتّى يقضمه كما يقضم الفجل ويقول: أنا مالك الّذي بخلت به[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: في كتاب عليّ عليه السلام: إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزّرع والثمار والمعادن كلّها[٢].

ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ رفعه قال: إذا منعت الزكاة ساءت حال الفقير والغني، قلت: هذا الفقير يسوء حاله لما منع من حقّه وكيف يسوء حال الغني؟

الغنيُّ المانع للزكاة يسوء حاله في الآخرة[٣].

وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما الشحيح من منع حق الله وأنفق في غير حقّ الله عزَّ وجلَّ[٤].

وعن خلف بن حماد، عن حريز قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلاّ حبسه الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بقاع قرر[٥] وسلّط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنّه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فيقضمها كما يقضم الفجل ثمَّ يصير طوقاً في عنقه وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٦] وما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلاّ حبسه الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بقاع قرقر تطأه كلُّ ذات ظلف بظلفها وتنهشه كلُّ

---

(١) أمالي الطوسي: ج٢ ص١٣٣.

(٢) علل الشرايع: ج٢ ص٢٧١ في حديث.

(٣) معاني الأخبار: ٢٦٠.

(٤) معاني الأخبار: ٢٤٦.

(٥) القرقر: القاع الأملس، وحاد يحيد: عدل عن الطريق فراراً وخوفاً، والقضم: كسر الشيء بأطراف الأسنا، والفجل معروف.

(٦) آل عمران: ١٨٠.

ذات ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلاّ طوّقه الله ربعة[١] أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة[٢].

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: دمان في الإسلام لا يقضي فيهما أحد بحكم الله عزَّ وجلَّ حتّى يقوم قائمنا: الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزَّكاة يضرب عنقه.

وذكر أنَّ في رواية أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: من منع الزكاة في حياته طلب الكرَّة بعد موته.

وقال عليه السلام: من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهوديّاً، وإن شاء نصرانيّاً[٣].

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الّذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الّذين أعطاهم الله عزَّ وجلَّ فمنعوا حقّ الله عزَّ وجلَّ في أموالهم[٤].

وعن داود، عن أخيه عبد الله قال: بعثني إنسان إلى أبي عبد الله عليه السلام زعم أنّه يفزع في منامه من امرأة تأتيه ـ قال: فصِحْتُ حتّى سمع الجيران ـ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أذهب فقل له: إنّك لا تؤدّي الزكاة، فقال: بلى والله إنّي لأؤدّيها، قال: فقل له: إن كنت تؤدِّيها فإنّك لا تؤدِّيها إلى أهلها.

وذكر أحمد بن أبي عبد الله أنَّ في رواية أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من منع الزَّكاة سأل الرّجعة عن الموت، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٥].

---

(١) الربعة ـ محركة ـ الدار وما حولها. وفي المصدر المطبوع «ربقة» وفي الوسائل «ربعة».
(٢) معاني الأخبار: ٣٣٥.
(٣) ثواب الأعمال: ٢١١.
(٤) ثواب الأعمال: ٢١٠.
(٥) ثواب الأعمال: ٢١١. والمحاسن: ٨٧.

وعن أيوب بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مانع الزكاة يطوّق بحيّة قرعاء تأكل من دماغه، وذلك قول الله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١].

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين النَّاس، فيرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النَّار».

فقيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع[٢] قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء[٣] وجلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها[٤] كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[٥].

وقال ﷺ: أول ثلاثة يدخلون النار: أمير متسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور[٦].

---

(١) أمالي الطوسي: ج٢ ص٣٠٤.

(٢) هو المستوي من الأرض الأملس.

(٣) العقصاء: الملتوية القرن، والجلحاء: التي لها قرن، والعضباء: المكسورة القرن.

(٤) الأظلاف للبقر والغنم: كالحافر للفرس.

(٥) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ والنسائي مختصراً.

(٦) رواه ابن خزيمة وابن حيان في صحيحيهما وفي حديث أبي هريرة (منذري).

عن إسحاق بن يعقوب فيما خرج إليه من الناحية المقدَّسة على يد محمّد بن عثمان العمريّ: وأمّا المتلبّسون بأموالنا، فمن استحلَّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النّيران، وأمّا الخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث[١].

محمّد بن جعفر الأسديّ فيما ورد عليه من الناحية المقدَّسة على يد محمّد بن عثمان: أمّا ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا، وما يجعل لنا ثمَّ يحتاج إليه صاحبه فكلُّ ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار، وكلّما سلّم فلا خيار لصاحبه فيه، احتاج أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغنى عنه.

وأما ما سألت عنه من أمر من يستحلُّ ما في يده من أموالنا ويتصرَّف فيه تصرَّفه في ماله من غير أمرنا، فمن فعل ذلك فهو ملعون، ونحن خصماؤه يوم القيامة، وقد قال النبيُّ ﷺ: المستحلُّ من عترتي ما حرَّم الله ملعون على لساني ولسان كلِّ نبيّ مجاب، فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه لقوله عزَّ وجلَّ ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: هلك الناس في بطونهم وفروجهم لأنّهم لا يؤدُّون إلينا حقّنا، ألا وإنَّ شيعتنا من ذلك وأبناءهم في حلّ[٣].

عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله ما أيسر ما يدخل به العبد النّار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم.

قال الصّدوق: معنى اليتيم، هو المنقطع القرين في هذا الموضع، فسمّي النبيُّ ﷺ بهذا المعنى يتيماً، وكذلك كلُّ إمام بعده يتيم بهذا المعنى، والآية في أكل أموال اليتامى ظلماً فيهم نزلت، وجرت من بعد ساير الأنام، والدُّرَّة اليتيمة إنّما سميّت يتيمة لأنّها منقطعة القرين[٤].

---

(١) الاحتجاج: ٢٦٤.

(٢) الاحتجاج: ٢٦٧، والآية في سورة هود: ١٨.

(٣) علل الشرايع ج٢ ص٦٥.

(٤) أكمال الدين ج٢ ص٢٠٠.

أحمد بن إبراهيم بن عباد، بإسناده إلى عبد الله بن بكير يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام [ويل للمطففين]: المطفّفين الناقصين لخمسك يا محمّد ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ أي إذا صاروا إلى حقوقهم من الغنائم يستوفون ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾[1] أي إذا سألوهم خمس آل محمّد نقصوهم وقال: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ بوصيّك يا محمّد[2].

عن أحمد بن إبراهيم بن عباد، بإسناده إلى عبد الله بن بكير رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ يعني لخمسك ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ أي إذا ساروا إلى حقوقهم من الغنائم يستوفون ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾ أي إذا سألوهم خمس آل محمّد نقصوهم[3].

امتحان الأموال

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم إنما في غد ثبورهم ما نفعهم ما جمعوا، إذا جاء محذورهم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، أخذ المال إلى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة[4] ليحمى ليقوى العذاب، فصفح صفائح كي يعم الكي الإهاب، ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب، يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم، ثم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، إذا لقيهم الفقير لقي الأذى، فإن طلب منهم شيئاً طار منهم لهب الغضب الجذا[5]، فإن لطفوا به قالوا أعنتكم ذا، وسؤال هذا لذا، ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعور ذا، ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا، وفقر ذا، واعجبا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم.

---

(١) المطفّفين: ٣

(٢) كنز الفوائد: ٣٧٣.

(٣) راجع كنز جامع الفوائد ص٤١٩ و٣٧٣.

(٤) البودقة أو البوتقة: ما يصهر فيه الفلذات كالحديد والذهب والفضة.

(٥) الجذوة: الجمرة الملتهبة بضن الجيم وتفتح، جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضاً فتكسر في الجمع مثل جذبه وجذى (المصباح).

يوم يحمى عليها نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، سيأخذها الوارث منهم من غير تعب، ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب، إلا أن الشوك له وللوارث الرطب، أين حرص الجامعين، أين عقولهم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. لو رأيتهم في طبقات النار، يتقلّبون على جمرات الدرهم والدينار، وقد غلت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع الأيسار لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم، وقد ضج صبورهم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع، كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع، فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع، فما هي عصى موسى ولا طورهم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

ادفعوا الزكاة

روي عن محمد بن يوسف الفريابي قال: خرجت أنا وجماعة من أصحابي في زيارة أبي سنان رحمه الله، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال: قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية.

فقلنا: أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه! قال: بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب.

فقلنا له: هل أطلعك الله على الغيب؟

قال: لا، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره، إذ صوت من قبره يقول: آه أقعدوني وحيداً أقاسي العذاب، قد كنت أصلي، قد كنت أصوم.

قال: فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله، وإذا القبر يشتعل عليه ناراً وفي عنقه طوق من نار، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته

فاحترقت أصابعي ويدي، ثم أخرج إلينا يده فإذا هي سوداء محترقة. قال: فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟

فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟

قال: كان لا يؤدي الزكاة من ماله، قال فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾[1].

وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة. قال: ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل، وقلنا له: يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك! فقال: أولئك لا شك أنهم في النار. وإنما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا. قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ﴾[2].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم[4].

وعن رسول الله ﷺ، أنّه لعن مانع الزكاة، وآكل الربا.[5].

الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره: عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: «عرض عليّ أعمال أهل الجنة والنار ـ إلى أن قال ـ وجدت أوّل من يدخل النار ثلاثة: أمير متسلط لم يعدل، وصاحب مال لا يعطي زكاة ماله، وفقير متكبّر»[6].

القطب الراوندي في فقه القرآن: عن النبي ﷺ، أنّه قال: «ما من صاحب

(١) آل عمران: ١٨٠.
(٢) الأنعام: ١٠٤.
(٣) فصلت: ٤٦.
(٤) الكبائر: ص٣٤ ـ ٣٥.
(٥) دعائم الإسلام ج١ ص٢٤٨.
(٦) تفسير أبي الفتوح الرازي.

كنز لا يؤدّي زكاة كنزه، إلاّ جيء بكنزه يوم القيامة فيحمى به جنبه وجبينه، لعبوسه وازوراره، وجعل السائل والساعي وراء ظهره»[١].

وعن أبي بصير، قال: سمعته عليه السلام يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ من زعم أنّ الخمر حرام ثمّ شربها، ومن زعم أنّ الزنى حرام ثمّ زنا، ومن زعم أن الزكاة حق ولم يؤدّها[٢].

شراء الأحرار بالمعروف

روي أنَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين إنَّ لي إليك حاجة فقال: اكتُبها في الأرض؛ فإنِّي أرى الضرَّ فيك بيِّناً، فكتب على الأرض: أنا فقيرٌ محتاجٌ فقال عليه السلام: يا قنبر، اكسُهُ حُلَّتين، فانشأ الرجل يقول:

(البحر البسيط التام)

كَسَوتَني حُلَّةً تُبلىٰ محاسنُها ... فسوف أكسوك من حُسن الثنا حُللا

إن نلتَ حسن ثنائي نِلتَ مَكْرُمةً ... ولست تبغي بما قد نِلته بدلاً

إنَّ الثناء ليُحيي ذكرَ صاحبهِ ... كالغَيْثِ يُحيي نداهُ[٣] السهلَ والجبلا

لا تزهد الدّهرَ في عُرفٍ[٤] بدأتَ بهِ ... فكلُّ عبدٍ سيُجزى بالذي فعلا

فقال عليٌّ عليه السلام: أعطوه مائة دينار. فقيل له: يا أمير المؤمنين، قد أغنيته! فقال عليه السلام: إنِّي سَمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنزلوا النَّاسَ منازلَهم» ثمَّ قال عليه السلام: إنِّي لأعجبُ من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم[٥].

---

(١) فقه القرآن ج١ ص٢٤١.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص٢٨١ ح٢٨٨، النساء ٤: ١٣٧.
(٣) في المخطوط: «يداه» بدل «نداه».
(٤) العُرف: المعروف.
(٥) أمالي الصدوق: ٣٤٨/ ٤٢٠ عن أحمد بن أبي المِقْدام العِجلي، البحار: ٧٤/ ٤٠٧/ ٢.

بما صنعتِ صرف عنك هذا

قال الصَّادق ﷺ: إنَّ عيسى روح الله ﷺ مرَّ بقوم محلّين [مجلبين] فقال: ما لهؤلاء؟ فقيل: يا روح الله، إنَّ فلانةَ بنت فلان تُهدى إلى فلان بن فلان في ليلتها هذه. قال: يحلبون [يُجلِبون] اليوم ويبكون غداً! فقال قائل منهم: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنَّ صاحبتهم[1] ميِّتةٌ في ليلتها هذه، فقال القائلون بمقالته: صدَقَ اللَّهُ وصَدَق رسولُه، وقال أهل النفاق: ما أقربَ غداً!

فلمَّا أصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها لم يحدُث بها شيء، فقالوا: يا روح الله! إنَّ الَّذي أخبرتنا به أمس أنَّها ميِّتةٌ لم تمتْ، فقال عيسى ﷺ: يفعل اللَّهُ ما يشاء، فاذهبوا بنا إليها، فذهبوا يتسابقون حتَّى قَرَعوا البابَ فخرج زوجُها، فقال عيسى ﷺ: استأذِن لي صاحبتَك.

قال: فدخل عليها فأخبرها أنَّ روح الله وكلمتَه بالباب مع عدَّة.

قال: فتخدَّرتْ، فدخل عليها، فقال لها: ما صنعتِ ليلتك هذه. قالت: لم أصنع شيئاً إلاَّ ما قد كنتُ أصنعه فيما مضى، إنَّه كان يعبر بنا سائل في كلّ ليلة جمعة فنُنيله[2] ما يقوته إلى مثلها فإنَّه جاءني في ليلتي هذه، وأنا مشغولةٌ بأمري وأهلي في مشاغيل، فهتَفَ فلم يُجِبه أحدٌ، ثمَّ هَتَف فلم يُجِبه، فلمَّا سمعت مقالته قُمتُ متنكِّرةً حتَّى أنَلْتُه كما كنَّا[3] نُنيله، فقال لها: تنحِّي عن مجلسك، وإذا تحتَ ثيابها أفعى مثل جَذَعة عاضٌّ على ذنبه.

فقال ﷺ: بما صنعتِ[4] صُرِف عنك هذا[5].

---

(١) في المخطوط: «صاحبهم» بدل «صاحبتهم».

(٢) زاد في المطبوع: «إلى».

(٣) في المخطوط: «كان» بدل «كنَّا».

(٤) ليس في المخطوط: «صنعت».

(٥) أمالي الصدوق: ٥٩٠/٨١٦ عن أبي بصير، البحار: ١٤/٢٤٣/٢٢. روضة الواعظين ج٢ ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، ح٢٠.

الزكاة تحمي

يروي الحاج مراد خان حسن شاهي الأرسنجاني أنَّه في السنة التي أصيبت بها أكثر نواحي مقاطعة «فارس» بآفة الجراد أرسل إلى «قوام الملك» ينبئه أنَّ الجراد أتى على مزارعه في نواحي «فسا» بأكملها.

قال «قوام»: يجب أن أرى ذلك بنفسي.

فانطلقنا برفقته، والمرحوم بنان الملك، وعدد آخر من الأشخاص من (شيراز)، ولما وصلنا إلى مزارع «قوام» وجدناها وقد صارت كلها طعمة للجراد، ولم يسلم منها شيء على الإطلاق.

وهكذا رحنا نتمشى في المزرعة ونتفقد الأضرار، حتى وصلنا إلى قطعة أرض كانت تقع تقريباً في وسطها، فوجدنا زرعها سالماً، لم يمسسه سوء، في الوقت الذي قضي تماماً على محصول القطع الأُخرى التي تحيط بها من الجهات الأربع.

فسأل «قوام»: من الذي بذر هذه القطعة؟ ثم لمن هي؟

قيل له: بذرها فلان وهو يعمل رقاعاً في سوق «فسا».

قال: أريد أن أراه.

فقالوا لي: اذهب وآت به.

فذهبت إليه وقلت له:

إنَّ السيِّد «قوام» يدعوك إليه.

قال: أنا لا شأن لي بالسيِّد قوام، وإن كان له شأن معي فليأت إلى هنا.

وبعد إلحاح والتماس ورجاء قبل الرجل وأتى معنا إلى «قوام».

سأل «قوام» أأنت من بذر قطعة الأرض الفلانية؟ وهل بذرها منك أنت؟

قال الرجل: أجل.

فسأله «قوام»: ما الذي جرى حتى أتى الجراد على كل المحاصيل إلاَّ محصولك أنت؟

قال: أنا لم آكل ملك أحد حتى يأكل الجراد ملكي، ثانياً أنا أخرج زكاة محصولي وهو بعد على البيدر وأعطيها مستحقيها ثم أحمل ما يبقى إلى بيتي، فامتدحه «قوام» الملك وعجب لحاله أشد العجب.

موعظة للغافلين

تحذير وترغيب:

حُقَّ على كُلِّ ذي علم وَحتم، على كلّ ذي حزم، محاسبة النَّفس اللَّوَّامَة، وتنبيه الرّوُح النَّوَّامَة، فإنَّ النَّفس بالطَّبع متمرِّدة عَن الطَّاعات، مستصعَبة على العبادات، فكن لها مِنَ الواعظين، وذكرٌ فإنَّ الذِّكرىٰ تنفع المؤمنين.

وقل لها: **يا نفسُ**: احزمي أمرك فما لك بضاعة إلاَّ عمرك فلا تفنيهِ في مآربكِ وَلذَّاتك ومَطالبكِ، لأنَّه إذا فِنيَ رأسُ المال حصلت الخسارة ووقع اليَأسُ عن التّجارة.

يا نفسُ: وهذا يوم جَديدٌ وهو عليك شهيد، فاعملي فيه لله بطاعته، وإيَّاك إيَّاك من إضاعته، فإنَّ كلّ نفس من الأنفاس وحاسَّة من الحواسِ، جوهرة عظيمة ليس لها قيمة.

أُولى الذَّخائر في الحمايَة والرِّعايَة والحَراسَة.

عُمر الفتى فهُوَ النِّهاية في الجلالة والنَّفاسةِ، وحَذارِ من تضييعه إن كنت من أهل الكياسة، واعلمي يا نفسُ إنَّ اليَوم واللَّيلة أربع وعشرون ساعة فاشتغلي فيها بالطَّاعَة.

الاستخفاف بالحج

في صحيحة ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله عليه السلام: «من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً»[١].

وعن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل له مال ولم يحج قط.

قال عليه السلام: هو ممّن قال فيهم الله تعالى: ﴿...وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قال: قلت: سبحان الله أعمى!

قال عليه السلام: إن الله أعماه عن طريق الحق[٢].

وعن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام، عن قول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

فقال عليه السلام: نزل فيمن سوّف الحج حجة الإسلام وعنده ما يحج به فقال: العام أحج العام أحج حتى يموت قبل أن يحج[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما من عبد يؤثر على الحج حاجة من حوائج الدنيا إلاّ نظر إلى المحلقين قد انصرفوا قبل أن تقضى له تلك الحاجة»[٤].

---

(١) الذُّنوب الكبيرة: ج١، ص١٩٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢، باب١٧٠، ص٢٧٣، ح١.
الكافي: ج٤، باب من سوّف الحج، ص٢٦٩، ح٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٢، باب١٧٠، ص٢٧٣، ح١.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢، باب١٤٧، ص٢٦٠، ص٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لو ترك الناس الحج لما نوظروا العذاب» أو قال عليه السلام: «أنزل عليهم العذاب»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه عن الحج فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخر له في الآخرة»[٢].

عن المشمعلّ الأسدي قال: خرجت ذات سنة حاجاً فانصرفت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقال: من أين بك يا مشمعلّ؟

فقلت: جعلت فداك كنت حاجاً.

فقال: أو تدري ما للحاجِّ من الثواب؟

فقلت: ما أدري حتّى تعلمني.

فقال: إنَّ العبد إذا طاف بهذا البيت أُسبوعاً وصلّى ركعتيه وسعى بين الصفا والمروة كتب الله له ستة آلاف حسنة وحطّ عنه ستة آلاف سيّئة، ورفع له ستّة آلاف درجة، وقضى له ستة آلاف حاجة: للدُّنيا كذا وادَّخر له للآخرة كذا.

فقلت له: جعلت فداك إنَّ هذا لكثير.

فقال: أفلا أُخبرك بما هو أكثر من ذلك؟

قال: قلت: بلى.

فقال عليه السلام: لقضاء حاجة امرىء مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة حتّى عدّ عشر حجج[٣].

وفيما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام: يا عليّ كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: **القتّال، والساحر، والدّيوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح**

(١) الكافي: ج٤، باب لو ترك الناس الحج... ص٢٧١، ح١.
(٢) الوافي: ج١٢، باب: ١٧، ص٢٦١، ح٤١.
(٣) أمالي الصدوق ص٤٩٣ طبع الإسلامية.

البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والساعي في الفتنة، وبايع السلاح من أهل الحرب، ومانع الزَّكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحجّ[١].

عن عبد الله بن جندب، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان الرجل من شأنه الحجّ في كلّ سنة ثمَّ تخلف سنة فلم يخرج، قالت الملائكة الّذين هم على الأرض للذين هم على الجبال: لقد فقدنا صوت فلان.

فيقولون: اطلبوه فيطلبوه فلا يصيبونه.

فيقولون: اللّهمَّ إن كان حبسه دين فأدّه عنه، أو مرض فاشفه، أو فقر فأغنه، أو حبس ففرّج عنه، أو فُعِل به فافعل بهم، والنّاس يدعون لأنفسهم وهم يدعون لمن تخلف[٢].

وعن الحسين بن خالد قال: كتبت لأبي الحسن عليه السلام: كيف صار الحاج لا يكتب عليه ذنب أربعة أشهر من يوم يحلق رأسه؟

فقال: إنَّ الله أباح للمشركين الحرم أربعة أشهر إذ يقول: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فأباح للمؤمنين إذا زاروه حلاً من الذنوب أربعة أشهر وكانوا أحقّ بذلك من المشركين[٣].

ومن فقه الرِّضا عليه السلام: اعلم يرحمك الله أنَّ الحجَّ فريضة من فرائض الله جلَّ وعزَّ اللازمة الواجبة من استطاع إليه سبيلاً، وقد وجب في طول العمر مرّة واحدة، ووعد عليها من الثواب الجنة والعفو من الذنوب، وسمّى تاركه كافراً، وتوعّد على تاركه بالنار فنعوذ بالله من النار[٤].

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحجّ والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى خبث الحديد[٥].

---

(١) الخصال ج٢ ص٢١٧.
(٢) المحاسن ص٧١.
(٣) المحاسن ص٣٣٥ والآية في سورة التوبة: ٣٦.
(٤) فقه الرضا عليه السلام ص٢٦.
(٥) الصدوق في الفقيه ج٢ ص١٤٣.

وبإسناد المجاشعي، عن الصّادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال: أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتركوا حجّ بيت ربكم لا يخلو منكم ما بقيتم فإنّكم إن تركتموه لم تنظروا، وإنّ أدنى ما يرجع به من أتاه أن يغفر له ما سلف(١).

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو عطّل الناس الحجَّ لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحجّ إن شاؤوا وإن أبوا لأنّ هذا البيت إنّما وضع للحجّ(٢).

وعن سيف التمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يقول: الحجّ أفضل من الصّلاة والصيام إنّما المصلّي يشتغل عن أهله ساعة، وإنّ الصّائم يشتغل عن أهله بياض يوم، وإنّ الحاجّ يتعب بدنه، ويضجر نفسه، وينفق ماله، ويطيل عن أهله، لا في مال يرجوه ولا إلى تجارة، وكان أبي يقول: وما أفضل من رجل يجيء يقود بأهله والناس وقوف بعرفات يميناً وشمالاً يأتي بهم الفجّ فيسأل بهم الله تعالى(٣).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أما أنَّ الناس لو تركوا حجّ هذا البيت لنزل بهم العذاب وما نوظروا(٤).

وعن الصادق، عن أبيه عليهما السلام قال: كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتركوا حجّ بيت ربّكم فتهلكوا، وقال: من ترك الحجّ لحاجة من حوائج الدُّنيا لم تقضَ حتّى ينظر إلى المحلّقين(٥).

وعن ذريح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق الحجّ من أجله، أو سلطان يمنعه، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً(٦).

---

(١) أمالي الطوسي ج٢ ص١٣٦.
(٢) علل الشرائع ص٣٩٦.
(٣) علل الشرائع: ص٤٥٦ والفج: الطريق الواسع بين جبلين، وفي مطبوعة النجف (الحج) بدل (الفج).
(٤) البحار: ج٩٦، ص١٩.
(٥) ثواب الأعمال ص٢١٢.
(٦) ثواب الأعمال ص٢١٢.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليغفر للحاجّ، ولأهل بيت الحاجِّ، ولعشيرة الحاجّ ولمن يستغفر له الحاجّ بقيّة ذي الحجة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشر من ربيع الآخر[١].

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه سئل عن الرِّجل يسوِّف الحجّ لا تمنعه إلاّ تجارة تشغله أو دين له قال: لا عذر له، ليس ينبغي له أن يسوِّف الحجّ، وإن مات فقد ترك شريعة من شرائع الإسلام[٢].

وعنه عليه السلام أنه قال: من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام ولم تمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق الحجّ أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً[٣].

وعنه عليه السلام أنه سئل عن رجل له مال لم يحجَّ حتّى مات قال: هذا ممّن قال الله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قيل: أعمى؟

قال: نعم، أعمى عن طريق الخير[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا تركت أمّتي هذا البيت أن تؤمّه لم تناظر[٥].

موعظة للغافلين

يا نفس: اتّقي العذاب:

وما قولك يا نفس في مريض غمره الانتقام أشير عَليه بترك الماء البارد ثلاثة أيّام، ليصحّ ويتهنّأ بشربه مَدى الشُّهور والأعوام، فما مقتضى العَقل في افتعال أمر

(١) ثواب الأعمال ص٤٢.
(٢) دعائم الإسلام ج١ ص٢٨٨.
(٣) المصدر السابق ج١ ص٢٨٩.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر السابق ج١ ص٢٨٩.

الصَّبوَة، وقضاء حقّ الشَّهوةِ، أبصبر ثلاثة أيَّام، ليتنعَّم طول عمره، أم يقضي في الحال شهوة وطره، وليت شعري أألم الصَّبر عن الشَّهوات، وكظم الغيظ عن العُقوبات أعظم شدَّة، وأطول مُدَّة، أم ألم النَّار إذ عصيت الجبَّار تفي جسمك بالحمية، وفيه مخافة البارد والحارّ، قد كان أولى بك أن تحتمي من المعاصي حَذر النَّار، فمن لا يُطيق الصَّبر عن قضاء الوَطر، كيف يصبر يوم العَرض على حرّ سقر، وما أراكِ تتوانين عن النَّظر لنفسك، والتَّمهيد لرمسك، إلاَّ لكفر خفيّ أو لحمق جَليّ.

أمَّا الكفر الخفيّ فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب، وقلَّة مَعرفتك بعظيم قدر الثَّواب وَالعِقاب، وأمَّا الحُمق الجَليّ فاعتمادك عَلى عفوه تعالى، وسَتره من غير التفات إلى مُعاجلته ومكره.

يا نفسُ: فلا تضيِّعي أوقاتك، ولا تأْسي عَلى ما فاتك.

(البحر الطويل)

إذا أبقت الدُّنيا عَلى المرء دينه ... فما فاته مِنها فليس بضائر

فأنفاسُكِ معدودَة، وأوقاتك محدودَة، فإذا مضى منك نَفَس، فقد ذهَب بعضكِ، ومارت سماؤك، ورحبت أرضك، فاغتنمي صَحَّتكِ قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك، فإنَّ المرء صحَّة وشباب، فإذا وَلّيا عَن المرء وَلَّىٰ.

ويحك يا نفس: إنزعي عن مهلك، واقلعي عن فعلك، وانظري إلى الَّذين مضوا كيف بنوا وعلوا، ثمَّ ذهبوا وخلُّوا، وانظري إلى حمقهم كيف يجمعُون ما لا يأكلُون، ويبنون ما لا يسكنون، ويأمَلون ما لا يدركون، فهل في الدُّنيا أحمق ممَّن يعمِّر دُنياه، وهو مرتحل عنها يقيناً، ويخرِّب آخِرته وهو صائر إليها قطعاً رهيناً.

أما تستحيين يا نفس: من مُساعدة هؤلاء على حماقتهم، ومراودتهم على جهالتهم، وهب انَّك لست بخبيرة ولا ذات بصيرة، وإنَّما تميلين بطبع الصِباء إلى التَّشبيه في الاقتداء، فقيسي عقل الأنبياء والأبدال بعقل هؤلاء الأغمار[1] الجُهال.

---

(١) رجل غُمر بالضمّ وغُمر بضمَّتين لم يجرِّب الأُمور والجمع الأغمار.

فإن كنت يا نفس: تتركين الدُّنيا لعَمى بصيرتك، وخبث سَريرتك، فما لك لا تتركينها ترفُّعاً عَن خسَّة شركائها، وتنزُّهاً عَن كثرة عَنائها، وتوقّياً من سُرعة فنائها، مع إنَّ بلادك لا تخلو من جَماعة من اليَهود والمجُوس، يزيدونَ عَليْكِ في المأكول والملبوس، فأفٍّ لدُنيا يسبقكِ بها هؤلاء الأبذال الإخسَّاء الجُهَّال.

يا نفسُ: استعدي للآخِرة، عَلى قدر هول أرض السَّاهِرة.

يا نفسُ: ألا تستَعدِّين للشِّتاء بجمع عدّته، بقدر طول مُدَّته، فتجمعينَ له مِنَ الكسوة والأحطاب، وَجميع الأسباب، ولا تتكِّلين في ذلك بفضل الله وكرمه وجوده ونعمه، حتَّى يدفع عنك البرد وشدَّته، والقرَّ ورعدته، من غير جبَّة أو لباد، أو حَطب وزناد[1]، أو تظنّين أنَّ زمهرير جهنَّم وشدَّته، أخفُّ من زمهرير الشِّتاء ومُدَّته، هيهات كما لا يندفعُ برد الشِّتاء إلاَّ بالجُبَّة والنَّار، وسائر الآلات، فكذا لا يندفع حرّ النَّار وبردها إلاَّ بحصن التوحيد وخندق الطَّاعات.

---

(١) زند النَّار: قدحها وأخرجها من الزند ـ الزند العود إلاَّ على الَّذي يقتدح به النَّار. (المنجد).

ترك أحد الواجبات

من الذُّنوب التي عُدت من الكبائر صراحةً في الروايات ترك أحد الواجبات الإلٓهية، كما في صحيفة عبد العظيم (رض) عن الأئمة الجواد والرضا والكاظم والصادق عليهم السلام حيث يقول عليه السلام: أو شيئاً مما فرض الله، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من ترك الصلاة متعمداً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: أنه قال: «والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به قول الله عز وجل:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ...﴾ فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿...فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «ولا ينظر الله إلى عبده ولا يزكيه ولو ترك فريضة من فرائض الله أو ارتكب كبيرة من الكبائر، قلت: لا ينظر الله إليه.

قال عليه السلام نعم قد أشرك بالله، قلت أشرك؟

(١) الكافي: ج٢، باب وجوه الكفر، ص٣٩٠، ح١.

قال عليه السلام: نعم إن الله أمره بأمر وأمره إبليس بأمر فترك ما أمر الله عز وجل به وصار إلى ما أمر به إبليس فهذا من إبليس في الدرك السابع من النار»[(١)].

وقد ورد الكثير من الروايات في باب أهمية الواجبات من جملتها:

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «قال الله تعالى ليلة المعراج: وما يتقرب إليَّ عبد من عبادي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه»[(٢)].

وعنه صلى الله عليه وآله: «اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس».

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[(٣)].

في هذه الآية يؤكد الله تعالى وجوب التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقول تبارك وتعالى في مكان آخر من السورة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[(٤)].

ويقول تعالى في سورة المائدة في مقام التوبيخ: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾[(٥)].

ويقول تعالى في قصة أصحاب السبت:

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا

---

(١) وسائل الشيعة، مصدر سابق.

(٢) الكافي: ج٢، باب من آذى المسلمين واحتقرهم، ص٣٥٢، ح٨.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) آل عمران: ١١٠.

(٥) المائدة: ٦٣.

مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾[1].

يتضح من هذه الآيات بشكل جلي أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الذنوب التي جاء الوعيد بالعذاب عليها في القرآن الكريم، وتاركو النهي عن المنكر وفاعلوه متساوون في استحقاق العذاب لأنه إذا فعل أحد منكراً، وترك القادر نهيه عن كان تاركاً لأهم واجب إلٰهي وهو النهي عن المنكر وبهذا فسق، وقد نقل العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان روايات عديدة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآيات مطابقة لما ذكر.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2].

وفي هذه الآية تهديد شديد لتاركي النهي عن المنكر.

ومن الواجبات المهمة في التشريع الإسلامي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد جاء التأكيد عليهما بشكل بالغ في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة.

فمن القرآن الكريم يكفينا قوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]، حيث يدلُّ على أنَّ الأُمَّة الإسلامية خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس لخصال ثلاث اتَّسمت بها، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله سبحانه. ان جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في موازاة الإيمان بالله سبحانه والحكم على أُمَّة الإسلام بأنَّها خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس لا لشيء سوىٰ الخصال الثلاث المذكورة يدلُّ على مدىٰ أهمية ذلك.

(١) الأعراف: ١٦٣ ـ ١٦٦.
(٢) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.
(٣) آل عمران: ١١٠.

وممَّا يرشدنا إلى أهمية ذلك قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾[١]، فإنَّ استحقاق اللعن على ترك وظيفة النهي عن المنكر يدلُّ على مدى أهمية الوظيفة المذكورة.

هذا في الكتاب الكريم.

وأمَّا السُّنَّة الشريفة فالأحاديث التي يمكن الاستشهاد بها كثيرة، ويكفينا من بينها حديث محمد بن عرفة: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر أو ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم»[٢]، والحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا يزال النَّاس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السَّماء»[٣]، والحديث القائل: «إذا أُمَّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»[٤].

ثمَّ إنَّ الآيات الكريمة الواردة في الحثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على شكلين: بعضها صريح الورود في المجال المذكور كالآيتين الكريمتين السابقتين، وبعضها ليس بصريح في ذلك ولكنَّه يمكن عدُّه وارداً في المجال المذكور. ولعلَّ من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[٦]، فإنَّ الأول يدلُّ بوضوح على توجّه مسؤولية خاصَّة إلى ربِّ الأُسرة تجاه أفراد أُسرته بالمحافظة عليهم من

---

(١) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٩٤، الباب ١ من أبواب الأمر والنهي، الحديث ٤.
(٣) تهذيب الأحكام ٦: ١٨١، الرقم ٣٧٣.
(٤) وسائل الشيعة ١١: ٣٩٤، الباب ١ من أبواب الأمر والنهي، الحديث ٥.
(٥) التحريم: ٦.
(٦) العصر: ١ ـ ٣.

ارتكاب ما يستوجب عذاب جهنم، وتلك المحافظة لا يمكن أن تتحقق إلاَّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني يدلُّ على طلب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وعملية التواصي بذلك عبارة أُخرى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثمَّ إنَّ الآيات الكريمة المرتبطة بمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة إلاَّ أنَّ سردها جميعاً لا يُستفاد منه إلاَّ الحث على ذلك، فالمناسب الاكتفاء بالآيات التي تتضمن نكات خاصَّة.

ولعلَّ من أمثلة القسم الأول قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، فإنَّ دلالته هي الحث على الوظيفة المذكورة وأنَّ التحلِّي بها موجب لصيرورة الأُمَّة خير أُمَّة.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾[2]، وهو كما يدلُّ على الندب إلى الوظيفة المذكورة يدلُّ على أنَّ الأُمَّة المتحلية بذلك أُمَّة صالحة، فالأُمَّة الصالحة هي التي تمارس الوظيفة المذكورة.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3]. ودلالته هي الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان أنَّ ذلك نحو من أنحاء السلوك الذي كان يمارسه النبي ﷺ طول حياته المباركة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قال عليه السلام: «أما إنهم لم يكونوا يدخلون

---

(١) آل عمران: ١١٠.
(٢) آل عمرا: ١١٣ ـ ١١٤.
(٣) الأعراف: ١٥٧.

مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم»[١].

عن الإمام الرضا عليه السلام: «لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر، أو ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»[٣].

وقال عليه السلام: «إن الله عز وجل ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.

فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟

قال صلى الله عليه وآله: الذي لا ينهى عن المنكر»[٤].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام أني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم.

فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»[٥].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٦].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «فإن الله لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي»[٧].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، باب ٣٩، ص٥٠٩، ح٧.
(٢) وسائل الشيعة: ج١١، باب١، ص٣٩٤، ح٤.
(٣) وسائل الشيعة: ج١١، باب١، ص٣٩٤، ح٥.
(٤) وسائل الشيعة: ج١١، باب١، ص٣٩٧، ح١٣.
(٥) وسائل الشيعة: ج١١، باب٨، ص٤١٦، ح١.
(٦) وسائل الشيعة: ج١١، باب١، ص٣٩٣، ح١.
(٧) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، ص١١١.

عن أبي سعيد الزهري، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.[١]

وقال أبو جعفر عليه السلام: بئس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٢].

وعن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن الرِّضا عليه السلام يقول: لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر، أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم[٣].

وبالإسناد عن الرضا عليه السلام أنّه سمعه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أُمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيأذنوا بوقاع من الله[٤].

وعن محمّد بن مسلم قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى الشيعة: ليعطفنَّ ذوو السن منكم والنهي على ذوي الجهل وطلاب الرئاسة، أو لتصيبنّكم لعنتي أجمعين[٥].

وعن أبان بن عثمان، عن عبد الله بن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أخبرني ما أفضل الإسلام؟

قال: الإيمان بالله.

قال: ثمّ ماذا؟

قال: صلة الرحم.

قال: ثمّ ماذا؟

قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) الكافي ٥: ٥٦/٤، والتهذيب ٦: ١٧٦/٣٥٣.
(٢) الكافي ٥: ٥٧/٥.
(٣) الكافي ٥: ٥٦/٣، والتهذيب ٦: ١٧٦/٣٥٢.
(٤) الكافي ٥: ٥٩/١٣.
(٥) الكافي ٨: ١٥٨/١٥٢.

قال: فقال الرجل: فأخبرني أيّ الأعمال أبغض إلى الله؟

قال: الشرك بالله.

قال: ثمّ ماذا؟

قال: ثمّ قطيعة الرحم.

قال: ثمّ ماذا؟.

قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف[١].

وعن مسعده بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟

فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟

فقال: نعم وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟

فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟

قال: نعم وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً[٢]؟!

قال النبي ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.

فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟

قال: الذي لا ينهى عن المنكر[٣].

محمّد بن الحسن الطوسي قال: روي عن النبي ﷺ أنّه قال: لا تزال أُمّتي بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم

---

(١) الكافي ٥: ٥٨/٩، والتهذيب ٦: ١٧٦/٣٥٥.

(٢) الكافي ٥: ٥٩/١٤. التهذيب ٦: ١٧٧/٣٥٩. قرب الإسناد: ٢٦.

(٣) الكافي ٥: ٥٩/١٥.

يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء[١].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: إنّ التارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لا محالة ـ إلى أن قال: ـ فكذلك لا تحدّثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا، ولا تمنعوها أهلها فتأثموا، وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوي إن رأى موضعاً لدوائه وإلاّ أمسك.[٢].

وعن أبي عصمة قاضي مرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم ينبع فيهم قوم مراؤون ينفرون وينسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف، ولا نهياً عن منكر إلاّ إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير ـ إلى أن قال: ـ هنالك يتمّ غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه.[٣].

الحسن بن علي بن شعبة في (تحف العقول)، عن الحسين عليه السلام قال: ويروى عن عليّ عليه السلام اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾[٤] وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ـ **إلى قوله** ـ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٥] وإنّما عاب الله ذلك عليهم لأنّهم كانوا يرون من الظلمة المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبةً فيما كانوا ينالون منهم، ورهبةً ممّا يحذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[٦] وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٧] فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت استقامت الفرائض كلّها هيّنها وصعبها، وذلك أنّ الأمر

(١) التهذيب ٦: ١٨١/ ٣٧٣. المقنعة: ١٢٩.
(٢) الكافي ٨: ٣٤٥/ ٥٤٥.
(٣) الكافي ٥: ٥٥/ ١. التهذيب ٦: ١٨٠/ ٣٧٢.
(٤) المائدة ٥: ٦٣.
(٥) المائدة ٥: ٧٨، ٧٩.
(٦) المائدة ٥: ٤٤.
(٧) التوبة ٩: ٧١.

بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها[١].

وفي (العلل) و (التوحيد) و (عيون الأخبار) بهذا الإسناد عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: لأي علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لا ذنب؟

فقال: ما كان فيهم الأطفال لأن الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السلام فأُغرقوا بتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام وسائرهم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شاهده وأتاه[٢].

وعن علي عليه السلام قال: العامل بالظلم والراضي به والمعين عليه شركاء ثلاثة[٣].

وعن محمّد بن أبي عمير رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الساعي قاتل ثلاثة: قاتل نفسه، وقاتل من سعى به، وقاتل من سعى إليه[٤].

وعن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو أنّ أهل السماوات والأرض لم يحبّوا أن يكونوا شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله لكانوا من أهل النار[٥].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[٦] قال: إنّ الله بعث إلى بني إسرائيل نبيّاً يقال له: أرميا ـ إلى أن قال: ـ فأوحى الله إليه أن قل لهم إنّ البيت بيت المقدس، والغرس

---

(١) تحف العقول: ٢٣٧.
(٢) علل الشرائع: ١/٣٠، والتوحيد: ٢/٣٩٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢/٧٥.
(٣) الخصال: ٧٢/١٠٧.
(٤) الخصال: ٧٣/١٠٧.
(٥) المحاسن: ٣٢٤/٢٦٢.
(٦) البقرة ٢: ٢٥٩.

بنو إسرائيل، عملوا بالمعاصي فلأسلّطنّ عليهم في بلدهم من يسفك دماءهم ويأخذ أموالهم، فإن بكوا إليّ لم أرحم بكاءهم وإن دعوني لم أستجب دعاءهم ثمّ لأخربنّها مائة عام، ثمّ لأعمرنّها، فلمّا حدّثهم اجتمع العلماء فقالوا: يا رسول الله ما ذنبنا نحن ولم نكن نعمل بعملهم؟ فعاود لنا ربّك ـ إلى أن قال: ـ ثمّ أوحى الله قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فسلّط الله عليهم بخت نصّر فصنع بهم ما قد بلغك... الحديث[١].

وعن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبد إذاعة فأمشوا إليه فردوه عنها، فإن قبلوا منكم وإلاّ فتحملوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه، فإنّ الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حتّى تقضى فالطفوا في حاجتي كما تلطفون في حوائجكم، فإن هو قبل منكم وإلاّ فادفنوا كلامه تحت أقدامكم[٢]...

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: أوحى الله إلى شعيب النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستّين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[٣].

وقال الإمام علي عليه السلام ـ في خطبة له: فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به[٤].

قال صلى الله عليه وآله: رأيت ليلة أسري بي إلى السماء قوماً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، ثمّ ترمى فقلت، يا جبرئيل من هؤلاء؟

---

(١) تفسير العياشي ١: ٤٦٦/١٤٠.
(٢) الكافي ٢: ٥/١٦.
(٣) الكافي ٥: ١/٥٥، والتهذيب ٦: ٣٧٢/١٨٠.
(٤) نهج البلاغة ٢: ١٢٥/١٧.

فقال: خطباء أُمتك، يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون[١].

وعن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ ـ في وصيته له ـ قال: يا أبا ذر يطلع قوم من أهل الجنّة إلى قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وإنّما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم وتأديبكم؟

فيقولون: إنّا كنّا نأمركم بالخير ولا نفعله[٢].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده وذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه وبيده فذلك ميت الأحياء، إلى أن قال عليه السلام: وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة، والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد.

فقال رسول الله ﷺ: لكل ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله»[٥].

---

(١) إرشاد القلوب: ١٦.
(٢) أمالي الطوسي ٢: ١٤٠.
(٣) وسائل الشيعة: ج١١، باب٣، ص٤٠٦، ح٩.
(٤) الكافي: ج٢، باب دعائم الإسلام، ص١٨، ح١.
(٥) الكافي: ج٢، باب الحب في الله والبغض في الله، ص١٢٥، ح٦.

وفي ما كتب الإمام الرضا عليه السلام خلال بيان شرائع الإسلام قال عليه السلام: «والبراءة ممن ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وهموا بإخراجهم وسنّوا ظلمهم وغيّروا سنّة نبيهم صلى الله عليه وآله، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين الذين هتكوا حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ونكثوا بيعة إمامهم وأخرجوا المرأة وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام . . .

والولاية لأمير المؤمنين والذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله ولم يغيروا ولم يبدلوا، مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم رضي الله عنهم»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من سره أن يلقى الله وهو مؤمن فليتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا وليبرأ إلى الله من عدوهم»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين ألاّ الحب والبغض».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الصدود لأوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذي آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم إلى جهنم»[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المعراج قال الله تعالى: يا محمد صلى الله عليه وآله من أذل لي ولياً فقد أرصدني بالمحاربة ومن حاربني حاربته قلت: يا رب ومن وليك هذا فقد علمت أن من حاربك حاربته؟

قال تعالى لي: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية»[4].

---

(١) الكافي ج٢، ص١٢٥، ح٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٤٦.

(٣) الكافي: ج٢، باب من أذى المسلمين واحتقرهم، ص٣٥١، ح٢.

(٤) الذُنوب الكبيرة: ح١، ص٢١٤.

الاستخفاف بالدين والتهاون بأمر الله

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾[1].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[2].

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[3].

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[4].

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾[5].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾[6].

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إلى قوله

---

(١) الكهف: ٥٦.
(٢) طه: ١١٥.
(٣) الروم: ١٠.
(٤) الصافات: ١٢ ـ ١٥.
(٥) ص: ٦٢ ـ ٦٣.
(٦) الزخرف: ٤٧.
(٧) الجاثية: ٩.

تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[١].

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[٢].

عن ابن عميرة، عن الصادق عليه السلام قال: إنَّ لولد الزنى علامات:

أحدها: بغضنا أهل البيت.

وثانيها: أنّه يحنُّ إلى الحرام الّذي خلق منه.

وثالثها: الاستخفاف بالدين.

ورابعها: سوء المحضر للناس، ولا يسيء محضر أخوانه إلاّ من ولد على غير فراش أبيه أو حملت به أُمّه في حيضها[٣].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّي أخاف عليكم استخفافاً بالدين وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، وأن تتّخذوا القرآن مزامير، تقدِّمون أحدكم وليس بأفضلكم في الدين[٤].

وعن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إيّاكم والغفلة، فإنّه من غفل فإنّما يغفل عن نفسه، وإيّاكم والتهاون بأمر الله عزَّ وجلَّ، فإنّه من تهاون بأمر الله أهانه الله يوم القيامة[٥].

وعن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله ليبغض المؤمن الضعيف الّذي لا دين له[٦].

---

(١) الجاثية: ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) النجم: ٥٩ ـ ٦١.

(٣) الخصال ج١ ص١٠٢.

(٤) عيون الأخبار ج٢ ص٤٢.

(٥) ثواب الأعمال ص١٨٤.

(٦) البحار: ج٦٩، ص٢٢٨، ح٤.

الاضرار في الوصية
(أي الحيف فيها)

قال الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾[1].

أي غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه. وقال الله تعالى:

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾[2].

وقال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في شأن المواريث ﴿...يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3] قال مجاهد، فيما فرض الله من المواريث.

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار»[4].

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة»[5].

---

(١) النساء: ١١.

(٢) النساء: ١٢.

(٣) النساء: ١٤.

(٤) رواه الترمذي كما في كتاب الكبائر: ص٢٤٥.

(٥) رواه ابن ماجة عن كتاب الكبائر: ص٢٤٦.

هارون، عن ابن صدقة، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام يرفعه قال: الحيف في الوصيّة من الكبائر، يعني الظلم فيها[١].

وعن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال: من عدل في وصيته كان بمنزلة من تصدّق بها في حياته، ومن جار في وصيته لقي الله يوم القيامة وهو عنه معرض[٢].

بهذا الإسناد قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه إنَّ رجلاً من الأنصار توفّي وله صبية صغار وليس له مبيت ليلة تركهم يتكفّفون الناس وقد كان له ستّة من الرقيق ليس له غيرهم وأنّه أعتقهم عند موته، فقال لقومه: ما صنعتم به؟

قالوا: دفنّاه.

فقال: أما إنّي لو علمته ما تركتكم تدفنونه مع أهل الإسلام ترك ولده صغاراً يتكفّفون الناس[٣]؟!.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ عليهم السلام قال: السّكر من الكبائر والحيف في الوصيّة من الكبائر[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: إنَّ الرَّجل ليعمل بعمل أهل الجنّة سبعين سنة فيحيف في وصيّته فيختم له بعمل أهل النّار، وإنَّ الرَّجل ليعمل بعمل أهل النّار سبعين سنة فيعدل في وصيّته فيختم له بعمل أهل الجنّة ثمَّ قرأ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ وقال: تلك حدود الله[٥].

موعظة للغافلين

في قبح فرح النَّفس بمدح المادحين:

يا نفسُ: إذا أُثنيَ عليكِ بالصَّلاح والوَرعِ، وعدم الرِّياء والطَّمعِ، وأنت

(١) قرب الأسناد ص٣٠.

(٢) قرب الأسناد ص٣٠.

(٣) قرب الأسناد ص٣١.

(٤) تفسير العياشي ج١ ص٢٣٨.

(٥) البحار: ج١٠٠، ص٢٠٠.

تعلمين خبث سريرتك، وعظم جريرتكِ، كانَ ذلك من غاية جهالتِكِ، ونهاية سفاهتك، وكنت كمن يهزأ بإنسان، ويقول يا فلان، ما أكثر العَطْرُ الَّذي في أحْشائك وما أطيب الرَّوائح الأرجة الَّتي تفوحُ من أمعائكِ، وذلك إذا قضى من الغايط حاجته، ومن البول أمنيَّته، وهو يعلم ما اشتمل عليه قلبه مِنَ الشَّرّ والفتنة، واحتوت عليه أمعاه من الأقذار والنَّتنة، لا يقبل الله إلاَّ كل صالحة وكلّ من حجَّ بيت الله مبرورة.

يا نفسُ: يحشر المتكبِّرين والمتجبِّرين كالذرّ في صورهم وألوانهم، يطأهم أهل الموقف يوم القيامة لهوانهم، والعجب ممَّن يدخله العجب، والكبر والتجبُّر والفخر، وأوَّله نطفة وآخره جيفة.

يا نفسُ: من رفع نفسَه قال ملكاه: اللَّهمَّ ضعه، ومن وَضَعها قالا: اللَّهمَّ ارفعه.

وقال الشاعر:

(البحر السريع)

مـــا بـــال مـــن أوَّلـــه نـــطـــفـــة   وجـــيـــفـــة آخـــره يـــفـــخـــر

الإصرار على الذنب

بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة من علامة الشقاء: جمود العينين، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار على الذنب»[(١)].

قال العياشي في تفسيره: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(٢)] قال: «الإصرار أن يذنب العبد ولا يستغفر، ولا يحدث نفسه بالتوبة، فذلك الإصرار»[(٣)].

المفيد في الاختصاص: عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنه روي أن للمنافق أربع من علامات النفاق: قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا»[(٤)].

القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الشهاب: عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»[(٥)].

القطب الراوندي في لب اللباب: عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «أربعة في الذنب شر من الذنب: الاستحقار، والافتخار، والاستبشار، والإصرار»[(٦)].

---

(١) الجعفريات ص١٦٨.

(٢) آل عمران ٣: ١٣٥.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص١٩٨ ح١٤٤.

(٤) الاختصاص ص٢٢٨.

(٥) شهاب الأخبار ص١٠٦ ح٥٧٥.

(٦) لب اللباب: مخطوط. مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٦٧.

وعن حفص المؤذن، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال في رسالته إلى أصحابه: «وإياكم والإصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] يعني المؤمنين قبلكم، إذا نسوا شيئاً مما اشترط في كتابه، عرفوا أنهم عصوا الله في تركهم ذلك الشيء، فاستغفروا ولم يعودوا إلى تركه، وذلك معنى قول الله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»[2] (الخبر)[3].

الآمدي في الغرر: عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «أعظم الذنوب ذنب أصر عليه صاحبه»[4].

وقال عليه السلام: «عجبت لمن علم شدة انتقام الله وهو مقيم على الإصرار»[5].

وقال عليه السلام: «الإصرار أعظم حوبة[6]»[7].

وقال عليه السلام: «الإصرار يجلب النقمة»[8].

وقال عليه السلام: «المعاودة إلى الذنب إصرار»[9].

وقال عليه السلام: «إياك والإصرار، فإنه من أكبر الكبائر وأعظم الجرائم، إياك والمجاهرة بالفجور، فإنها من أشد المآثم»[10].

وقال عليه السلام: «أعظم الذنوب عند الله ذنب أصر عليه عامله»[11].

---

(١) آل عمران ٣: ١٣٥.
(٢) آل عمران ٣: ١٣٥.
(٣) الكافي ج٨ ص١٠ ح١.
(٤) الغرر ج١ ص٢٠٣ ح٤٤٠.
(٥) الغرر ج٢ ص٤٩٤ ح١٢.
(٦) الغرر ج١ ص٥٦ ح١٥٣٢.
(٧) الحوبة: الإثم والذنب (لسان العرب ج١ ص٣٤٠).
(٨) الغرر ج١ ص٣٦ ح١١١٢.
(٩) الغرر ج١ ص٤٢ ح١٢٥٧.
(١٠) الغرر ج١ ص١٥١ ح٤٨ و٤٩.
(١١) الغرر ج١ ص١٩٢ ح٢٠٩.

وقال عليه السلام: «من أصر على ذنبه اجترأ على ربه»[١].

محرمات ومكروهات فاتركوها

عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: «وأركان الكفر أربعة: الرغبة، والرهبة، والغضب، والشهوة»[٢].

عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة يطفين نور العبد: من قطع ود أبيه، أو خضب شيبته بسواد، أو وضع بصره في الحجرات من غير أن يؤذن له»[٣].

وبهذا الإسناد قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا ينظر إليهم: المنان بالفعل، وعاق والديه، ومدمن الخمر»[٤].

وعن علي عليه السلام، قال: «ثلاث موبقات: نكث البيعة، وترك السنة، وفراق الجماعة»[٥].

وبهذا الإسناد: عنه عليه السلام، قال: «تسعة أشياء من تسعة أنفس، هن منهم أقبح من غيرهم: ضيق الذرع من الملوك، والبخل من الأغنياء، وسرعة الغضب من العلماء، والصبا من الكهول، والقطيعة من الرؤوس، والكذب من القضاة، والزمانة من الأطباء، والبذاء من النساء، والبطش من ذوي السلطان»[٦].

بئس القوم

السيد فضل الله الراوندي في نوادره: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن

---

(١) الغرر ج٢ ص٦٨١ ح١١٠٢.
(٢) الجعفريات ص٢٣٢.
(٣) الجعفريات ص ١٩١.
(٤) الجعفريات ص١٨٧.
(٥) الجعفريات ص٢٣١.
(٦) الجعفريات ص٢٣٤.

آبائه عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث -: بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

بئس القوم قوم يقذفون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

بئس القوم قوم لا يقومون لله تعالى بالقسط.

بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط في الناس.

بئس القوم قوم يكون الطلاق عندم أوثق من عهد الله تعالى.

بئس القوم قوم جعلوا طاعة إمامهم دون طاعة الله.

بئس القوم قوم يختارون الدنيا على الدين.

بئس القوم قوم يستحلون المحارم والشهوات والشبهات»[1] (الخبر).

وبهذا الإسناد: عن علي عليه السلام، قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى أن قال - قال صلى الله عليه وآله:

بئس العبد عبد له وجهان: يقبل بوجه ويدير بوجه، إن أُوتي أخوه المسلم خيراً حسده، وإن ابتلي خذله.

بئس العبد عبد أوله نطفة ثم يعود جيفة، ثم لا يدري ما يفعل به فيما بين ذلك.

بئس العبد عبد خلق للعبادة فألهته العاجلة عن الآجلة، فاز بالرغبة العاجلة وشقي بالعاقبة.

بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال.

بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي الجبار الأعلى.

بئس العبد عبد له هوى يضله ونفس تذله.

---

(١) نوادر الراوندي ص٢٦.

بئس العبد عبد له طمع يقوده إلى طبع»[١].

السيد علي بن طاووس في فلاح السائل: بإسناده عن الشيخ هارون بن موسى التلعكبري، عن ابن عقدة، عن محمد بن مسلم بن جهان، عن عبد العزيز، عن الحسن بن علي، عن سنان، عن عبد الواحد، عن رجل، عن معاذ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال في حديث:

«يا معاذ فاقطع لسانك عن أخوانك، وعن حملة القرآن، ولتكن ذنوبك عليك ولا تحملها على أخوانك، ولا تزك نفسك بتذميم إخوانك، ولا تراء بعملك، ولا تدخل من الدنيا في الآخرة، ولا تفحش في مجلسك لكيلا يحذروك بسوء خلقك، ولا تناج مع رجل وعندك آخر، ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾[٢] اتدري ما الناشطات؟ كلاب أهل النار تنشط[٣] العظم واللحم».

قلت: من يطيق هذه الخصال؟

قال: «يا معاذ، أما أنه يسير على من يسر الله عليه» (الخبر)[٤].

احترسوا من السكر وأشكاله

الأمدي في الغرر: عن أمير المؤمنين ﷺ، أنه قال: «ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال، وسكر القدرة، وسكر العلم، وسكر المدح، وسكر الشباب، فإن لكل ذلك رياحاً خبيثة، تسلب العقل وتستخف الوقار»[٥].

---

(١) نوادر الراوندي ص٢٢. الكافي: ٣/ ٢٥٧/ ٢٧، بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٠٠/ ٣١ وج٧٧/ ١٣٥/ ٢٤٧. مستدرك الوسائل: ٩/ ٩٦/ ١٠٣٢٤.

(٢) النازعات ٧٩: ٢.

(٣) النشط: العض أو الانتزاع، بسرعة (لسان العرب ج٧ ص٤١٤).

(٤) فلاح السائل ص١٢٤.

(٥) الغرر ج٢ ص٨٦٢ ح٢٧.

أشراط الساعة

أبو محمد الفضل بن شاذان في كتاب الغيبة: حدثنا عبد الرحمن بن أبي نجران (رضي الله عنه)، قال: حدثنا عاصم بن حميد قال: حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن العباس قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فأخذ بحلقة باب الكعبة وأقبل بوجهه علينا، فقال:

«معاشر الناس، ألا أخبركم بأشراط الساعة؟؟ قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: من أشراط الساعة:

إضاعة الصلوات واتباع الشهوات والميل مع الأهواء وتعظيم المال وبيع الدِّين بالدُّنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر، فلا يستطيع أن يغيره، فعندها يليهم أُمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأُمناء خونة، فيكون عندهم المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن في ذلك الزمان، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، وتتأمر النساء، وتشاور الاماء، ويعلو الصبيان على المنابر، ويكون الكذب عندهم ظرافة، فلعنة الله على الكاذب وإن كان مازحاً.

وأداء الزكاة أشد التعب عليهم خسراناً ومغرماً عظيماً، ويحقر الرجل والديه ويسبّهما، ويبرأ من صديقه، ويجالس عدوه، وتشارك الرجل زوجها في التجارة، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وتركبن ذوات الفروج على السروج، وتزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف، ويقل الإخلاص، ويؤمهم قوم يميلون إلى الدنيا، ويحبون الرئاسة الباطلة، فعندها قلوب المؤمنين متباغضة، وألسنتهم مختلفة، وتحلى ذكور أُمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج وجلود السمور[١]،

---

(١) السَّمُّور: دابة تعُمل من جلودها فراء غالية الأثمان وهو أسود الوبر. (لسان العرب «سمر» ج٤ ص٣٨٠).

ويتعاملون بالرشوة والربا، ويضعون الدين ويرفعون الدنيا، ويكثر الطلاق والفراق، والشك والنفاق، ولن يضروا الله شيئاً، وتظهر الكوبة[١] والقينات والمعازف، والميل إلى أصحاب الطنابير والدفوف والمزامير، وسائر آلات اللهو.

ألا ومن أعان أحداً منهم بشيء من الدينار والدرهم والألبسة والأطعمة وغيرها، فكأنما زنى مع أُمه سبعين مرَّة في جوف الكعبة، فعندها يليهم أشرار أُمتي، وتنتهك المحارم، وتكتسب المأثم، وتسلط الأشرار على الأخيار، ويتباهون في اللباس، ويستحسنون أصحاب الملاهي والزانيات، فيكون المطر قيظاً، ويغيظ الكرام غيظاً، ويفشو الكذب، وتظهر الحاجة، وتفشو الفاقة، فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله، فيتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنى، ويتغنون بالقرآن، فعليهم من أُمتي لعنة الله، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة، ويظهر قراؤهم وأئمتهم فيما بينهم التلاوم والعداوة، فأُولئك يدعون في ملكوت السماوات والأرض الأرجاس والأنجاس، وعندها يخشى الغني من الفقير أن يسأله، ويسأل الناس في محافلهم فلا يضع أحد في يده شيئاً، وعندها يتكلم من لم يكن متعلماً، فعندها ترفع البركة، ويمطرون في غير أوان المطر، وإذا دخل الرجل السوق فلا يرى أهله إلا ذامّاً لربّهم، هذا يقول: لم أبع.

وهذا يقول: لم أربح شيئاً.

فعندها يملكهم قوم، إن تكلموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم، يسفكون دماءهم، ويملأون قلوبهم رعباً، فلا يراهم أحد إلا خائفين مرعوبين، فعندها يأتي قوم من المشرق وقوم من المغرب، فالويل لضعفاء أُمتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، لا يتجافون عن شيء، جثتهم جثة الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، فلم يلبثوا هناك إلاّ قليلاً، حتى تخور[٢]

---

(١) الكوبة: الطبل والشطرنج والنرد وأمثالها من آلات اللهو (مجمع البحرين «كوب» ج٢ ص١٦٤).

(٢) أرض خوارة: لينة سلهة، والخور: الضعف، يقال: ريح خوار، إذا كان مهتزاً (لسان العرب ج٤ ص٢٦٢)، فالمراد اهتزاز الأرض وما أشبه من الحوادث العظيمة.

الأرض خورة، حتى يظن كل قوم أنها خارت في ناحيتهم، فيمكثون ما شاء الله، ثم يمكثون في مكثهم، فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها.

قال: ذهباً وفضة، ثم أومأ بيده إلى الأساطين.

قال: فمثل هذا، فيومئذٍ لا ينفع ذهب ولا فضة، ثم تطلع الشمس من مغربها، معاشر الناس، إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، فأُودعكم وأُوصيكم بوصية فاحفظوها، إني تارك فيكم الثقلين:

كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، معاشر الناس إني منذر وعليّ هاد، والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين»[١].

يوم القيامة

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر، فقال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال»[٢].

وعن الحسين بن مختار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عز وجل يبغض الغني الظلوم، والشيخ الفاجر، والصعلوك المختال (المحتال)، قال: ثم قال: أتدري ما الصعلوك المختال (المحتال)؟

قال: قلت: القليل المال، قال: «لا، ولكنه الغني الذي لا يتقرب إلى الله بشيء من ماله»[٣].

هلاك الناس

الشهيد (رحمه الله) في الدرة الباهرة: عن الصادق عليه السلام، قال: «يهلك الله

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٧١ ـ ٣٧٤.
(٢) أصل عاصم بن حميد الحناط ص٢٧.
(٣) كتاب حسين بن عثمان ص١٠٩.

ستاً لست: الامراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهالة، والفقهاء بالحسد»[١].

شرّ الناس

جعفر بن أحمد القمي في كتاب الغايات: عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «شر الناس من سافر وحده، ومنع رفده، وأكل زاده وضرب عبده، ونزل وحده، ثم قال: يا علي، ألا أُنبئك بشر من هذا؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: من يبغض الناس ويبغضونه، ثم قال: ألا أُخبرك بشر منه؟

قلت: بلى.

قال: من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره»[٢].

وفي جامع الأخبار: عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «يأتي على الناس زمان، وجوههم وجه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، كأمثال الذئاب الضواري، سفاكون للدماء، لا يتناهون عن منكر فعلوه، إن تابعتهم ارتابوك، وإن حدثتهم كذبوك، وإن تواريت عنهم اغتابوك، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، والحليم بينهم غادر، والغادر بينهم حليم، والمؤمن بينهم مستضعف، والفاسق فيما بينهم مشرف، صبيانهم عارم[٣]، ونساؤهم شاطر[٤]، وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، الالتجاء إليهم خزي، والاعتزاز بهم ذل، وطلب ما في أيديهم فقر، فعند ذلك يحرمهم الله قطر السماء في أوانه، وينزله في غير أوانه، ويسلِّط عليهم شرارهم، فيسومونهم سوء العذاب، ويذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، فيدعوا خيارهم، فلا يستجاب لهم»[٥].

---

(١) الدرّة الباهرة ص٣٤.

(٢) الغايات ص٩١.

(٣) العارم: الخبيث الشرير (لسان العرب ج١٢ ص٣٩٥).

(٤) الشاطر: الذي أعي أهله خبثاً. (مجمع البحرين ج٣ ص٣٤٦).

(٥) جامع الأخبار ص١٥٠.

وعنه ﷺ، أنه قال: «سيأتي على الناس زمان: بطونهم آلهتهم، ونساؤهم قبلتهم، ودنانيرهم دينهم، وشرفهم متاعهم، ولا يبقى من الإيمان إلاّ اسمه، ومن الإسلام إلاّ رسمه، ومن القرآن إلاّ درسه، مساجدهم معمورة من البناء، وقلوبهم خراب عن الهدى، علماؤهم أشر خلق الله على وجه الأرض، حينئذٍ زمان ابتلاهم الله بأربع خصال: جور من السلطان، وقحط من الزمان، وظلم من الولاة والحكام، فتعجب الصحابة وقالوا: يا رسول الله أيعبدون الأصنام؟

قال: نعم، كل درهم عندهم صنم»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «سيأتي زمان على أُمتي: يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب، ابتلاهم الله تعالى بثلاثة أشياء:

الأول: يرفع البركة من أموالهم.

والثاني: سلَّط الله عليهم سلطاناً جائراً.

والثالث: يخرجون من الدُّنيا بلا إيمان»[2].

وقال ﷺ: يأتي زمان على أُمتي، أُمراؤهم يكونون على الجور، وعلماؤهم على الطمع، وعبادهم على الرياء، وتجارهم على أكل الربا، ونساؤهم على زينة الدنيا، وغلمانهم في التزويج، فعند ذلك كساد أُمتي ككساد الأسواق، وليس فيها مستام، أمواتهم آيسون في قبورهم من خيرهم، ولا يعينون الأخيار فيهم، فإن في ذلك الزمان الهرب خير من القيام»[3].

آخر الزمان

وقال ﷺ: «يأتي زمان على أُمتي لا يعرفون العلماء إلاّ بثوب حسن، ولا

---

(١) جامع الأخبار ص١٥١.

(٢) جامع الأخبار ص١٥١.

(٣) جامع الأخبار ص١٥٢.

يعرفون القرآن إلاّ بصوت حسن، ولا يعبدون الله إلاّ بشهر رمضان، فإذا كان ذلك سلَّط الله عليهم سلطاناً لا علم له، ولا حلم له، ولا رحم له»[١].

السيد هبة الله في المجموع الرائق: عن مجموعة لبعض القدماء فيها ست خطب من خطب أمير المؤمنين ﷺ، كانت في خزانة كتب السيد علي بن طاووس وعليها خطه، منها الخطبة المعروفة باللؤلؤية: حدثنا الشيخ الإمام الزاهد العابد أبو الحسن علي بن عبد الله، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو يوسف يعقوب الحريمي قال: حدثنا أبو حبش الهروي قال: حدثنا عبيد الله بن عبد الرزاق، عن أبيه، عن جده، عن أبي سعيد الخدري، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: رقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ منبر البصرة خطيباً، فخطب خطبة بليغة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهل العراقين: الكوفة والبصرة، أغنياؤكم بالشام وفقراؤكم بالبصرة».

قال جابر: يا أمير المؤمنين، ومتى يكون ذلك؟

قال: «إذا ظهر في أُمة محمد ﷺ في المشاجرة ستون خصلة ـ إلى أن قال: ـ

إذا وقع الموت في الفقهاء والعلماء وعمرت الأشرار والسفهاء، وضيعت أُمة محمد ﷺ الصلوات، واتبعت الشهوات، وقلت الأمانات، وكثرت الخيانات، وشربوا القهوات، ولعبوا بالشامات، وناموا عن العتمات، وتفاكهوا بشتم الآباء والأمهات، ورفعوا الأصوات في المساجد بالخصومات، وجعلوها مجالس للتجارات، وغشوا في البضاعات، ولم يخشوا النقمات، وأكثروا من السيئات، وأقلوا من الحسنات، وعصوا رب السماوات، وصار مطرهم قيظاً، وولدهم غيظاً، وقبلت القضاة الرشاء، وأدت الحقوق النساء، وقل الحياء، وبرح الخفاء، وانكشف الغطاء، وأظلم الهواء، واسود الأُفق، وخيفت الطرق، واشتد البأس، وانفسد الناس، وقربت الساعة، وشنئت[٢] القناعة، وكثرت الأشرار، وقلت

---

(١) جامع الأخبار ص١٥٢.

(٢) شَنَأ الشيء: كرهه وأبغضه. (مجمع البحرين «شنا» ج١ ص٢٥٢).

الأخيار، وانقطعت الأسفار، وظهرت الأسرار، وكثر اللواط، وجارت السلاطين، واستحوذت الشياطين، وضعف الدين، واكلوا مال اليتيم، ونهروا المساكين، وصارت المداهنة في القضاة، والحروب في السلاطين، والسافهة في سائر الناس، وتكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وزخرفوا الجدارات، وعلوا على القصور، وشهدوا بالزور، وضاقت المكاسب، وعزت المطالب، واستصغروا العظائم، وعلت الفروج على السروج، فحينئذٍ تصير السنة كالشهر، والشهر كالإسبوع، والإسبوع كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة لا قيمة لها».

قال جابر قلت: ومتى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: «إذا عمرت الزوراء ـ إلى أن قال ـ فحينئذٍ يظهر في آخر الزمان أقوام، وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين، سفّاكون للدماء أمثال الذئاب الضواري، إن تابعتهم عابوك، وإن غبت عنهم اغتابوك، فالحليم فيهم غاو، والغاوي فيهم حليم، والمؤمن فيهم مستضعف، والفاسق فيهم شريف، صبيهم عارم، وشابهم شاطر، وشيخهم منافق، لا يوقر صغيرهم كبيرهم، ولا يعود غنيهم فقيرهم، والإلتجاء إليهم خزي، وطلب ما في أيديهم فقر، والعز بهم ذل، إخوان العلانية أعداء السريرة، فحينئذٍ يسلط الله عليهم أشرارهم، ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم دعاؤهم، فعند ذلك تأخذ السلاطين بالأقاويل، والقضاة البراطيل[١]، والفقهاء بما يحكمون بالتأويل، والصالحون يأكلون الدنيا بالدين»[٢] (الخبر).

وهذه الخطبة طويلة معروفة، قد نقل بعض أجزائها ابن شهر آشوب في المناقب[٣]، وبعضها الشيخ حسن سليمان الحلي في منتخب البصائر.

وعن أعلام الدين للديلمي قال: روت أم هانيء بنت أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال عليه السلام: «يأتي على الناس زمان إذا سمعت باسم رجل خير من أن تلقاه، فإذا رأيته لقيته خيراً من أن تجربه، ولو جربته أظهر لك أحوالاً، دينهم

---

(١) البراطيل: جمع برطيل، وهو الرشوة. (القاموس المحيط ج٣ ص٣٤٤).

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج٢ ص٢٧٣.

دراهمهم، وهمهم بطونهم، وقبلتهم نساؤهم، يركعون للرغيف، ويسجدون للدرهم، حيارى سكارى، لا مسلمين ولا نصارى»[١].

ترك فرائض الله

القطب الراوندي في لب اللباب: وروي ملكاً ينادي من الكعبة: من ترك فرائض الله خرج من أمان الله، وينادي مناد من بيت المقدس: ألا من كان قوته حراماً رد الله عليه عمله، وينادي منادٍ من قبر رسول الله ﷺ: من ترك سنة هذا النبي بريء من شفاعته[٢].

الشيطان المريد

عن علي بن أحمد، عن عبد العظيم الحسني، عن علي بن محمد العسكري عليه السلام ـ في حديث قصة نوح ـ قال: «وجاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال: إن لك عندي يداً عظيمة، فانتصحني فإني لا أخونك، فتأثّم نوح من كلامه ومساءلته، فأوحى الله إليه: أن كلمه وسله، فإني سأُنطقه بحجة عليه.

فقال نوح (صلوات الله عليه): تكلم.

فقال إبليس: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً، أو حريصاً، أو حسوداً، أو جباراً، أو عجولاً، تلقفناه تلقف الكرة، فإذا اجتمعت لنا هذه الأخلاق سميناه شيطاناً مريداً» (الخبر)[٣].

أحوال الناس آخر الزمان

عن محمد بن عبد الجبار، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أنه قال لأبي هاشم الجعفري: «يا أبا هاشم، سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة

(١) البحار ج٧٤ ص١٦٦ عن أعلام الدين ص٩٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٣٧٩، ح٢٣.

(٣) قصص الأنبياء ص٦٤، وعنه في البحار ١١ ص٢٩٣.

مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكدرة، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محقر، والفاسق بينهم موقر، أُمراؤهم جاهلون جائرون. وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء، وكل جاهل عندهم خبير، وكل محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب، لا يعرفون الضأن من الذئاب، وعلماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفسلفة والتصوف، وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف، يبالغون في حب مخالفينا، ويضلون شيعتنا وموالينا، إن نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشاء، وإن خذلوا عبدوا الله على الرياء، ألاّ إنهم قطاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، وليصن دينه وإيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدثني أبي، عن آبائه جعفر بن محمد عليه السلام، وهو من أسرارنا، فاكتمه إلا عن أهله»[١].

---

(١) حديقة الشيعة ص٥٩٢.

الغيبة

قال الله تعالى:

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾[١].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾[٢].

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[٣].

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾[٤].

الغيبة على ما ورد في الحديث: «ذكرك أخاك بما يكره»[٥]، «أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأنَّ من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه»[٦].

ويعتبر في تحقّق الغيبة ـ حسبما يظهر من التعريفين المذكورين ـ الأُمور التالية:

---

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) الإسراء: ٣٧.

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) القلم: ١٠.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٨، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٩.

(٦) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٠، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ١٤.

١ ـ أن تكون الصفة المذكورة بهذا الشخص عيباً من العيوب.

٢ ـ أن يكون الشخص كارهاً لذكره بتلك الصفة.

٣ ـ أن تكون الصفة ثابتة حقّاً وإلاّ كان المورد مصداقاً للبهتان الّذي هو أشدّ عقوبة من الغيبة، باعتبار أنّه ـ البهتان ـ مركّب من الغيبة والكذب.

وفي الحديث: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تلٍّ من نار حتىٰ يخرج ممّا قال فيه»[(١)].

٤ ـ أن يكون العيب خفيّاً لا ظاهراً وإلاّ لا يكون ذكره من الغيبة.

٥ ـ أن يكون ذكر العيب في غيبة الشخص لا في حضرته لتقوّم مفهوم الغيبة بذلك. وهذا لا يعني أنّ ذكر العيب في حضرة الشخص ليس محرّماً بل هو محرّم وأشدّ عقوبة من الغيبة لاشتماله علىٰ إيذاء المؤمن، حيث يذكر عيبه أمامه.

وقد شدّد القرآن الكريم موقفه إزاء الغيبة، كيف وهو يرىٰ أنّ الغيبة بمنزلة أكل لحم الأخ وهو ميت، فذكر عيوبه بمنزلة أكل لحمه، وغيابه بمنزلة موته.

وفي حديث النبي ﷺ: «يا أبا ذر إيّاك والغيبة فإنّ الغيبة أشدّ من الزنى قلت: ولِمَ ذاك يا رسول الله؟

قال: لأنّ الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه والغيبة لا تغفر حتّىٰ يغفرها صاحبها»[(٢)].

وفي حديث نوف البكالي: «أتيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو في رحبة مسجد الكوفة فقلت: السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك السّلام يا نوف ورحمة الله وبركاته فقلت له: يا أمير المؤمنين عظني فقال: يا نوف أحسن يحسن إليك... قلت: زدني قال: اجتنب الغيبة فإنّها أدام كلاب النّار، ثمّ

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٣، الباب ١٥٣ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٨، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٩.

قال: يا نوف كذب من زعم أنَّه وُلد من حلال وهو يأكل لحوم النَّاس بالغيبة...»[١].

ثمَّ إنَّه تستثنىٰ من حرمة الغيبة موارد، أُشير في القرآن الكريم إلى واحد منها، وهو المظلوم، فإنَّه يجوز له أن يذكر الظالم بما ظلمه به، قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[٢].

وقد يُستفاد ذلك أيضاً من قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾[٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾[٤]، ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾[٥].

ثمَّ إنَّه كما تحرّم الغيبة نفسها فكذلك يحرّم سماعها، ففي الحديث أنَّ: «السامع للغيبة أحد المغتابين»[٦]، بل عليه أن ينصر أخاه ويدافع عنه، ففي وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره خذله الله في الدُّنيا والآخرة»[٧].

تحريم سماع الغيبة:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٩].

فقد نهىٰ الشرع الإسلامي عن السماع لمغتاب، وأمر من سمع غيبة محرَّمة أن

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٠، الباب ١٥٢ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ١٦.
(٢) النساء: ١٤٨.
(٣) الشورى: ٤١.
(٤) الشورى: ٣٩.
(٥) الشعراء: ٢٢٧.
(٦) مستدرك الوسائل ٩: ١٣٣، الباب من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٧.
(٧) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٦، الباب ١٥٦ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ١.
(٨) القصص: ٥٥.
(٩) الإسراء: ٣٦.

يردها وأن ينكر علىٰ قائلها، فإن عجز عن ذلك، أمره أن يفارق المجلس حتَّىٰ يغيّروا هذا الحديث..

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

متى تُباح الغيبة؟!

إنَّ الغيبة إذا كانت لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلاَّ بها جازت، وهناك ستة أسباب تُباح لأجلها الغيبة، جمعها الشيخ كمال الدِّين بن أبي شرف في هذين البيتين:

(البحر الكامل)

القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرِّف ومحذِّر
ومجاهر فسق ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

١ ـ **التظلُّم**: فيجوز للمظلوم أن يشكوَ ظلمه إلى السلطان أو القاضي بقوله: «ظلمني فلان بكذا».

٢ ـ **الاستعانة على تغيير المنكر**: ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر، «فلان يعمل كذا».

٣ ـ **الاستفتاء**: فيقول للمفتي: «ظلمني أبي أو أخي أو زوجي.. فما ترى في ذلك؟».

٤ ـ **تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم**: كالتحذير من الرواة والشهود والجرح فيهم، وكالاستشارة والتحذير من مبتدع أو فاسق.

٥ ـ **المجاهر بالفسق والمعصية**: كشرب الخمر وجباية الأموال ظلماً فهذا الكلام عليه ليس بغيبة.

---

(١) الأنعام:٦٨.

٦ ـ **التعريف**: فقد يُعرَّف الإنسان بصفات كالأعرج والأعمىٰ والأحول.. ولكن لا يجوز ذكرها على جهة التَّنَقُّص، وإذا أمكن تعريفه بغير ذلك كان أفضل.

بواعث الغيبة:

للغيبة بواعث ودوافع أهمها ما يلي:

١ ـ **العداء أو الحسد**: فإنَّهما أقوى دواعي الاغتياب والتشهير بالمعادي أو المحسود، نكايةً به، وتشفياً منه.

٢ ـ **الهزل**: وهو باعث على ثلب المستغاب، ومحاكاته إثارة للضحك والمجون.

٣ ـ **المباهاة**: وذلك بذكر مساوىء الغير تشدقاً ومباهاة بالترفع عنها والبراءة منها.

٤ ـ **المجاراة**: فكثيراً ما يندفع المرء على الاغتياب مجاراة للأصدقاء والخلطاء اللاهين بالغيبة، وخشية من نفرتهم إذا لم يحاورهم في ذلك.

مساوىء الغيبة:

من أهم الأهداف والغايات التي حققها الإسلام. وعني بها عناية كبرى، اتحاد المسلمين وتآزرهم وتآخيهم، ليكونوا المثل الأعلى في القوَّة والمنعة، وسمو الكرامة، والمجد. وقد عزَّز تلك الغاية السامية بما شرَّعه من نظم وآداب، لتكون دستوراً خالداً للمسلمين، فحثَّهم على ما ينمِّي الإلفة والمودَّة ويوثِّق العلائق الاجتماعية، ويحقق التآخي والتآزر، كحسن الخُلق، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والاهتمام بشؤون المسلمين، ورعاية مصالحهم العامَّة. ونهاهم عن كل ما يعكِّر صفو القلوب، ويثير الأحقاد والضغائن الموجبة لتناكر المسلمين، وتقاطعهم كالكذب، والغش، والخيانة، والسخرية.

وحيث كانت الغيبة عاملاً خطيراً، ومِعولاً هدَّاماً، في تقويض صرح

المجتمع، وإفساد علاقاته الوثيقة، فقد حرَّمها الشرع الإسلامي، وعدَّها من كبار الآثام.

فمن مساوئها: أنَّها تبذر سموم البغض والفرقة في صفوف المسلمين، فتعكِّر صفو المحبة، وتقصم عرى الصداقة، وتقطع وشائج القرابة.

وذلك بأنَّ الغيبة قد تبلغ المغتاب، وتستثير حَنَقَه على المستغيب، فيثأر منه، ويبادله الذم والقدح، وطالما أثارت الفِتن الخطيرة، والمآسي المحزنة.

هذا إلى مساوئها وآثامها الروحية التي أوضحتها الآثار، حيث صرحت أنَّ الغيبة تنقل حسنات المستغيب يوم القيامة إلى المستغاب، فإن لم يكن له حسنات طرح عليه من سيئات المستغاب، كما جاء عن النبي ﷺ أنَّه قال: «يؤتى بأحدكم يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله تعالى، ويُدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته، فيقول: إلَهي ليس هذا كتابي فإنِّي لا أرى فيه طاعتي. فيقول له: إنَّ ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس.

ثمَّ يُؤتى بآخر ويُدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلَهي ما هذا كتابي، فإنِّي ما عملت هذه الطاعات، فيقول له: إنَّ فلاناً اغتابك فدُفعت حسناته إليك»[١].

مسوّغات الغيبة:

الغيبة المحرمة هي ما قُصد بها استنقاص المؤمن وإذلاله، فإنْ لم يُقصد بها ذلك، وتوقف عليها غرض وجيه، فلا حرمة فيها. وإليك ما ذكره العلماء من الموارد المسوَّغة للغيبة:

١ ـ **شكاية المتظلم لإحقاق حقه عند الحاكم**: فيصح نسبة الجناية والظلم إلى الغير في هذه الحالة.

(١) جامع السعادات: ج٢، ص٣٠١.

٢ ـ **نُصْح المستشير في أمر ما**: كالتزويج والأمانة، فيحق للمستشار أن يذكر مثالب المسؤول عنه.

ويصح كذلك تحذير المؤمن من صحبة فاسق أو مُضلّ، بذكر مساوئهما من الفسق والضلال، صيانة له من شرهما وإضلالهما، ويصح جرح الشاهد إذا ما سُئل عنه.

٣ ـ ردَّ من ادَّعى نسباً مزوراً.

٤ ـ القدح في مقالة فاسدة، أو إدّعاء باطل شرعاً.

٥ ـ الشهادة على مقترفي الجرائم والمحارم.

٦ ـ **ضرورة التعريف**: وذلك بذكر الألقاب المقيتة، التي يتوقف عليها تعريف أصحابها، كالأعمش والأعرج ونحوهما.

٧ ـ **النهي عن المنكر**: وذلك بذكر مساوىء شخص عند من يستطيع إصلاحه ونهيه عنها.

٨ ـ **غيبة المتجاهر بالفسق**: كشرب الخمر، ولعب القمار، بشرط الاقتصار على ما يتجاهر به، إذْ ليس لفاسق غيبة.

ولا بُدَّ للمرء أن يستهدف في جميع تلك الموارد السالفة، الغاية النبيلة، والقصد السليم، من بواعث الغيبة، ويتجنب البواعث غير النبيلة، كالعداء والحسد ونحوهما.

علاج الغيبة:

يتمّ علاج الغيبة باتّباع النصائح التالية:

١ ـ تذكّر ما عَرضناه من مساوىء الغيبة، وأخطارها الجسيمة، في دنيا الإنسان وأخراه.

٢ ـ الاهتمام بتزكية النفس، وتجميلها بالخلق الكريم، وصونها عن معائب الناس ومساوئهم، بدلاً من اغتيابهم واستنقاصهم.

قيل لمحمد بن الحنفية: من أدَّبك؟ قال: أدبني ربِّي في نفسي، فما استحسنته من أُولي الألباب والبصيرة تبعتهم به فاستعملته، وما استقبحت من الجُهال اجتنبته وتركته متنفراً، فأوصلني ذلك إلى كنوز العلم»[١].

٣ ـ استبدال الغيبة بالأحاديث الممتعة، والنوادر الشيقة، والقصص الهادفة الطريفة.

٤ ـ ترويض النفس على صون اللِّسان، وكفّه عن بوادر الغيبة وقوارصها، وبذلك تخف نوازع الغيبة وبواعثها العارمة.

كفَّارة الغيبة:

وسبيلها بعد الندم على اقترافها، والتوبة من آثامها، التودد إلى المستغاب، واستبراء الذمَّة منه، فإن صفح وعفا، وإلاَّ كان التودد إليه، والاعتذار منه، مكافئاً لسيئة الغيبة.

هذا إذا كان المستغاب حيّاً، ولم يثر الاستيهاب منه غضبه وحقده، فإن خيف ذلك، أو كان ميتاً أو غائباً، فاللازم ـ والحالة هذه ـ الاستغفار له، تكفيراً عن اغتيابه، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سُئل النبي ﷺ ما كفَّارة الاغتياب؟ قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلَّما ذكرته»[٢].

قوله ﷺ: «كلَّما ذكرته» أي كلَّما ذكرت المستغاب بالغيبة.

وعن السكونيِّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه.

وقال: وقال رسول الله ﷺ: الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة، ما لم يحدث.

قيل: يا رسول الله، وما يحدث؟

---

(١) سفينة البحار: م١، ص٣٢٤.

(٢) البحار: م١٥، كتاب العشرة، ص١٨٤ عن الكافي.

قال: الاغتياب[(١)].

وعن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في مؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أُذناه، فهو من الّذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)].

وعن داود بن سرحان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الغيبة، قال: هو أن تقول لأخيك في دينه مالم يفعل، وتبثَّ عليه أمراً قد ستره الله عليه، لم يقم عليه فيه حدٌّ[(٣)].

وعن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل النبيُّ صلى الله عليه وآله ما كفّارة الاغتياب؟

قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلّما ذكرته[(٤)].

وعن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتّى يخرج ممّا قال.

قلت: وما طينة خبال؟

قال: صديد يخرج من فروج المومسات[(٥)].

وعن أبان، عن رجل لا نعلمه إلاّ يحيى الأزرق قال: قال أبو الحسن عليه السلام: من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته[(٦)].

وعن عبد الرحمن بن سيابة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الغيبة أن

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٥٦.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٥٧، والآية في النور: ٢٤.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٥٧.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٥٧.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٥٧.
(٦) الكافي ج٢ ص٣٥٨.

تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأمّا الأمر الظاهر فيه مثل الحدَّة والعجلة، فلا، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه[١].

روى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رجل لعليّ بن الحسين عليه السلام: إنَّ فلاناً ينسبك إلى أنّك ضالٌ مبتدع، فقال له عليُّ بن الحسين عليه السلام: ما رعيت حقَّ مجالسة الرجل، حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدّيت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه، إنَّ الموت يعمنّا، والبعث محشرنا، والقيامة موعدنا، والله يحكم بيننا، إيّاك والغيبة، فإنّها إدام كلاب النار واعلم أنَّ من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنّه إنّما يطلبها بقدر ما فيه[٢].

عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسبُّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[٣] إلى قوله: ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

في مناهي النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه نهى عن الغيبة والاستماع إليها، وقال صلى الله عليه وآله: من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه، ونقض وضوؤه، وجاء يوم القيامة تفوح منه رائحة أنتن من الجيفة يتأذّى به أهل الموقف، فإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرَّم الله.

وقال صلى الله عليه وآله: من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه وحلم عنه، أعطاه الله أجر شهيد، ألا ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس [فردَّها عنه] ردَّ الله منه ألف باب من السوء في الدُّنيا والآخرة فإن هو لم يردَّها وهو قادر على ردِّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرَّة[٥].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٥٨. والحدَّة: ما يعرِّي الإنسان من الغضب والنزق والعجلة.
(٢) الاحتجاج ١٧٢ و١٦١.
(٣) الانعام: ٦٨.
(٤) تفسير القمى ١٩٢.
(٥) أمالي الصدوق ص٢٥٣.

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحقُّ الناس بالذنب السفيه المغتاب، وأذلُّ الناس من أهان الناس.

وقال عليه السلام: أقلُّ الناس حرمة الفاسق[١].

قبول الشهادة

وعن علقمة قال: قال الصادق عليه السلام ـ وقد قلت له: يابن رسول الله أخبرني عمّن تقبل شهادته، ومن لا تقبل.

فقال: يا علقمة كلُّ من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته.

قال: فقلت له: تقبل شهادة مقترف للذنوب؟

فقال: يا علقمة لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلاّ شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وإن كان في نفسه مذنباً، ومن اغتابه بما فيه فهو خارج عن ولاية الله عزَّ وجلَّ، داخل في ولاية الشيطان.

ولقد حدَّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنّة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها، وبئس المصير[٢].

اجتناب الغيبة

وعن نوف البكاليّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: اجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار، ثمَّ قال عليه السلام: يا نوف كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة. (الخبر)[٣].

---

(١) أمالي الصدوق ص١٤.

(٢) أمالي الصدوق ٦٣.

(٣) أمالي الصدوق ص١٢٦.

وعن محمّد بن حمران، عن الصادق عليه السلام قال: من قال في أخيه المؤمن ما رأته عيناه وسمعته أُذناه، فهو ممّن قال الله عزَّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

،عن ابن سيابة، عن الصادق عليه السلام قال: إنَّ من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وإنَّ من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه[2].

وعن البرقيّ، عن أبيه، عن غير واحد، عن الصادق عليه السلام قال: لا تَغتب فتُغتب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها، فإنّك كما تدين تدان[3].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة ما لم تحدث، قيل: يا رسول الله وما الحدث؟ قال: الاغتياب[4].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصائم في عبادة الله، وإن كان نائماً على فراشه، ما لم يغتب مسلماً[5].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطع ما بينهما من العصمة.[6].

أربعة في النار

وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسقون من حميم الجحيم، ينادون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى؟

(١) أمالي الصدوق ص٢٠٣.
(٢) معاني الأخبار ١٨٤، أمالي الصدوق ص٢٠٣.
(٣) أمالي الصدوق ص٢٥٢.
(٤) أمالي الصدوق ص٢٥٢.
(٥) أمالي الصدوق ص٣٢٩.
(٦) أمالي الصدوق ص٣٤٦.

١ ـ فرجل معلّق في تابوت من جمر.

٢ ـ ورجل يجرُّ أمعاءه.

٣ ـ ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً.

٤ ـ ورجل يأكل لحمه.

فقيل لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس، لم يجد لها في نفسه أداء، ولا وفاء.

ثمَّ يقال للّذي يجرُّ أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول في جسده.

ثمَّ يقال للّذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد كان يحاكي فينظر إلى كلِّ كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها.

ثمَّ يقال للّذي كان يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟

فيقول: إنَّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة، ويمشي بالنميمة[١].

وعن ابن عميرة، قال: قال الصادق عليه السلام: من اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان. (الخبر)[٢].

لا سلامة لمغتاب

وفي باب جوامع المساوي، عن أبي عبد الله عليه السلام: لا يطمعنَّ المغتاب في السلامة[٣].

(١) ثواب الأعمال ص٢٢١، أمالي الصدوق٣٤٦.

(٢) معاني الأخبار ٤٠٠، الخصال ج١ ص١٠٢.

(٣) الخصال ج٢ ص٥٣.

الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: إيّاكم وغيبة المسلم، فإنَّ المسلم لا يغتاب أخاه، وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك فقال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.

وقال عليه السلام: من قال لمؤمن قولاً يريد به انتقاص مروّته، حبسه الله في طينة خبال، حتّى يأتي ممّا قال بمخرج(١).

حكمة الله

وعن أحمد الأنصاريّ، عن الهرويّ، عن الرضا عليه السلام قال: أوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه إذا أصبحت، فأوّل شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه.

قال: فلمّا أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف، وقال: أمرني ربّي عزَّ وجلَّ أن آكل هذا، وبقي متحيّراً، ثمَّ رجع إلى نفسه فقال: إنَّ ربّي جلَّ جلاله لا يأمرني إلاّ بما أُطيق فمشى إليه ليأكله فلمّا دنا منه صغر حتّى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها، فوجدها أطيب شيء أكله.

ثمَّ مضى فوجد طستاً من ذهب قال: أمرني ربّي أن أكتم هذا فحفر له وجعله فيه، وألقى عليه التراب.

ثمَّ مضى فالتفت فإذا الطست قد ظهر قال: قد فعلت ما أمرني ربّي عزَّ وجلَّ، فمضى فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال: أمرني ربّي عزَّ وجلَّ أن أقبل هذا ففتح كمّه فدخل الطير فيه، فقال له البازي: أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيّام فقال: إنَّ ربّي عزَّ وجلَّ أمرني أن لا أُويس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه ثمَّ مضى، فلمّا مضى إذا هو بلحم ميتة منتن مدوّد، فقال: أمرني ربّي أن أهرب من هذا فهرب منه ورجع.

---

(١) الخصال ج٢ ص١٦١.

ورأى في المنام كأنّه قد قيل له: إنّك قد فعلت ما أُمرت به، فهل تدري ماذا كان؟

قال: لا.

قيل له: **أما الجبل**: فهو الغضب إنَّ العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكن غضبه، كانت عاقبته كاللقمة الطيبة الّتي أكلتها.

وأمّا الطست: فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عزَّ وجلَّ إلاّ أن يظهره ليزيّنه به، مع ما يدَّخر له من ثواب الآخرة.

وأمّا الطير: فهو الرجل الّذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحته.

وأمّا البازي: فهو الرجل الّذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه.

وأمّا اللحم المنتن: فهي الغيبة فاهرب منها[1].

البيت اللحم واللحيم السمين

وعن الرضا، عن أبيه، عن الصادق صلوات الله عليهم قال: إنَّ الله تبارك وتعالى ليبغض البيت اللّحم واللّحيم السمين فقال له بعض أصحابه: يابن رسول الله إنّا لنحبُّ اللحم، ولا تخلو بيوتنا منه، فكيف ذلك؟

فقال عليه السلام: ليس حيث تذهب إنّما البيت اللحم الّذي يؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة وأمّا اللحيم السمين فهو المتجبّر المتكبّر المختال في مشيته[2].

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث من كنَّ فيه أوجبن له أربعاً على الناس:

١ ـ من إذا حدَّثهم لم يكذبهم.

---

(١) الخصال ج٢ ص١٢٨، عيون الأخبار ج١ ص٢٧٥.

(٢) معاني الأخبار ٣٨٨، عيون الأخبار ج١ ص٣١٤.

٢ ـ وإذا خالطهم لم يظلمهم.

٣ ـ وإذا وعدهم لم يخلفهم.

٤ ـ وجب أن يظهر في الناس عدالته، ويظهر فيهم مروَّته، وأن تحرم عليهم غيبته، وأن تجب عليهم أُخوَّته[١].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدَّثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممّن كملت مروَّته، وظهرت عدالته، ووجبت أُخوَّته، وحرمت غيبته[٢].

بين الزنى والغيبة

وعن أسباط بن محمّد، رفعه إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: الغيبة أشدُّ من الزنى، فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ذاك؟

قال: صاحب الزنى يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه، حتّى يكون صاحبه الّذي يحلّه[٣].

وعن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: إيّاكم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذب الكذب، وكونوا إخواناً في الله كما أمركم الله، لا تتنافروا، ولا تجسّسوا، ولا تتفاحشوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، ولا تتباغوا، ولا تتباغضوا، ولا تتدابروا، ولا تتحاسدوا، فإنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب اليابس[٤].

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفّارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته[٥].

---

(١) الخصال ج١ ص٩٨.

(٢) الخصال ج١ ص٩٧ عيون الأخبار ج٢ ص٣٠.

(٣) الخصال ج١ ص٣٣.

(٤) قرب الاسناد ص١٥.

(٥) أمالي الطوسي ج١ ص١٩٥.

وعن عبيد الله بن عبد الله، عن الصادق عليه السلام قال: اذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبّون أن تذكروا به إذا غبتم عنه، (الخبر)[١].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اعلم أنّه لا ورع أنفع من تجنّب محارم الله والكفّ عن أذى المؤمنين، واغتيابهم. (الخبر)[٢].

وعن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب هوًى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن الفسق[٣].

وعن ابن أبي الدرداء، عن أبيه قال: نال رجل من عرض رجل عند النبيّ صلى الله عليه وآله فردَّ رجل من القوم عليه فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: من ردَّ عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ردَّ عن عرض أخيه المسلم كتب له الجنّة البتة، ومن أُتي إليه معروف فليكافىء، فإن عجز فليثنِ به، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة[٥].

ولاية الشيطان

وعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروَّته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله عزَّ وجلَّ من ولايته إلى ولاية الشيطان[٦].

وعن أبي الورد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: من اغتيب عنده أخوه المؤمن

(١) أمالي الطوسي ج١ ص٢٢٨.
(٢) البحار ج٧٢ ص٢٥٣.
(٣) قرب الأسناد: ٨٢.
(٤) أمالي الطوسي ج١ ص١١٤.
(٥) أمالي الطوسي ج١ ص٢٣٨.
(٦) ثواب الأعمال: ٢١٦، أمالي الصدوق ٢٩١.

فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن اغتيب عنده أُخوه المؤمن فلم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه خفضه الله في الدنيا والآخرة[(١)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه من معصية الله[(٢)].

وعن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الّذي أكره له، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات فقال لي: يا محمّد كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذِّبهم ولا تذيعنَّ عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروَّته، فتكون من الّذين قال الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[(٣)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذاع فاحشة كان كمبتديها ومن عيّر مؤمناً بشيء لا يموت حتّى يركبه[(٤)].

إدام كلاب النار

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليُّ بن الحسين عليه السلام: إيّاكم والغيبة فإنّها إدام كلاب النّار[(٥)].

وعن مسمع البصريِّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ رجلاً قال له: إنَّ من قبلنا يروون أنَّ الله يبغض البيت اللحم، قال: صدقوا، وليس حيث ذهبوا إنَّ الله يبغض البيت الّذي تؤكل فيه لحوم النّاس[(٦)].

---

(١) ثواب الأعمال ص١٣٣.
(٢) ثواب الأعمال ص٢١٥.
(٣) ثواب الأعمال ص٢٢١.
(٤) ثواب الأعمال ص ٢٢١.
(٥) صحيفة الرضا عليه السلام ص٤٢.
(٦) المحاسن ص٤٦٠.

وعن أديم بيّاع الهروي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إنَّ الله يبغض البيت اللّحم قال: إنّما ذاك البيت الّذي يؤكل فيه لحوم النَّاس، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله لحِماً يحبُّ اللحم، وقد جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تسأله عن شيء وعايشة عنده، فلمّا انصرفت ـ وكانت قصيرة ـ قالت عايشة بيدها تحكي قصرها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: تخلّلي قالت: يا رسول الله وهل أكلت شيئاً؟ تخلّلي ففعلت فألقت مضغة من فيها[1].

وعن عبد الأعلى مولى آلى سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نروي عندنا من رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنَّ الله يبغض اللّحم، فقال: كذبوا إنّما قال رسول الله البيت اللّحم: الّذين يغتابون الناس ويأكلون لحومهم، وقد كان أبي لحِماً، ولقد مات يوم مات وفي كمّ أُمِّ ولده ثلاثون درهماً للّحم[2].

الخوض في الغيبة

وقال الصادق عليه السلام: الغيبة حرام على كلِّ مسلم، مأثوم صاحبها في كلِّ حال، وصفة الغيبة أن تذكر أحداً بما ليس هو عند الله عيب، وتذم ما يحمده أهل العلم فيه، وأمّا الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم، فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به، وكنت أنت مُعافًى عنه خالياً منه، تكون ذلك مبيناً للحقِّ من الباطل ببيان الله ورسوله صلى الله عليه وآله ولكن على شرط أن لا يكون القائل بذلك مراداً غير بيان الحقِّ والباطل في دين الله، وأمّا إذا أراد به نقص المذكور به بغير ذلك المعنى. فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صواباً، فإن اغتبت فأُبلغ المغتاب فلم يبق إلاّ أن تستحلَّ منه، وإن لم يبلغه ولم يلحقه علم ذلك، فاستغفر الله له.

والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقد أوحى الله تعالى عزَّ وجلَّ إلى موسى بن عمران عليه السلام المغتاب إن تاب فهو آخر من يدخل الجنّة وإن لم يتب

---

(١) المحاسن ص٤٦٠.

(٢) المحاسن ص٤٦١.

فهو أوّل من يدخل النار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الآية.

وجوه الغيبة

ووجوه الغيبة يقع بذكر عيب في الخَلق والخُلق، والعقل والمعاملة والمذهب والجيل[١] وأشباهه وأصل الغيبة تتنوّع بعشرة أنواع: شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتهمة، وتصديق خبر بلا كشفه، وسوء ظنّ، وحسد، وسخريّة وتعجّب، وتبرُّم، وتزيّن. فإن أردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الأثم ثواباً[٢].

أخبث ما في وعائه

نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى رجل يغتاب رجلاً عند الحسن ابنه عليه السلام فقال: يا بنيَّ نزّه سمعك عن مثل هذا فإنّه نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تذمّوا المسلمين، ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته ففضحه في بيته[٣].

التوبة والاستغفار

عن الباقر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال على المنبر: والله الّذي لا إلّه إلاّ هو ما أُعطي مؤمن قطُّ خير الدنيا والآخرة ألاّ بحسن ظنّه بالله عزَّ وجلَّ والكفِّ عن اغتياب المؤمنين، والله الذي لا إلّه إلاّ هو لا يعذِّب الله عزَّ وجلَّ مؤمناً بعذاب بعد التوبة والاستغفار له إلاّ بسوء ظنّه بالله عزَّ وجلَّ واغتيابه للمؤمنين[٤].

---

(١) والجهل خ ل.

(٢) مصباح الشريعة: ٣٢.

(٣) الاختصاص ص٢٢٥.

(٤) الاختصاص: ٢٢٧.

قال رسول الله ﷺ: الغيبة أسرع في جسد المؤمن من الأكلة في لحمه.

أهل الجنة والنار

وقال ﷺ: من أكل بأخيه المسلم أو شرب أو لبس به ثوباً أطعمه الله به أكلة من نار جهنّم، وسقاه سقية من حميم جهنّم، وكساه ثوباً من سرابيل جهنّم، ومن قام بأخيه المسلم مقاماً شائناً أقامه الله مقام السمعة والرياء، ومن جدَّد أخاً في الإسلام بنى الله له برجاً في الجنة من جوهرة[١].

وقال الصادق: اذكر أخاك إذا تغيّب عنك بأحسن ممّا تحبُّ أن يذكرك به إذا تغيّبت عنه.

وقال عليه السلام: من عاب أخاه بعيب فهو من أهل النار[٢].

ابن أبي البلاد، عن أبيه رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: وهل يكبُّ الناس في النار إلاّ حصائد ألسنتهم؟[٣].

ومن كلام للإمام علي عليه السلام في النهي عن غيبة الناس: فإنّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم، والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الّذي عاب أخاه، وعيّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه، ما هو أعظم من الذنب الّذي عابه به، وكيف يذمّه بذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ممّا هو أعظم منه، وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر.

يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعّله مفغور له، ولا تأمن على

---

(١) الاختصاص: ٢٢٧.

(٢) الاختصاص: ٢٤٠.

(٣) البحار ج٧٢ ص٢٦٠، ح٦٢.

نفسك صغير معصية، فلعلّك معذَّب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته ممَّا ابتلي غيره به[١].

وعن النبيّ ﷺ قال: ترك الغيبة أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من عشرة آلاف ركعة تطوُّعاً.

وقال ﷺ: أمسك لسانك فإنّها صدقة تصدِّق بلسانكن.

وقال ﷺ: ستّ خصال ما من مسلم يموت في واحدة منهنَّ ألاّ كان ضامناً على الله أن يدخله الجنّة: رجل نيّته أن لا يغتاب مسلماً فإن مات على ذلك كان ضامناً على الله. (الخبر).

وروى ابن عباس: عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث للغيبة، وثلث للنميمة، وثلث للبول[٢].

عدة الداعي: فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود نُح على خطيئتك كالمرأة الثكلى على ولدها، لو رأيت الّذين يأكلون الناس بألسنتهم وقد بسطتها بسط الأديم وضربت نواحي ألسنتهم بمقامع من نار، ثمَّ سلّطت عليهم موبّخاً لهم يقول: يا أهل النار هذا فلان السليط فاعرفوه[٣].

الحارث المحاسبي وأحكام الغيبة

حدث بكر بن أحمد قال: سمعت يوسف بن أحمد يقول: سألت حارثاً المحاسبي عن الغيبة، فقال لي: احْذَرْها، فإنَّها شَرٌّ مُكْتَسَب اكتسبه العبد، ما ظنك بشيء يبعثك على نسيان المِنَّةِ، ويسلبك حسناتك حتَّى يرضاها خصماؤك، إذ ليس هناك درهم ولا دينار، وإنَّما أَخَذْتَ مِنْ أعراض المسلمين، فيؤخذ مِنْ دينك حسب ما أخذته من أعراضهم، فاحذر الغيبة، وتعَرَّفْ منبعها مِنْ أين ينبع عليك؟ فإنَّ منبع غيبة الهمج والجُهَّال من أشقاء الغيظ والحسد والحمية وسوء الظن وتلك مكشوفة

(١) نهج البلاغة ج١ ص٢٧٧.
(٢) البحار ج٧٢ ص٢٦١.
(٣) البحار ج٧٢، ص٢٦٢.

غير خفية، وأمَّا غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النَّفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصلح من الخير، ولو صح ما كان عوناً على الغيبة حتَّى يقول القائل منهم:

أليس قد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «أترعون عن ذكر الفاجر، اذكروه بما فيه يحذره النَّاس»، ولو كان الخبر محفوظاً عن النبي ﷺ صحيحاً لم يكن فيه انتصار للنفس من العدو ولا إشفاء الغيظ، ولا إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه أو يأتيك مسترشداً، فيقول: أريد أُزَوِّج كريمتي من فلان، فتعرف منه بدعة، أو تخلفاً عن قصد السبيل، أو تجده غير مأمون على حرم المسلمين، فلا تحملك الدعة على أن تخون أخاك المسلم في مشورته، بل تصرفه عنه بأحسن صرف، أو يجيئك آخر فيقول: إنِّي أودع مالي فلاناً، وليس ذلك الرجل مكان الوديعة، ولا موضعاً للأمانة، فلا تحملك الدَّعَة أن تُضيِّع مال أخيك، بل تصرفه عنده بأحسن صرف، أو يقول لك رجل: أريد أصلِّي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم أُقلِّدُه، فتصرفه على أحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبه.

وأمَّا منبع الغيبة من القُرَّاء والنُسَّاك فمن طريق التعجب، فإنَّه يُبْدي عيوب إخوانه، ثمَّ يقول: إنَّما أُبْدِي هذا تَعَجُّباً، ويبدي عواري[1] الأخ، ثمَّ يتصنع بالدُّعاء في ظهر الغيب، فيتمكن من لحم أخيه المسلم، ثمَّ يتزين بالدُّعاء له، وأمَّا منبع الغيبة من الرؤساء والأستاذين فذلك من طريق الرحمة والشفقة حتَّى يقول أحدهم: مسكين فلان أُبْتلِي بكذا وكذا، ووقع في كذا وكذا، ونعوذ بالله من الخذلان، فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه، ثمَّ يتصنع بالدُّعاء له عند إخوانه، ويقول: إنَّما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له!.

ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً وتصريحاً، فاتق يا بُنَيَّ الغيبة، فقد نطق القرآن بكراهيتها والنهي عنها، حتَّى جعلها كأكل الميتة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[2][3].

---

(١) عواري الشيء: ما فيه من خلل وعيب.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) عيون الحكايات ص٣٨٠ ـ ٣٨٢، لابن القيم الجوزية.

موعظة للغافلين

لزوم الصمت:

يا نفسُ: إيَّاكِ والسَّباب والنميمة والاغتياب، فإنَّ اللِّسان قليل الخير، وغير مأمون الضير، والصَّمتُ سلَّم الخلاص، والنُّطق يحبس الهزار في الأقفاص، والحكيم المصقع[(١)] حكيمٌ أبتر، والفصيحُ المكثار أعثر، اللَّغط سنة المحافل، والجرس آفة القوافل، خير القوس المكتوم، وخير الشَّراب المختوم، رنين القسيّ يطرد الصَّبا، ووسواس الحلى يوقظ الرّقبا، خلق اللّهُ الآفة وجَعَل النُّطق مثارها، وقدَّر السَّلامة وجَعَل الصَّمْت مدارها، فالصَّمْت يكرمك السَّلامة، ويؤمنك النَّدامة، وفرسان الكلام يوم القيامة مُشاة، والمحلّون بزخارف العبارات عُراة، وسيأتي يوم يندمُ فيه الفصيح، والطَّير الَّذي يصيح، فما اللِّسان إلاَّ سبع صول فقيِّديه، أو صارم مسلول فأغمديه، ولو كان سحبان[(٢)] عاقلاً، لتمنَّىٰ أن يكونُ باقلاً، وأجْبَن الفرسان، من حارَث باللِّسان، وأحْمَسُ الكماة، مَنِ استعان على قربه بالصَّمات، من صمت لَعِلم العجائب، ولو سكت يوسف لعصم من النوائب، وحصاد الألسنة قد يزرع العداوة، وطيَّارات الكلم قد تطير العِلاوة[(٣)]، فخدش اللِّسان ثلمَةٌ لا تَنْسَدُّ، والكلام كالنَّبل إذا طال لا يُرْبَد.

---

(١) المصْقع: البَليغ ولَعَلَّ المراد هنا كثير اللَّفظ.

(٢) سحبان اسم رجل من وائل كان لسِناً بليغاً يضرب به المثل في البيان.

(٣) العِلاوة بالكسر على الرَّأس أو العنق.

ذو اللِّسان وذو الوجهين

في اللسان وآفاته:

وأمَّا اللِّسان فإنَّه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة وهو صغير لكنّ جرمه عظيم الطاعة إذ لا يتبين الإيمان والكفر إلاَّ بشهادة اللِّسان وهما غاية الطاعة والطغيان، ثمَّ إنَّه ما من موجود أو معدوم، خالق أو مخلوق، متخيل أو معلوم، مظنون أو موهوم، إلاَّ واللِّسان يتناوله ويتعرَّض له بإثبات أو نفي فإنَّ كل ما يتناوله العلم يعبِّر عنه اللِّسان إمَّا بحقّ أو باطل، ولا شيء إلاَّ والعلم متناوله وهذه خاصيَّة لا توجد في سائر الأعضاء، فالعين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والأُذن لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء.

واللِّسان رحب الميدان ليس له مرد، ولا لمجاله منتهىٰ ولا حد، فله في الخير مجال رحب وله في الشَّر مجرى سحب، فمن أطلق عذبة اللِّسان، وأهمله مرخىٰ العنان سلك به الشَّيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكبّ النَّاس على مناخيرهم في النَّار، إلاَّ حصائد ألسنتهم كما ورد في الحديث النبوي ﷺ.

ولا ينجي من شر اللِّسان إلاَّ أن يقيد بلجام الشرع فلا يطلق إلاَّ فيما ينفع في الدُّنيا والآخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد إطلاق اللِّسان فيه أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللِّسان، فإنَّه لا تعب في تحريكه ولا مؤونة في إطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده وحبائله وأنَّه أعظم آلة الشَّيطان في استغواء الإنسان.

فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فإن كان لله وفي الله فتكلّم، وإن كان غير ذلك فالسُّكوت خير منه، وليس على الجوارح عبادة أخف مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه، ونشر آلائه ونعمائه في عباده، ألا ترى أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام، وكذلك بين الرُّسل والأُمم فثبت بهذا أنَّه أفضل الوسائل وألطف العبادة، وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدّها ملامة وأعجلها سامَّة عند الخلق منه.

اعلم أنَّ آفات اللِّسان كثيرة منها الخطأ والكذب والغيبة غير المأذون فيهما، وخلف الوعد والنميمة والرِّياء والنِّفاق والفحش والمراء وتزكية النَّفس والخصومة والفضول، والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورة وإفشاء السِّر، والسُّخرية والاستهزاء وغير ذلك، وهي سباقة إلى اللِّسان لا يثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشَّيطان فالخائض فيها قلَّما يقدر على أن يلزم اللِّسان فيطلقه بما يجب، ويكفه عمَّا لا يجب، فإنَّ ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصَّمت نجاة.

فلذلك عظم فضل الصَّمت مع ما فيه من جمع الهمّ ودوام الوقار والفراغ في الفكر والذِّكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدُّنيا ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2] وقال النبي ﷺ: «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله»[3].

وجهان ولسانان

وعن أبي شيبة الزهريّ، عن الباقر عليه السلام قال: بئس العبد عبد يكون ذا

(١) ق: ١٨.
(٢) النساء: ١١٤.
(٣) إحياء علوم الدِّين: ج٣، ص١٠٩.

وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أُعطي حسده، وإن ابتلي خذله[١].

وعن أبي شيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بئس العبد عبد همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر بآخر[٢].

وعن ابن أبي يعفور، عن الصادق عليه السلام قال: من لقي الناس بوجه وعابهم بوجه جاء يوم القيامة وله لسانان من نار[٣].

وعن زيد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه، وآخر من قدّامه يلتهبان ناراً حتّى يلهبا جسده، ثمّ يقال: هذا الّذي كان في الدُّنيا ذا وجهين وذا لسانين، يعرف بذلك يوم القيامة[٤].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من شرِّ الناس عند الله عزّ وجلّ يوم القيامة ذو الوجهين[٥].

وعن عمّار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان له وجهان في الدُّنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار[٦].

وعن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار[٧].

وعن عبد الرحمن بن أبي حمّاد رفعه، قال: قال الله عزّ وجلّ لعيسى بن مريم: يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً وكذلك قلبك إنّي

---

(١) معاني الأخبار ص١٨٥، أمالي الصدوق ص٢٠٣.
(٢) ثواب الأعمال ص٢٤٠.
(٣) معاني الأخبار ص١٨٥، أمالي الصدوق ص٢٠٣.
(٤) الخصال ج١ ص٢٠.
(٥) الخصال ج١ ص٢٠.
(٦) الخصال ج١ ص٢٠.
(٧) ثواب الأعمال ص٢٤٠.

أُحذرّك نفسك، وكفى بي خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان(١).

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس العبد عبد له وجهان: يقبل بوجه ويدبر بوجه إن أُوتي أخوه المسلم خيراً حسده، وإن ابتلي خذله(٢).

وقال الشاعر زهير بن أبي سلمى:

(البحر الطويل)

وكائن ترى من صامتٍ لك معجبٍ ... زيادتهُ أو نقصه في التكلُّم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقال الإمام الرِّضا عليه السلام:

(البحر السريع)

لسانك احفظه وصن نطقه ... واحذر على نفسك من عثرتهْ
فالصمتُ زينٌ وقد ... يؤتى على الإنسان من لفظتهْ

وقال ابن الرومي:

(البحر الطويل)

إذا شئت إن تحيا سليماً من الأذى ... ودينك موفور وعرضك صيِّنُ
لسانك لا تذكر به عورة امرىءٍ ... فكلك عورات وللناس ألسنُ

وقال صفي الدِّين الحلي:

(البحر الكامل)

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن ... عجلاً بنطقك قلما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً ... إلا لتسمع ضعف ما تتكلمُ

---

(١) ثواب الأعمال خ٢٤٠.
(٢) نوادر الراوندي ٢٢.

التسمع على الناس وما يسرّون

وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة»[١].

موعظة للغافلين

عباد الله! إن المنايا قد دقت واقتربت، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت، رب شمس طالعة على القبر قد غربت، يا فراخ الفنا! فخاخ البلى قد نصبت، عباد الله: كل المعاصي قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. يا من يغتر بالأماني والآمال الكواذب، ومبارز بالقبائح وما يدري من يحارب، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب؟ يا من عمره يفنى في ممره ويسري كالنجائب، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب، يا عجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب؟!.

أهوال يوم الحساب:

يا نفسُ: ضعي فخرك، واحططي كِبْرَكِ، واذكري قبركِ.

يا نفسُ: احْذري أهوال يوم الحساب واذكري ما جاء في الكتاب: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٢].

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾[٣].

---

(١) الكبائر: ص١٦٣.

(٢) الدهر: ١٠.

(٣) الطور: ٩ ـ ١٠.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[(١)].

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾[(٢)].

﴿...يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾[(٣)].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾[(٤)].

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾[(٥)].

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[(٦)].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾[(٧)].

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾[(٨)].

﴿...يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[(٩)].

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾[(١٠)].

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾[(١١)].

---

(١) الحديد الآية ١٣.
(٢) الفرقان: ٢٢.
(٣) المزمل: ١٧ ـ ١٨.
(٤) المزمل: ١٤.
(٥) الإسراء: ٧١.
(٦) الفرقان: ٢٥.
(٧) الفرقان: ٢٧.
(٨) الأحزاب: ٦٦.
(٩) البقرة: ٤٨.
(١٠) المرسلات: ١٣ ـ ١٤.
(١١) الأنعام الآية ١٥٨.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾[١].

﴿...يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٢].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[٣].

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

﴿...وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٥].

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٦].

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾[٧].

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾[٨].

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[٩].

﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾[١٠].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾[١١].

---

(١) فصلت الآية ١٩.
(٢) المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦.
(٣) الشُّعراء الآية ٨٨.
(٤) العنكبوت: ٥٥.
(٥) الجاثية: ٢١.
(٦) المعارج: ٤٣ ـ ٤٤.
(٧) النحل: ١١١.
(٨) الطور: ١٣ ـ ١٤.
(٩) المطففين الآية ٦.
(١٠) غافر الآية ٣٢.
(١١) غافر الآية ٣٣.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾(١).

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾(٢).

﴿...يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾(٣).

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾(٤).

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾(٥).

﴿... إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٦).

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾(٧).

﴿يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾(٨).

﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾(٩).

﴿...يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾(١٠).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾(١١).

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾(١٢).

---

(١) النمل: ٨٧.
(٢) الطّور: ٩-١٠.
(٣) إبراهيم: ٣١.
(٤) إبراهيم الآية ٤١.
(٥) إبراهيم الآية ٤٤.
(٦) إبراهيم: ٤٢].
(٧) إبراهيم الآية ٤٨.
(٨) الشورى: ٤٧.
(٩) الشورى الآية ٧.
(١٠) غافر: ١٨.
(١١) النازعات: ٦ ـ ٨.
(١٢) النازعات: ٣٥ ـ ٣٦.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾(١).

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾(٢).

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾(٣).

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾(٤).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾(٥).

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾(٦).

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾(٧).

(١) عبس: ٢٤ ـ ٣٧.
(٢) المجادلة: ٦.
(٣) الحج الآية ٢.
(٤) غافر الآية ١٥.
(٥) القلم الآية ٤٢.
(٦) القيامة الآية ٣٠.
(٧) النبأ: ٣٨ ـ ٤٠.

النميمة والسعاية

قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[(١)].

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾[(٢)].

معنى النميمة:

وهي.. نقل الأحاديث التي يكره النَّاس إفشاءها ونقلها من شخص إلى آخر، نكاية بالمحكي عنه ووقعيةً به.

والنميمة من أبشع الجرائم الخُلُقية، وأخطرها في حياة الفرد والمجتمع، والنمَّام ألأم النَّاس وأخبثهم، لاتصافه بالغيبة، والغدر، والنفاق، والإفساد بين النَّاس، والتفريق بين الأحباء.

بواعث النميمة:

للنميمة باعثان:

١ ـ هتك المحكِّي عنه، والوقيعة به.

٢ ـ التودد والتزلف للمحكِّي له بنم الأحاديث إليه.

---

(١) النساء: ٨٥.

(٢) القلم: ١٠ ـ ١١.

مساوىء النميمة:

تجمع النميمة بين رذيلتين خطيرتين: الغيبة والنَم، فكل نميمة غيبة، وليست كل غيبة نميمة، فمساوئها كالغيبة، بل إنكىٰ منها وأشدّ، لاشتمالها على إذاعة الأسرار، وهتك المحكّي عنه، والوقيعة فيه، وقد تسول سفك الدماء، واستباحة الأموال، وانتهاك صنوف الحرمات، وهدر الكرامات.

كيف تعامل النمّام:

وحيث كان النمّام من أخطر المفسدين، وأشدهم إساءة وشراً للناس، فلزم الحذر منه، والتوقي من كيده وإفساده، وذلك باتّباع النصائح الآتية:

١ ـ أنْ يكذب النمّام، لفسقه وعدم وثاقته، كما قال تعالى:

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1].

٢ ـ أن لا يظن بأخيه المؤمن سوءاً، بمجرد النمّ عليه، لقوله تعالى:

﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2].

٣ ـ أن لا تبعثه النميمة على التجسس والتحقق عن واقع النمّام، لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[3].

٤ ـ أن لا ينمّ على النمّام بحكاية نميمته، فيكون نمّاماً ومغتاباً، في آن واحد.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنَّ رجلاً أتاه يسعى إليه برجل. فقال: يا هذا نحن نسأل عمّا قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، قال: أقلني يا أمير المؤمنين»[4].

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) سفينة البحار: م٢، ص٦١٣.

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك، الرجل من إخوتي يبلغني عنه الشيء الذي أكره له، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال لي: يا محمد كَذِّبْ سمعك وبصرك عن أخيك، فإنْ شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروته، تفكون من الذين قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[1][2].

معنى السعاية:

ومن متممات بحث النميمة (السعاية): وهي أقسى صور النميمة، وأنكاها جريرة وإثماً، إذ تستهدف دمار المسعى به وهلاكه بالنمّ عليه، والسعاية فيه لدى المرهوبين، من ذوي السلطة والسطوة.

وأكثر ضحايا السعاية هم المرموقون من العظماء والأعلام، المحسودون على أمجادهم وفضائلهم، ممَّا يُحفِّز حاسديهم على إذلالهم، والنكاية بهم، فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، فيكيدونهم بلؤم السعاية، إرضاءً لحسدهم وخبثهم، بيد أنَّه قد يبطل كيد السعاة، وتُخفق سعايتهم، فتعود عليهم بالخِزْي والعقاب، وعلى المسعي به بالتبجيل والإعزاز.

النميمة من نمَّ الحديث بمعنى نقل ما يذكره الشخص من معايب غيره إلى ذلك الغير. وهي بكلمة أُخرى: نحو من السعي لإيقاع الفتنة والفرقة بين اثنين[3].

والفرق بين الهمَّاز والمشَّاء بنميم أنَّ الأوَّل مبالغة من الهمز بمعنى العيب، وهو من يكثر بيان عيوب الآخرين، والثاني هو الذي يمشي ويسعى للنميمة وإلقاء الفرقة.

---

(1) النور: 19.

(2) البحار: م15 كتاب العشرة، ص188 عن ثواب الأعمال للصدوق.

(3) مجمع البحرين 6: 180.

وقد جاءت الآية الكريمة الأُولى في ذمِّ بعض مشركي مكَّة، حيث قالت:

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾[(١)].

هذا بالنسبة إلى الآية الأُولى.

وأمَّا الآيتان الأخيرتان فدلالتهما على المطلوب واضحة باعتبار أنَّ النمَّام يقطع ما أمر الله سبحانه بوصله وهو يسعى للفساد في الأرض.

ومن خلال هذا يتَّضح أنَّ بالإمكان التمسُّك في ذمِّ النميمة والردع عنها بالآيات الناهية عن الفساد في الأرض، من قبيل:

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[(٢)].

هذا وقد تفسَّر الفتنة في قوله تعالى:

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[(٣)] بالنميمة[(٤)] ويجعل ذلك دليلاً على تحريمها.

ثمَّ إنَّه قد جاء عن النبي ﷺ في النميمة ما نصَّه: «من مشى في نميمة بين اثنين سلَّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة، وإذا خرج من قبره سلَّط الله عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النَّار»[(٥)].

وعن أبي سعيد هاشم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربعة لا يدخلون الجنّة: الكاهن، والمنافق، ومدمن الخمر، والقتّات وهو النمّام[(٦)].

---

(١) القلم: ٨ ـ ١١.

(٢) البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥، والشعراء: ١٨٣، والعنكبوت: ٣٦.

(٣) البقرة: ٢١٧.

(٤) في مقابل احتمال أن يكون المقصود أنَّ ما فتنوا به المسلمين من دعوتهم إلى الكفر وزجرهم عن الإسلام أكبر من القتل.
ثمَّ إنَّه لم نجد في كتب اللغة تفسير الفتنة بالنميمة بعنوانه، نعم جاء في مجمع البحرين ٦: ٢٩٢ أنَّها تستعمل أحياناً بمعنى كل شرّ وفساد، وبناء عليه تكون النميمة من مصاديق الفتنة لا نفسها.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٦١٨، الباب ١٦٤ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ٦.

(٦) أمالي الصدوق ص٢٤٣.

وعن ابن ظبيان، عن الصادق عليه السلام قال: بينا موسى بن عمران عليه السلام يناجي ربّه عزَّ وجلَّ إذ رأى رجلاً تحت ظلِّ عرش الله عزَّ وجلَّ، فقال: يا ربِّ من هذا الّذي قد أظلّه عرشك؟ فقال: هذا كان بارّاً بوالديه ولم يمش بالنميمة[1].

وعن داود الشعيريّ، عن الرَّبيع صاحب المنصور قال: قال الصادق عليه السلام للمنصور: لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرَّم الله عليه الجنّة، وجعل مأواه النار، فإنَّ النمّام شاهد زور، وشريك إبليس في الاغراء بين الناسن فقد قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾[2][3].

النّمام لا يدخل الجنّة

روي عن حذيفة أنَّه بلغه أنَّ رجلاً ينمُّ الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا يدخل الجنَّة نمّام[4].

في مناهي النبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه نهى عن النميمة والاستماع إليها، وقال: لا يدخل الجنّة قتّات، يعني نمّاماً.

وقال صلى الله عليه وآله: يقول الله عزَّ وجلَّ: حرَّمت الجنّة على المنّان والبخيل والقتّات وهو النمّام[5].

عن محمّد بن سنان، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: السفّاك للدَّم، وشارب الخمر، ومشّاء بالنميمة[6].

---

(١) أمالي الصدوق ص١٠٨.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) البحار: ج٧٢، ص٢٦٤، ح٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٩١ و٣٩٦ و٣٩٩ و٤٠٦. رواه النوري في المستدرك ٩: ١٥٠.

(٥) أمالي الصدوق ص٢٥٤.

(٦) الخصال ج١ ص٨٥.

في خبر وصيّة النبيِّ ﷺ لعليّ عليه السلام أنّه قال لأصحابه: ألا أُخبركم بشراركم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: المشّاؤن بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب[١].

وعن أبي جعفر الثاني، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيُّ ﷺ: لمّا أُسري بي رأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار، وعليها ألف ألف لون من العذاب فسُئِل ما كان عملها؟

فقال: إنّها كانت نمّامة كذّابة[٢].

وعن همّام، عن حذيفة قال: قال النبيُّ ﷺ: لا يدخل الجنّة قتّات[٣].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيُّ ﷺ: المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم وخير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين، ولا خير فيمن لا يؤلف ولا يألف. قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم: المشّاؤون بالنميمة، والمفرِّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب، أُولئك لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم،، ثمّ تلا صلّى الله عليه وآله. ﴿...هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ...﴾[٤][٥].

وعن زيد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ عليه السلام قال: عذاب القبر يكون من النميمة، والبول، وعزب الرجل عن أهله[٦].

وعن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يدخل الجنّة سفّاك الدم ولا مدمن الخمر، ولا مشّاء بنميم[٧].

---

(١) الخصال ج١ ص٨٦.
(٢) عيون الأخبار ج٢ ص١٠.
(٣) أمالي الطوسي ج١ ص٣٩٢.
(٤) الأنفال: ٦٢.
(٥) أمالي الطوسي ج٢ ص٧٧.
(٦) علل الشرايع ج١ ص٢٩١.
(٧) ثواب الأعمال ص٢٤١.

وعن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: حرِّمت الجنّة على ثلاثة: النمّام، ومدمن الخمر، والديّوث وهو الفاجر[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ شرَّ الناس يوم القيامة المثلّث.

وقيل: وما المثلّث يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وقال: الرجل يسعى بأخيه إلى إمامه فيقتله، فيهلك نفسه وأخاه وإمامه[٢].

وعثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أنَّ بعض أصحابك ينمُّ عليك فاحذره فقال: يا ربِّ لا أعرفه فأخبرني به حتّى أعرفه.

فقال: يا موسى عبت عليه النميمة وتكلّفني أن أكون نمّاماً.

فقال: يا ربِّ وكيف أصنع؟

قال الله تعالى: فرِّق أصحابك عشرة عشرة، ثمَّ تقرع بينهم، فإنَّ السهم يقع على العشرة التّي هو فيهم ثمَّ تفرِّقهم وتقرع بينهم فإنَّ السهم يقع عليه.

قال: فلمّا رأى الرجل أنَّ السهام تقرع، قام فقال: يا رسول الله أنا صاحبك لا والله لا أعود أبداً[٣].

وعن ابن فضّال، عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: شرُّ الناس المثلّث.

قيل: يا رسول الله وما المثلّث؟

قال: الّذي يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك السلطان[٤].

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٤١.

(٢) الاختصاص ص٢٢٨.

(٣) البحار: ج٧٢، ص٢٦، ح١٥.

(٤) البحار: ج٧٢، ح٢٦٦، ح١٦.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أُنبّئكم بشراركم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: المشّاؤون بالنمية، المفرِّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء المعايب[١].

عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: محرَّمة الجنّة على القتّاتين المشّائين بالنميمة[٢].

وفي الصحيحين إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا يدخل الجنَّة نمَّام»[٣] وفي الحديث إن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بقبرين قال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أنه كبير.

أما أحدهما: فكان لا يستبرىء من بوله.

وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة، وقال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي وهؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة»[٥].

ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلَّم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو معنى صاحب الوجهين.

قال الغزالي: إنَّما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله: فلان يقول فيك كذا، وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٦٩.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٦٩.

(٣) وكذا رواه أبو داود والترمذي كلهم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

(٤) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ.

(٥) رواه مالك والبخاري ومسلم.

يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه، أو ثالث، وسواءً كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره، فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك السِّر عمَّا يكره كشفه.

وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية. قال:

وكل من حملت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان كذا وكذا لزمه نيته أحوال:

الأول: أن لا يصدقه لأنه «نمام» فاسق وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله عزّ وجلّ فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب.

الرابع: أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقول تعالى:

﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[2].

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته، وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾[3]،

(١) الحجرات: ١٢.
(٢) الحجرات: ١٢.
(٣) الحجرات: ٦.

وإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً[٢].

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب[٣] بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمّره الله، والساعي لعنه الله.

وقال الحسن البصري: من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس: من نقل إليك نقل عنك فاحذره.

وقال ابن المبارك: ولد الزنى لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنى استنباطاً من قول الله تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾[٤]، والزنيم: هو الدِّعي.

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه، فقال له: يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنايات:

١ ـ بغضت إليّ أخي.

٢ ـ وشغلت قلبي بسببه.

٣ ـ واتهمت نفسك الأمينة.

وكان بعضهم يقول: من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك.

وجاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: إن فلاناً شتمك وقال عنك كذا كذا، فقال: اذهب بنا إليه، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه، فلما وصل إليه قال: يا أخي إن كان ما قلت فيَّ حقاً فغفر الله لي، وإن كان ما قلت فيَّ باطلاً فغفر الله لك[٥].

---

(١) القلم: ١١.

(٢) الكبائر: ص١٦٥.

(٣) وذكرها ابن أبي شامة في كتابه «الروضتين».

(٤) القلم: ١٣.

(٥) الكبائر: ص١٦٦.

وقيل في قول الله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ يعني امرأة أبي لهب، إنها كانت تنقل الحديث بالنميمة، سمى النميمة حطباً لأنها سبب العداوة، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار.

ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

شؤم ذلك العبد المشؤوم

روي أن رجلاً رأى غلاماً يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيَّاماً ثم قال لزوجة سيِّده: إنَّ سيِّدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال:

إنَّه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدي: إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه، وتريد أن تخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده.

فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤوم. فلذلك سمّى الله النمام فاسقاً في قوله تعالى:

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1][2].

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الكبائر: ص١٦٦.

موعظة للغافلين

يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكاً، يا غافلاً عن التلف وقد أدركه إدراكاً، يا مغروراً بسلامته وقد نصب له الموت اشراكاً، تفكر في ارتحالك وأنت على حالك فإن لم تبك فتباكى.

(البحر الطويل)

بكيت فما تبكي شباب صباكا ... كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً ... مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم ترَ يوماً مر إلا كأنه ... بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... فينساك ما خلفته، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... إليك وإنّ باكٍ عليك بكاكا
كأن الذي يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة ... عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة ... علقن فلم يقبل لهن فكاكا[1]

عن الإمام الصادق عليه السلام: «وإن من أكبر السحر النميمة، يفرق بها بين المتحابين، ويجلب العداوة على المتصافين، ويسفك بها الدماء، ويهدم بها الدور، ويكشف بها الستور والنمّام أشر من وطيء الأرض»[2].

رُوي أن موسى عليه السلام استسقى لبني إسرائيل حين أصابهم قحط، فأوحى الله تعالى إليه: لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام قد أصر على النميمة.

فقال موسى عليه السلام: من هو يا رب حتى نخرجه من بيننا؟

(١) الكبائر: ص١٦٧.

(٢) الاحتجاج: ج٢، باب احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية... ص٨٢.

فقال الله: يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً؟ فتابوا بأجمعهم فسقوا»[١].

قال الأبشيهي:

(البحر البسيط التام)

من نمَّ في الناس لم تُؤمن عقاربُه — على الصديق ولم تُؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحدٌ — من أين جاء ولا من أين تأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقصه — والويل للودّ منه كيف ينفيه

وقال أحمد الصافي النجفي:

(البحر الوافر)

أتى الواشي إليَّ بقول سوءٍ — لأعداءٍ حديثهم فضولُ
وليس يهمُّني ما قال عني — سواي يهمّني ماذا أقول

حثّ النَّفس على اجتناب المحارم:

يا نفسُ: لا تنظري إلى صِغر الخطيئة ولكن انظري من عصيتِ، ولا ترثي لمن ظلمت ولكن إرثي لسوءِ ما اجتنيت.

يا نفسُ: ما قلَّ وكفى، خيرٌ ممَّا كثر وألهى، وأنَّ صاحب الدِّينارين، أطول حساباً من صاحب الدِّرهمين.

يا نفسُ: النَّوم على المزابل، وأكل خبز الشَّعير، في طلب الفردوس ولذَّاتها يسير، وماء برّ وثوب قطن مع السَّلامة أفضل من نعمة جزيلة يكونُ عَقيبها ندامة.

يا نفسُ: ليس شيءٌ أوعظ من المقابر، ولا آنس من الدَّفاتر.

يا نفسُ: تقوى الله زاد لا يفنى، والعمل الصَّالح أكفان لا تُبلى.

---

(١) كشف الريبة: ص٨٥ ـ ٨٦.

يا نفسُ: عجباً لمن عرف الله كيف يقترف السيِّئات، ولمن أيقن بالموت كيف تُهنِّئه اللَّذّات، ولمن تحقَّق البَعث والحساب كيف يترك الطَّاعات.

يا نفسُ: إيَّاكِ أن يراكِ الله حيث زجرك أو يفقدك حيث أمرك[1].

يا نفسُ: إنَّك لا تدركين ما تأملين إلاَّ بالصَّبر عى ما تكرهين، ولا تبلغين ما تريدين إلاَّ بترك ما تشتهين.

يا نفسُ: في الحديث من رزقه الله خصلتين فقد أُعطيَ خير الدَّارين: من إذا ابتلى صَبَر، وإذا أُعطي شكر.

(١) إنَّ المؤمن ليرى ذنبه كأنَّه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه وأنَّ الكافر ليرى ذنبه كأنَّه ذباب مرَّ على أنفه يا أبا ذرّ إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً جعل ذنوبه بين عينيه ممثلاً والإثم عليه ثقيلاً وبيلاً وإذا أراد بعبدٍ شرَّاً أنساه ذنوبه. (حديث نبوي).

إيذاء المؤمن

قال الله تعالى:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝١١١﴾(١).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٢).

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾(٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو ردَّ عليه قوله، فقد ردَّ على الله(٤).

وعن الصادق عليه السلام، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: أذلُّ الناس من أهان الناس(٥).

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من استذلَّ مؤمناً أو حقّره لفقره وقلّة ذات يده، شهره الله يوم القيامة ثمَّ يفضحه(٦).

---

(١) المؤمنون: ١١٠ - ١١١.

(٢) الاحزاب: ٥٨.

(٣) الحجرات: ١١.

(٤) أمالي الطوسي ج١ ص٣١٢.

(٥) معاني الأخبار ١٩٥، أمالي الصدوق ص١٤.

(٦) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٣٣.

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذلَّ مؤمناً أو حقّره وقلّة ذات يده شهره الله على جسر جهنّم يوم القيامة[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تحقّروا ضعفاء إخوانكم فإنّه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله عزَّ وجلَّ بينهما في الجنّة إلاّ أن يتوب.

وقال عليه السلام: المؤمن لا يغشُّ أخاه ولا يخونه ولا يخذله ولا يتّهمه ولا يقول له: أنا منك بريء[٢].

وفي تفسير القمي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ فإنّها نزلت في صفيّة بنت حُيِيٍّ بن أخطب وكانت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنَّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهوديّة، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: ألا تجيبينهما؟

فقالت: ماذا يا رسول الله؟

قال: قولي أبي هارون نبيُّ الله وعمّي موسى كليم الله، وزوجي محمّد رسول الله، فما تنكران منّي؟

فقالت لهما فقالتا: هذا علّمك رسول الله؟ فأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾[٣].

وقال الصادق عليه السلام: من حقّر مؤمناً لقلّة ماله حقّره الله فلم يزل عند الله محقوراً حتّى يتوب ممّا صنع، وقال عليه السلام: إنّهم مباهون بأكفائهم يوم القيامة[٤].

وعن المعلّي بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ليأذن بحرب منّي من أذلَّ عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٧٠.
(٢) الخصال ج٢ ص١٥٧ و١٦١.
(٣) تفسير القمي: ٦٤٢، والآية في الحجرات ١٠ ـ ١١.
(٤) مشكاة الأنوار: ٥٩.
(٥) ثواب الأعمال ص٢١٣.

وعن المفضّل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كبريائه، فمن طعن عليهم أو ردَّ عليهم قولهم، فقد ردَّ على الله في عرشه، وليس من الله في شيء، إنّما هو شرك شيطان[١].

وعن ربعيّ، عن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلاّ مات بشرِّ ميتة، وكان يتمنّى أن يرجع إلى خير[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تحقّروا مؤمناً فقيراً فإنّه من حقّر مؤمناً فقيراً أو استخفَّ به حقّره الله، ولم يزل ماقتاً له حتّى يرجع عن حقرته أو يتوب.

وقال عليه السلام: من استذلَّ مؤمناً أو حقّره لقلّة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلايق[٣].

وعن الثماليّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا قال المؤمن لأخيه: أُفّ خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوّي كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو يضمر على المؤمن سوءاً[٤].

وعن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أُسري بي فأوحى الله إليَّ من وراء الحجاب ما أوحى وشافهني من دونه بما شافهني، فكان فيما شافهني أن قال: يا محمّد من آذى لي وليّاً فقد أرصدني بالمحاربة، ومن حاربني حاربته.

قال: فقلت: يا ربِّ ومن وليّك هذا؟ فقد علمت أنّه من حاربك حاربته.

فقال: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيّك ولورثتكما بالولاية[٥].

---

(١) ثواب الأعمال: ٢١٤. المحاسن: ص١٠٠.
(٢) ثواب الأعمال: ص٢١٤.
(٣) ثواب الأعمال ص٢٢٤.
(٤) المحاسن ص٩٩.
(٥) المحاسن ص١٣٦.

وعن الثماليّ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: إنَّ أبا ذرّ عيّر رجلاً على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله بأمّه فقال له: يابن السوداء! وكانت أُمّه سوداء.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: تعيّره بأُمّه يا أبا ذرّ؟ قال: فلم يزل أبو ذرّ يمرّغ وجهه في التراب ورأسه حتّى رضي رسول الله صلى الله عليه وآله عنه[١].

روي عن أحد الأئمّة أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله عزَّ وجلَّ كتم ثلاثة في ثلاثة: كتم رضاه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته وكتم وليّه في خلقه، فلا يستخفّنَّ أحدكم شيئاً من الطاعات فإنّه لا يدري في أيّها رضا الله، لا يستقلنَّ أحدكم شيئاً من المعاصي فإنّه لا يدري في أيّها سخط الله ولا يزرأنَّ أحدكم بأحد من خلق الله فإنّه لا يدري أيّهم وليُّ الله[٢].

وعن الصادق عليه السلام، عن أبيه وعمّه زيد، عن آبيهما، عن أبيه وعمّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يحلُّ لمسلم أن يروِّع مسلماً[٣].

وعن الصادق عليه السلام قال: أعتى الناس من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه[٤].

وعن محمّد بن عبيد بن مدرك قال: دخلت مع عمّي عامر بن مدرك على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزَّ وجلَّ وبين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله[٥].

وفي مناهي النبيّ صلى الله عليه وآله: ألا ومن لطم خدَّ مسلم أو وجهه بدَّد الله عظامه يوم القيامة، وحشر مغلولاً حتّى يدخل جهنّم إلاّ أن يتوب[٦].

---

(١) البحار: ج٧٢، ص١٤٦ ـ ١٤٧.
(٢) البحار: ج٧٢، ص١٤٧، ح٢١.
(٣) عيون الأخبار ج٢ ص٧٠.
(٤) أمالي الصدوق ص١٤.
(٥) أمالي الطوسي ج١ ص٢٠١.
(٦) أمالي الصدوق ص٢٥٧.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله[١].

وعن بعض الكوفيّين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من روَّع مؤمناً بسلطان ليصيب منه مكروهاً فلم يصبه، فهو في النار، ومن روَّع مؤمناً بسلطان ليصيب منه مكروهاً فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار[٢].

وعن المفضّل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الصدود لأوليائي؟ قال: فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم.

قال: فيقول: هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم، وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم.

قال: ثمَّ يؤمر بهم إلى جهنّم، قال أبو عبد الله عليه السلام: كانوا والله الّذين يقولون بقولهم ولكنّهم حبسوا حقوقهم، وأذاعوا عليهم سرَّهم[٣].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليٌّ عليه السلام: ورثت عن رسول الله صلى الله عليه وآله كتابين: كتاب الله عزَّ وجلَّ وكتاباً في قراب سيفي.

قيل: يا أمير المؤمنين وما الكتاب الّذي في قراب سيفك؟

قال: من قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه فعليه لعنة الله[٤].

وعن أبي سعيد الخدريّ قال: وجد قتيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج مغضباً حتّى رقِيَ المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «يقتل رجل من المسلمين لا يدري من قتله؟ والّذي نفسي بيده لو أنَّ أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار، والّذي نفسي بيده لا يجلد أحد أحداً

---

(١) ثواب الأعمال ٢١٥.
(٢) ثواب الأعمال: ٢٢٩.
(٣) ثواب الأعمال: ص٢٢٩.
(٤) صحيفة الرضا عليه السلام ص١٤.

ظلماً إلاّ جلد غداً في نار جهنّم مثله، والّذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أكبّه الله على وجهه في نار جهنّم»[١].

وقال رسول الله ﷺ: من آذى مؤمناً آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل، والزبور والفرقان.

وفي خبر آخر: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقال ﷺ: من نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظلَّ إلاّ ظلّه، وحشره في صورة الذرِّ بلحمه وجسمه، وجميع أعضائه وروحه، حتّى يورده مورده.

وقال ﷺ: «من أحزن مؤمناً ثمَّ أعطاه الدُّنيا لم يكن ذلك كفّارته ولم يؤجر عليه»[٢].

من كتاب قضاء الحقوق: قال رسول الله ﷺ: سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية الله، وحرمة ماله كحرمة الله، عدة المؤمن الأخذ باليد يحثُّ ﷺ على الوفاء بالمواعيد والصدق فيها، يريد أنَّ المؤمن إذا وعد كان الثقة بموعده كالثقة بالشيء إذا صار باليد.

وقال ﷺ: من عارض أخاه المؤمن في حديثه فكأنّما خدش في وجهه.

وقال ﷺ: لا تحقّروا ضعفاء إخوانكم، فإنّه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله بينهما في الجنّة إلاّ أن يتوب[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزَّ وجلَّ يوم لا ظلَّ إلاّ ظلّه[٤].

وعن بعض الكوفيّين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من روَّع مؤمناً بسلطان

---

(١) جامع الأخبار: ١٢٧.
(٢) جامع الأخبار ص١٢٧.
(٣) البحار: ج٧٢، ص١٥٠ ـ ١٥١، ح١٦.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٦٨.

ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روَّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار[١].

وعن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: ليأذن بحرب منّي من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن، ولو لم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلاّ مؤمن واحد مع إمام عادل، لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي، ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما، ولجلعت لهما إيمانهما أُنساً لا يحتاجان إلى أُنس سواهما[٢].

وعن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم، وعاندوهم، وعنّفوهم في دينهم، ثمَّ يؤمر بهم إلى جهنّم[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي[٤].

وعن محمّد بن أبي حمزة عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من حقّر مؤمناً مسكيناً لم يزل الله عزَّ وجلَّ حاقراً له ماقتاً حتّى يرجع عن حقرته إيّاه[٥].

من حجب مؤمناً

عن المفضّل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أيّما مؤمن كان بينه وبين مؤمن

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٦٨.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٥٠.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٥١.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٥١.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٥١.

حجاب ضرب الله بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور، ما بين السور إلى السور مسيرة ألف عام[١].

وقال الصادق عليه السلام: من صار إلى أخيه المؤمن في حاجة أو مسلّماً فحجبه لم يزل في لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة[٢].

وعن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أيّما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله عزَّ وجلَّ بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور ما بين السور إلى السور مسيرة ألف عام[٣].

وعن محمّد بن سنان قال: كنت عند الرضا عليه السلام فقال لي: يا محمّد إنّه كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفر من المؤمنين فأتى واحد منهم الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم، فقرع الباب فخرج إليه الغلام فقال: أين مولاك؟

فقال: ليس هو في البيت، فرجع الرجل ودخل الغلام إلى مولاه فقال له: من كان الّذي قرع الباب؟

قال: كان فلان فقلت له: لست في المنزل فسكت ولم يكترث ولم يلم غلامه ولا اغتمَّ أحد منهم لرجوعه عن الباب، وأقبلوا في حديثهم.

فلمّا كان من الغد بكّر إليهم الرجل فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لبعضهم، فسلّم عليهم، وقال: أنا معكم، فقالوا: نعم، ولم يعتذروا إليه وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال، فلمّا كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلّتهم فظنّوا أنّه مطر فبادروا فلمّا استوت الغمامة على رؤوسهم إذا منادٍ ينادي في جوف الغمامة: أيتّها النار خذيهم وأنا جبرئيل رسول الله، فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر، وبقي الرجل مرعوباً يعجب بما نزل بالقوم، ولا يدري ما السبب.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢١٤. والمحاسن: ص ١٠١.

(٢) الاختصاص ص٣١.

(٣) الكافي ج٢ ص٣٦٤.

فرجع إلى المدينة فلقي يشوع بن نون فأخبره الخبر وما رأى وما سمع فقال يوشع بن نون: أما علمت أنَّ الله سخط عليهم بعد أن كان عنهم راضياً، وذلك بفعلهم بك.

قال: وما فعلهم بي؟

فحدَّثه يوشع، فقال الرجل: فأنا أجعلهم في حلّ وأعفو عنهم.

قال: لو كان هذا قبلُ لنفعهم، وأمّا الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم من بعد[١].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في مسلم أتى مسلماً زائراً وهو في منزله فاستأذن عليه فلم يأذن له، ولم يخرج إليه؟

وقال: يا أبا حمزة أيّما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله، فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج إليه لم يزل في لعنة الله عزَّ وجلَّ حتّى يلتقيا.

فقلت: جعلت فداك في لعنة الله حتّى يلتقيا؟

قال: نعم يا أبا حمزة[٢].

من منع مؤمناً شيئاً من عنده أو [من] عند غيره أو استعان به أخوه فلم يعنه

عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيّما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إيّاها عيّره الله يوم القيامة تعييراً شديداً.

وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلتُ قضاها في يديك فمنعته إيّاها زهداً منك في ثوابها، وعزَّتي لا أنظر إليك في حاجة معذَّباً كنت أو مغفوراً لك[٣].

(١) الكافي ج٢ ص٣٦٤.
(٢) الكافي: ج٢، ص٣٦٥.
(٣) أمالي الطوسي ج١ ص٩٦.

وعن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون إنَّ الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن.

قال: قلت: وما الخائن؟.

قال: من ادَّخر عن مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا.

قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله.

فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يُسْكِنَ جنّته أصنافاً ثلاثة:

١ ـ الرّاد على الله عزَّ وجلَّ.

٢ ـ أو الرّاد على إمام هدى.

٣ ـ أو من حبس حقَّ امرىء مؤمن.

قال: قلت: يعطيه من فضل ما يملك؟

قال: يعطيه من نفسه وروحه، فإن بخل عليه بنفسه فليس منه إنّما هو شرك شيطان.

قال الصدوق رضوان الله عليه: الإعطاء من النفس والروح إنّما هو بذل الجاه له إذا احتاج إلى معاونته، وهو السعي له في حوائجه[١].

وعن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقّة عيناه، مغلولة يداه إلى عنقه.

فيقال: هذا الخائن الّذي خان الله ورسوله، ثمَّ يؤمر به إلى النار[٢].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيّما مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فردَّه عنها سلّط الله شجاعاً في قبره ينهش من أصابعه[٣].

---

(١) الخصال ج١ ص٧٣.

(٢) ثواب الأعمال: ٢١٥.

(٣) أمالي الطوسي ج٢ ص٢٧٨.

وفي دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام: من أتاه أخوه المسلم يسأله عن فضل ما عنده فمنعه، مثله الله له في قبره شجاعاً ينهش لحمه إلى يوم القيامة[(١)].

وعن إسماعيل بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمن رحمة؟

قال: نعم، وأيّما مؤمن أتاه أخوه في حاجته فإنّما ذلك رحمة ساقها الله إليه، وسبّبها له، فإن قضاها كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن ردَّه وهو يقدر على قضائها فإنّما ردَّ عن نفسه الرحمة الّتي ساقها الله إليه وسبّبها له، وذخرت الرحمة للمردود عن حاجته، ومن مشى في حاجة أخيه ولم يناصحه بكلِّ جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، وأيّما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه واستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر، ابتلاه الله تعالى بقضاء حوائج أعدائنا ليعذِّبه بها ومن حقّر مؤمناً فقيراً واستخفَّ به واحتقره لقلّة ذات يده وفقره شهّره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، وحقّره، ولا يزال ماقتاً له، ومن اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدُّنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر خذله الله وحقّره في الدُّنيا والآخرة[(٢)].

وعن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه، وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقّة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الّذي خان الله ورسوله، ثمَّ يؤمر به إلى النار[(٣)].

وعن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من مشى في حاجة أخيه ثمّ لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه[(٤)].

وعن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من استذلَّ مؤمناً أو احتقره لقلّة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق[(٥)].

---

(١) البحار: ج٧٢، ص١٧٧.
(٢) الكافي: ج٢، ص١٧٧، ح١٥.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٦٧.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٦٣.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٥٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزَّ وجلَّ: من استذلَّ عبدي فقد بارزني بالمحاربة، وما تردَّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في عبدي المؤمن إنّي أُحبُّ لقاءه فيكره الموت فأصرفه عنه، وإنّه ليدعوني في الأمر فأستجيب له بما هو خير له[(١)].

وعن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة[(٢)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه[(٣)].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ رجلاً من بني تميم أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله فقال: أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: لا تسبّوا الناس فتكسبوا العداوة بينهم[(٤)].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما شهد رجل على رجل بكفر قطُّ إلاّ باء به أحدهما، إن كان شهد على كافر صدق، وإن كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فإيّاكم والطعن على المؤمنين[(٥)].

وعن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن عليِّ بن أبي حمزة، عن أحدهما عليهما السلام قال: سمعته يقول: إنَّ اللّعنة إذا خرجت من فم صاحبها تردّدت، فإن وجدت مساغاً؛ وإلاّ رجعت على صاحبها[(٦)].

وعن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا قال الرجل لأخيه

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٥٤.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٥٩.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٥٩.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٦٠.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٦٠.
(٦) الكافي ج٢ ص٣٦٠.

المؤمن: أُفٍ، خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوّي، كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً، وهو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً[١].

وعن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلاّ مات بشرّ ميتة، وكان قمناً أن لا يرجع إلى خير[٢].

عن مفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروَّته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان[٣].

عورة المؤمن

عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان قال: قلت له: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟

قال: نعم.

قلت: تعني سفليه؟

قال: ليس حيث تذهب إنّما هو إذاعة سرّه[٤].

عن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام فيما جاء في الحديث: عورة المؤمن على المؤمن حرام، قال: ما هو أن يكشف فترى عنه شيئاً إنّما هو أن تروي عليه أو تعيبه[٥].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «أنَّه وقف قبال الكعبة ثمَّ قال: ما أعظم حقك يا كعبة، والله أنَّ حق المؤمن لأعظم من حقك»[٦].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٦١.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٦١. في الصحاح: أنت قمن أن تفعل كذا بالتحريك أي خليق وجدير.
(٣) الكافي ج٢ ص٣٥٨.
(٤) الكافي ج٢ ص٣٥٨.
(٥) الكافي ج٢ ص٣٥٩.
(٦) سفينة البحار: ج١، ص٢٨٠.

معاداة المؤمن

وعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلاَّ كانا خارجَين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنَّة يوم الحساب»[1].

موعظة للغافلين

يا قليل الزاد والطريق بعيد، يا مقبلاً على ما يضر، تاركاً لما يفيد، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد:

(البحر الطويل)

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبقِ فضل الصالحات إلى غدٍ فرب غدٍ يأتي وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

---

(١) وسائل الشيعة: ج٨، باب ١٤٤، ص٥٨٥، ح٥.

المكر والخديعة والغش والسعي في الفتنة

قال الله تعالى:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[١]

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٣].

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[٤].

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦﴾[٥].

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢﴾[٦].

---

(١) الأنفال: ٣٠.
(٢) النمل: ٥٠ ـ ٥١.
(٣) فاطر، ١٠، ٤٣.
(٤) المؤمن: ٢٥.
(٥) الطور: ٤٢ ـ ٤٦.
(٦) نوح: ٢٢.

عن الصادق عليه السلام قال: إن كان العرض على الله عزَّ وجلَّ حقّاً فالمكر لماذا؟[١].

وعن ابن خالد، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فإنّي سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: إنّ المكر والخديعة في النَّار.

ثمَّ قال عليه السلام: ليس منّا من غشَّ مسلماً، وليس منّا من خان مسلماً.

ثمَّ قال عليه السلام: إنَّ جبرئيل الروح الأمين نزل عليَّ من عند ربِّ العالمين، فقال: يا محمّد عليك بحسن الخلق فإنَّ سوء الخلق يذهب بخير الدُّنيا والآخرة، ألا وإنَّ أشبهكم بي أحسنكم خلقاً[٢].

وفي مناهي النبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من غشَّ مسلماً في شراء أو بيع فليس منّا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود، لأنّهم أغشُّ الخلق للمسلمين، وقال عليه السلام: من بات وفي قلبه غشٌّ لأخيه المسلم، بات في سخط الله، وأصبح كذلك حتّى يتوب[٣].

وفي باب جوامع المساوي، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لا يطمعنّ ذو الكبر في الثناء الحسن، ولا الخبُّ في كثرة الصديق[٤].

وفي باب أُصول الكفر أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة، وذكر منهم الساعي في الفتنة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: المؤمن لا يغشُّ أخاه، ولا يخونه، ولا يخذله، ولا يتّهمه، ولا يقول له: أنا منك بريء[٥].

---

(١) الخصال ج٢ ص٦١، أمالي الصدوق ص٥.
(٢) عيون الأخبار: ج٢، ص٥٠، الأمالي: ١٦٣.
(٣) أمالي الصدوق: ص٢٥٧.
(٤) راجع الخصال ج٢ ص٥٣.
(٥) الخصال: ج٢، ص١٦١.

وعن الرِّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: ليس منّا من غشَّ مسلماً، أو ضرَّه، أو ماكره[(١)].

وعن محمّد بن عقبة، رفعه عن محمّد بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدِّه عليهم السلام أنّه كان يقول: المكر والخديعة في النار[(٢)].

وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منّا من ماكر مسلماً[(٣)].

وعن زاذان قال: سمعت عليّاً صلوات الله عليه يقول: لولا أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لولا إنَّ المكر والخديعة والخيانة في النار، لكنت أمكر العرب[(٤)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يجيىء كلُّ غادر يوم القيامة بإمام مايل شدقه حتّى يدخل النار، ويجيء كلُّ ناكث بيعة إمام أجذم حتّى يدخل النار[(٥)].

وعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: يا أيّها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا أنَّ لكلّ غدرة فجرة ولكلِّ فجرة كفرة، ألا وإنَّ الغدر والفجور والخيانة في النار[(٦)].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «مر النبي صلى الله عليه وآله في سوق المدينة بطعام فقال لصاحبه: ما أرى طعامك إلاّ طيباً، وسأله عن سعره، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه، أن يدس يده في الطعام ففعل، فأخرج طعاماً ردياً، فقال لصاحبه: ما أراك إلاّ وقد جمعت خيانة وغشاً للمسلمين»[(٧)].

---

(١) عيون الأخبار: ج٢، ص٢٩. وصحيفة الرِّضا عليه السلام: ص٤.

(٢) ثواب الأعمال: ص٢٤١.

(٣) ثواب الأعمال: ص٢٤٢.

(٤) ثواب الأعمال ٢٤٢.

(٥) الكافي: ج٢، ص٣٣٧.

(٦) الكافي ج٢ ص٣٣٨.

(٧) وسائل الشيعة: ج١٢، باب ٨٦، ص٢٠٩ و٢١٠، ح٨.

وعنه ﷺ أيضاً: «ومن غش مسلماً في شراء أو بيع فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود، لأنهم أغش الخلق للمسلمين»[1].

وقال ﷺ: «من بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات في سخط الله، وأصبح كذلك وهو في سخط الله حتى يتوب ويراجع ـ أو يرجع ـ وإن مات كذلك مات على غير دين الإسلام». ثم قال ﷺ: «ألا ومن غشنا فليس منا قالها ثلاث مرات ـ ومن أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه وأفسد عليه معيشته، ووكله إلى نفسه»[2].

قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة خب، ولا بخيل، ولا منان»[3].

وقال الله تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[4].

قال الواحدي يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم وبقوا في الظلمة[5].

وقال ﷺ في حديث: «وأهل النار خمسة، وذكر منهم رجلاً لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك»[6].

وقال الشاعر صالح عبد القدُّوس:

(البحر الكامل)

لا خير في ود امرىء متملق حلو اللسان وقلبه يتلهبُ
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، باب ٨٦، ص٢٠٩ و٢١٠، ح١٠.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٢، باب ٨٦، ص٢٠٩ و٢١٠، ح١١.
(٣) الكبائر: ص٢٤٧.
(٤) النساء: ١٤٢.
(٥) الكبائر: ص٢٤٧.
(٦) رواه مسلم من حديث عياض بن حمَّار المجاشعي.

الاحتكار

عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «اطلعت في النار فرأيت وادياً في جهنم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا؟

فقال لثلاثة: المحتكرين، والمدمنين الخمر، والقوادين»[١].

وعنه ﷺ: «لا يحتكر الطعام إلاّ خاطىء»[٢].

وعنه ﷺ أيضاً: «أيما رجل اشترى طعاماً فحبسه أربعين صباحاً يريد به غلاء المسلمين، ثم باعه فتصدق بثمنه، لم يكن كفارة لما صنع»[٣].

وقال ﷺ: «طرق طائفة من بني إسرائيل ليلاً عذاب، فأصبحوا وقد فقدوا أربعة أصناف: الطبالين، والمغنين، والمحتكرين للطعام، والصيارفة آكلة الربا منهم»[٤].

وقال ﷺ: «من احتكر فوق أربعين يوماً فإن الجنّة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، وإنّها لحرام عليه»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، باب ٢٧، ص٣١٤، ح١١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٢، باب ٢٧، ص٣١٤، ١٢.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٢، باب ٢٧، ص٣١٤، ح٦.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣، باب ٢١، ص٢٧٣، ح٢.
(٥) مستدرك الوسائل: ج١٣، باب ٢١، ص٢٧٣، ح١.

وقال ﷺ: «من حبس طعاماً يتربص به الغلاء أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء منه»[١].

وفيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام للأشترحين ولاّه مصر: ثمَّ استوصِ بالتجّار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفّق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاّ بها من المباعد والمطارح، في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم النّاس لمواضعها، ولا يجترئون عليها فإنّهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقّد أُمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك.

واعلم ـ مع ذلك ـ أنَّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة، وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإنَّ رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البايع والمبتاع فمن قارف حكرة بعدنهيك إيّاه فنكّل به عاقب من غير إسراف[٢].

---

(١) الكافي: ج٢، باب الحسد، ص٣٠٦، ح١.

(٢) نهج البلاغة: ج٣، ص١١٠.

الحسد

معنى الحسد:

معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها منه فإنَّ من لم يحب زوالها ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها يُسمَّى غبطة، وقد يُسمَّى منافسة، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ والغبطة إن كانت في الدُّنيا فمباح، وإن كانت في الدِّين فمندوب إليها.

الحسد من الأمراض العظيمة:

اعلم أنَّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا يداوي أمراض القلب إلاَّ بالعلم والعمل، والعلم النَّافع لمرض الحسد أن تعرف تحقيقاً أنَّ الحسد ضرر عليك في الدِّين والدُّنيا، وأنَّه لا ضرر به على المحسود في الدِّين ولا في الدُّنيا، بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك ولا صديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة.

أمَّا كونه ضرراً عليك في الدِّين: فهو أنَّك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في مملكته بخفي حكمته، واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان.

وناهيك بها جناية على الدِّين: وقد انضاف إليه أنَّك غششت رجلاً من المؤمنين، وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءَه في حبهم الخير لعباد الله، وشاركت إبليس وسائر الكفَّار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم، وهذه خبائث

في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النَّار الحطب وتمحوها كما يمحو اللَّيل النَّهار.

وأمَّا كونه ضرراً في الدُّنيا عليك: فهو أنَّك تتألم بحسدك وتتعذَّب به ولا تزال في كدّ وغم، إذ أعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يقضيها عليهم، فلا تزال تتعذَّب بكلّ نعمة تريها، وتتألم بكلّ بليَّة تنصرف عنهم، فتبقى محزوناً مغموماً متشعّب القلب ضيق النَّفس كما تشتهيه لأعدائك وكما يشتهي أعداؤك لك، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت في الحال محنتك نقداً ولا تزول النعمة من المحسود بحسدك، إذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الإيمان أيضاً لأنَّ الكفَّار يحسدون المؤمنين على الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٦٩﴾[1] بل ما قدره الله من إقبال ونعمة فلا بدَّ أن يدوم إلى أجل قدره الله ولا حيلة في دفعه، بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب، ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدُّنيا، ولم يكن عليه إثم في الآخرة.

ولله درّ مَن قال في ذلك:

(البحر الرجز)

لله درُّ الحسد ما أعْدلَهُ بدأ بصاحبه فقتَلَهْ

وأمَّا أنَّ المحسود ينتفع في الدِّين والدُّنيا فواضح.

أمَّا منفعته في الدِّين: فهو أنَّه مظلوم من جهتك لا سيَّما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه، فهذه هدايا تهديها إليه بانتقاله حسناتك إلى ديوانه حتَّى تلقيه مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدُّنيا عن النعمة فأضفت له نعمة إلى نعمة، وأضفت لنفسك شقاوة إلى شقاوتك.

وأمَّا منفعته في الدُّنيا: فهو أنَّ أهمّ أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمّهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين، ولا عيب أعظم ممَّا أنت فيه من ألم الحسد،

---

(١) آل عمران: ٦٩.

وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، فالحسد ينبغي أن يحكّم الحسد فكلّما يتقاضاه من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه بنقيضها، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسان المدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبُّر ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الانعام عنه ألزم نفسه الزيادة في الانعام، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبَّه، ومهما أحبَّه عاد الحاسد وأحبَّه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخر، والأصل في العلاج قمع أسباب الحسد من الكبر وعزَّة النَّفس وشدَّة الحرص على ما لا يعني كما يأتي بيانه.

الحاسد والمحسود:

الحسد هو: تمني زوال نعمة المحسود، وانتقالها للحاسد، فإن لم يتمنَّ زوالها بل تمنى نظيرها، فهو غبطة، وهي ليست ذميمة.

والحسد من أبشع الرذائل وألأم الصفات، وأسوأ الانحرافات الخلقية أثراً وشراً، فالحسود لا ينفك عن الهم والعناء، ساخطاً على قضاء الله سبحانه في رعاية عبيده، وآلائه عليهم، حانقاً على المحسود، جاهداً في كيده، فلا يستطيع ذلك، فيعود وبال حسده عليه، ويرتد كيده في نحره.

ناهيك في ذم الحسد والحسَّاد، وخطرها البالغ، إنَّ الله تعالى أمر بالاستعاذة من الحاسد، بعد الاستعاذة من شر ما خلق قائلاً: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[1].

بواعث الحسد:

للحسد أسباب وبواعث نجملها في النقاط التالية:

١ ـ خبث النفس:

فهناك شذَّاذ طبعوا على الخُبث واللؤم، فنراهم يحزنون بمباهج الناس

(١) الفلق: ٥.

وسعادتهم، ويُسرّون بشقائهم ومآسيهم، ومن ثم يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله، وإن لم يكن بينهم تِرة أو عداء، وذلك لخبثهم ولؤم طباعهم.

٢ ـ العداء:

وهو أقوى بواعث الحسد، وأشدها صرامة على مكايدة الحسود واستلاب نعمته.

٣ ـ التنافس:

بين أرباب المصالح والغايات المشتركة: كتحاسد أرباب المهن المتحدة وتحاسد الأبناء في الحظوة لدى آبائهم، وتحاسد بطانة الزعماء والأمراء في الزلفى لديهم.

وهكذا تكثر بواعث الحسد بين فئات تجمعهم وحدة الأهداف والروابط، فلا تجد تحاسداً بين متباينين هدفاً واتجاهاً، فالتاجر يحسد نظيره التاجر دون المهندس والزارع.

٤ ـ الأنانية:

وقد يستحوذ الحسد على ذويه بدافع الأثرة والأنانية، رغبة في التفوق على الأقران، وحباً بالتفرُّد والظهور.

٥ ـ الازدراء:

وقد ينجم الحسد عن ازدراء الحاسد للمحسود، مستكثراً نِعَم الله عليه، حاسداً له على ذلك.

وربَّما اجتمعت بواعث الحسد في شخص، فيغدو آنذاك بركاناً ينفجر حسداً وبغياً، يتحدى محسوده تحدياً سافراً مليئاً بالحنق واللؤم، لا يستطيع كتمان ذلك، ممَّا يجعله شريراً مجرماً خطيراً.

مساوىء الحسد:

يختص الحسد بين الأمراض الخُلقية بأنَّه أشدّها ضرراً، وأسوأها مغبةً في دين الحاسد ودنياه.

١ ـ **فمن أضراره العاجلة في دنيا الحاسد**: أنَّه يكدِّر عليه صفو الحياة ويجعله قرين الهمّ والعناء، لتبرمه بنِعَم الله على عباده، وهي عظيمة وفيرة، وذلك ما يشقيه، ويتقاضاه عللاً صحية ونفسية ماحقة.

كما يُفجعه في أنفس ذخائر الحياة: في كرامته، وسمعته، فتراه ذميماً مُحقّراً، منبوذاً تمقته النُّفوس، وتنبذه الطباع.

ويفجعه كذلك في أخلاقه، فتراه لا يتحرج عن الوقيعة بمحسوده، بصنوف التهم والأكاذيب المحرَّمة في شرعة الأخلاق، ولا يألو جهداً في إثارة الفتن المفرقة بينه وبين أودَّائه، وذوي قرباه، نكاية به وإذلالاً له.

وأكثر النَّاس استهدافاً للحسد، ومعاناة لشروره وأخطاره، اللامعون المتفوقون من أرباب العلم والفضائل، لما ينفسه الحسَّاد عليهم من سمو المنزلة، وجلالة القدر، فيسعون جاهدين في ازدرائهم واستنقاصهم، وشنّ الحملات الظالمة عليهم.

وهذا هو سر ظلامة الفضلاء، وحرمانهم من عواطف التقدير والإعزاز، وربَّما طاشت سهام الحسد، فأخلفت ظن الحاسد، وعادت عليه باللوعة والأسى، وعلى المحسود بالتنويه والإكبار كما قال أبو تمام:

(البحر الكامل)

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النَّار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عَرْف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل ... للحاسد النعمى على المحسود

ويقول الآخر:

(البحر البسيط)

إصبر على حسد الحسود فإنَّ صبرك قاتلهْ
فالنَّار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكلهْ

٢ ـ **وأمَّا أضرار الحسد الآجلة**: فقد عرفت ما يتذرع به الحاسد من صنوف الدس والتخريب في الوقيعة بالمحسود، وهدر كرامته. وهذا ما يعرض الحاسد لسخط الله تعالىٰ وعقابه، ويأكل حسناته كما تأكل النَّار الحطب.

هذا إلى تنمّر الحاسد، وسخطه على مشيئة الله سبحانه، في إغداق نعمه على عباده، وتلك جرأة صارخة تبوّئه السخط والهوان.

علاج الحسد:

وإليك بعض النصائح العلاجية للحسد:

١ ـ تَرْكُ تطلع المرء إلى من فوقه سعادة ورخاءً وجاهاً، والنظر إلى من دونه في ذلك، ليستشعر عناية الله تعالىٰ به، وآلائه عليه، فتخف بذلك نوازع الحسد وميوله الجامحة.

٢ ـ تذكّر مساوىء الحسد، وغوائله الدينية والدنيوية، وما يعانيه الحسَّاد من صنوف المكاره والأزمات.

٣ ـ مراقبة الله تعالىٰ، والإيمان بحكمة تدبيره لعباده، والاستسلام لقضائه، متوقياً بوادره الحسد، ومقتضياته الأثيمة من ثلب المحسود والإساءة إليه، كما قال ﷺ: «ويُنجي منه أن يكفّ الإنسان يده، ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن».

ولو لم يكن في نبذ الحسد إلاّ استهجانه، والترفع عن الاتصاف بمثالبه المقيتة، لوجب نبذه ومجافاته.

وجدير بالآباء أن لا يميزوا بين أبنائهم في شمول العناية والبر، فيبذروا في نفوسهم سموم الحسد، ودوافعه الأثيمة.

الحسد يؤثّر على الإنسان من وجهتين:

الأول على الحاسد: قد يؤثّر التفكير فيه نفسياً، ومن ثَمَّ يؤثّر عليه عقلياً وجسدياً كلَّما ازداد شدَّة الحسد، وكلَّما قلَّ عادت له صحته البدنية واستقراره النفسي.

الثاني على المحسود: قد يؤثّر الحسد من خلال التأثير النفسي للحاسد تجاه المحسود وآخر الدراسات التي قام بها فريق من أطباء علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية أثبتت وأقرَّت بوجود تأثير الحسد على المحسود من خلال موجات خاصَّة تنتقل من الحاسد إلى المحسود بطرق مباشرة أو غير مباشرة حيث تؤثر على نفسية وصحة المحسود.

والإنسان الحاسد قد تصل به الأُمور إلى حسد نفسه بطريقة غير مباشرة، حيث يقول الإمام علي عليه السلام: «عجب المرء بنفسه أحد حسَّاد عقله»[1].

والحسد كظاهرة قد تظهر بإحدىٰ المظاهر الطبية التالية:

١ ـ حاد:، حيث تظهر على الحاسد الانفعالات الداخلية الكامنة بصورة حادة، ويبدأ بالتعبير عن مكنوناته الداخلية بحالات غضبٰ وكلمات جارحة، يرافقها تهديدات وتوعدات في بعض الأحيان. وهذه الحالة قد ترافقها أحداث اعتداء أو نوبات مرضية يُصاب بها الحاسد.

٢ ـ مزمن: تبدأ انفعالات الحسد بصورة تدريجية عند الشخص الحاسد، وتزداد بمرور الأيَّام، ولكنَّها لا تصل الصورة الحادة ولا ترافقها أحداث مهمة، ومع ذلك تؤثر على صاحبها بصورة تدريجية، وقد تجلب له المشاكل والإصابة بالأمراض النفسية والعضوية.

٣ ـ ظاهر أو مشكوف: في هذه الحالة تظهر علامات الحسد والحقد والغضب بصورة واضحة وجلية على الحاسد؛ وقد يُعبِّر عنها بعدم الخوف أو الحياء من النَّاس

---

(١) نهج البلاغة: للإمام محمد عبده، ص٥٠٧.

أو الشخص المحسود. ويكون الحاسد في هذه الحالة شخصاً فوضوياً، عديم الحياء.

٤ ـ مخفي: لا تبدو على الحاسد علامات الحسد بصورة جلية، لأنَّ الحاسد في هذه الحالة إنسان ذكي أو ذو مكانة اجتماعية أو منصب حكومي؛ لذلك يبثّ حسده وكلماته بصورة ذكية أو مبهمة. لا تدلُّ على مقاصده ونواياه، بالرغم من أنَّها ترضي أغراضه وحقده الكامن داخل عقله وفكره، وهذا النوع من الحسد أخطر من النوع الظاهر، لأنَّه يؤدِّي الغرض المطلوب ولكن بذكاء وخبث. لذلك حذَّر الرَّسول الكريم المسلمين من الحسد وسلوك هذا الطريق المهلك حيث قال: «أخوف ما أخاف على أُمَّتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون»[١].

أسباب الحسد[٢]:

١ ـ العداوة والبغضاء: وهو أشد أسباب الحسد، فإنَّ من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفَّىٰ منه بنفسه أحبَّ أن يتشفَّى منه بتغيُّر الزمان.

٢ ـ التعزُّز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً، خاف أن يتكبَّر عليه، وهو لا يطيق تكبُّره، ولا يسمح لنفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه.

٣ ـ الكبر: وهو أن يكون في طبعه أن يتكبَّر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له؛ فإذا نال نعمة خاف أن لا يتحمل تكبُّره وطاعته، أو ربَّما التطلع إلى مساواته أو يصبح متكبِّراً بعد أن كان مُتكبِّراً عليه.

٤ ـ التعجُّب: كما أخبر الله تعالىٰ عن الأُمم الماضية الذين قالوا: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[٣].

---

(١) كتاب ذم الحسد: لابن أبي الدُّنيا.

(٢) بتصرف من كتاب المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء: ج٥، ص٣٣٥.

(٣) المؤمنون: ٣٤.

تعجبوا أن يفوز برتبة الرِّسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم. فحسدوهم وأحبوا زوال النُّبوَّة عنهم، جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة، لا عن قصد تكبُّر وطلب للرئاسة وتقدِّم للعداوة.

٥ ـ **الخوف من فوت المقاصد**: وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإنَّ كلَّ واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده؛ ومن هذا الجنس تحاسد الضرَّات في التزاحم. على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة والتلاميذ.

٦ ـ **حب الرِّئاسة وطلب الجاه نفسه**: من غير أن يتوصل به إلى مقصود؛ كالذي يحب أن يكون لا نظير له في فن من الفنون.

٧ ـ **خبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله**: فإنَّك تجد من لا يشتغل برئاسة وتكبُّر ولا طلب مال ولكن إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما أنعم به عليه شقَّ ذلك عليه؛ وإذا وصف له اضطراب أُمور النَّاس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به؛ فهو يحب الأذىٰ لغيره ويبخل بنعمة الله على الآخرين.

دواء الحسد:

١ ـ **العلم**: وهو أن يعرف الإنسان أنَّ الحسد يضره في الدُّنيا والدِّين، وأنَّ المحسود لا ضرر عليه، فإذا عرف الإنسان ذلك وتيقن من ضرره بعقل وبصيرة، فارق وترك الحسد لا محال.

٢ ـ **العمل**: وهو أن يجاهد الإنسان مع نفسه، ويصارع الأفكار والوساوس التي تقوده إلى الحسد. فيمدح بدل الذم، ويتواضع بدل الكبر، ويعتذر بدل الجفاء، وهذه الأُمور تتطلب مجاهدة النفس وقلع الحسد من القلب.

إنَّ الروح والجسد مرتبطان ببعض، ويؤثر كل منهما على الآخر، وأمراض الحسد مضافاً إلى آثارها الروحية تؤثر على الجسد وتحرف صحة المصابين بها.

الآفات الطبية والنفسية للحسد:

١ ـ كثرة الشك.

٢ ـ زيادة الهم.

٣ ـ سرعة الغضب.

٤ ـ الإصابة بالأرق.

٥ ـ شيوع ظاهرة الخوف.

٦ ـ اضطرابات الجهاز الهضمي، كالتهاب المعدة والقولون والإسهال والتقيُّؤ.

٧ ـ الإصابة بمرض السكر.

٨ ـ الإصابة بضغط الدم.

٩ ـ ضعف الأعصاب وارتعاش اليدين.

١٠ ـ بروز ظاهرة القلق.

١١ ـ التعرُّض للإصابة بالأمراض العضوية المختلفة.

١٢ ـ الإصابة باضطرابات في الجهاز التنفسي كالحساسية وضيق القصبات.

١٣ ـ إنعدام الشهية.

١٤ ـ التعرُّق الكثير.

١٥ ـ ازدياد ضربات القلب.

١٦ ـ الإصابة بمرض الكآبة.

١٧ ـ الإصابة بمرض الأنا (الأنانية).

١٨ ـ الإصابة بالهستريا.

الآفات الاجتماعية للحسد:

١ ـ ضعف الرابطة العائلية.

٢ ـ ضعف الرابطة الاجتماعية.

٣ ـ النفرة من النَّاس والمجتمع.

٤ ـ طغيان روح البغضاء.

٥ ـ شيوع حالة الحقد.

٦ ـ الاستعداد لارتكاب الجرائم.

٧ ـ حب إشاعة التهم ضد الآخرين.

٨ ـ محاربة ذوي الثروة والمنصب.

٩ ـ الفرح والشماتة عند نزول المصائب على الآخرين.

١٠ ـ طغيان نزعة الشر.

١١ ـ محضر السوء.

١٢ ـ قصر العمر، نتيجة الهم والقلق.

١٣ ـ ممارسة وتشجيع الغيبة.

١٤ ـ ضعف العقيدة الدينية.

١٥ ـ البخل وعدم القناعة.

الحسد ومضارُّه:

عن محمّد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ الرجل ليأتي بأيٍّ بادرة فيكفر وإنَّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب[1].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٠٦.

وعن ابن محبوب، عن داود الرَّقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتّقوا الله، ولا يحسد بعضكم بعضاً إنَّ عيسى بن مريم كان من شرايعه السَّيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللّزوم لعيسى بن مريم فلمّا انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه: بسم الله، بصحّة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام.

فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأناأمشي على الماء، فما فضله عليَّ؟

قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثمَّ قال له: ما قلت يا قصير؟

قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي فدخلني من ذلك عجب.

فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الّذي وضعك الله فيه، فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عزَّ وجلَّ ممّا قلت.

قال: فتاب الرّجل وعاد إلى المرتبة الّتي وضعه الله فيها، فاتّقوا الله ولا يحسدنَّ بعضكم بعضاً[١].

وعن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر[٢].

وعن معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: آفة الدّين الحسد والعجب والفخر[٣].

وعن داود الرّقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٠٦.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٠٧.

(٣) الكافي: ج٢، ص٣٠٧.

عزَّ وجلَّ لموسى بن عمران: يابن عمران لا تحسدنَّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدّنَّ عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإنَّ الحاسد ساخط لنعمي، صادٌّ لقسمي الّذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس منّي[١].

وعن الفضيل بن عياض، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط[٢].

وعن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام قال: كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر[٣].

وعن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: لا يؤمن رجل فيه الشحُّ والحسد والجبن، (الخبر)[٤].

وعن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، ويتملّق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يعذِّب ستّة بستّ: العرب بالعصبيّة، والدهاقنة بالكبر، والأُمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجّار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل[٦].

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوَّذ في كلِّ يوم من ستّ: من الشكِّ، والشرك، والحميّة، والغضب، والبغي، والحسد[٧].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دبَّ إليكم داء الأُمم قبلكم: البغضاء والحسد[٨].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٠٧.
(٢) الكافي ج٢ ص٣٠٧.
(٣) أمالي الصدوق: ١٧٧.
(٤) الخصال ج١ ص٤١.
(٥) الخصال ج١ ص٦٠.
(٦) الخصال ج١ ص١٥٨.
(٧) الخصال ج١ ص١٦٠.
(٨) عيون الأخبار: ج١، ص٣١٣.

وعن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير رفعه في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قال: أما رأيته إذا فتح عينه وهو ينظر إليك هو ذاك[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن الحسد فقال: لحم ودم يدور في الناس حتّى إذا انتهى إلينا يئس وهو الشيطان[٢].

وعن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لأصحابه: ألا إنّه قد دبَّ إليكم داء الأُمم من قبلكم، وهو الحسد ليس بحالق الشعر، لكنّه حالق الدين[٣] ويُنْجِي منه أن يكفَّ الإنسان يده، ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن[٤].

وعن الصادق، عن أبيه عليه السلام أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تتحاسدوا، فإنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب اليابس[٥].

وقال الصادق عليه السلام: الحاسد مضرٌّ بنفسه قبل أن يضرَّ بالمحسود كابليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرفع إلى محلّ حقائق العهد والإصطفاء، فكن محسوداً، ولا تكن حاسداً، فإنَّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فماذا ينفع حسد الحاسد، فما يضرُّ المحسود الحسد.

---

(١) معاني الأخبار ص٢٢٧.

(٢) معاني الأخبار ص٢٤٤.

(٣) قال السيد الشريف رضوان الله عليه في المجازات النبوية ص١١٢: ومن ذلك قوله عليه السلام: دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر.
وهذا استعارة، والمراد بالحالقة ههنا المبيرة المهلكة، أي هذه الخلة المذمومة تهلك الدين وتستأصله كما تستأصل الموسى الشعر، والمقراض الوبر، وعلى هذا قول الشاعر:

(البحر الرجز)

أرسل عليهم سنة قاشورهْ ... تحتلق الناس احتلاق النورْ

أي تبير الناس فتأتي على نفوسهم، أو تأتي على أموالهم من الإبل والشياة، فتكون كأنها قد أتت على نفوسهم باتيانها على ما هو قوام نفوسهم.
وإنما جعل عليه السلام البغضاء حالقة للدين لأنها سبب التفاني والتهالك والإيقاع في المعاطب والمهالك، والداعي إلى سفك الدم الحرام واحتمال أعباء الآثام.

(٤) مجالس المفيد: ص٢١١، أمالي الطوسي: ص١١٧.

(٥) قرب الأسناد: ٢٢.

والحسد أصله من عمى القلب، وجحود فضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً ولا توبة للحاسد لأنّه مصرٌّ عليه، معتقد به، مطبوع فيه، يبدو بلا معارض له ولا سبب، والطبع لا يتغيّر عن الأصل وإن عولج[١].

وعن ابن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينما موسى بن عمران يناجي ربّه ويكلّمه إذ رأى رجلاً تحت ظلِّ عرش الله فقال: يا ربِّ من هذا الّذي قد أظلّه عرشك؟

فقال: يا موسى هذا ممّن لم يحسد النّاس على ما آتاهم الله من فضله[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه في وصيّته: إنَّ من شرِّ مفاضح المرء الحسد[٣].

وقال عليه السلام: الحسد لا يجلب إلاّ مضرَّة وغيظاً يوهن قلبك، ويمرض جسمك، وشرُّ ما استشعر قلب المرء الحسد[٤].

جزاء الحسود:

إذا رجعنا إلى التاريخ نجد أنَّ بعض الأشخاص أثاروا فتنة لا يخمد لهيبها بسبب ما يعتمل في نفوسهم من نار الحسد، وكم من شخصية فاضلة وتقية شُلَّت عن العمل بسبب حسد الحاسدين، ولم تنتفع منها الأُمَّة، ومع ذلك لم يبق لا الحاسد ولا المحسود.

ومن القصص التي حفظها لنا التاريخ نأتي على ذكر القصّة التالية:

عن زرقان صاحب ابن أبي داوود وصديقه، قال: رجع ابن أبي داوود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنِّي قد مُتُّ

(١) مصباح الشريعة: ٣٣.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص٢٤٨.
(٣) جامع الأخبار: ص١٨٦.
(٤) البحار: ج٧٠، ص٢٥٦.

منذ عشرين سنة. قلت: ولم ذاك؟ قال: لما كان اليوم من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسىٰ اليوم بين يدي المأمون. قلت: وكيف كان ذلك؟ قال: إنَّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه. فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يُقطع، فقلت: من الكرسوع. قال: وما الحجَّة في ذلك؟ قلت: لأنَّ اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمم: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[1] واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأنَّ الله تعالىٰ لما قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾[2] في الغسل دلَّ على ذلك أنَّ حدَّ اليد هو المرفق.

فالتفت المعتصم إلى محمد بن علي، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلَّم القوم فيه يا أمير المؤمنين. قال: دعني ممَّا تكلّموا به، أي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أمَّا إذا أقسمت عليَّ بالله إنِّي أقول إنَّهم أخطأوا فيه السُّنَّة؛ فإنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أُصول الأصابع، فيترك الكف. قال: وما الحجَّة في ذلك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «السُّجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين»؛ فإذا قطعت يده من الكرسوع أو من المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3] وما كان لله لم يُقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي داوود: قامت قيامتي وتمنيت أنِّي لم أك حيَّاً.

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) الجن: ١٨.

قال زرقان: وبعد ثلاثة أيَّام ذهب ابن أبي داوود إلى المعتصم وقال له: إن نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة وأنا أكلّمه بما أعلم أنِّي أدخل به النَّار. قال: وما هو؟ قلتُ: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيَّته وعلماءهم لأمر واقع من أُمور الدِّين، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوَّاده ووزراؤه وكتَّابه، وقد تسامع النَّاس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلّهم لقولِ رجل يقول شطر هذه الأُمَّة بإمامته، ويدَّعون أنَّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغيَّر لونه وانتبه لما نبَّهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً[(١)]. ومنذ تلك اللحظة برقت في ذهن المعتصم فكرة قتل الإمام محمَّد الجواد عليه السلام والتخلُّص منه.

وقال بعض الحكماء: إنَّ الحسد يُضعف النفسَ، ويُكثرُ الهمّ، ويُسهر اللَّيلَ.

قال الشاعر:

(البحر المتقارب)

ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأتَ الأدبْ

أسأت على اللَّه في فعلهِ ... إذا أنت[(٢)] لم ترضَ لي ما وهبْ

جزاؤك منه الزيادات لي ... وأن لا تنال الذي تطّلبْ[(٣)]

وقال آخر:

(البحر الطويل)

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ فإن أمُت ... فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

فما عيشُ من يبقىٰ خلافي بضائرٍ ... ولا موتُ من قد ماتَ قبلي بُمِخلدي[(٤)]

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠، ص٥.

(٢) ليس في المطبوع: «أنت».

(٣) البحار: ٧٣/ ٢٦١ عن منصور الفقيه وراجع: تفسير القرطبي: ٥/ ٢٥١. تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٣١. البداية والنهاية: ١١/ ٣٧٦.

(٤) راجع: تفسير التبيان: ٧/ ١٦١. تفسير القرطبي: ١٤/ ٢١. تاريخ مدينة دمشق: ٥١/ ٤٢٨. تاريخ بغداد: ٣/ ١٧٦. كنز العمال: ١٣/ ٣٦٨.

وقال آخر:

(البحر الطويل)

فقل للذي يبقىٰ خلافَ الذي مضىٰ تجهَّزْ لأُخرىٰ مثلَها فكأنْ قَدِ[1]

وقال أيضاً:

(البحر الوافر)

إذا ما الموتُ حلَّ بدار قومٍ فأفناهُم أناخَ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقىٰ الشامتون كما لقينا[2]

وقال أبو تمام:

(البحر الكامل)

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طويت أتاح لها لسان حسُودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت ما كان يُعرفُ طيبُ عُرف العود

وقال ابن المعتز:

(البحر الرجز المشطور)

اصبر على كيد الحسُو د فإنَّ صبرك قاتلُهْ
كالنِّار تأكُلُ بعضها إن لم تجد ما تأكله

وقال آخر:

(البحر البسيط التام)

دع الحسود لما يلقاهُ من كمدٍ يكفيك منه لهيبُ النار في كبدهْ
إن لُمت ذا حسدٍ نفَّسْت كربته وإن سكتَّ فقد عذَّبته بيدهْ

وقال أحمد شوقي:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٦/ ٢٧٩، كنز العمال: ١٣/ ٣٦٨ وفي كلاهما «تهيأ» بدل «تجهَّز».

(٢) أمالي السيد المرتضى: ١/ ١٨١. البحار: ٤٢/ ٣٠٠ وج٤٥، ص٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/ ٣٤٤. تاريخ مدينة دمشق: ٦٩/ ٢٦٥ كلها نحوه.

(البحر الكامل)

إن الـغـراب وكـان يـمـشـي مـشـيـه ... فـيـمـا مـضـى مـن سـالـف الأجـيـالِ
حـسـد الـقـطـا وأراد يـمـشي مشيها ... فـأصـابـه ضـرب مـن الـعـقـالِ
فـأضـلَّ مـشـيـتـه وأخـطـأ مـشـيـهـا ... فـلـذاك كـنُّـوه (أبـا مـرقـالِ)

تنبيه للغافلين

التخلِّي للعبادة:

يا نفسُ: وعليك بالعزلة والانفراد، في طاعة المُهَيْمن الجواد، فإنَّ العِزْلة توقِّر العِرض وتستر الفاقة، وترفع عنك ما ليس لك به طاقة، والتخلِّي للعبادة دليل على الفضل، والصَّبْر على الوحدة علامة قوَّة العقل.

(البحر الرمل)

في عـزلـةِ الـمرءِ عـنْ كـلِّ الـورى نـعـمٌ ... أقـلُّـهـا أنَّـهُ خـالٍ مـنَ الـكـلـفِ
يـرض الـقـنـاعـةَ مـسـروراً بـوحـدتـهِ ... إذا تـنـازعَ أقـوامٌ عـلـى الـجـيـفِ

المساحقة والدياثة والقيادة

ورد في رواية أن امرأة قالت للإمام الصادق عليه السلام: أخبرني عن اللواتي باللواتي ما حدُّهنَّ فيه؟

قال عليه السلام: «حد الزنا، إذا كان يوم القيامة يؤتى بهن قد ألبسن مقطعات من نار، وقنّعن بمقانع من نار، وسرولن من نار، وأدخل في أجوافهن إلى رؤوسهن أعمدة من نار، وقذف بهن في النار، أيتها المرأة: إن أول من عمل هذا العمل قوم لوط، فاستغنى الرجال بالرجال، فبقي النساء بغير رجال، ففعلن كما فعل رجالهن»[(١)].

وورد في حديث آخر: «والله المساحقة زنى كبير»[(٢)].

وفي جواب امرأة سألته عليه السلام: ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «هنَّ في النار، إذا كان يوم القيامة أتي بهنّ فألبسن جلباباً من نار وخفَّين من نار، وقناعين من نار، وأدخل في أجوافهن وفروجهن أعمدة من نار، وقذف بهن في النار»، قالت: فليس هذا في كتاب الله!

قال عليه السلام: «بلى، قلت: أين؟

قال قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ... ﴿٣٨﴾﴾[(٣)(٤)].

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، باب ٢٤، ص٢٦١، ح٣.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٤، باب ٢٤، ص٢٦١، ح٥.
(٣) الفرقان: ٣٨.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٤، باب٢٤، ص٢٦٣، ح١١.

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه نسوة فسألته امرأة عن السحق، فقال عليه السلام: حدُّها حدّ الزاني.

فقال: ما ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في القرآن.

قال: بلى.

قالت: وأين هو؟

قال: هو أصحاب الرَّسّ[١].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الجنّة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجدها عاقٌ ولا ديّوث قيل: يا رسول الله! وما الديّوث؟

قال: الذي تزني امرأته وهو يعلم[٢].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته لعليّ عليه السلام: يا عليُّ كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: القتّات، والساحر، والديّوث (الخبر)[٣].

وعن عبد العظيم الحسني، عن أبي جعفر الثّاني، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أُسري بي رأيت امرأة يحرق وجهها ويداها، وهي تأكل أمعاءها، وإنّها كانت قوّادة (الخبر)[٤].

وعن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: حرِّمت الجنّة على ثلاثة: النمّام، ومدمن الخمر، والديّوث وهو الفاجر[٥].

وعن أبي خديجة، عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام قيل له: بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الواصلة والموصولة.

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٣٩. والمحاسن: ص١١٤.
(٢) الخصال ج١ ص٢٠.
(٣) الخصال ج٢ ص٦١.
(٤) عيون الأخبار ج٢ ص١١ في حديث طويل.
(٥) ثواب الأعمال ص٢٤١.

قال: إنّما لعن رسول الله ﷺ الواصلة الّتي تزني في شبابها فلمّا أن كبرت كانت تقود النساء إلى الرجال، فتلك الواصلة والموصولة[(١)].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة: منهم الديّوث الّذي يفجر بامرأته[(٢)].

وفي رواية محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: عرض إبليس لنوح عليه السلام وهو قائم يصلّي، فحسده على حسن صلاته فقال: يا نوح إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق جنّة عدن، وغرس أشجارها، واتّخذ قصورها، وشقَّ أنهارها، ثمَّ اطّلع عليها فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ ألا وعزَّتي لا يسكنها ديّوث[(٣)].

لعن النبيُّ ﷺ المتغافل عن زوجته، وهو الدّيوث، وقال ﷺ: اقتلوا الدّيوث[(٤)].

وعن محمّد الحلبيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: الدّيوث من الرجال، والفاحش المتفحّش، والّذي يسأل الناس وفي يده ظهر غنى[(٥)].

وعن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا خلق الله عزَّ وجلَّ جنّة عدن خلق لبنها من ذهب يتلألأ ومسك مدوف، ثمَّ أمرها فاهتزَّت ونطقت فقالت: أنت الله لا إلّه إلاّ أنت الحيُّ القيّوم، فطوبى لمن قدِّر له دخولي.

وقال الله تعالى: وعزَّتي وجلالي وارتفاع مكاني لا يدخلك مدمن خمر، ولا مصرٌّ على رباً، ولا قتّات، وهو النمّام، ولا ديّوث وهو الّذي لا يغار ويجتمع في بيته على الفجور. (الحديث)[(٦)].

---

(١) المحاسن ص١١٤.

(٢) المحاسن ص١١٥.

(٣) المحاسن ص١١٥.

(٤) البحار: ج٧٦، ص١١٦، ح١١، عن فقه الرِّضا عليه السلام: ص٤٢.

(٥) تفسير العياشي ج١ ص١٧٨.

(٦) نوادر الراوندي: ص١٧.

وقال رسول الله ﷺ: «ومن قاد بين امرأة ورجل حراماً حرم الله عليه الجنة، ومأواه جهنم وساءت مصيراً، ولم يزل في سخط الله حتى يموت»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة، يعني الزانية والقوادة[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ النامصة والمنتمصة والواشرة والمستوشرة والواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»[٣].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «الواصلة التي تزني في شبابها، فلما كبرت قادت النساء إلى الرجال»[٤].

الديوث المستحسن على أهله
والقوّاد الساعي بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[٥].

عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث، ورجلة النساء»[٦].

وروى النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله»[٧] يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، باب ٢٧، ص٢٦٦، ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٤، باب ٢٧، ص٢٦٦، ح١.
(٣) معاني الأخبار: باب معنى النامصة والمنتمصة... ص٢٥٠، ح١.
(٤) م. ن، مع اختلاف بالألفاظ.
(٥) النور: ٣.
(٦) رواه النسائي والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (المنذري).
(٧) رواه أحمد والبزار والاكم وقال صحيح الإسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر (المنذري).

تنبيه للغافلين

أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لممات آتٍ، حتى متى لا تجتهد في إلحاق القوافل الماضيات، أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات؟ هيهات هيهات هيهات! يا آملاً في زعمه اللذات احذر هجوم هازم اللذات، احذر مكائده فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات:

(البحر الكامل)

تمضي الحلاوة ثمّ يأتي بعدها ... تبقى عليك مرارة التبعاتِ
يا حسرة العاصين يوم معادهم ... لو أنهم سبقوا إلى الجناتِ
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ... ستر العيوب لأكثروا الحسراتِ

وعن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنّة: العاق لوالديه والدّيوث ورجلة النساء»[١].

وروى النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله»[٢] يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك.

ونقول: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز، أو صداقاً ثقيلاً، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه، ولا خير فيمن لا غيرة له. فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم.

يا من صحيفته بالذنوب قد حفت، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد زفت، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت، أما عاينت طور الأجسام في

(١) رواه النسائي والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (المنذري).

(٢) رواه أحمد البزار والحاكم وقال صحيح الإسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر (المنذري).

الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس، متى تعتبر بربع غيرك الدارس؟ أين الأكاسر الشجعان الفوارس، وأين المنعمون بالجواري والظباء الخنس الكوانس، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس، أين من اعتاد سعة القصور! حبس في القبور في أضيق المحابس! أين الرافل في أثوابه عري في ترابه عن الملابس، أين الغافل في أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها، ولمن جهل نفسه أن يزجرها، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها، ولمن دعي إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

قال رسول الله ﷺ: «ومن قاد بين امرأة ورجل حراماً حرم الله عليه الجنة، ومأواه جهنم وساءت مصيراً، ولم يزل في سخط الله حتى يموت»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة، يعني الزانية والقوادة»[٢].

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: الناتف شيبه، والناكح نفسه، والمنكوح في دبره[٣].

ويقول صاحب الجواهر في آخر كتاب الحدود المسألة الثانية:

«من استمنى بيده أو بغيرها من أعضائه عزر لأنه فعل محرماً، بل كبيرة، ففي خبر أحمد بن عيسى: سئل الصادق عليه السلام عن الخضخضة فقال: إثم عظيم قد نهى الله عنه في كتابه، وفاعله كناكح نفسه، ولو علمت بمن يفعله ما أكلت معه.

فقال السائل: بيّن لي يابن رسول الله ﷺ من كتاب الله نهيه.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، باب ٢٧، ص٢٦٦، ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٤، باب ٢٧، ٢٦٦، ح١.
(٣) الخصال ج١ ص٥٢.

فقال قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧﴾ وهو مما وراء ذلك.

فقال الرجل: أي أكبر الزنى أو هي؟

فقال عليه السلام: هو ذنب عظيم[١].

وسئل عليه السلام في الصحيح عن الخضخضة.

فقال عليه السلام: من الفواحش.

وفي الموثق في الرجل ينكح البهيمة أو يدلك.

فقال عليه السلام: كل ما أنزل الرجل ماءه من هذا وشبهه فهو زنا، والمراد بحكمه إثما».

وقال صلى الله عليه وآله: «ناكح الكف ملعون»[٢].

موعظة للغافلين

ترك الدنيا:

در قوم تركوا الدنيا قبل تركها، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها، التقطوا أيام السلامة فغنموا، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا، هجروا في طاعته لذيذ الكرى وهربوا إليه من جميع الورى، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى. ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا، أسلموا إليه لما سلموا الروح، وخدموه والصدر لخدمته مشروح، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح، وواصلوا الكبا فالجفن بالدمع مقروح، وقاموا في الأسحار قيام من يبكي وينوح، وصبروا على

---

(١) البحار: ج١٠١، ص٣٠، ح١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٤، باب ٢٣، ص٣٥٦، ح٢.

مقطعات الصوف ولبس المسوح، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح، من طيب الثنا روائح لهم بكل ما مكان تستنشق، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

الاتّعاظ:

أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا، واعلموا أنَّهم قد تقاسموا وافترقوا، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا:

(البحر البسيط التام)

والمرء مثل هلال كان مطلعه ... يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسقُ
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه ... كر[1] الجديدين نقصاً ثم يمتحقُ
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرقُ
ومات مبتسم جد المشيب به ... كالليل ينهض في أعجازه الأفقُ
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة ... وذوا التجارب فيها خائف فرقُ
يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثقُ
أقول والنفس تدعوني لزخرفها ... أين الملوك، ملوك الناس والسوقُ
أين الذين إلى لذّاتها جنحوا ... قد كان قبلهمُ عيش ومرتفقُ
أمست مساكنهم قفراً معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... إن اغتراراً بظل زائل حمقُ

---

(١) يعني تعاقب اللَّيل والنَّهار.

أذى الجار

أخي.. لا تؤذِ جيرانك، بل راع فيهم حق الجار، ولا تنظر في بيوتهم لتطّلع على عوراتهم وتراقب أعمالهم، ولا تجعل ميزابك يصبُّ في بيوتهم، ولا ترمِ التراب والقذارة عند باب بيوتهم، ولا تؤذهم بدخان بيتك ورائحة طعامك، وواسهم.

إيَّاك أن تنام في اللَّيل مليء البطن وهم جائعون، أو تمضي في راحة وهم في شدَّة وعناء من البرد والقلَّة يئنّون.

لا تمنع عنهم الملح والنَّار والماء وما شابه ذلك، وإن طلبوا منك إعارتهم بعض أغراض بيتك أعِرهم.

وراعهم في كلِّ الأُمور؛ فإنَّ الإحسان للجار يزيد في العمر ويعمر الديار.

وقد أوصانا أهل بيت العصمة بالجيران خيراً في الكثير من أحاديثهم.

وفي مناهي النبيِّ ﷺ أنّه قال: من خان جاره شبراً من الأرض جعلها الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرضين السّابعة حتّى يلقى الله يوم القيامة مطوَّقاً ألاّ أن يتوب ويرجع.

وقال: من آذى جاره حرَّم الله عليه ريح الجنّة، ومأواه جهنّم وبئس المصير، ومن ضيّع حقَّ جاره فليس منّا، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنَّه سيورّثه[1].

(١) أمالي الصدوق ص٢٥٦.

وعن اسماعيل بن عبد الخالق والكنانيّ معاً، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كفَّ أذاه عن جاره أقاله الله عزَّ وجلَّ عثرته يوم القيامة، ومن عفَّ بطنه وفرجه كان في الجنّة مِلِكاً محبوراً، ومن أعتق نسمة مؤمنة بنى الله له بيتاً في الجنّة[1].

وفي ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام: يا عليّ أربعة من قواصم الظهر:

١ ـ إمام يعصي الله ويطاع أمره.

٢ ـ وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه.

٣ ـ وفقر لا يجد صاحبه له مداوياً.

٤ ـ وجار سوء في دار مقام[2].

وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ صلوات الله عليهم قال: قيل للنبيّ صلى الله عليه وآله يا نبيَّ الله أفي المال حقٌّ سوى الزّكاة؟

قال: نعم برَّ الرحم إذا أدبرت، وصلة الجار المسلم، فما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع.

ثمَّ قال عليه السلام: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتَّى ظننت أنَّه سيورِّثه[3].

وعن ابن زياد، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة هنَّ أُمُّ الفواقر[4]:

١ ـ سلطان إن أحسنت إليه لم يشكر، وإن أسأت إليه لم يغفر.

٢ ـ وجار عينه ترعاك وقلبه ينعاك، إن رأى حسنة دفنها ولم يفشها وإن رأى سيّئة أظهرها وأذاعها.

---

(١) أمالي الصدوق ص٣٣٠.

(٢) الخصال ج١ ص٩٦.

(٣) أمالي الطوسي ج٢ ص١٣٤.

(٤) الفواقر جمع الفاقرة: الداهية التي تكسر الفقار.

٣ ـ وزوجة إن شهدت لم تقرَّ عينك بها وإن غبت لم تطمئنَّ إليها[١].

قال الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمّار: صانع المنافق بلسانك واخلص ودّك للمؤمن، وإن جالسك يهوديٌّ فأحسن مجالسته[٢].

وعن عمرو بن عكرمة قال: دخلت إلى أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إنَّ لي جاراً يؤذيني فقال: ارحمه.

قال: قلت: لا رحمه الله، فصرف وجهه عنّي.

قال: فكرهت أن أدعه: فقلت جعلت فداك إنّه يفعل بي ويفعل ويؤذيني.

فقال: أرأيت إن كاشفته انتصفت منه؟

قال: قلت: بلى أُولّى عليه.

فقال عليه السلام: إنَّ ذا ممن يحسد الله على ما آتاهم الله من فضله، فإذا رأى نعمة على أحد وكان له أهل جعل بلاءه عليهم، وإن لم يكن له أهل جعل بلاءه على خادمه، وإن لم يكن له خادم سهر ليله، واغتاظ نهاره، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله إنّي اشتريت داراً في بني فلان، وإنَّ أقرب جيراني منّي جواراً من لا أرجو خيره، ولا آمن شرَّه.

قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وسلمان وأبا ذرّ قال: ونسيت واحداً وأظنّه المقداد فأمرهم أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم: أنّه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا ثلاثاً ثمَّ أمر فنودي: إنَّ كلَّ أربعين داراً من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله يكون ساكنها جاراً له[٣].

وعن إسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعوذ بالله

---

(١) قرب الأسناد: ٤٠.

(٢) الاختصاص: ٢٣٠.

(٣) البحار: ج٧١، ص١٥٢، ح١٢.

من جار سوء في دار إقامة تراك عيناه ويرعاك قلبه، إن رآك بخير ساءه وإن رآك بشرّ سرَّه[١].

وعن إبراهيم بن أبي رجاء قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: حسن الجوار يزيد في الرِّزق[٢].

ورُوي أنّه جاء رجل إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وقال: إنَّ فلاناً جاري يؤذيني قال: اصبر على أذاه كفَّ أذاك عنه فما لبث أن جاء وقال: يا نبيَّ الله إنَّ جاري قد مات.

فقال صلى الله عليه وآله: كفى بالدَّهر واعظاً وكفى بالموت مفرِّقاً[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته عند وفاته: الله الله في جيرانكم فإنّه وصيّة نبيّكم ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورِّثهم[٤].

وعن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ملعون ملعون من آذى جاره[٥].

وقيل عن النبي صلى الله عليه وآله: لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره[٦].

قال الشاعر:

(البحر الطويل)

يلومونني إن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعرفوا جاراً هناك يُنَغّصُ

فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديارُ وترخُصُ

وقال آخر:

---

(١) البحار: ج٧١، ص١٥٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) البحار: ج٧١، ص١٥٣، عن النهج.

(٥) البحار: ج٧١، ص١٥٣.

(٦) رواه أحمد ورواته ثقات والطبراني في الكبير والأوسط من حديث المقداد بن الأسود (ترغيب).

(البحر الرمل)

دار جـــــار الـــــدار إن جـــــار وإن   لـم تـجـد صـبـراً فـمـا أحـلـى الـنّـقـل

وقيل:

«الـجـار الـقـريـب خـيـر من الأخ الـبـعـيـد»

احتمال أذى الجار وإن كان ذمياً:

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزّيه في المصيبة، ويقوم عنه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلّاته، ولا يتطلع إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في صب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نابية، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمح عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

فقد روي عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله أنَّه كان له جار ذمي، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجنفة.

فقال: ما هذا الذي أرى؟

قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنَّهار وألقيه باللَّيل، ولولا أنَّه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك وإلاَّ لم أخبرك فافعل ما ترى.

فقال المجوسي: أيُّها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إلَه إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله، ثمَّ مات سهل رحمه الله.

فنسأل الله أن يهدينا وإيَّاكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنَّه جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم.

البدعة

عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من خالف سنّة محمّد صلى الله عليه وآله فقد كفر[١].

وعن ابن مسكان، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: مرَّ موسى بن عمران ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ برجل وهو رافع يده إلى السماء يدعو الله، فانطلق موسى في حاجته فغاب سبعة أيّام ثمّ رجع إليه وهو رافع يده إلى السماء.

فقال: يا ربّ هذا عبدك رافع يديه إليك يسألك حاجته ويسألك المغفرة منذ سبعة أيّام لا تستجيب له.

قال: فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعاني حتّى تسقط يداه أو تنقطع يداه أو ينقطع لسانه ما استجيب له حتَّى يأتيني من الباب الّذي أمرته[٢].

وعن عليّ بن ربيعة الوالبيّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى حدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، وفرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وسنَّ لكم سنناً فاتّبعوها، وحرّم عليكم حرمات فلا تنتهكوها، وعفا لكم عن أشياء رحمة منه من غير نسيان فلا تتكلّفوها[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اختلفت دعوتان إلاّ كانت إحديهما ضلالة[٤].

---

(١) البحار: ج٢، ص٢٦٢، ح٧.
(٢) البحار: ج٢، ص٢٦٣، ح٩.
(٣) البحار: ج٢، ص٢٦٣، ح١١.
(٤) البحار: ج٢، ص٢٦٤، عن نهج البلاغة.

وعن عليّ بن جعفر، عن أخيه عليه السلام قال: ثلاث موبقات: نكث الصفقة، وترك السنّة، وفراق الجماعة[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد سعى في هدم الإسلام»[٣].

وعَدَّ الصادق عليه السلام البدعة من الكبائر لقوله عليه السلام: «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وإذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأُكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام، «ويحذرهم الناس» ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[٥].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال»[٦].

وعن سماعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وقد علم أن هؤلاء لم يقتلوا، ولكن كان هواهم مع الذين قتلوا، فسمّاهم الله قاتلين لمتابعة هواهم ورضاهم بذلك الفعل[٧].

---

(١) البحار: ج٢، ص٢٦٦، ح٢٥.
(٢) وسائل الشيعة: ج١١، باب ٤٠، ص٥١١، ح٦.
(٣) وسائل الشيعة: ج١١، باب ٤٠، ص٥١١، ح٧.
(٤) سفينة البحار: ج١، ص٦٣، وقد ورد في هذا الباب ثلاثون رواية حول الموضوع نفسه وفي الوسائل أحدى عشرة رواية وفي باب ٣٨ إحدى وعشرون رواية وفي باب ٣٩ سبع روايات.
(٥) وسائل الشيعة: ج١١، باب ٣٩، ص٥٠٨، ح١.
(٦) سفينة البحار: ج٢، ص٢٢٠.
(٧) تفسير العياشي ١: ٢٠٨/١٦٢.
آل عمران ٣: ١٨٣.

وعن محمّد بن جمهور العميّ رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل لعنه الله[1].

وعن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: إنّ العالم الكاتم علمه يبعث أنتن أهل القيامة ريحاً، تلعنه كلّ دابّة حتّى دواب الأرض الصغار[2].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أدنى النصب؟

قال: أن يبتدع الرجل رأياً، فيحب عليه ويبغض عليه[3].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً، فيحب عليه ويبغض[4].

وعن يونس بن عبد الرحمن ـ في حديث ـ قال: روينا عن الصادقين عليهما السلام أنّهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان[5]

تحريم التظاهر بالمنكرات وهذه من البدع:

عن أبان، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خمس إن أدركتموهنّ فتعوّذوا بالله منهنّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتّى يعلوها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا الميكال والميزان إلاّ أخذوا بالسنين وشدّة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلاّ منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله

---

(١) المحاسن: ١٧٦/٢٣١.
الكافي ١: ٢/٤٤.

(٢) المحاسن: ١٧٧/٢٣١.

(٣) الفقيه ٣: ١٧٧٠/٣٧٤، وعقاب الأعمال: ٤/٣٠٧.

(٤) الفقيه ٣: ١٧٦٩/٣٧٤، وعقاب الأعمال: ٣/٣٠٧.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢/١١٢.

وعهد رسوله إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم، وأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم[١].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا ظهر الزنى من بعدي كثر موت الفجأة.

وإذا طفف الميزان والمكيال أخذهم الله بالسنين والنقص.

وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها.

وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان.

وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم.

وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار.

وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي: سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم[٢].

وجوب البراءة من أهل البدع:

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ابرؤوا من خمسة: من المرجئة، والخوارج، والقدرية، والشامي، والناصب، قلت: ما الناصب؟

قال: من احبّ شيئاً أو أبغض عليه»[٣].

وبإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أن بين الساعة لنيّفاً وسبعين رجلاً، وما من رجل يدعو إلى بدعة فيتبعه رجل واحد، إلاّ وجده يوم القيامة لازماً لا يفارقه

---

(١) الكافي ٢: ٢٧٧/١.

(٢) الكافي ٢: ٢٧٧/٢.

(٣) كتاب العلاء: ص١٥٤.

حتى يسأل عنه، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[١] فالمسألة من الله أخذ، والأخذ من الله تعالى عذاب»[٢].

وعن منصور بن أبي يحيى، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «صعد رسول الله ﷺ المنبر، فتغّيرت وجنتاه والتمع[٣] لونه، ثم أقبل بوجهه فقال: يا معشر المسلمين، إني إنّما بعثت أنا والساعة كهاتين ـ قال: ثم ضمّ السبابتين ـ ثم قال: يا معشر المسلمين، أن أفضل الهدى هدى محمّد ﷺ، وخير الحديث كتاب الله، وشر الأمور محدثاتها، ألا وكلّ بدعة ضلالة، ألا وكلّ ضلالة ففي النار». (الخبر)[٤].

وفي نهج البلاغة: عليه السلام: «ما أحدثت بدعة إلاّ ترك بها سنّة، فاتقوا البدع، والزموا المهيع[٥]، أن عوازم[٦] الأمور أفضلها، وأنّ محدثاتها شرارها»[٧].

تحريم التظاهر بالمنكرات وهي من البدع:

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يابن مسعود، سيأتي من بعدي أقوام يأكلون طيب الطعام وألوانها، ويركبون الدواب، ويتزينون بزينة المرأة لزوجها، ويتبرجن النساء، وزّيهنّ مثل زيّ الملوك الجبابرة، وهم منافقو هذه الأُمة في آخر الزمان، شاربو القهوات، لاعبون بالكعاب راكبو الشهوات، تاركو الجماعات، راقدون عن العتمات، مفرطون في العداوات (الغدوات)، يقول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[٨].

---

(١) الصافات ٣٧ الآية: ٢٤.
(٢) الجعفريات: ص١٧١.
(٣) التمع لونه: ذهب وتغيَّر، يُقال للرجل إذا فزع من شيء أو غضب أو حزن فتغيَّر لونه لذلك.
(٤) أمالي المفيد ص١٨٧، وعنه في البحار ج٢ ص٢٦٣ ح١٢.
(٥) المهيع: الطريق الواسع الواضح البين (لسان العرب ج٨ ص٣٧٩).
(٦) العوازم: جمع عازمة، وهي التي جرت بها السنة من الفرائض والسنن.
أي: الأمور الثابتة بالكتاب والسنة (مجمع البحرين ج٦ ص١١٥).
(٧) نهج البلاغة: ج٢، ص٣٩، ح١٤١.
(٨) مريم ١٩ الآية: ٥٩.

يابن مسعود، مثلهم مثل الدفلى زهرتها حسنة وطعمها مرّ، كلامهم الحكمة، وأعمالهم داء لا يقبل الدواء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[1].

يابن مسعود، ما يغني من يتنعّم في الدنيا إذا أخلد في النار! ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[2] يبنون الدور، ويشيّدون القصور، ويزخرفون المساجد، وليست همّتهم إلاّ الدنيا، عاكفون عليها معتمدون فيها، آلهتهم بطونهم، قال الله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4] وما هو إلاّ منافق جعل دينه هواه وإلّهه بطنه، كلّما اشتهى من الحلال والحرام لم يمتنع منه، قال الله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[5].

يابن مسعود، محادثتهم نساؤهم، وشرفهم الدراهم والدنانير، وهمّتهم بطونهم، أُولئك شرّ الأشرار، الفتنة معهم وإليهم تعود.

يابن مسعود، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾[6].

يابن مسعود، أجسادهم لا تشبع، وقلوبهم لا تخشع.

يابن مسعود، الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، فمن أدرك ذلك الزمان من أعقابكم، فلا يسلم في ناديهم، ولا يشيع جنائزهم، ولا يعود مرضاهم، فأنّهم يستنون بسنّتكم، ويظهرون بدعواكم، ويخالفون أفعالكم، فيموتون على غير ملّتكم، أُولئك ليسوا منّي ولا أنا منهم، فلا تخافنّ أحداً غير الله، فإن الله

---

(١) محمد ٤٧ الآية: ٢٤.
(٢) الروم ٣٠ الآية: ٧.
(٣) الشعراء ٢٦ الآية: ١٢٩ ـ ١٣١.
(٤) الجاثية ٤٥ الآية: ٢٣.
(٥) الرعد ١٣ الآية: ٢٦.
(٦) الشعراء ٢٦ الآية ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

تعالى يقول: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١] ويقول: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا ـ إلى قوله ـ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[٢].

يابن مسعود، عليهم لعنة الله مني ومن جميع المرسلين، والملائكة المقربين، وعليهم غضب الله وسوء الحساب، في الدنيا والآخرة، وقال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ إلى قوله ـ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٣].

يابن مسعود، أُولئك يظهرون الحرص الفاحش، والحسد الظاهر، ويقطعون الأرحام، ويزهدون في الخير، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[٤] يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٥].

يابن مسعود، يأتي على الناس زمان الصابر على دينه مثل القابض على الجمرة بكفّه، يقال لذلك الزمان: إن كان ذئباً وإلاّ أكلته الذئاب.

يابن مسعود، علماؤهم وفقهاؤهم خونة إلا أنّهم فجرة أشرار خلق الله كذلك وابتاعهم، ومن يأتيهم ويأخذ منهم، ويحبّهم ويجالسهم ويشاورهم، أشرار خلق الله، يدخلهم نار جهنم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[٦] ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[٧] الآية، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾[٨] الآية، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾[٩] الآية، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن

---

(١) النساء ٤ الآية: ٧٨.
(٢) الحديد ٥٧ الآية ١٣ ـ ١٥.
(٣) المائدة ٥ الآية: ٧٨ ـ ٨١.
(٤) الرعد ١٣ الآية: ٢٥.
(٥) الجمعة ٦٢ الآية: ٥.
(٦) البقرة ٢ الآية: ١٨.
(٧) الإسراء ١٧ الآية: ٩٧.
(٨) النساء ٤ الآية: ٥٦.
(٩) الملك ٦٧ الآية: ٧.

﴿يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾[١] الآية، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾[٢] يدّعون أنّهم على ديني وسنّتي ومنهاجي وشرائعي، أنّهم مني براء، وأنا منهم بريء.

يابن مسعود، لا تجالسهم في الملأ، ولا تبايعوهم في الأسواق، ولا تهدوهم الطريق، ولا تسقوهم الماء، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾[٣] الآية يقول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾[٤] الآية.

يابن مسعود، ما بلوى أمتي منهم العداوة والبغضاء والجدال، أُولئك أذلاّء هذه الأُمّة في دنياهم، والذي بعثني بالحق ليخسفن الله بهم، ويمسخهم قردة وخنازير قال: فبكى رسول الله ﷺ، وبكينا لبكائه، وقلنا: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال «رحمة للأشقياء ـ إلى أن قال ـ يابن مسعود، اعلم، أنّهم يرون المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ففي ذلك يطبع الله على قلوبهم، فلا يكون فيهم الشاهد بالحق، ولا القوامون بالقسط، قال الله تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾[٥] الآية.

يابن مسعود، يتفاضلون بأحسابهم وأموالهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ﴾[٦] الآية ـ إلى أن قال ﷺ ـ يابن مسعود، والذي بعثني بالحق، ليأتي على الناس زمان يستحلون الخمر يسمّونه النبيذ، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، أنا منهم بريء، وهم مني براء.

يابن مسعود، الزاني بأمّه أهون عند الله ممّن يدخل في ماله الربا مثقال حبة من خردل، ومن شرب المسكر قليلاً أو كثيراً، هو أشدّ عند الله من آكل الربا، أنه مفتاح كلّ شرّ، أُولئك يظلمون الأبرار، ويصدّقون الفجار والفسقة، الحقّ عندهم باطل، والباطل عندهم حقّ، هذا كلّه للدنيا، وهم يعلمون أنّهم على غير الحق، ولكن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ

(١) الحج ٢٢ الآية: ٢٢.
(٢) الأنبياء ٢١ الآية: ١٠٠.
(٣) هود ١١ الآية: ١٥.
(٤) الشورى ٤٢ الآية: ٢٠.
(٥) النساء ٤ الآية: ١٣٥.
(٦) الليل ٩٢ الآية: ١٩.

ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[١] ﴿...وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[٢] الخبر[٣].

وفي الجعفريات: بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن بين يدي الساعة لنيّفاً وسبعين رجلاً، وما من رجل يدعو إلى بدعة فيتبعه رجل واحد، ألاّ وجده يوم القيامة لازماً لا يفارقه حتى يسأل عنه، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٤] فالمسألة من الله أخذ، والأخذ من الله تعالى عذاب»[٥].

وبهذا الإسناد، قال: «قال رسول الله ﷺ: أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة ـ إلى أن قال ـ أمّا صاحب البدعة، فقد أشرب قلبه حبّها» (الخبر)[٦].

وفي كتاب لبّ اللباب: عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «إياكم والركون إلى أصحاب الأهواء! فإنهم بطروا النعمة، وأظهروا البدعة»[٧].

وقال ﷺ: «من تبسّم في وجه مبتدع، فقد أعان على هدم الإسلام».

وقال ﷺ: «من أحدث في الإسلام، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٨].

وقال ﷺ: «أهل البدع كلابُ أهلِ النّار»[٩].

---

(١) النمل ٢٧ الآية: ٢٤.
(٢) يونس ١٠ الآية: ٧و٨.
(٣) مكارم الأخلاق: ص٤٤٩.
(٤) الصافات ٣٧ الآية: ٢٤.
(٥) الجعفريات: ص١٧١.
(٦) المستدرك الوسائل: ج١٢، ص٣١٧، ح٣.
(٧) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٣٢٢، ح١٢.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) ميزان الحكمة ج١ ص٣١٨.

الحكم بغير حق
«قضاة الجور»

قضاة الجور والترافع إليهم:

عن عليّ بن حسان، عن عمّه عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فشت أربعة ظهرت أربعة:

إذا فشا الزنى: ظهرت الزلازل.

وإذا أمسكت الزّكاة: هلكت الماشية.

وإذا جار الحكّام في القضاء: أمسك القطر من السماء.

وإذا خفرت الذمّة: نصر المشركون على المسلمين[١].

وعن البرقي، عن أبيه، عن ابن عمير رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: القضاة أربعة:

قاضٍ قضى بالحق وهو لا يعلم أنّه حقّ فهو في النار.

وقاضٍ قضى بالباطل وهو لا يعلم أنّه باطل فهو في النار.

وقاضٍ قضى بالباطل وهو يعلم أنّه باطل فهو في النار.

وقاضٍ قضى بالحقّ وهو يعلم أنّه حقّ فهو في الجنّة[٢].

---

(١) الخصال ١ ص١٦٥.

(٢) الخصال ج١ ص١٦٩.

وعن يونس مولى عليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كانت بينه وبين أخيه منازعة فدعاه إلى رجل من أصحابه يحكم بينهما فأبى إلاّ أن يرفعه إلى السلطان فهو كمن حاكم إلى الجبت والطاغوت وقد قال الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلى قوله ﴿بَعِيدًا﴾[1].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾.

فقال: يا أبا محمّد إنّه لو كان لك على رجل حقّ فدعوته إلى حكّام أهل العدل فأبى عليك إلاّ أن يرافعك إلى حكّام أهل الجور ليقضوا له كان ممّن حاكم إلى الطاغوت[2].

وعن عمّار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الحكومة.

قال: من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر[3].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾.

فقال: يا أبا بصير أنَّ الله قد علم أنَّ في الأُمّة حكّاماً يجورون، أما أنّه لم يعنِ حكّام أهل العدل، ولكنه عنى حكّام أهل الجور، يا أبا محمّد أما إنّه لو كان لك على رجل حقٌّ فدعوته إلى حكّام أهل العدل فأبى عليك إلاّ أن يرافعك إلى حكّام أهل الجور ليقضوا له كان ممّن يحاكم إلى الطاغوت[4].

وعن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حكم في درهمين حكم جور ثمَّ كبر عليه كان أهل هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٢٥٤.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص٨٥.
(٣) تفسير العياشي ج١ ص٢٥٤.
(٤) تفسير العياشي ج١ ص٨٥.

فقلت: يابن رسول الله وكيف جبر عليه؟

قال: يكون له سوط وسجن فيحكم عليه فإن رضي بحكومته وإلاّ ضربه بسوطه وحبسه في سجنه[(١)].

وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فقد كفر، ومن حكم في درهمين فأخطأ كفر[(٢)].

الظلم شؤم:

لما حبس يحيى بن خالد البرمكي كتب من الحبس إلى الرشيد: أنَّ كل يوم يمضي من بؤسي يمضي من نعمتك مثله. والموعد المحشر، والحكم الديان، وقد كتب إليك بأبيات كتب بها أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان:

(البحر الوافر)

أما واللَّه إنَّ الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الظلومُ
إلى ديان يوم الدِّين نمضي ... وعند اللَّه تجتمع الخصومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبَّهْ للمنية يا نؤُومُ[(٣)]

وعن أبي بصير بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فهو كافر بالله العظيم[(٤)].

القاضي السوء:

قال الله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٥)].

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٣٢٣.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص٣٢٣.
(٣) نهج السعادة ٤ : ١٦٠.
(٤) تفسير العياشي ج١ : ٣٢٣.
(٥) المائدة: ٤٤.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٢].

موعظة للغافلين

اغتنموا الفرص:

يا من عمره كلما زاد نقص، ما من يأمن ملك الموت وقد اقتص يا مائلاً إلى الدنيا هل سملت من النقص؟ يا مفرطاً في عمره هل بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى في منهاجِ الهدى ثم لاح له الهوى نكص، من لك يوم الحشر عند نشر القصص[٣]. عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة، ولأن تقرعها المواعظ فنصغي لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها صائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة، وليست له في حال من الأحوال طائعة، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة، والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازعة، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة.

---

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) المائدة: ٤٧.

(٣) القصص جمع قصة: يعني الصحف التي فيها الأعمال.

القتال في الأشهر الحرم والصد عن سبيل الله

قال الله تعالى:

﴿...وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾[5].

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟

---

(١) البقرة: ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) البقرة: ٢١٧.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) المائدة: ٩٧.

لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[٢].

إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾[٣].

وفي تفسير القمي: الأشهر الحرم: رجب مفرد، وذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرَّم متّصلة حرّم الله فيها القتال ويضاعف فيها الذنوب وكذلك الحسنات، وأشهر السيّاحة معروفة: «وهي عشرون من ذي الحجّة، والمحرَّم، وصفر، وشهر ربيع الأوَّل، وعشر من شهر ربيع الآخر، وهي الّتي أجّل الله فيها المشركين في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وأشهر الحجّ معروفة وهي شوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة[٤].

وعن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده قاعداً خلف المقام وهو محتبٍ مستقبل القبلة فقال: النظر إليها عبادة، وما خلق الله بقعة من الأرض أحبّ إليه منها ـ ثمَّ أهوى بيده إلى الكعبة ـ ولا أكرم عليه منها، لها حرّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السّموات والأرض ثلاثة أشهر متوالية وشهر مفرد للعمرة، قال أبو عبد الله عليه السلام: شوّال وذو القعدة وذو الحجّة ورجب[٥].

---

(١) التوبة: ٥.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) التوبة: ٣٧.

(٤) تفسير القمي ص٢٦٥. وعنه البحار: ج٩٧، ص٥٥٣، ح٣.

(٥) تفسيرالعياشي: ج٢، ص٨٨.

كفران النعم

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[(١)]

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[(٢)].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[(٤)].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[(٦)].

---

(١) يونس: ١٢.

(٢) هود: ٩ ـ ١١.

(٣) إبراهيم: ٢٨ و٢٩.

(٤) إبراهيم: ٣٤.

(٥) النحل: ٥٣ ـ ٥٥.

(٦) النحل: ٨٣.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾[١].

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾[٥].

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾[٦].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾[٨].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾[٩].

عن النبي الأكرم ﷺ: «أسرع الذنوب عقوبة كفران النعمة»[١٠].

---

(١) الحج: ٦٦.
(٢) الروم: ٣٣ ـ ٣٤.
(٣) الروم: ٥١.
(٤) الزمر: ٣.
(٥) الزمر: ٨.
(٦) الشورى: ٤٨.
(٧) الدهر: ٤٠.
(٨) عبس: ١٧ ـ ٢٣.
(٩) العاديات: ٦ وهذا الباب لم يخرج أحاديثه.
(١٠) وسائل الشيعة: ج١١، باب٨، ص٥٤١، ح١٠.

وعنه ﷺ: «ثلاث من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإنسان»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ضمن وصيته: «ولا تكفر فإن كفر النعمة من ألأم الكفر»[٢].

وعنه عليه السلام: «أحب الناس إلى الله العامل في ما أنعم به عليه بالشكر وأبغضهم إليه العامل في نعمه بكفرها»[٣].

وعن الإمام السجاد عليه السلام في تفسير «الذنوب التي تغير النعم»، قال عليه السلام: «منها كفران النعم»[٤].

وعن النبي الأكرم ﷺ: «ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم»[٥].

كفران الوسائط:

عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «إن الله يحب كلَّ قلب حزين عبد شكور، يقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟

فيقول: بل شكرتك يا رب.

فيقول تعالى: لم تشكرني إن لم تشكره، ثم قال عليه السلام: أشكركم لله أشكركم للناس»[٦].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من حق الشكر لله أن تشكر من أجرى تلك النعمة على يده»[٧].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، باب٨، ص٥٤١، ح١٠.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢، باب٨، ص٣٥٧، ح٢.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢، باب٨، ص٣٥٧، ح١٠، مع اختلاف بالألفاظ.
(٤) معاني الأخبار: ص٢٧٠،باب معنى الذنوب التي تغير النعم. . .ح١٠.
(٥) بحار الأنوار، ج٣.
(٦) وسائل الشيعة: ج١١، باب٨، ص٥٣٩، و٥٤٠، ح٣.
(٧) وسائل الشيعة: ج١١، باب٨، ص٥٣٩ و٥٤٠، ح٩.

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف ين يدي الله عزَّ وجلَّ، فيؤمر به إلى النار، فيقول: أي رب أمرت بي إلى النار وقد قرأت القرآن.

فيقول الله: أي عبدي إني قد أنعمت عليك ولم تشكر نعمتي.

فيقول: أي رب أنعمت علي بكذا وشكرتك بكذا، وأنعمت عليَّ بكذا وشكرتك بكذا، فلا يزال يحصي النعمة ويعدد الشكر.

فيقول الله تعالى: صدقت عبدي، إلاّ أنّك لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه، وإني قد آليت على نفسي أن لا أقبل شكر عبد لنعمة أنعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقي إليه»[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف».

قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟

قال عليه السلام: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»[٣].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كفاك بثنائك على أخيك إذا أسدى إليك معروفاً أن تقول له: جزاك الله خيراً، وإذا ذكر وليس هو في المجلس أن تقول: جزاه الله خيراً، فإذا أنت قد كافيته»[٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سألكم بالله فأعطوه، ومن آتاكم معروفاً فكافوه، وإن لم تجدوا ما تكافونه فادعوا الله له حتى تظنوا أنكم قد كافيتموه»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، باب٨، ص٥٣٩ و٥٤٠، ح١٥.

(٢) نقل في وسائل في الباب الثامن من كتاب الأمر بالمعروف ١٦ حديثاً في المورد، وفي الباب السابع منه نقل في الباب السابع منه ٩ أحاديث، وفي استحباب الدعاء لمن كان واسطة في النعمة.

(٣) الكافي: ج٤، ص٥٣٣، ح١.

(٤) وسائل الشيعة: ج١١، باب٧، ص٥٣٧، ح٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج١١، باب٧، ص٥٣٧، ح٥.

وقال أبو حمزة: قال لي الإمام الصادق عليه السلام: «أغد عالماً أو متعلماً أو أحب العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم»[1].

عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى دانيال: أن أمقت عبيدي الجاهل المستخف بحق أهل العلم، والتارك للاقتداء بهم، وأن أحب عبيدي التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء»[2].

ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «سيأتي زمان على الناس يفرون من العلماء كما يفر الغنم من الذئب، فإذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاثة أشياء:

الأول: يرفع الله البركة من أموالهم.

والثاني: سلط الله عليهم سلطاناً جائراً.

والثالث: يخرجون من الدنيا بلا إيمان»[3].

تحريم كفران نعمة الله:

عن جميل بن صالح، عن سدير قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[4] الآية.

فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضها إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا بنعم الله وغيروا ما بأنفسهم من عافية الله فغير الله ما بهم من نعمة، وإن الله لا يغّير ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرق قراهم وخرب ديارهم، وذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان

مستدرك الوسائل: ج١٢، باب٧، ص٣٥٤، ح١. مع اختلاف بالألفاظ.

(١) أصول الكافي: ج١، كتاب فضل العلم، باب أصناف الناس، ص٣٤، ح٢.

(٢) أصول الكافي: ج١، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم، ص٣٥، ح٥.

(٣) سفينة البحار: ج٢، ص٢٢.

(٤) سبأ ٣٤: ١٩.

جنّاتهم جنتين ذواتي أُكل خمط[١] وأثل وشيء من سدر قليل، ثمّ قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[٢][٣].

الكفر بالنعمة من أقسام الكفر:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه... إلى أن قال عليه السلام: والوجه الثالث من الكفر، كفر النعم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[٤].

(١) الخمط: كل شجر ذي شوك (مجمع البحرين ـ خمط ـ ٤٤: ٢٤٦).

(٢) سبأ ٣٤: ١٧.

(٣) الكافي ٢: ٢١٠/٢٣.

(٤) الكافي: ج٢، باب وجوه الكفر، ص٣٨٩ ـ ٣٩٠، ح١.

بيع الأسلحة للكفار

قال الإمام الباقر عليه السلام: «من حمل إلى عدونا سلاحاً يستعينون به علينا فهو مشرك»[(١)].

وفيما أوصى به النّبي صلى الله عليه وآله: يا عليّ كفر بالله العظيم من هذه الأُمة عشرة: القتّات، والسّاحر، والدّيوث، وناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم منه، والسّاعي في الفتنة، وبايع السّلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحجّ[(٢)].

وكذلك التجسس للكفّار بما يكون في غلبتهم، ومثل بيع الأسلحة الحربية للكفّار في زمن حربهم للمسلمين.

ويتضح أنَّ هذين الأمرين من الكبائر ولا يفوتنا القول: إنّ بيع الأسلحة لقطّاع الطريق، وأولئك الذين يخلّون بالأمن العام للمسلمين وهو بحكم بيع الأسلحة للكفّار.

---

(١) المكاسب: ج١، باب ما يحرم لتحريم ما يقصد منه شأناً، ص٥٤.

(٢) الخصال ج٢ ص٢١٧. الوسائل: كتاب الجهاد، ج١١، ص٢٧٣، باب ٤٩، ح١٤.

التهمة والبهتان وسوء الظن بالأخوان

قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾[١].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[٤].

وعن الصادق، عن أبيه عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليس لك أن تتّهم من قد ائتمنته، ولا تأمن الخائن وقد جرّبته[٥].

عن الصادق عليه السلام أيضاً ناقلاً عن حكيم: البهتان على البريّ أثقل من الجبال الراسيات[٦].

---

(١) النساء: ١١٢.

(٢) أسرى: ٣٦.

(٣) النور: ١٢ ـ ١٥.

(٤) الحجرات: ١٢.

(٥) قرب الأسناد ص٤٠.

(٦) الخصال ج٢ ص٥.

الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: المؤمن لا يغشُّ أخاه ولا يخونه ولا يخذله ولا يتّهمه، ولا يقول له: أنا منك بريء.

وقال عليه السلام: اطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً.

وقال عليه السلام: اطرحوا سوء الظنّ بينكم فإنَّ الله عزَّ وجلّ نهى عن ذلك[١].

عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من باهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيهما حبسه الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة في طينة خبال، حتّى يخرج ممّا قال.

قلت: وما طينة خبال؟

قال: صديد يخرج من فروج المومسات يعني الزواني[٢].

بالإسناد إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام قال: قال رجل من خواصِّ الشيعة لموسى بن جعفر عليه السلام وهو يرتعد بعد ما خلى به: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في أظهاره واعتقاد وصيّتك وإمامتك.

فقال موسى عليه السلام: وكيف ذاك؟

قال: لأنّي حضرت معه اليوم في مجلس فلان رجل من كبار أهل بغداد، فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أنّ موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره؟

قال له صاحبك هذا: ما أقول هذا بل أزعم أنَّ موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم أكن أعتقد أنه غير إمام فعليَّ وعلى من لم يعتقد ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

قال له صاحب المجلس: جزاك الله خيراً، وألعن من وشى بك.

فقال له موسى بن جعفر عليه السلام: ليس كما ظننت، ولكن صاحبك أفقه منك إنّما قال: موسى غير إمام أي أنَّ الّذي هو غير إمام فموسى غيره فهو إذاً إمام.

---

(١) الخصال ج٢ ص١٦١.

(٢) معاني الأخبار ص١٦٤. ثواب الأعمال: ٢١٥.

فإنّما أثبت بقوله هذا إمامتي ونفى إمامة غيري، يا عبد الله متى يزول عنك هذا الّذي ظننته بأخيك، هذا من النفاق تب إلى الله، ففهم الرجل ما قاله واغتمَّ، قال: يابن رسول الله مالي مال فأرضيه به، ولكن قد وهبت له شطر عملي كلّه من تعبّدي وصلاتي عليكم أهل البيت، ومن لعنتي لأعدائكم.

قال موسى عليه السلام: الآن خرجت من النار[١].

وعن ابن زياد، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: إيّاكم والظنّ فإنَّ الظنَّ أكذب الكذب الخبر[٢].

وعن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً. (الخبر)[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثمَّ أساء رجل الظنَّ برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظنَّ برجل فقد غرَّر[٤].

وقال عليه السلام: اتّقوا ظنون المؤمنين فأنَّ الله تعالى جعل الحقَّ على ألسنتهم[٥].

وقال عليه السلام: لا تظننّ بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً[٦].

وعن إبراهيم بن عمر اليمانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء[٧].

---

(١) الاحتجاج ٢١٤.
(٢) قرب الأسناد ص١٥.
(٣) أمالي الصدوق: ص٥٨.
(٤) نهج البلاغة ج٢ ص١٦٩.
(٥) نهج البلاغة ج٢ ص٢١٩.
(٦) نهج البلاغة ج٢ ص٢٣٠.
(٧) الكافي ج٢ ص٣٦١.

وعن حسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من اتّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما، ومن عامل أخاه بمثل ما يعامل به الناس، فهو بريء ممّن ينتحل[1].

الظنّ بالسُّوء

تشرَّف أحد الشيعة إلى محضر الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقال وهو راجع: يابن رسول الله أخشى أنَّ فلاناً ابن فلان رجع في اعتقاده بكم.

سألَه الإمام: لماذا؟

أجاب الرجل: كنت حاضراً في أحد مجالس كبار بغداد وكان الرشيد حاضراً أيضاً. في هذه الأثناء، سألَه صاحب المجلس: سمعت بأنَّك من شيعة موسى بن جعفر عليه السلام هل تظن بأنّ موسى بن جعفر إمام وهارون الرشيد ليس إماماً؟

أجاب: إنِّي لا أعتقد هكذا بل أقول إنَّ موسى بن جعفر عليه السلام غير إمام وإذا لم يكن هذا اعتقادي فلعنة الله والملائكة والنَّاس عليَّ.

فرح صاحب المجلس من سماعه هذا الكلام ودعا لَه ولعن الذين كانوا يقولون عليه شيعياً.

أجاب الإمام ذلك الرجل: ليس كما تظن، إنَّه أفقه منك يقصد بكلامه إنَّه موسى بن جعفر عليه السلام غير إمام فيعني لا يكون شرعياً. وبجملته هذه ما كفر بولايتنا بل ثبت الإمام بطريقة غير مباشرة تُب من ظنك بأخيك الشيعي سوءاً.

حزن الرجل الشيعي وقال: يابن رسول الله لا أملك مالاً لأعطيه ليرضى عنِّي.

ولكنّي أهديه ثواب الصلاة عليكم أنتم أهل البيت.

فقال الإمام عليه السلام: الآن نجوت من النَّار[2].

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٦١.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ٢١٤، عنه البحار: ٦٨/ ١٤، ح٢٦.

أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾(١).

قال الله تعالى:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٢ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ... ۝٣٤ ...وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ... ۝٣٤ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤﴾(٤).

الرشوة على القضاء:

تدلُّ الآية الكريمة على حرمة دفع الرشوة إلى الحاكم توصّلاً إلى الحكم بالباطل، وبالالتزام تدلُّ على حرمة أخذ الحاكم لها.

---

(١) البقرة: ١٨٨.
(٢) المائدة: ٤٢.
(٣) المائدة: ٦٢ ـ ٦٣.
(٤) التوبة: ٣٤.

وقد شددت الشريعة الإسلامية موقفها من الرشوة حتى جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «الرشا في الحكم هو الكفر بالله»[١].

وهل يعمّ تحريمها حالة دفعها للحكم بالحقّ؟ لا يبعد اختصاص مصطلح الرشوة بخصوص ما إذا كان الغرض إحقاق الباطل أو إبطال الحقّ إلاّ أنَّ المستفاد من بعض الروايات التعميم، ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله من نظر إلى فرج امرأة لا تحلُّ له، ورجلاً خان أخاه في امرأته، ورجلاً احتاج الناس إليه لتفقّهه فسألهم الرشوة»[٢].

أجل يجوز للقاضي أن يأخذ من بيت المال بعنوان الارتزاق، فإنَّ بيت مال المسلمين معدٌّ للصرف في مصالحهم، ومن تلك المصالح القضاء وارتزاق القاضي منه لتسيير أُموره.

ظاهرة الرشوة:

الرشوة هي إحدى الطرق لأكل أموال الناس بالباطل، وقد أصبحت هذه الظاهرة متفشية ـ وللأسف ـ في كل مكان، وفي كل دائرة أو مديرية، وأصبحت ممارستها علنية، دون وازع من دين، أو رقابة من ضمير.

والرشوة هي مال يُدفع إلى صاحب وظيفة عامَّة، أو إلى ذي سلطان، والغاية هي أن يعينه على الوصول لحاجته، حتى ولو كانت هذه الحاجة حراماً في حرام..!!!

وقد حرّم الإسلام إعطاء الحكّام وأعوانهم أي رشوة، ولأي سبب كان.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ١٨ : ١٦٢، الباب ٨ من أبواب آداب القاضي، الحديث ٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٨ : ١٦٣، الباب ٨ من أبواب آداب القاضي، الحديث ٥.

(٣) البقرة: ١٨٨.

وعن ثوبان قال: لعن رسول الله ﷺ «الراشي والمرتشي والرائش».

والرائش هو الذي يتوسط بين الراشي والمرتشي.

ولا غرابة في لعنهم، فإنَّ الرشوة إذا شاعت في مجتمع تفشى فيه الظلم، وأكل الحقوق، وغلبة الباطل على الحق، وتشيع روح النفعية في المجتمع، والتهرُّب من الواجب يصبح هو القاعدة، ولا يعود يقوم الإنسان بواجبه إلاَّ بمقابل، ويعيش النَّاس حالة من الغيظ والغضب الذي يغلي في الصدور، وتشيع نظرة الحقد والكراهية ضد كل إنسان يشغل منصباً ما، ولا يرضى العمل إلاَّ بالرشوة.

الرشوة لرفع الظلم:

أمَّا من كان له حق مضيّع لم يجد طريقة للوصول إليه إلاَّ بالرشوة، أو وقع عليه ظلم لم يستطع دفعه إلاَّ بالرشوة، فالأفضل له أن يصبر حتى ييسِّر الله له أفضل السبل لرفع الظلم، ونيل الحق..

فإن كان مضطراً، ويريد دفع هذا الظلم، وسلك سبيل الرشوة، فالإثم هنا على آخذ الرشوة، وليس عليه إثم الراشي في هذه الحالة ـ والله أعلم ـ، ولكن هذا مشروط بأن يكون قد جرَّب كل وسيلة لتحصيل حقه دون رشوة دون أن يصل لحقه، ويَشرط أن يراعي قاعدة ـ تقدر الضرورات بقدرها ـ.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾[1].

موعظة للغافلين

إخواني: كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها:

(١) هود: ٩٠.

(البحر الكامل)

يا معرضاً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق وعمر النواحي وغرس الحدائق، ونال الأماني وركب العواتق؟ صاح به من داره غراب بين ناعق، وطرقه في لهوه أقطع طارق، وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق، وقلاه الحبيب الذي لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق. نازله والله الموت فلم يحاشه، وأذله بالقهر بعد عز جاشه، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه، ومزقه الدود في قبره كتمزيق قماشه، وبقي في ضنك شديد من معاشه، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه. ما نفعه والله الاحتراز، ولا ردت عنه الركاز، بل ضره من الزاد الأعواز، وصار والله عبرة للمجتاز، وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز، وبقي رهيناً لا يدري أهلك أم فاز. وهذا لك بعد أيام، وما أنت فيه الآن أحلام، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غداً على التمام، ويقع لي ولك، ويحك! أما يؤثر فيك هذا الكلام؟.

عن الصّادق، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: السحت ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغيّ، والرشوة في الحكم، وأجر الكاهن[1].

وعن عمّار بن مروان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: السحت أنواع كثيرة منها ما أُصيب من أعمال الولاة الظلمة، ومنها أُجور القضاء، وأُجور الفواجر، وثمن الخمر، والنبيذ المسكر، والرّبا بعد البينّة، فأما الرشا يا عمّار في الأحكام فإنَّ ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله[2].

وعن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾.

---

(1) الخصال ج1 ص234. وتفسير العياشي: ج1، ص322.
(2) الخصال ج1 ص322. معاني الأخبار: ص211.

قال: هو الرّجل يقضي لأخيه الحاجة ثمَّ يقبل هديّته[١].

وعن جرّاح المدايني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أكل السحت الرشوة في الحكم[٢].

وعن سمّاعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرّشا في الحكم هو الكفر بالله[٣].

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: الراشي والمرتشي والماشي بينهما ملعونون[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: إيّاكم والرشوة فإنها محض الكفر ولا يشمُّ صاحب الرشوة ريح الجنّة[٥].

حكاية بني إسرائيل مع قضاتهم

عن عبيد الله الأحلافي قال: كان القاضي إذا مات في بني إسرائيل جُعِلَ في أزج[٦] أربعين سنة، فإنْ تَغَيَّرَ منه شيء علموا أنَّه قد جار في حُكْمِه، فمات بعض قضاتهم، فجُعِلَ في أزج، فبينا القَيِّم يقوم عليه أصابت المكنسة طَرَفَ أذنه، فانفجرت صديداً، فشقَّ ذلك على بني إسرائيل، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نبيٍّ من أنبيائهم، أنَّ عبدي هذا لم يكن به بأس، ولكنَّه استمع يوماً بإحدى أذنيه من الخصْم أكثر ممَّا استمع من الآخر، فمن ثَمَّ فعلتُ به هذا[٧].

هوى النفس في القضاء:

عن محمَّد بن إسماعيل بن الحكم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل قاضٍ وكان يقضي بينهم قال: فلمَّا حضره الموت قال لامرأته: إذا متُّ

---

(١) عيون الأخبار ج٢: ٢٨. صحيفة الرِّضا: ص٣١.
(٢) تفسير العياشي ج١: ٣٢١.
(٣) نفس المصدر ج١ ص٣٢١ ذيل حديث.
(٤) جامع الأخبار ص٦٢ طبع النجف.
(٥) البحار: ج١٠١، ص٢٣٤، ح١٢.
(٦) الأزَج: بناء مستطيل مقوس السقف.
(٧) انظر: عيون الحكايات ص ٣٠٧ لابن قيم الجوزية.

فاغسليني وكفّنيني وضعيني على سريري وغطّي وجهي فإنّك لا ترين سوءاً قال: فلمّا أن مات فعلت به ذلك ثمَّ مكثت حيناً وكشفت عن وجهه لتنظر إليه فإذا هي بدودة تقرض منخره ففزعت لذلك، فلمّا كان اللّيل أتاها في منامها فقال لها: أفزعك ما رأيت؟

فقالت: أجل لقد فزعت، قال: أمّا إنّك إن كنت فزعت ما كان ما رأيت إلاَّ في أخيك فلان، أتاني ومعه خصم له فلمّا جلسا إليَّ قلت: اللّهمَّ اجعل الحقّ له ووجّه القضاء له على صاحبه، فلمّا اختصما إليَّ كان الحقّ له ورأيت ذلك بيّناً في القضاء فوجَّهت القضاء له على صاحبه فأصابني ما رأيت لموضع هواي كان معه وإن وافقه الحقّ[1].

القضاء العادل:

قال علي عليه السلام: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زيبة للأسد، فبينا هم يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر ثم تعلق رجل آخر حتّى صاروا فيها أربعة فجرحهم الأسد فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحهم كلهم، فقام أولياء المقتول الأول إلى أولياء الثاني فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم علي فقال: تريدون أن تقتتلوا ورسول الله ﷺ حي؟ إنّي أقضي بينكم بقضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلاَّ حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل هؤلاء الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع لأنَّه هلك بمن فوقه وللثاني ثلث الدية وللثالث نصف الدية وللرابع الدية كاملة. فأبوا أن يرضوا فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة فقال: أنا أقضي بينكم واحتبي، فقال: رجل من القوم: إنَّ علياً قضى بيننا، فقصوا عليه القصة، فقال النبي ﷺ: القضاء كما قضى علي[2].

---

(١) البحار: ج١٠٤، ص٢٧٦.

(٢) كنز العمّال ١٣ : ١١٨، ح٣٦٣٨.

موعظة للغافلين

تدبّروا العواقب:

عباد الله: تدبروا العواقب، واحذروا قوة المناقب، واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب. أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا! لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا:

(البحر الوافر)

أما والله لو علم الانام ... لما خلقوا لما هجموا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات، ثم قبر، ثم حشر، ... وتوبيخ، وأهوال، عظامُ
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف إيقاظ نيامُ

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ، وبآفات البلايا قد تضمخ، يا من سمع كلام من لام ووبخ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ، يا مطلقاً لسانه والملك يحصي وينسخ، يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ، كم أباد الموت ملوكاً كالجبال الشمخ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ، يا مبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ، يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ. والحمد لله دائماً أبداً.

الإمام الخائن الغاش لرعيَّته لا يدخل الجنَّة:

روي أنَّه دخل زياد على عبد الله بن المعقل، فقال له عبد الله بن معقل: يا زياد اتّقِ الله فإنَّ شرَّ الأئمَّة الظَلَمة، فقال له زياد: إنَّما أنت من حثالة[1] أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) الحُثالة: هي الرديء من كلِّ شيء، وحثالة الناس: رُذالتهم.

فقال عبد الله: ما كان في أصحاب رسول الله حثالة، أفلا أُخبرك يا زياد بشيء سمعته من رسول الله؟

قال: بلى ولا تكذب.

فقال: لو كنت كاذباً على أحد ما كذبت على رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله يقول: ما من إمام يبيت ليلةً غاشّاً لرعيّته إلاّ حرَّم الله عليه غرف الجنَّة وريحها، وإنَّها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً.

قال، فقال له: سلني ما شئت.

قال: أسألك أن لا تنفعني ولا تضرَّني، وإن مرضت فلا تشهدني.

قال: فلم يمكث إلاّ ليال قليلة حتى مات.

قال: فرأينا والنّاس يزدحمون على جنازته فقال: من هذا؟

قيل: عبد الله بن المعقل.

قال: أما والله لولا أنَّه سألني أن لا أشهد جنازته لشهدته[١].

وعن المطلب أنَّ النَّبي ﷺ قال: كلّ راعٍ غاشّ لرعيّته حرَّم الله عليه الجنَّة الّتي توجد ريحها من مسيرة أربعين سنة[٢].

موعظة للغافلين

وطنّوا أنفسكم:

يا نفسُ: لا تقولي غَرَّتْنِي الدُّنيا وقَد أرَتك مضاجِع آبائك من الثَّرى، ومنازل

(١) رواه الهندي في كنز العمّال ٦: ١٧/١٤٦٤٣، عن الطبراني، فيه: عبد الله بن مغفل. ولكن في صحيحي البخاري والمسلم: دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار.

(٢) الأعمال المانعة من الجنَّة: ص٢٩٠، ضمن الأحاديث.

أُمَّهاتكِ مِنَ البلى، كم مَرَّضتِ بكفَّيك، وكَمْ عالجت بيدَيْكِ، تبتغين لهُم الشِّفاءَ، وتستوصين لهم الأطبَّاء، مثَّلت لك بهم الدُّنيا مضجعك، وبمصرعهم مصرعك.

يا نفسُ: أنهاكِ أن ترضي غير الله وتعرضي عنه، فإنَّه مانعك من الغير ولا يمنعك الغير منه.

يا نفسُ: إيَّاك من دار أوَّلها عناءٌ، وآخِرها فناءٌ، في حلالها حسابٌ، وفي حرامها عقابٌ، من صحَّ فيها سقم، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فتن، ومن افتقر حزن.

(البحر الزجر المجزوء)

أحْـــلامُ نَـــوْم أوْ كَـــظِـــلٍّ زائـــلِ إنَّ الـلَّـبِـيـبَ بِـمِـثْـلِـهـا لا يـخـدع

يا نفسُ: وطّني نفسكِ على ألَمِ العبادة، حتَّى يصير ذلك خلقاً لك وعادة، فإنَّ المقامر يلتذُّ بالقمار، وإن سلبه جميع ماله، وكذلك اللاَّعُب بالحمام وإن طال وقوفه وتعبه في إرساله، وإذا كانت النَّفس بالعادة تستلذُّ بالقبائح، ويميل بالألف إلى غير المصالح، فكيف لا تستلذُّ الحقّ لو ردَّت هذه إليه، وألزمت المواظبة عليه.

يا نفسُ: فالأخلاق السَّعيدة، والأفعال الحميدة، مكتسبة بالعادة، والرياضة والإفادة، ومثاله أنَّه مَنْ أرَادَ أن يصير في النّسِخ حاذماً، وفي الكتابة فائقاً، فلا طريق له إلاَّ أن يتعاطى بجارحة اليد هذه الخصلة الجميلة، ويواظبَ عليها مُدَّة طويلة، فإذا طال عليه النسخ وضعاً، صدر منه حُسْن الخطّ طبعاً، وكذلك من أراد أن يكون فقيهاً، وكره أن يكون سفيهاً، فلا طريق إلاَّ أنْ يتعاطى أفعال الفقهاء، ويتكرَّر أقوال العلماء، وكذلك من أراد أن يصير عفيفاً حليماً، ومتواضعاً كريماً، لزمه أن يدأب نفسه في التخلُّق، بآدابهم والتعلُّق بأسنانهم.

المطل في الدَّين

قال الله تعالى:

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[(١)].

عن إسماعيل بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: السراق ثلاثة: مانع الزّكاة، ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو قضاءه[(٢)].

وفي خبر المناهي قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: من يمطل على ذي حقّ حقّه وهو يقدر على أداء حقّه فعليه كلّ يوم خطيئة عشّار[(٣)].

وعن ابن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا يونس من حبس حقَّ المؤمن أقامه الله يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتّى يسيل من عرقه أودية وينادي منادٍ من عند الله: هذا الظالم الّذي حبس عن المؤمن حقّه قال: فيوبّخ أربعين عاماً ثمَّ يؤمر به إلى النار[(٤)].

وعن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيّما مؤمن حبس مؤمناً عن ماله وهو محتاج إليه لم يذق والله من طعام الجنّة ولا يشرب من الرّحيق المختوم[(٥)].

---

(١) البقرة: ٢٨٣.
(٢) الخصال ١ ص١٠١.
(٣) أمالي الصدوق ص٤٣٢ بعض حديث.
(٤) ثواب الأعمال ص٢١٥.
(٥) فقه الرضا ص٣٤.

وعن الباقر عليه السلام: «كل ذنب يكفّره القتل في سبيل الله إلاّ الدَّين، لا كفارة له إلاّ أداؤه أو يعفو الذي له الحق»[١].

وقال أيضاً عليه السلام: «أول قطرة من دم الشهيد كفارة لذنوبه إلاّ الدَّين فإن كفارته قضاؤه»[٢].

وعن أبي ثمامة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني أريد أن ألزم مكة والمدينة وعلي دين؟

فقال عليه السلام: «ارجع إلى مؤدّي دَينك وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دَين فإن المؤمن لا يخون»[٣].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، وهو الرجل يُصنَع إليه المعروف فيكفره، فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»[٤].

وعن أحد الأئمة عليهم السلام: «يؤتى يوم القيامة بصاحب الدَّين يشكو الوحشة، فإن كانت له حسنات أخذت منه لصاحب الدَّين، وإن لم يكن له حسنات ألقي عليه من سيئات صاحبه»[٥].

ويقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «ليس ذنب أعظم عند الله بعد الكبائر التي نهى الله عنها من يموت وعليه دين لرجال وليس له ما يقضي عنه»[٦].

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «من أرضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنة بغير حساب، ويكون في الجنة رفيق إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام»[٧].

---

(١) الوسائل: ج١٨، ص٣٢٤، باب٤، ح١.
(٢) الوسائل: ج١٨، ص٣٢٦، باب٤، ح٥.
(٣) الكافي: ج٥، ص٩٤، باب الدَّين، ح١٩، والوسائل: ج١٨، ص٣٢٤، باب٤، ح٢.
(٤) الوسائل: ج١٦، ص٣٠٩، باب٨، ح١.
(٥) لآلىء الأخبار: ج٣، باب عدم جواز القرض لمن ليس له محل، ص٢٠١، مع اختلاف بسيط.
(٦) المستدرك: ج١٣، ص٣٩٣، باب٤، ح٥.
(٧) المستدرك: ج١٢، ص١٠٤، باب٧٨، ح٣، نقلاً عن جامع الأخبار ص١٨٢.

وقال أيضاً ﷺ: «درهم يرده العبد إلى الخصماء خير له من عبادة ألف سنة ومن عتق ألف رقبة وخير له من ألف حجة وعمرة»[١].

وعنه ﷺ: «من رد درهماً إلى الخصماء أعتق الله رقبته من النار وأعطاه بكل دانق ثواب نبي وبكل درهم مدينة من درة حمراء»[٢].

موعظة للغافلين

العلم أن تعملوا:

يا نفسُ: الطَّاعة مع عدم الإيمان لا ترفع، والعِلْمُ بغير عمل لا ينفع، ومثاله مَريض عظم داؤه، وعزَّ شفاؤهُ، فاعلمه طبيب حاذق، بدواءٍ موافق، وفصّل له أخلاطه، ومقاديره وأشراطه، فكتبه المريض بنسخةٍ مليحة، وقرأهُ قراءةً صَحيحة، غير أنَّه مال إلى إهماله ولم تشتغل بشربه واستعماله، أفترى علمه به من غير عَمَل بدَوائه، ومن بشدَّة مَرَضه يشفيه.

هيهات لو كتب منه ألف نسخة في ألف قرطاس، وعلّمه كافَّة النَّاس، لم يشفه من مَرضِهِ، ولم ينل شيئاً من غرضِهِ، دون أن يشتري الدَّواء، وتقدّم الاحتماء، ثُمَّ يشربه في وقته وأوانه، بعد خلطه وصحَّة أوزانه.

وهكذا الفقيه الَّذي أحكم علم الطَّاعات ولم يعملها، أو أيقن معرفة الأخلاق المحمودة وأهملها، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾[٣] ولم يقل قد أفلح من تعلَّم كيفيَّة تزكيتها ومعناها، فعلم بلا عَمَل كحمل على جملٍ، فكوني يا نفس عاملة، ولا تكوني حاملة، ولا تكوني كمن يحمل الوسوق[٤] من السُّوق،

---

(١) المستدرك: ج١٢، ص١٠٤، باب٧٨، ح٣.
(٢) المستدرك: ج١٢، ص١٠٤، باب٧٨، ح٣.
(٣) الشمس آية ٩.
(٤) الوسق سِتُّون صاعاً والجمع وُسوق كفلس وفلوس.

ويحمل الشَّهد ولا يذوق، فالعِلم في صدور الكسالى، كشموع تلمع بين يدي الضَّرير المحجوب، وكعروس تزفّ إلى الخصيّ المحبوب، وعِلمٌ بلا عمل كالشَّجر بلا ثمر، وقوسٍ بلا وتر.

الفرار من الزحف

قال الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[١].

تدلُّ الآيتان الكريمتان على حكمين:

١ ـ يجب الثبات في ساحة الحرب ويحرم الفرار عند لقاء العدو.

وقد عَدَّ الفقهاء من جملة كبائر المحرَّمات الفرارَ من الزحف، باعتبار أنَّه سبحانه قد أوعد عليه النَّار، والكبيرة ما كانت كذلك.

وقد جاء الأمر بالثبات وعدم الفرار في مورد آخر من الكتاب الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

والزحف عبارة عن الدنو رويداً رويداً، ومنه التعبير بزحف الصبي[٣]، والتعبير بالزحف كناية عن كثرة العدو الموجبة لبطء السير والتحرك بنحو ضعيف. والآية الكريمة تحرّم الفرار عند رؤية العدو كثيراً، فالكثرة لا تصير سبباً مجوّزاً للفرار.

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الأنفال: ٤٥.

(٣) مجمع البحرين ٥: ٦٥.

ومن الطبيعي أنَّ مقتضى إطلاق التحريم حرمة الفرار حتى مع افتراض كون العدو أكثر من الضعف ولكن لا بدَّ من التقييد بأن لا يكون كذلك لقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿زَحْفًا﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعل، أي زاحفين، وهو حال من الاسم الموصول.

وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ كناية عن الفرار[٢] لأنَّ الذي يفر من شخص يعطي دبره إليه.

٢ ـ يُستثنى من حرمة الفرار حالتان:

١ ـ ما إذا قصد المقاتل المسلم التحرُّف. والحرف هو الطرف والجانب[٣].

والتحرُّف هو الابتعاد من الوسط إلى الطرف والجانب كي يمكن الكرُّ على العدو من الجوانب وإلحاق ضربة قوية به. وهذا أحد فنون الحرب، فيفر المقاتل من وجه العدو موحياً إليه بالانهزام ولكنَّه يقصد من ذلك الوقوف وراءه ليُلحق به ضربة قاضية.

ب ـ ما إذا قصد المقاتل المسلم التحيُّز.

وكلمة «التحيُّز» مشتقة من الحيّز، وهو المكان[٤]، أي يحرم الفرار إلاَّ إذا قصد الفار الذهاب إلى مكان آخر، وطبيعي يقصد الذهاب إلى مكان آخر من أجل أنَّ فيه فئة، أي جماعة من المسلمين.

ثمَّ إنَّ الفارق بين الاستثناءين هو أنَّه في الأول يفرض الفرار إلى طرف ساحة الحرب وليس إلى أي مكان فيها، وأيضاً يفرض الفرار إلى الطرف لا يقيد التقوّي

---

(١) الأنفال: ٦٦.

(٢) مفردات الراغب: ٨٨٧.

(٣) مجمع البحرين ٥ : ٣٦.

(٤) جاء تفسير الحيّز في كتاب مجمع البيان ٤ : ٣٤٣ عند بحثه اللغوي.

بجماعة المسلمين بل للتمكن من العدو بشكل أقوى، ولكن الاستثناء الثاني لم يفرض الفرار إلى الطرف وفُرض كون الفرار لأجل التقوّي بجماعة المسلمين.

وبعد توضيح هذين الاستثناءين يصير المقصود من الآيتين الكريمتين: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الكفار في ساحة الحرب زاحفين إليكم فلا تفروا منهم، ومن يفر منهم ـ غير المتحرّف والمتحيّز ـ فقد عاد بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

وإذا أردنا أن نضم هذين الاستثناءين إلى الاستثناء السابق المتقدِّم صار المجموع ثلاثة.

ثمَّ أنَّ المحكي عن بعض المفسِّرين تخصيص حرمة الفرار من الزحف بغزوة بدر. ولعلَّه استفاد ذلك من كلمة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، أي اليوم المعهود، وهو يوم بدر.[1].

وتفسير كلمة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بما ذكر لو تَمَّ فلا بدَّ من طرح خصوصيته وإلغائها لعدم احتمال ذلك.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ﴾[2].

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾[3].

الثِخَن ـ بالكسر فالفتح ـ عبارة عن الغلظة والثقل[4]. والمراد حتى يثخن النبي في الأرض استقرارَ دينه بين النَّاس ويُصبح كأنَّه شيء غليظ قد انجمد بعد ما كان سائلاً رقيقاً يخشى عليه الزوال بالسيلان. ويُحتمل حتى يثخن في الأرض بالإكثار في قتل الكفَّار وإنزال الضربات القاضية بهم.

(١) بل في مجمع البيان ٤: ٣٤٣ نسبته إلى أكثر المفسِّرين.
(٢) الأنفال: ٦٧.
(٣) محمد: ٤.
(٤) مفردات الراغب: ١٧٢.

والظاهر أنَّ المقصود على كلا التقديرين واحد، وهو الكناية عن استقرار الدِّين وسيطرة المؤمنين سيطرة تامة على الأعداء.

والعَرَض: كل ما يزول بسرعة وليس له ثبات[١].

وضرب الرقاب: مفعول مطلق لفعل مقدَّر، أي فاضربوهم ضرب الرقاب.

وشدُّ الوثاق كناية عن الأسر[٢].

وكلمة «مناً» و«فداءً»: مفعول مطلق لفعل مقدر، أي فإمَّا تمنون منَّاً

ومحمد بن يعقوب، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: وليعلم المنهزم بأنّه مسخط ربّه، وموبق نفسه، وأنّ في الفرار موجدة الله، والذلّ اللازم، والعار الباقي، وإنّ الفار لغير مزيد في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه، ولا يرضي ربّه، ولموت الرجل محقاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها، والإقرار عليها[٣].

وعن محمّد بن سنان، أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: حرم الله الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين، والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة، وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على ترك ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبيّة، وإظهار العدل، وترك الجور وإماته الفساد، لما في ذلك من جرأة العدوّ على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله عزّ وجلّ وغيره من الفساد[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الفرار من الزحف من الكبائر»[٥].

---

(١) مفردات الراغب: ٥٦٠.

(٢) فإنَّ الوَثاق والوِثاق اسمان لما يوثق به الشيء كما في مفردات الراغب: ٨٥٣، وشدُّه لا يكون إلاَّ كناية عن الأسر.

(٣) الكافي ٥: ٤١/ ٤.

(٤) الفقيه ٣: ٣٦٩/ ١٧٤٨.

(٥) دعائم الإسلام ج١ ص٣٧٠.

وعن زيد بن وهب، أنّ علياً عليه السلام لمّا رأى ميمنته يوم صفّين قد عادت إلى مواقفها ومصافّها، وكشف من بإزائها حتّى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم، أقبل حتّى انتهى إليهم فقال: «أنّي قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفاة الطغاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم[١] العرب، والسّنام الأعظم، وعمّار اللّيل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحقّ إذا ضلّ الخاطئون، فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره، وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هوّن عليَّ بعض وجدي وشفا بعض (هياج صدري)[٢] أنّي رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم، تحوزونهم بالسّيوف ليركب أوّلهم آخرهم كالإبل المطردة الهيم[٣]، فالآن فاصبروا، انزلت عليكم السكينة، وثّبتكم الله باليقين، وليعلم المنهزم أنّه مسخط لربّه، وموبق[٤] لنفسه، وفي الفرار موجدة الله عليه، والذلّ اللازم، وفساد العيش، وأن الفارّ لا يزيد في عمره ولا يرضي ربّه، فموت الرجل محقّاً قبل إتيان هذه الخصال، خير من الرضا بالتلبّس بها والإقرار عليها»[٥].

وعن عمران بن حصين قال: لمّا تفرّق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم أُحد، جاء علي عليه السلام متقلداً سيفه حتى قام بين يديه، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه فقال له: «ما بالك لم تفرّ مع الناس؟

فقال: يا رسول الله، أرجع كافراً بعد إسلامي»[٦]! (الخبر).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هن يا رسول لله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا

---

(١) اللهموم: الجواد من الناس والخيل والجمع لهاميم (لسان العرب ج١٢ ص٥٤٤).

(٢) في المصدر: إحاح نفسي.

(٣) الهيم: الإبل العطاش (لسان العرب ج١٢ ص٦٢٧).

(٤) موبق لنفسه: مهلك لها (لسان العرب ج١ ص٣٧٠).

(٥) كتاب صفين ص٢٥٦.

(٦) الإرشاد ص٤٦.

بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

موعظة للغافلين

عليكم بالسعي والعمل:

يا نفسُ: أترين من استؤجر على إصلاح آنية مِنَ الدُّرِّ، وشرط له على ذلك شيئاً من الأجر، وكان الشَّارط إذا وَعَدَ وفى، وإذا توعَّد عفا، فجاء الأجير إلى الآنية فكَسَرها، إذا باشرها وأفسَدَها باطنها وظاهرها، ثمَّ جلس ينتظر الأجر والثَّواب، وزعم أنَّ المستأجر كريم وهَّاب، أفيراه العقلاء في انتظاره متمنِيّاً معرفة، أم راجياً مأجوراً، هيهات أنَّه ليس للإنسان إلاَّ ما سعى، وأنَّ سعيه سوف يُرى.

(١) الكبائر: ص٧٢.

التعرّب بعد الهجرة

وقد نقل هذا الأمر في صحيحة ابن محبوب في أصول الكافي حيث سأل في رسالته الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن عدد الكبائر فجاء في جوابه عليه السلام وهو يعد الكبائر: «والتعرب بعد الهجرة»، وكما روى محمد بن مسلم أن الإمام الصادق عليه السلام عدها من الكبائر أيضاً قال عليه السلام: «التعرب والشرك واحد»[١].

وقد وردت أيضاً ضمن الكبائر في كتاب علي عليه السلام.

ما هو التعرب بعد الهجرة؟

التعرب بعد الهجرة: نطلق كلمة أعرابي على ساكن الصحراء الذي لا يهتم بالدين والآداب والأعراف، والهجرة: هي ترك للصحراء والمجيء إلى مركز الإسلام، والتشرف بخدمة الرسول صلى الله عليه وآله أو وحيه لتعلم الدين والتعرف على المسائل والأحكام الدينية، والتعرب بعد الهجرة: أن يعود الإنسان إلى حالته الأولى مثل تعلم أحكام الإسلام وفهمها، فيعود غير مبالٍ بالشرع والدين.

كانت الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في صدر الإسلام لتعلم أحكام الدين واجبة، وكان يحرم على المسلم أن يبقى بين الكفار إذا كانوا يمنعونه من إقامة الشعائر الإسلامية، فإذا لم يكن باستطاعته الصلاة في بلاد الكفر أو صيام شهر رمضان وغيره كما يقول سبحانه في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

(١) أصول الكافي: ج٢، باب الكبائرن ص٢٨١، ح١٤.

مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «يقول الرجل: هاجرت ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها، ويقول الرجل: جاهدت ولم يجاهد، إنما الجهاد اجتناب المحارم ومجاهدة العدو، وقد يقاتل أقوام فيحبون القتال لا يريدون إلاّ الذكر»[٢].

عن حذيفة بن منصور، عن أبي عبد الله عليه السلام[٣] قال: التعرُّب بعد الهجرة التارك لهذا الأمر بعد معرفته[٤].

وعن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول لله صلى الله عليه وآله: لا تعرُّب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح الخبر[٥].

موعظة للغافلين

فعل ما يصلح النَّفس:

يا نفسُ: إنَّ الغِنى قلَّة تمنِّيك، والرِّضا بما يكفيكِ، وَمن أطال الأمل أساءَ العمل، وَمَن أكثر الرّقاد عدم المراد.

يا نفسُ: ما شرّ بشرّ بعده النَّعيم، وما خير بخير بعده الجحيم، وكلّ نعيم دون الجنَّة حقير، وكلّ بلاءٍ دُون النَّار يسير، وتخليصُ النيَّة من الفساد، أشدُّ على العاملين من طول الاجتهاد.

---

(١) النساء: ٩٧ ـ ٩٩.
(٢) بحار الأنوار: ج١٥، باب ترك العجب: ص١٧٧.
(٣) في المصدر: قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام.
(٤) معاني الأخبار ص٢٦٥.
(٥) أمالي الطوسي ج٢ ص٣٧ في حديث.

يا نفسُ: من يزرع خيراً يحصد السَّلامة، ومن يزرع الشرّ يحصد النَّدامة.

يا نفسُ: في الحديث: لا يكون الرَّجُلُ مِنَ المتَّقين، حتَّى يحاسب نفسه، فيعلم طعامه وشرابه ولبسه.

يا نفسُ: طوبى لمن صلحت سريرته، وحَسُنت علانيته، وأنفق الفَضْلَ من ماله، وأمْسَك الفضل من مقالِهِ.

يا نفسُ: جاء في صُحف إبراهيم: إنَّ للعاقل ساعات: فساعة يخلو فيها للطَّاعات، وساعة للفكر في المصنوعات، وساعة يُحاسب نفسه على الزلاَّت، وساعة يقضي فيها وطره فيما يحلّ من اللَّذَّات.

يا نفسُ: لو سمعت وصفك من غيرك لَمَقَتِّهِ، إذا كنت لا تدرينَ مَنِ الموصوف وبغضتِه.

يا نفسُ: هذا يوم مَوْجود، وهو ماضٍ ولا يعودُ، والله تعالى سائلكِ عنه فيما أفنيتِه، وهل شكرتِ الله فيه أو حمدتهِ، أو قضيتِ حاجة مؤمن فيه وهل بظهر الغيب في أهله وولده حفظتِه، أو نفَّسْتِ عنه كُرْبةً وأغنيته.

يا نفسُ: أكثر النَّاس يوم القيامة حَسْرةً، من قلَّ خيره ورأى حَسَناته في ميزان غيره، أدخل الله هذا بماله الجحيم، وأدخل وارثه بماله النَّعيم.

كفر المخالفين والنصّاب

عن المعلَّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: فارق القوم والله دينهم[١].

وعن أبي مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم:

١ ـ مَن ادَّعى إماماً ليست إمامته من الله.

٢ ـ ومَن جحد إماماً إمامته من عند الله عزَّ وجلَّ.

٣ ـ ومَن زعم أنَّ لهما في الإسلام نصيباً[٢].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنَّك لا تجد رجلاً يقول: أنا أُبغض محمَّداً وآل محمَّد ولكنَّ الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنَّكم تتولّونا وأنَّكم من شيعتنا[٣].

وعن سعيد بن سعيد البلخيّ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ في وقت كلِّ صلاة يصلِّيها هذا الخلق لعنة. قال: قلت: جعلت فداك ولم ذاك؟

قال: بجحودهم حقَّنا وتكذيبهم إيَّانا[٤].

---

(١) تفسير القمي: ص٢١٠، والآية في سورة الأنعام، ١٥٩.

(٢) الخصال: ج١ ص٥٢.

(٣) علل الشرائع: ج٢ ص٣٨٩.

(٤) ثواب الأعمال: ص١٨٨. علل الشرائع: ج٢ ص٣٨٩.

وعن المفضّل بن عمر، عن الصَّادق، عن أبيه عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى جعل عليّاً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه ليس بينهم وبينه علم غيره، فمن تبعه كان مؤمناً ومن جحده كان كافراً، ومن شكَّ فيه كان مشركاً[١].

وعن البرقيّ، عن محمَّد بن حسَّان، عن محمَّد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: عليٌّ عليه السلام باب هدى، مَن خالفه كان كافراً ومَن أنكره دخل النَّار[٢].

وعن ابن أبي العلا قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو جحد أمير المؤمنين عليه السلام جميع من في الأرض لعذَّبهم الله جميعاً وأدخلهم النَّار[٣].

في رواية أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التاركون ولاية عليّ عليه السلام المنكرون لفضله المظاهرون أعداءه خارجون عن الإسلام، من مات منهم على ذلك[٤].

وعن محمَّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً.

قيل: يا رسول الله وإن شهد الشهادتين؟

قال: نعم، إنَّما احتجب بهاتين الكلمتين عند سفك دمه أو يؤدِّي إليَّ الجزية وهو صاغر، ثمَّ قال: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً.

قيل: وكيف يا رسول الله؟

قال: إن أدرك الدجَّال آمن به[٥].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أعداء عليّ هم المخلَّدون في النَّار، قال الله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[٦].

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٨٩. المحاسن: ص٨٩.
(٢) ثواب الأعمال: ص١٨٩. المحاسن: ص٨٩.
(٣) ثواب الأعمال: ص١٨٩. المحاسن: ص٨٩.
(٤) المحاسن: ص٨٩.
(٥) المحاسن: ٩٠ وترى مثله في ثواب الأعمال: ص١٨٤.
(٦) تفسير العياشي: ج١ ص٣١٧ والآية في المائدة: ٣٧ والبقرة: ١٦٣.

عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿...وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: أعداء عليّ هم المخلَّدون في النَّار أبد الآبدين ودهر الداهرين[١].

وقال الصَّادق عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى جعلنا حججه على خلقه، وأُمناءه على علمه، فمن جحدنا كان بمنزلة إبليس في تعنُّته على الله، حين أمره بالسجود لآدم، ومن عرفنا واتَّبعنا كان بمنزلة الملائكة الَّذين أمرهم الله بالسجود لآدم فأطاعوه[٢].

وعن سديف المكيّ قال: حدَّثني محمَّد بن عليّ الباقر عليه السلام وما رأيت محمَّدياً قطُّ بعدله، قال حدَّثنا جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيُّها النَّاس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً، قال: قلت: يا رسول الله وإن صام وصلَّى وزعم أنَّه مسلم؟

قال: وإن صام وصلَّى وزعم أنَّه مسلم[٣].

وعن أبي صالح، عن ابن عبَّاس قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله: أوصني، قال: عليك بمودَّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والَّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً لا يقبل الله عن عبد حسنة حتَّى يسأله عن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو تعالى أعلم فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأتِ بولايته لم يسأله عن شيء ثمَّ أمر به إلى النَّار.

يابن عبَّاس: والَّذي بعثني بالحقِّ عليّاً إنَّ النَّار لأشدُّ غضباً على مبغض عليّ عليه السلام منها على من زعم أنَّ لله ولداً.

يابن عبَّاس لو أنَّ الملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذَّبهم الله بالنَّار.

قلت: يا رسول الله وهل يبغضه أحد؟

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص٣١٧ والآية في المائدة:٣٧ والبقرة:١٦٣.

(٢) الاختصاص: ٣٣٤.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٠٠ و٢٠١.

قال: يابن عبَّاس نعم يبغضه قوم يذكرون أنَّهم من أُمَّتي لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً.

يابن عبَّاس: إنَّ من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والَّذي بعثني بالحقِّ ما بعث الله نبيَّاً أكرم عليه منِّي ولا أوصياء أكرم عليه من وصيِّي عليّ.

قال ابن عبَّاس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ وأوصاني بمودَّته وإنَّه لأكبر عملي عندي. (الخبر)[١].

وعن الرَّبيع بن المنذر، عن أبيه قال: سمعت محمَّداً بن الحنفية يحدِّث عن أبيه قال: ما خلق الله عزَّ وجلَّ شيئاً أشرُّ من الكلب والناصب أشرُّ منه[٢].

وعن الرِّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: حرَّمت الجنَّة على من ظلم أهل بيتي، وعلى من قاتلهم وعلى المعين عليهم، وعلى من سبَّهم، أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلِّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم[٣].

وفي خصائص النطنزيّ: قال عليّ عليه السلام: الله أكبر، قال رسول الله ﷺ: لا يبغضك من قريش إلاَّ سفاحيّ ولا من الأنصار إلاَّ يهوديّ ولا من العرب إلاَّ دعيّ ولا من سائر النَّاس إلاَّ شقيّ ولا من النِّساء إلاَّ سلقلقيَّة.

فقالت المرأة: يا عليّ وما السَّلقلقيَّة؟

قال: الَّتي تحيض من دبرها.

فقالت المرأة: صدق الله وصدق رسوله أخبرتني بشيء هو فيَّ، يا عليّ لا أعود إلى بغضك أبداً.

---

(١) أمالي الشيخ: ٦٤ و٦٥.
(٢) أمالي الشيخ: ١٧١.
(٣) عيون الأخبار: ٢٠١.

فقال عليه السلام: اللَّهمَّ إن كانت صادقة فحوِّل طمثها حيث تطمث النِّساء، فحوَّل الله طمثها.

وقال الحارث الأعور: فتبعها عمرو بن حريث وسألها عن مقاله فيها فصدَّقته.

فقال عمرو: أتراه ساحراً أو كاهناً أو مخدوماً؟

قالت: بئسما قلت يا عبد الله لكنَّه من أهل بيت النُّبوَّة، فأقبل ابن حريث إلى أمير المؤمنين فأخبره بمقالهما.

فقال عليه السلام: لقد كانت المرأة أحسن قولاً منك[1].

وعن سديف المكّي قال: حدَّثني محمَّد بن علي عليهما السلام وما رأيت محمَّديّاً قطُّ بعدله، قال: حدَّثني جابر بن عبد الله الأنصاري قال: نادى رسول الله صلى الله عليه وآله في المهاجرين والأنصار فحضروا بالسّلاح وصعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: يا معشر المسلمين من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديّاً.

قال جابر: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله وإن شهد أن لا إلّه إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله؟

فقال: وإن شهد أن لا إلّه إلاَّ الله فإنَّما احتجز من سفك دمه أو يؤدِّي الجزية عن يد وهو صاغر.

ثمَّ قال صلى الله عليه وآله: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديّاً، فإن أدرك الدجَّال كان معه، وإن هو لم يدركه بعث في قبره فآمن به، إنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ مثَّل لي أُمَّتي في الطين وعلَّمني أسماءهم كما علَّم آدم الأسماء كلّها، فمرَّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت الله لعليّ وشيعته.

وقال حنان بن سدير: فعرضت هذا الحديث على أبي عبد الله جعفر بن محمَّد عليهما السلام فقال لي: أنت سمعت هذا من سديف؟

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٠٢ و١٠٣.

فقلت: الليلة سبع منذ سمعته منه.

فقال: إنَّ هذا الحديث ما ظننته من في أبي إلى أحد[(١)].

وعن داود بن سليمان، عن الرِّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حرَّم الله الجنَّة على ظالم أهل بيتي وقاتلهم وشانئهم والمعين عليهم، ثمَّ تلا قوله: ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الآية[(٢)].

ومعنعناً عن جعفر بن محمَّد عليهما السلام قال: كلّ عدوٍّ لنا ناصب منسوب إلى هذه الآية: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾[(٣)].

وروى ابن شيرويه في الفردوس عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذِّب بقدر الله، والمتعزّز بالجبروت، ليذلّ من أعزَّ الله ويعزّ من أذلَّ الله والمستحلَّ من عترتي ما حرَّم الله[(٤)].

وعن أبي هريرة، عنه صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يؤذون نسبي وذا رحمي؟ ألا من آذى نسبي وذا رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عزَّ وجلَّ[(٥)].

وعن عبَّاس بن عبد المطّلب، عنه صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يتحدَّثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتَّى يحبّهم لله ولقرابتهم منّي[(٦)].

وروى البرسيّ في مشارق الأنوار من كتاب الواحدة، عن ابن عبَّاس أنَّه قال:

---

(١) أمالي المفيد. وعنه البحار ج٢٧ ص٢٢٤ ـ ٢٢٥، ح١٥، لعلّ استبعاده عليه السلام آخراً لإظهار أنه من الأسرار، ولا ينبغي إذاعته عند الأشرار.

(٢) كنز الفوائد: ٥٤، سورة آل عمران، الآية ٧٧.

(٣) تفسير فرات: ٢٠٧، سورة الغاشية، الآيات ٢ ـ ٥.

(٤) البحار، ج٢٧ ص٢٢٥، ح١٨.

(٥) البحار، ج٢٧ ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٦) مشارق الأنوار: ٧ و٨.

مبغض عليّ عليه السلام يخرج من قبره في عنقه طوق من نار، وعلى رأسه شياطين يلعنونه حتَّى يرد الموقف[١].

وعن سهل بن أحمد، عن عبد الله الدَّيباجيّ، عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دخلت الجنَّة فرأيت على بابها مكتوباً: لا إلَه إلاَّ الله، محمَّد حبيب الله، عليّ بن أبي طالب وليَّ الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله[٢].

وعن أبي عطيَّة العوفيّ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يبغض عليّاً إلاَّ فاسق أو منافق أو صاحب بدائع[٣].

وعن زرّ بن حبيش قال: رأيت أمير المؤمنين عليّاً بن أبي طالب عليه السلام على المنبر وهو يقول: والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنَّه لعهد النبيّ صلى الله عليه وآله إليَّ أنَّه لا يحبُّك إلاَّ مؤمن ولا يبغضك إلاَّ منافق[٤].

وعن الحارث الهمدانيّ قال: رأيت عليّاً عليه السلام جاء حتَّى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: قضى قضاء الله عزَّ وجلَّ على لسان النبيّ الأُمِّيّ صلى الله عليه وآله أنَّه لا يحبّني إلاَّ مؤمن ولا يبغضني إلاَّ منافق، وقد خاب من افترى[٥].

وعن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حمَّاد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس النَّاصب من نصب لنا أهل البيت، لأنَّك لا تجد رجلاً يقول: أنا أُبغض محمَّداً وآل محمَّد، ولكن النَّاصب من نصب لكم وهو يعلم أنَّكم تتولّونا وأنَّكم من شيعتنا[٦].

وعليّ المعلّى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ليس النَّاصب

---

(١) المصدر نفسه، وفي البحار ج٢٧ ص٢٢٦ ح٢١.
(٢) كنز الكراجكي: ٦٣ فيه: [مكتوباً بالذهب] وفيه صفوتا الله.
(٣) كنز الكراجكي: ٢٢٥.
(٤) كنز الكراجكي: ٢٢٥.
(٥) كنز الفوائد: ٢٢٥.
(٦) علل الشرائع: ٢٠٠. ثواب الأعمال: ٢٠٠.

إلى قوله: وهو يعلم أنّكم تتولّونا وتتبرّأون من أعدائنا، وقال عليه السلام: من أشبع عدوّاً لنا فقد قتل وليّاً لنا[١].

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ناصب عليّاً حارب الله، ومن شكّ في عليّ فهو كافر[٢].

وعن إسماعيل الجعفيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ بعثه الله يوم القيامة أجذم[٣].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: مدمن الخمر كعابد الوثن، والنّاصب لآل محمّد شرّ منه.

قلت: جعلت فداك ومن شرّ من عابد الوثن؟

فقال: إنّ شارب الخمر تدركه الشفاعة يوماً ما[٤]، وإنّ النّاصب لو شفع أهل السّموات والأرض لم يشفّعوا[٥].

عن ابن بكير، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أنّ كلّ ملك خلقه الله عزّ وجلّ وكلّ نبيّ بعثه الله وكلّ صدّيق وكلّ شهيد شفّعوا في ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله جلّ وعزّ من النّار ما أخرجه الله أبداً، والله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾[٦].

وعن محمّد بن عيسى، عن الفضل بن كثير، عن سعيد بن أبي سعيد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ لله عزّ وجلّ في كلّ وقت صلاة يصلّيها هذا الخلق يلعنهم قال: قلت جعلت فداك ولم؟

---

(١) معاني الأخبار: ١٠٤ فيه: لا تجد أحداً.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٩٦.
(٣) ثواب الأعمال: ١٩٧. المحاسن: ٩١ فيه.
(٤) في المصدر: يوم القيامة.
(٥) ثواب الأعمال: ١٩٩ و٢٠٠ فيه: لو شفع فيه.
(٦) ثواب الأعمال: ٢٠٠، الآية من سورة الكهف: ٣٥.

قال: بجحودهم حقَّنا وتكذيبهم إيَّانا[١].

وعن حنان بن سدير، عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ عدوّ عليّ عليه السلام لا يخرج من الدُّنيا حتَّى يجرع جرعة من الحميم، وقال: سواء على من خالف هذا الأمر صلَّى أو زنى[٢].

وفي حديث آخر: قال الصَّادق عليه السلام: إنَّ النَّاصب لنا أهل البيت لا يبالي صام أم صلَّى، زنى أم سرق، إنَّه في النَّار إنَّه في النَّار[٣].

عن أبي سعيد المكاريّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أصبح عدوّنا على شفا حفرة من النَّار، وكأنَّ شفا حفرته قد انهارت به في نار جهنَّم فتعساً لأهل النَّار وبئس مثواهم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿...فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وما من أحد يقصر عن حبّنا بخير جعله الله عنده[٤].

وعن أبي بصير، عن عليّ الصائغ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ المؤمن ليشفع لحميمه إلاَّ أن يكون ناصباً، ولو أنَّ ناصباً شفع له كلّ نبيّ مرسل وملك مقرَّب ما شفَّعوا[٥].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ نوحاً عليه السلام حمل في السَّفينة الكلب والخنزير ولم يحمل فيها ولد الزنى، والنَّاصب شرّ من ولد الزنى[٦].

وعن عمر بن أبان، عن عبد الحميد قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ لنا جاراً ينتهك المحارم كلّها حتَّى أنَّه ليدع الصَّلاة فضلاً، فقال: سبحان الله، وأعظم من ذلك، ثمَّ قال: ألا أُخبرك بمن هو شرٌّ منه؟

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٠١.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٠٣.

(٣) ثواب الأعمال: ٢٠٣.

(٤) ثواب الأعمال: ٢٠٣، المحاسن ص٩٠ ـ ٩١؛ والآية في سورة الزمر: ٧٢.

(٥) المحاسن: ١٦٨.

(٦) ثواب الأعمال: ٢٠٣ و٢٠٤.

قلت: بلى.

قال: النَّاصب لنا شرّ منه[١].

عقاب الجاحد لولاية علي (ع):

روي: أنَّ جبرائيل نزل على النبيّ ﷺ، فقال: يا محمَّد السَّلام يقرئك السَّلام ويقول: خلقت السَّموات السبع وما فيهنَّ، والأرضين السبع ومن عليهنَّ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أنَّ عبداً دعاني هناك منذ خلقت السَّموات والأرضين ثمَّ لقيني جاحداً لولاية علي لكببته في سقر[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «ما لي إذا ذكر آل إبراهيم عليه السلام تهلَّلت وجوهكم، وإذا ذكر آل محمَّد ﷺ كأنَّما يفتأ في وجوهكم حبّ الرمان، فوالذي بعثني بالحقِّ نبيّاً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجيء بولاية علي بن أبي طالب لأكبَّه الله على وجهه في النار»[٣].

وقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: «يا علي لو أنَّ عبداً عبد الله مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدَّ في عمره حتَّى حجَّ ألف حجَّة، ثم قتل بين الصفا والمروة، ثم لم يوالك يا عليّ لم يشم رائحة الجنَّة ولم يدخلها، أما علمت يا عليّ أنَّ حبَّك حسنة لا يضرّ معها سيِّئة، وبغضك سيِّئة لا ينفع معها طاعة؛ يا عليّ لو نثرت الدرّ على المنافق ما أحبَّك، ولو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك، لأنَّ حبَّك إيمان، وبغضك نفاق، ولا يحبّك إلاَّ مؤمن تقي، ولا يبغضك إلاَّ منافق شقي»[٤].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى جعل عليّاً عليه السلام علماً بينه وبين

(١) ثواب الأعمال: ٢٠٤. المحاسن: ١٨٦.
(٢) روضة الواعظين ١/١٢٦.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١٩٤.
(٤) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ٩٤.

خلقه، ليس بينهم وبينه علم غيره، فمن تبعه كان مؤمناً، ومن جحده كان كافراً، ومن شكَّ فيه كان مشركاً[١].

عقاب من خالف عليّاً (ع):

من حديث له ﷺ مع ابن عبَّاس: «من خالف عليّاً فلا تكوننَّ ظهيراً له ولا وليّاً، فوالذي بعثني بالحقِّ ما يخالفه أحد إلاَّ غيَّر الله ما به من نعمة، وشوَّه خلقه قبل إدخاله النَّار»[٢].

عقاب النَّاصب لآل محمَّد (ع):

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: مدمن الخمر كعابد الوثن، والنَّاصب لآل محمَّد شرّ منه.

قلت: جعلت فداك ومن أشرّ من عابد الوثن؟!

قال: إنَّ شارب الخمر تدركه الشفاعة يوم القيامة، وإنَّ النَّاصب لو شفع فيه أهل السَّموات والأرض لم يشفّعوا[٣].

عقاب من آذى ذرِّيَّة النبيّ (ص):

قال رسول الله ﷺ: «إذا قمت المقام المحمود تشفَّعت في أصحاب الكبائر من أُمَّتي فيشفّعني الله فيهم، والله لا تشفَّعت فيمن آذى ذرِّيَّتي»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «من آذى شعرة منِّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزَّ وجلَّ، ومن آذى الله لعنه الله ملء السَّماء وملء الأرض»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «حرِّمت الجنَّة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم؛ أو

---

(١) عقاب الأعمال ٢٠٩.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ١١٨.

(٣) عقاب الأعمال ٢٠٧.

(٤) روضة الواعظين ٢/ ٢٧٣.

(٥) روضة الواعظين ٢/ ٢٧٣.

أعان عليهم؛ أو سبَّهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلِّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليم»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غضب الله على من آذاني في عترتي»[٢].

عقاب من أبغض أهل البيت (ع):

قال رسول الله ﷺ: «من أبغضنا أهل البيت بعثه الله عزَّ وجلَّ يهوديّاً.

قيل: يا رسول الله وإن شهد الشهادتين؟

قال: نعم إنَّما احتجب بهاتين الكلمتين عند سفك دمه» الخ[٣].

ومن حديث له ﷺ: «لو أنَّ رجلاً صلَّى وصفَّ قدميه بين الركن والمقام ولقي الله ببعضكم أهل البيت دخل النَّار»[٤].

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب إنِّي سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبِّت قلوبكم، وأن يعلِّم جاهلكم، ويهدي ضالَّكم، وسألته: أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أنَّ رجلاً صفَّ بين الركن والمقام فصلَّى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمَّد دخل النَّار»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلاَّ أدخله الله النَّار»[٦].

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فسمعته وهو يقول: «أيُّها النَّاس من أبغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهوديّاً»[٧].

---

(١) روضة الواعظين ٢/ ٢٧٣.

(٢) إحياء الميِّت بفضائل أهل البيت ٢٨ الحديث التاسع والأربعون.

(٣) عقاب الأعمال ٢٠٤.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ٧٣.

(٥) إحياء الميِّت بفضائل أهل البيت ١٤ الحديث الحادي عشر.

(٦) إحياء الميِّت بفضائل أهل البيت ١٤ الحديث الرابع عشر.

(٧) إحياء الميِّت بفضائل أهل البيت ١٤ الحديث التاسع عشر.

ومن حديث له ﷺ: «لو أنَّ عابداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتى يكون كالشن البالي، ولقي الله مبغضاً لآل محمَّد، أكبَّه الله على منخريه في نار جهنَّم»[١].

عقاب من لم يأتِ بولاية وليّ الأمر من أهل البيت (ع):

قال أبو حمزة الثمالي: قال لنا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: أيّ البقاع أفضل؟

فقلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال: إنَّ أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أنَّ رجلاً عمَّر ما عمَّر نوح في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً، يصوم النَّهار، ويقوم اللَّيل في ذلك الموضع، ثمَّ لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً[٢].

عقاب من جهل حقّ أهل البيت(ع):

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: لو أنَّ عبداً عبد الله مائة عام بين الركن والمقام، يصوم نهاراً، ويقوم ليلاً حتَّى يسقط حاجباه على عينيه، وتلتقي تراقيه هرماً، جاهلاً بحقّنا لم يكن له ثواب[٣].

عقاب من ترك الصلاة على النبي (ص):

قال رسول الله ﷺ: «من ذُكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطىء به طريق الجنَّة»[٤].

---

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين ١٩.
(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٨٢.
(٣) عقاب الأعمال ٢٠٤.
(٤) عقاب الأعمال ٢٠٦.

النشوز والشقاق وذم المرأة الناشزة

قال الله تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ﴿...فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[2].

عن الأشعري، عن البرقي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمانية لا يقبل الله لهم صلاة:

١ ـ العبد الآبق حتّى يرجع إلى مولاه.

٢ ـ والناشز عن زوجها وهو عليها ساخط.

٣ ـ ومانع الزكاة.

٤ ـ وتارك الوضوء.

٥ ـ والجارية المدركة تصلّي بغير خمار.

(١) النساء: ٣٤.

(٢) النساء: ١٢٨.

٦ ـ وإمام قوم يصلّي بهم وهم له كارهون.

٧ ـ والزنّين، قالوا: يا رسول الله ﷺ وما الزُنّين؟ قال: الّذي يدافع الغائط والبول.

٨ ـ والسّكران، فهؤلاء ثمانية لا تقبل منهم صلاة[١].

وعن ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام قال: ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة:

١ ـ عبد أبق من مواليه حتّى يرجع إليهم فيضع يده في أيديهم.

٢ ـ ورجل أمّ قوماً وهم له كارهون.

٣ ـ وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط[٢].

النّساء المعذّبات:

عن أبي جعفر الثاني، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: دخلت أنا وفاطمة على رسول الله ﷺ فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: يا علي ليلة أُسري بي إلى السَّماء رأيت نساء من نساء أُمَّتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهنَّ فبكيت لما رأيت من شدَّة عذابهنَّ.

رأيت امرأة معلَّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.

ورأيت امرأة معلَّقة بلسانها والحميم يصبُّ في حلقها.

ورأيت امرأة معلَّقة بثدييها.

ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنَّار توقد من تحتها.

ورأيت امرأة قد شدّ رجلاها إلى يديها وقد سلّط عليها الحيَّات والعقارب.

ورأيت امرأة صمَّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها متقطّع من الجذام والبرص.

---

(١) الخصال ج٢ ص١٧٠.

(٢) أمالي الطوسي ج١ ص١٩٤.

ورأيت امرأة معلَّقة برجليها في تنور من نار.

ورأيت امرأة يقطع ـحم جسدها من مقدّمها ومؤخّرها بمقاريض من نار.

ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها.

ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن ا ـحمار وعليها أ ف أ ف ـون من ا ـعذاب.

ورأيت امرأة على صورة ا ـكلب وا ـنّار تدخل في دبرها وتخرج من فيها وا ـملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.

فقا ـت فاطمة ﷺ: حبيبي وقرَّة عيني أخبرني ما كان عملهنَّ وسيرتهنَّ حتَّى وضع الله عليهنَّ هذا ا ـعذاب؟

فقال: **يا بنيَّتي أمَّا المعلَّقة بشعرها**: فإنَّها كانت لا تغطِّي شعرها من ا ـرجال.

وأمَّا المعلَّقة بلسانها: فإنَّها كانت تؤذي زوجها.

وأمَّا المعلَّقة بثدييها: فإنَّها كانت تمتنع من فراش زوجها.

وأمَّا المعلَّقة برجليها: فإنَّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها.

وأمَّا الَّتي كانت تأكل لحم جسدها: فإنَّها كانت تزيّن بدنها ـلناس.

وأمَّا الَّتي شَدّ يديها إلى رجليها وسلّط عليها الحيَّات والعقارب: فإنَّها كانت قذرة ا ـوضوء قذرة ا ـثياب، وكانت لا تغتسل من ا ـجنابة وا ـحيض، ولا تتنظَّف وكانت تستهين با ـصلاة.

وأمَّا العمياء والصمَّاء والخرساء: فإنَّها كانت تلد من ا ـزنى فتعلّقه في عنق زوجها.

وأمَّا الَّتي كانت يقرض لحمها بالمقاريض: كانت تعرض نفسها على ا ـرجال.

وأمَّا التي كانت يحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها: فإنَّها كانت قوَّادة.

وأمَّا التي كانت رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار: فإنَّها كانت نمَّامة كذَّابة.

وأمَّا التي على صورة الكلب والنَّار تدخل في دبرها وتخرج من فيها: فإنَّها كانت قينة نوَّاحة حاسدة.

ثم قال ﷺ: ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها[١].

عاقبة الصبر

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: من؟

فقال: أخو زوجك في الله جئت لزيارته.

فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلَّمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه، فجاء فسلم على أخيه ورحب به، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك، ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة.

قال: فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟

قال: أخو زوجك فلان في الله، فقالت: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً، اجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية.

قال: فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف، فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه.

قال: وما هو يا أخي؟

---

(١) البحار: ج١٠٣، ص٣٤٥.

قال: عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب؟

قال يا أخي: توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها. كنت معها في تعب وأنا احتملها، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيته يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد، فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة. فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى، أنه جواد كريم.

النِّساء اللاّتي لا يدخلن الجنَّة

قال كعب: صنفان من أهل النّار لم أرَهُما[(١)] بَعدُ وإنّهما لفي كتاب الله المُنزَل: [رجال][(٢)] يمشون بسياط لهم طرّاً إلى[(٣)] يضربون النّاس على غير جرم، لا يجعلون في بطونهم الأحشاء، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات[(٤)] لا

(١) أثبتناه من المصادر، وفي النسخ: لم آمرهما، تصحيف.

(٢) أثبتناه من المصادر، وفي بعضها: قوم.

(٣) كذا في النسخ، ومكانه في المصادر: بسياط كأذناب البقر.

(٤) صحّحناهما من المصادر. وفي النسخ: ما ثلاث ممثلات. أي يَمِلْن بالخُيلاء ويُصبين قلوب الرجال، وقيل: مائلات الخِمرة، وقيل: المائلات: المُتبرِّجات، وقيل: مائلات الرؤوس إلى الرجال، قال ابن الأثير: المائلات: الزائغات عن طاعة الله وما يلزمهُنَّ حفظه، ومميلاتٌ يعلِّمن غيرهنَّ الدخولَ في مثل فعلهِنَّ، وقيل: مائلاتٌ متبخترات في المشي مميلات لأكتافهِنَّ وأعطافهِنَّ، وقيل: مائلات يَمتَشِطنَ المِشطَة المَيلاء وهي مِشطةُ البَغايا، والمُميلات: اللَّواتي يمشُطنَ غيرهنَّ تلك المِشطة.
وكاسيات عاريات: أي أنَّهنَّ كاسياتٌ من نِعَم الله عارياتٌ من الشكر، وقيل: هو أن يَكشِفن بعض جسدهنَّ ويَسدُلن الخُمُر من ورائهنَّ، فهنَّ كاسياتٌ كعاريات، وقيل: أراد أنَّهنَّ يَلبَسن ثِياباً رقاقاً يَصِفنَ ما تحتها من أجسامِهنَّ فهنَّ كاسياتٌ في الظاهر عارياتٌ في المعنى.
أقول: لعلّ المعنى مائلات إلى الفحشاء والزّنا ومميلات الرجالَ إليهنَّ، فتراها في زماننا هذا، وإن لم يرها في ذلك الزمان.

يدخلن الجنَّة ولا يجدون ريحها، الَّذي نفس أبي إسحاق بيده إنَّهما لفي كتاب الله المُنزَل[١].

(١) لم نعثر عليه براوية أبي إسحاق كعب الأحبار، ولكن رواه مسلم في صحيحه ٣: ١٦٨٠/٢١٢٨، وأيضاً ٤: ٢١٩٢/٢١٢٨، وأحمد بن حنبل في مسنده ٢: ٤٤٠، والبيهقي في سننه ٢: ٢٣٤، كتاب الصلاة، وابن حبّان في صحيحيه ٩: ٢٧٥/٧٤١٨، والديلمي في الفردوس ٢: ٤٠١/ ٣٧٨٣، وأيضاً ٤: ٢٩١/ ٦٨٥٩، والهندي في كنز العمّال ١٦: ٣٨٣/ ٤٥٠١٣، جميعاً عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: صنفان من أهل النّار لم أرّهما بعد (وفي بعضها: قط) قوم معهم سياط كأذناب البقر بضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهنَّ كأسنِمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنَّة ولا يجدن ريحها وإنَّ ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا.

تشبّه النساء بالرجال وتشبّه الرجال بالنساء

جاء في الصحيح، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»[١].

وفي رواية قال ﷺ: لعن الله الرجلة من النساء.

وفي رواية قال ﷺ: لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم.

وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: لعن الله المرأة تلبس لبس الرجل والرجل يلبس لبس المرأة[٢].

ظاهرة الميوعة والانحلال:

إنَّ من أقبح ظواهر هذا العصر، أنَّك ترىٰ الشاب فلا تعرفه شاباً، وترىٰ الفتاة فلا تعرفها فتاةً، فقد انساق الجميع وراء التقليد الأعمىٰ، والصرعات الغربية، وانخرطوا في تيار الفساد والمتع الزائفة، وأصبح همهم الأغاني والرقص وآخر الصيحات في عالم الأزياء والمكياج وقصّات الشعر وو. . !!

وقد أصبح الشباب غارقين في الفساد والميوعة والانحلال. . دون وازع من ضمير، أو رادع من دين، وانهزم هؤلاء جميعاً من كافة ميادين الحياة، فأصبحوا لا

(١) الكبائر: ص١٣٦.
(٢) الكبائر: ص١٣٦.

يصلحون لشيء، ولا شك أنَّ أهم سبب في هذا الانحراف هو سوء التربية، وترك الأهل للمنهج الإسلامي القويم في التربية والتعليم، فنسوا أنَّه لا يجوز الاستغراق في النعيم والطيِّبات، الأمر الَّذي يؤدِّي للخلود إلى الراحة ونسيان الواجبات.. ونسوا أنَّه لا يجوز تشبُّه الرِّجال بالنِّساء ولا تشبُّه النِّساء بالرِّجال، ونسوا أنَّ الله تعالىٰ قد نهىٰ عن كلّ أنواع الاختلاط الماجن، كما نهىٰ عن التبرج والنظر إلى المحرَّمات.

بل علىٰ العكس من ذلك، فيربُّون الولد تربية البنت، ويُغرقون أولادهم في الدلال المفرط الَّذي من شأنه أن يؤدِّي إلى ميوعة هذا الولد، وربَّما سمحوا له وساعدوه في جلب أشرطة الغناء الماجن والأفلام الخليعة.. وغيرها.

وكل هذه الأُمور هي الَّتي تؤدِّي إلى حياة الترف والفسق والفجور، وهي التي تؤدِّي إلى تميُّع الجيل وانحلاله، وبالتالي ضياع الأُمَّة وتشرّدها..

فإلى كل مسؤول عن أسرة، لا تنسوا وصية رسول الله ﷺ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

موعظة للغافلين

العين تنام ولم ينم طالبها:

ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم، مفرقاً من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم، وندمت على التفريط غاية الندم، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم، متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد؟

إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد؟

إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد؟

إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد؟

متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد؟

متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد؟

متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجاء؟

متى تكون في الليل قائماً إذا سجا؟!

أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا، وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا؟!

لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا. وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا:

(البحر السريع)

يا نائم الليل متى ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهدُ
فقل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعدُ

الرياء

قال الله تعالى:

﴿كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[(٢)].

وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[(٣)].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[(٤)].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[(٥)].

قيمة العمل في الإسلام تدور مدار النيَّة، فهي روح العمل وميزان قيمته، فالعمل بلا نيَّة لا قيمة له وإن كانت نتيجته الخارجية عظيمة.

وقد جاءت في هذا المجال روايات كثيرة، من قبيل حديث النبي ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنيَّات، ولكل امرىء ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره

---

(١) البقرة: ٢٦٣.

(٢) النساء: ٣٨.

(٣) النساء: ١٤٢.

(٤) الأنفال: ٤٧.

(٥) الماعون: ٦ ـ ٧.

على الله عزَّ وجلَّ، ومن غزا يريد عرض الدُّنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلاَّ ما نوى»[١].

والمقصود من النيَّة مجموع أمرين:

١ ـ الإتيان بالعمل لله سبحانه.

٢ ـ أن يكون العمل لله سبحانه وحده من دون إشراك غيره معه. وبكلمة أُخرى: أن يكون بنحو الإخلاص ومن دون رياء.

فقيمة العمل على هذا الأساس تدور مدار الإخلاص وعدم الرياء، والثواب وعدمه يدوران مدار ذلك، فمن رفع حجراً صغيراً عن طريق الناس قربة خالصة لله سبحانه نال بذلك الثواب العظيم، ومن بذل الأموال الطائلة طلباً للرياء والسمعة لم يكن له شيء من الثواب.

بل إنَّ الرياء إذا كان في العبادة فهو محرَّم لأنَّه نحو من الشرك، ولذا جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «كلّ رياء شرك، إنَّه من عمل للنَّاس كان ثوابه على النَّاس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله»[٢].

وسُئل النبي صلى الله عليه وآله: «فيمَ النجاة غداً؟

فقال: إنَّما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنَّه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعر.

قيل له: فكيف يخادع الله؟

قال: يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره فاتَّقوا الله في الرياء فإنَّه الشرك بالله، إنَّ المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممَّن كنت تعمل له»[٣].

وفي حديث الإمام الصَّادق عليه السلام: «من أراد الله عزَّ وجلَّ بالقليل من عمله

---

(١) وسائل الشيعة ١: ٣٤، الباب ٥ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ١٠.

(٢) وسائل الشيعة ١: ٥٢، الباب ١٢ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ٤.

(٣) وسائل الشيعة ١: ٥٠، الباب ١١ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ١٦.

أظهر الله له أكثر ممَّا أراد به، ومن أراد النَّاس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبىٰ الله إلاَّ أن يقلّله في عين من سمعه»[١].

المرائي لا يدخل الجنَّة

روي عن أبي سعيد الخدري، عن النَّبي ﷺأنَّه قال: إنَّ الله حرَّم الجنَّة على كلِّ مراءٍ ومرائية، وليس البرُّ في حسن الزيِّ[٢] ولكنّ البرّ في السكينة والوقار[٣].

في الرياء والكبر والعجب وعلاجهم

اعلم أنَّ الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله.

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[٦].

الرياء في العبادة:

اعلم أنَّ الرياء بالعبادة إنَّما ينشأ من حب لذَّة الحمد والفرار من ألم المذمة والطمع لما في أيدي النَّاس فمهما عرف العبد مضرَّة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرَّض له من العقاب والمقت والخزي، وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدُّنيا بما يفوته من الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الأعمال لترك الرياء لا

---

(١) وسائل الشيعة ١: ٤٨، الباب ١١ من أبواب مقدمة العبادات، الحديث ٩.
(٢) الزِّيّ: الهيئة من الناس.
(٣) أخرجه المحدث النوري في المستدرك ١: ١٠٦.
(٤) الماعون: ٤ ـ ٧.
(٥) النساء: ١٤٢.
(٦) البقرة: ٢٦٤.

محالة مع أنَّ العمل الواحد ربَّما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص، فإذا فسد بالرياء حوَّل إلى كفة السَّيِّئات فترجح به ويهوى إلى النَّار هذا.

مع ما يتعرَّض له في الدُّنيا من تشتّت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإنَّ رضاء النَّاس غاية لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط فريق آخر ورضاء بعضهم في سخط بعض، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه ثمَّ أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقاً ولا أجلاً ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة.

وأمَّا الطمع بما في أيديهم: فبأن يعلم أنَّ الله تعالى هو مسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنَّ الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلاَّ الله، ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذُّل والخسَّة، وإن وصل إلى المراد لم يَخْلُ عن المنَّة والمهانة، فإذا قرَّر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه، ويكفيه أنَّ النَّاس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه، وسيكشف الله عن سرّه حتى يبغضه إلى النَّاس، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحبَّبه إليهم وسخَّرهم له وأطلق ألسنتهم بحمده والثناء عليه، مع أنَّه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم.

ثمَّ ينبغي أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتَّى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته، ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به، وذلك وإن شقَّ في بداية المجاهدة، لكن إذا صبر عليه مدَّة بالتكليف سقط عنه ثقله وهان عليه بتوسّط ألطاف الله وما يمدّه به عباده من حسن التوفيق والتأييد، ولكن الله لا يغيِّر ما بقوم حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيِّع أجر المحسنين.

أقسام الرياء:

ينقسم الرياء أقساماً تلخصها النقاط التالية:

١ ـ **الرياء بالعقيدة**: وذلك بإظهار الإيمان وإسرار الكفر، وهذا هو النفاق وهو أشدها نكراً وخطراً على المسلمين، لخفاء كيده، وتستره بظلام النفاق.

٢ ـ **الرياء بالعبادة مع صحة العقيدة:** وذلك بممارسة العبادات أمام ملأ النَّاس، مراءاة لهم، ونبذها في الخلوة والسر، كالتظاهر بالصلاة، والصيام، وإطالة الركوع والسجود والتأنِّي بالقراءة والأذكار وارتياد المساجد، وشهود الجماعة، ونحوه من صور الرياء، في صميم العبادة أو مكملاتها، وهنا يغدو المرائي أشد إثماً من تارك العبادة، لاستخفافه بالله عزَّ وجلَّ، وتلبيسه على النَّاس.

٣ ـ **الرياء بالأفعال:** كالتظاهر بالخشوع، وتطويل اللحية، ووسم الجبهة بأثر السجود، وارتداء الملابس الخشنة ونحوه من مظاهر الزهد والتقشف الزائفة.

٤ ـ **الرياء بالأقوال:** كالتشدق بالحكمة، والمراءاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتذكير بالثواب والعقاب مداجاة وخداعاً.

دواعي الرياء:

للرياء أسباب ودواعٍ نجملها فيما يلي:

١ ـ **حب الجاه:** وهو من أهم أسباب المراءاة ودواعيه.

٢ ـ **خوف النقد:** وهو دافع على المراءاة بالعبادة، وأعمال الخير، خشية من قوارص الذم والنقد.

٣ ـ **الطمع:** وهو من محفزات الرياء وأهدافه التي يستهدفها الطامعون، إشباعاً لأطماعهم.

٤ ـ **التستر:** وهو باعث على تظاهر المجرمين بمظاهر الصلاح المزيفة، إخفاءً لجرائمهم، وتستراً عن الأعين.

ولا ريب أنَّ تلك الدواعي هي من مكائد الشيطان، وأشراكه الخطيرة التي يأسر بها النَّاس، أعاذنا الله منها جميعاً.

حقائق:

ولا بدَّ من استعراض بعض الحقائق والكشف عنها إتماماً للبحث:

١ ـ اختلفت أقوال المحققين، في أفضلية إخفاء الطاعة أو إعلانها.

ومجمل القول في ذلك، إنَّ الأعمال بالنيات، وأنَّ لكل امرىءٍ ما نوى، فما صفا من الرياء فسواء إعلانه أو إخفاؤه، وما شابه الرياء فسيَّان إظهاره أو إسراره.

وقد يرجح الإسرار أحياناً للذين لا يطيقون مدافعة الرياء لشدَّة بواعثه في الإعلان. كما يرجح إعلان الطاعة، إن خلصت من شوائب الرياء، وقصد به غرض صحيح كالترغيب في الخير والحث على الاقتداء.

٢ ـ ومن استهدف الإخلاص في طاعته وعبادته، ثم اطلع النَّاس عليها، وسُرّ باطلاعهم واغتبط، فلا يقدح ذلك في إخلاصه، إن كان سروره نابعاً عن استشعاره بلطف الله تعالى، وإظهار محاسنه والستر على مساوئه تكرُّماً منه عزَّ وجلَّ.

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك، فقال: «لا بأس، ما من أحد إلاَّ وهو يحب أن يظهر الله له في النَّاس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»[1].

٣ ـ وحيث كان الشيطان مجداً في إغواء النَّاس، وصدّهم عن مشاريع الخير والطاعة، بصنوف الكيد والإغواء، لزم الحذر والتوقي منه، فهو يُسوّل للنَّاس ترك الطاعة ونبذ العبادة، فإن عجز عن ذلك أغراهم بالرياء، وحبَّبه إليهم، فإن أخفق في هذا وذاك، ألقى في خلدهم أنَّهم مراؤون وأعمالهم مشوبة بالرياء، ليسوِّل لهم نبذها وإهمالها.

فيجب والحالة هذه طرده، وعدم الاكتراث بخدعه ووساوسه، إذ المخلص لا تضرُّه هذه الخواطر والأوهام.

فعن الصَّادق، عن أبيه عليهما السلام: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا أتى الشيطان أحدكم وهو في صلاته فقال: إنَّك مُراءٍ، فليطل صلاته ما بدا له، ما لم يفته وقت فريضة، وإذا كان على شيء من أمر الآخرة فليتمكث ما بدا له، وإذا كان على شيء من أمر الدُّنيا فليسترح...»[2].

---

(١) الوافي: ج٣، ص١٤٨ عن الكافي.

(٢) البحار: م١٥، ص٥٣ عن قرب الإسناد.

مساوىء الرياء:

الرياء من السجايا الذميمة، والخلال المقيتة، الدَّالة على ضعة النفس، وسقم الضمير، وغباء الوعي، إذ هو الوسيلة الخادعة المدجلة التي يتخذها المتلونون، والمنحرفون ذريعة لأهدافهم ومآربهم دونما خجل واستحياء من هوانها ومناقضتها لصميم الدِّين والكرامة والإباء.

وحسب المرائي ذمّاً أنَّه اقترف جرمين عظيمين:

تحدَّىٰ الله عزَّ وجلَّ، واستخفَّ بجلاله، بإيثار عباده عليه في الزلفى والتقرُّب، ومخادعة النَّاس والتلبس عليهم بالنفاق والرياء.

ومثل المرائي في صفاقته وغبائه، كمن وقف إزاء ملك عظيم مظهراً له الولاء والإخلاص، وهو رغم موقفه ذلك يخاتل الملك بمغازلة جواريه أو استهواء غلمانه.

أليس هذا حرياً بعقاب الملك ونكاله الفادحين على تلصصه واستهتاره.

ولا ريب أنَّ المرائي أشدَّ جرماً وجناية من ذلك، لاستخفافه بالله عزَّ وجلَّ، ومخادعة عبيده، والمرائي بعد هذا حليف الهمّ والعناء، يستهوي قلوب النَّاس، ويتملق رضاهم، ورضاهم غاية لا تنال، فيعود بعد طول المعاناة خائباً، شقياً، سليب الكرامة والدِّين.

ومن الثابت أنَّ سوء السريرة سرعان ما ينعكس على المرء، ويكشف واقعه، ويبوء بالفضيحة والخسران.

(البحر الطويل)

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإنْ خالها تخفىٰ على النَّاس تُعلمُ

وقد أعرب النبي ﷺ عن ذلك قائلاً: «من أسرَّ سريرة ردَّأه الله رداءها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[١].

(١) الوافي: ج٣، ص١٤٧ من خبر عن الكافي.

علاج الرياء:

وبعد أن عرفنا طرفاً من مساوىء الرياء، يجدر بنا أن نعرض أهم النصائح الأخلاقية في علاجه وملافاته.

علاج الرياء العملي:

وذلك برعاية النصائح المجملة التالية:

١ ـ محاكمة الشيطان، وإحباط مكائده ونزعاته المرائية، بأسلوب منطقي يقنع النفس، ويرضي الوجدان.

٢ ـ زجر الشيطان وطرد هواجسه في المراءاة طرداً حاسماً، والاعتماد على ما انطوى عليه المؤمن من حبّ الإخلاص، ومقت الرياء.

٣ ـ تجنب مجالات الرياء ومظاهره، وذلك بإخفاء الطاعات والعبادات وسترها عن ملأ النَّاس، ريثما يثق الإنسان بنفسه، ويحرز فيها الإخلاص.

ومن طرائف الرياء والمرائين ما قيل:

إنَّ أعرابياً دخل المسجد، فرأى رجلاً يصلي بخشوع وخضوع، فأعجبه ذلك، فقال له: نعم ما تصلي.

قال: وأنا صائم، فإنَّ صلاة الصائم، تضعف صلاة المفطر.

فقال له الأعرابي: تفضل واحفظ ناقتي هذه، فإنَّ لي حاجة حتى أقضيها. فخرج لحاجته، فركب المصلي ناقته وخرج، فلما قضى الأعرابي حاجته، رجع فلم يجد الرجل ولا الناقة، وطلبه فلم يقدر عليه، فخرج وهو يقول:

(البحر الكامل)

صلَّى فأعجبني وصام فرامني منح القلوص عن المصلِّي الصائمِ

وصلَّى أعرابيّ فخفَّف صلاته، فقام إليه علي عليه السلام بالدرة وقال: أعدها، فلما فرغ قال: أهذه خيرٌ أم الأُولى؟ قال: بل الأولى قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ الأُولى لله وهذه للدَّرة.

علامات الرياء:

يمكن أن نستشف من الآيات والأحاديث التي تحدثت عن الرياء الخصوصيات التالية التي يتميَّز بها المرائي:

١ ـ ينافق.

٢ ـ يمارس الأعمال العبادية بحرارة وشوق أمام الآخرين.

٣ ـ يمارس هذه الأعمال بكسل وتقاعس بعيداً عن الآخرين.

٤ ـ يرغب في أن يمدحه الآخرون على جميع الأعمال.

٥ ـ يزيد عمله عند الامتداح.

٦ ـ يقل نشاطه وعمله عند عدم الامتداح.

٧ ـ يخادع ويمكر.

٨ ـ يتبجح بأعمال الخير التي يقوم بها.

٩ ـ يمنُّ بأعماله على الغير.

١٠ ـ يطمع في ما بأيدي النَّاس ولا يتوكَّل على الله.

١١ ـ يذكر الله في الظاهر وقلَّما يذكره في الباطن.

١٢ ـ مغرور ومتغطرس.

١٣ ـ يميل إلى الراحة وحياة الترف.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لعبّاد بن كثير البصريّ في المسجد: ويلك يا عباد إيّاك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له[١].

عن عليّ بن عقبة، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اجعلوا

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٩٣.

أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فإنّه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله[١].

عن يزيد بن خليفة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كلُّ رياء شرك إنّه من عمل للنّاس كان ثوابه على النّاس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله[٢].

عن جرّاح المدايني، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[٣].

قال: الرّجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكية النّاس، يشتهي أن يسمع به النّاس، فهذا الّذي أشرك بعبادة ربّه، ثمَّ قال: ما من عبد أسرَّ خيراً فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسرُّ شراً فذهبت الأيّام حتّى يظهر الله له شراً[٤].

وعن محمّد بن عرفة قال: قال لي الرّضا عليه السلام: ويحك يابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل، ويحك ما عمل أحد عملاً إلاّ ردّاه الله به إن خيراً فخير، وإن شراً فشرٌ[٥].

وعن عمر بن يزيد قال: إنّي لأتعشّى عند أبي عبد الله عليه السلام إذ تلا هذه الآية: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾[٦] يا أبا حفص ما يصنع أن يتقرَّب إلى الله عزَّ وجلَّ بخلاف ما يعلم الله، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من أسرّ سريرة ردّاه الله رداءها إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً[٧].

وعن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: إنَّ الملك ليصعد

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٩٣.
(٢) الكافي ج٢ ص٢٩٣.
(٣) الكهف: ١١٠.
(٤) الكافي ج٢ ص٢٩٣.
(٥) الكافي ج٢ ص٢٩٤.
(٦) القيامة: ١٤ و ١٥.
(٧) الكافي ج٢ ص٢٩٤.

بعمل العبد مبتهجاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله عزَّ وجلَّ: اجعلوها في سجّين إنّه ليس إيّاي أراد به[١].

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأى النّاس، ويكسل إذا كان وحده، ويحبُّ أن يحمد في جميع أُموره[٢].

وعن عليِّ بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلاّ ما كان لي خالصاً[٣].

وعن داود، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أظهر للناس ما يحبُّ الله، وبارز الله، بما كرهه، لقي الله وهو ماقت له[٤].

وعن فضل أبي العبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسرَّ شيئاً أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أنَّ ذلك ليس كذلك، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ إنَّ السريرة إذا صحّت قويت العلانية[٥].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من عبد يسرُّ خيراً إلاّ لم تذهب الأيّام حتّى يظهر الله تعالى له خيراً، وما من عبد يسرُّ شراً إلاّ لم تذهب الأيّام حتّى يظهر له شراً[٦].

وعن يحيى بن بشير، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أراد الله عزَّ وجلَّ بالقليل من عمله، أظهره الله له أكثر ممّا أراد، ومن أراد النّاس بالكثير من عمله في تعب من بدنه، وسهر من ليله، أبى الله عزَّ وجلَّ إلاّ أن يقلّله في عين من سمعه[٧].

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٩٤.
(٢) الكافي ج٢ ص٢٩٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الكافي ج٢ ص٢٩٥.
(٥) الكافي ج٢ ص٢٩٥.
(٦) الكافي ج٢ ص٢٩٦.
(٧) الكافي ج٢ ص٢٩٦.

وعن السّكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم، طمعاً في الدُّنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم[١].

وعن ابن القدَّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة، فإنَّ من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله[٢].

وعن ابن زياد، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل في ما النّجاة غداً؟

فقال: إنّما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنّه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعر.

فقيل له: وكيف يخادع الله؟

قال: يعمل بما أمر الله به ثمَّ يريد به غيره، فاتّقوا الله واجتنبوا الرّياء، فإنّه شرك بالله إنَّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر! يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! حبط عملك، وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له[٣].

وعن ابن زياد، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: إذا أتى الشيطان أحدكم وهو في صلاته فقال: إنّك مُراءٍ فليطل صلاته ما بدا له ما لم يفته وقت فريضة، وإذا كان على شيء من أمر الآخرة، فليتمكّث ما بدا له، وإذا كان على شيء من أمر الدّنيا فليبرح، وإذا دعيتم إلى العرسات فأبطؤوا فإنها تذكّر الدُّنيا، وإذا دعيتم إلى الجنائز فأسرعوا فإنّها تذكّر الآخرة[٤].

وعن عليِّ بن جعفر، عن أخيه موسى، عن آبائه عليهم السلام قال: قال

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٩٦.
(٢) الكافي ج٢ ص٢٩٧.
(٣) أمالي الصدوق ص٣٤٦.
(٤) قرب الأسناد ص٤٢ وفي ط ص٥٧.

رسول الله ﷺ: يؤمر برجال إلى النار فيقول الله جلَّ جلاله لمالك: قل للنار لا تحرق لهم أقداماً فقد كانوا يمشون إلى المساجد، ولا تحرق لهم وجهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرق لهم أيديَ فقد كانوا يرفعونها بالدعاء، ولا تحرق لهم ألسناً فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن.

قال: فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء! ما كان حالكم؟

قالوا: كنّا نعمل لغير الله عزَّ وجلَّ.

فقيل لنا: خذوا ثوابكم ممّن عملتم له[١].

وعن يزيد بن خليفة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما على أحدكم لو كان على قلّة جبل حتّى ينتهي إليه أجله أتريدون تراؤون الناس؟ إنَّ من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله، إنَّ كلَّ رياء شرك[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام سئل أيُّ عمل أنجح؟

قال: طلب ما عند الله[٣].

وعن المفضّل، عن الصادق عليه السلام قال: الاشتهار بالعبادة ريبة. (الخبر)[٤].

وعن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على أُمّتي زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدُّنيا، لا يريدون به ما عند الله عزَّ وجلَّ يكون أمرهم رياء لا يخالطه خوف، يعمّهم الله منه بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم[٥].

وعن بعض أصحابنا بلغ به أبا جعفر عليه السلام قال: ما بين الحقّ والباطل إلاّ قلّة العقل.

---

(١) علل الشرايع ج٢ ص١٥١. ثواب الأعمال: ص٢٠١.
(٢) علل الشرايع ج٢ ص٢٤٧.
(٣) أمالي الصدوق ص٢٣٧.
(٤) أمالي الصدوق ص١٤.
(٥) ثواب الأعمال ص٢٢٦.

قيل: وكيف ذلك يابن رسول الله؟

قال: إنَّ العبد يعمل العمل الذي هو لله رضا، فيريد به غير الله، فلو أنّه أخلص لله لجاءه الّذي يريد في أسرع من ذلك[١].

وعن يحيى بن بشير النبّال عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر ممّا أراده به، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر في ليلة، أبى الله إلاّ أن يقلّله في عين من سمعه[٢].

وقال الصادق عليه السلام: لا تراءِ بعملك من لا يُحيي ولا يميت، ولا يغني عنك شيئاً، والرياء شجرة لا تثمر إلاّ الشرك الخفيّ، وأصلها النفاق يقال للمرائي عند الميزان: خذ ثوابك ممّن عملت له ممَّن أشركته معي: فانظر من تدعو، ومن ترجو، ومن تخاف؟ واعلم أنّك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليه، وتصير مخدوعاً قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾[٣].

وأكثر ما يقع الرياء في النظر والكلام والأكل والمشي والمجالسة واللباس والضحك والصلاة والحجّ والجهاد وقراءة القرآن وسائر العبادات الظاهرة، ومن أخلص باطنه لله وخشع له بقلبه ورأى نفسه مقصّراً بعد بذل كلِّ مجهود، وجد الشكر عليه حاصلاً فيكون ممّن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق إذا استقام على ذلك على كلِّ حال[٤].

وعن البطائني، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: يجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول: يا ربِّ صلّيت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل صلّيت ليقال ما أحسن صلاة فلان؟ اذهبوا به إلى النّار.

ويجاء بعبد قد تعلّم القرآن فيقول: يا ربِّ تعلّمت القرآن ابتغاء وجهك، فيقال له: بل تعلّمت ليقال ما أحسن صوت فلان؟ اذهبوا به إلى النار.

---

(١) المحاسن ص٢٥٤.

(٢) المحاسن ص٢٥٥.

(٣) البقرة: ١٠.

(٤) مصابح الشريعة ص٣٣.

ويجاء بعبد قد قاتل فيقول: يا ربِّ قاتلت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل قاتلت ليقال ما أشجع فلاناً؟ اذهبوا به إلى النار.

ويجاء بعبد قد أنفق ماله فيقول: يا ربِّ أنفقت مالي ابتغاء وجهك فيقال له: بل أنفقته ليقال: ما أسخى فلاناً؟ اذهبوا به إلى النّار[1].

الرياء مفسد للعمل

وقد حدَّثني أوثق مشايخي أنَّ رجلاً كان لا يقدر على الإخلاص في العمل وترك الرياء فاحتال وقال: إنَّ في طرف البلد مسجداً مهجوراً لا يدخله أحد فأمضي إليه ليلاً وأعبد الله فيه.

مضى إليه في ليلة مظلمة وكانت ذات رعد وبرق ومطر فشرع في العبادة فبينما هو في الصلاة إذ دخل عليه داخل، فأحس به، فدخله السرور برؤية ذلك الداخل له وهو على حالة العبادة في الليلة الظلماء، فأخذ في الجد والاجتهاد في عبادته إلى أن جاء النَّهار، فنظر إلى ذلك فإذا هو كلب أسود قد دخل المسجد ممَّا أصابه من المطر.

تندَّم الرجل على ما دخله حال دخوله وقال:

يا نفس إنِّي فررت من أن أشرك بعبادة ربِّي أحداً من النَّاس فوقعت في أن أشركت معه في العبادة كلباً أسود يا أسفاه ويا ويلاه على ذلك[2].

موعظة للغافلين

لا تنسو الموت:

عباد الله! إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل، فليخبر الأواخر الأوائل،

---

(١) البحار: ج٦٩، ص٣٠١ ـ ٣٠٢، ح٤٤.

(٢) الأخلاق: ج٢. (لمحمد تقي فلسفي).

وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل، ما من يوقن أنه لا شك راحل، وما له زاد ولا رواحل، يا من لج في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل؟

هل انتبهت من رقاد شامل، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل، وقمت في الليل قيام عاقل، وكتبت بالدموع سطور الرسائل، تخفي بها زفرات الندم والوسائل، وبعثتها في سفينة دمع سائل. لعلّها ترسو على الساحل.

واأسفاً لمغرور جهول غافل، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل، وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل، يبني البنيان ويشيد المعاقل، وهو عن ذكر قبره متشاغل، ويدعي بعد هذا أنه عاقل. تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل، وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل:

(البحر الرمل المجزوء)

أيها المعجب فخراً ... بمقاصير البيوتِ
إنما الدنيا محلٌ ... لقيام وقنوتِ
فغداً تنزل بيتاً ... ضيقاً بعد النحوتِ
بين أقوام سكوت ... ناطقات في الصموتِ
فارضَ في الدنيا بثوب ... ومن العيش بقوتِ
واتخذ بيتاً ضعيفاً ... مثل بيت العنكبوتِ
ثم قل: يا نفس هذا ... بيت مثواك فموتي

اتّعظوا بمن سبق:

يا مبادراً بالخطايا ما أجهلك! إلى متى تغتر بالذي أمهلك، كأنه قد أهملك؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك. يا مطمئناً بالفاني ما أكثر زللك، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك، أين حبيبك الذي كان وأين انتقل؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل، أين كثير المال، أين طويل الأمل، أما خلا وحده في لحده بالعمل، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل؟ أما

سافر به وإلى الآن ما وصل، أين من تنعم في قصره فكأنه في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل، أين من تفوق واحتفل؟ غاب والله نجم سعوده وأفل. إن الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول.

اطردوا الشيطان:

عباد الله! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثملوا من الشهوات وشبعوا، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا، فهم مفترقون في القبور فإذا نفخ في الصور اجتمعوا.

(البحر البسيط التام)

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقعُ
قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون في البحر لا يخشى لها فزعُ
والآدمي بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلعُ
حتى يرى فيه يوم الجمع منفرداً ... وخصمه الجلد والأبصار والسمعُ
وإذا يقومون والأشهاد قائمة ... والجن والأنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلعُ
فكيف بالناس والأنباء واقفة ... عما قليل وما تدري بما تقعُ
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم في الجحيم فلا تبقي ولا تدعُ
تهوي بسكانها طوراً وترفعهم ... إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغني ولا جزعُ

استكثار الطاعة والعجب بالأعمال

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[(١)].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[(٢)].

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟

فقال: مثلي يسأل عن عبادته؟ وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا.

فقال: كيف بكاؤك؟

قال: أبكي حتّى تجري دموعي.

فقال له العالم: فإنّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلٌ، وإنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء[(٣)].

وعن سعيد بن جناح، عن أخيه أبي عامر، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من دخله العجب هلك[(٤)].

---

(١) النساء: ٤٩.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) الكافي ج٢ ص٣١٣.

(٤) الكافي ج٢ ص٣١٣.

وعن عليّ بن سويد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن العجب الذي يفسد العمل فقال: العجب درجات:

منها: أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنّه يحسن صنعاً.

ومنها: أن يؤمن العبد بربّه فيمنُّ على الله عزَّ وجلَّ ولله عليه فيه المنُّ[١].

وعن أحمد بن أبي داود، عن بعض أصحابنا عن أحدهما عليهما السلام قال: دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدِّيق والعابد فاسق، وذلك أنّه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدلُّ بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في التندُّم على فسقه ويستغفر الله ممّا صنع من الذّنوب[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل عليه إبليس وعليه برنس ذو ألوان فلمّا دنا من موسى خلع البرنس وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟

فقال: أنا إبليس.

قال: أنت فلا قرَّب الله دارك.

قال: إنّي إنّما جئت لأسلّم عليك لمكانك من الله.

قال: فقال له موسى: فما هذا البرنس؟

قال: به اختطف قلوب بني آدم.

فقال موسى: فأخبرني بالذنب الّذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟

قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينيه ذنبه.

وقال: قال الله تعالى لداود عليه السلام: يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصّدّيقين.

---

(١) الكافي ج٢ ص٣١٣.

(٢) الكافي ج٢ ص٣١٤.

قال: كيف أُبشّر المذنبين وأُنذر الصّدِّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب، وأنذر الصّدِّيقين ألاّ يعجبوا بأعمالهم، فإنَّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك[١].

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث موبقات: شحٌّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه[٢].

وعن سعد الاسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث هنَّ قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه[٣].

وعن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال إبليس لعنه الله لجنوده إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم أُبالِ ما عمل فإنّه غير مقبول منه: إذا استكثر عمله، ونسي ذنبه، ودخله العجب[٤].

وعن عليّ بن ميسرة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إيّاكم أن تكونوا منّانين.

قلت: جعلت فداك وكيف ذلك؟

قال: يمشي أحدكم ثمَّ يستلقي ويرفع رجليه على الميل، ثمَّ يقول: اللهمَّ إنّي أنّما أردت وجهك[٥].

وقال عليه السلام: أوحش الوحشة العجب[٦].

وعن أبي خالد الصيقل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ فوَّض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء، فلما رأى

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣١٤.
(٢) الخصال ج١ ص٤١.
(٣) الخصال ج١ ص٥٥.
(٤) الخصال ج١ ص٥٥.
(٥) معاني الأخبار ص١٤٠، وقوله: «يمشي أحدكم» أي يمشي في قضاء حوائج الإخوان وسائر وجوه البر والخير.
(٦) نهج البلاغة الرقم ٣٨ من الحكم.

الأشياء قد انقادت له قال: من مثلي فأرسل الله عزَّ وجلَّ نويرة من نار، قلت: وما نويرة من نار؟

قال: نار بمثل أنملة.

قال: فاستقبلها بجميع ما خلق، فتخلّلت لذلك حتّى وصلت إليه، لما أن دخله العجب[١].

عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أنَّ الذنب خير للمؤمن من العجب، ما خلى الله بين عبده المؤمن وبين ذنب أبداً[٢].

وقال الصادق عليه السلام: المغرور في الدنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون، لأنّه باع الأفضل بالأدنى، ولا تعجب من نفسك، حيث ربّما اغتررت بمالك وصحّة جسمك أن لعلّك تبقى، وربّما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلّك تنجو بهم، وربّما اغتررت بحالك ومنيتك، وإصابتك مأمولك وهواك، وظننت أنَّك صادق ومصيب، وربَّما اغتررت إلى الخلق أو شكوت من تقصيرك في العبادة ولعلَّ الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك، وربّما أقمت نفسك على العبادة متكلّفاً والله يريد الاخلاص، وربّما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في غيب الله، وربّما توهّمت أنّك تدعو الله وأنت تدعو سواه، وربّما حسبت أنّك ناصح للخلق، وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك، وربّما ذممت نفسك، وأنت تمدحها على الحقيقة.

واعلم أنّك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمنّي إلاّ بصدق الإنابة إلى الله، والأخبات له، ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا يتحمّله الدِّين والشريعة، وسنن النبوَّة وأئمة الهدى، وإن كنت راضياً بما أنت فيه، فما أحد أشقى بعمله منك وأضيع عمراً، فأورثت حسرة يوم القيامة[٣].

---

(١) ثواب الأعمال ص٢٢٤، وتراه في المحاسن ص١٢٣.
(٢) أمالي الطوسي ج٢ ص١٨٤.
(٣) مصباح الشريعة: ٢٤.

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: العجب كلُّ العجب ممّن يعجب بعمله، ولا يدري بما يختم له، فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ظلَّ عن منهج الرشد، وادَّعى ما ليس له، والمدَّعي من غير حقّ كاذب، وإن خفي دعواه، وطال دهره، وإنَّ أوّل ما يفعل بالمعجب نزع ما أُعجب به، ليعلم أنّه عاجز حقير، ويشهد على نفسه ليكون الحجّة عليه أوكد، كما فعل بابليس.

والعجب نبات حبّها الكفر، وأرضها النفاق، وماؤها البغي، وأغصانها الجهل، وورقها الضلالة، وثمرها اللعنة والخلود في النار، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق، ولا بدَّ له من أن يثمر[١].

وعن أبي الربيع الشاميّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أعجب بنفسه هلك، ومن أعجب برأيه هلك، وإنَّ عيسى بن مريم قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمة والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه.

فقيل: يا روح الله وما الأحمق؟

قال: المعجب برأيه ونفسه، الّذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويوجب الحقَّ كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقّاً، فذاك الأحمق الّذي لا حيلة في مداواته[٢].

وقال المسيح عليه السلام: يا معشر الحواريّين كم من سراج أطفأته الريح، وكم من عابد أفسده العجب[٣].

---

(١) مصباح الشريعة: ٢٧.

(٢) الاختصاص: ٢٢١.

(٣) البحار: ج٦٩، ص٣٢٢.

المكاس

المكاس وهو داخل في قوله الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم. فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق.

ولهذا قال النبي ﷺ: «المكاس لا يدخل الجنة».

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس» رواه أبو داود(٢).

موعظة للغافلين

الانشغال باللّذات:

أين من حصن الحصون المشيدة واحترس، وعمر الحدائق فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس، أزعجه والله هازم اللذات واختلس، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس، وتركه في ظلام ظلمة

---

(١) الشورى: ٤٢.

(٢) الكبائر: ص١١٦.

من الجهل والدنس، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس. وما أصحّ ما قاله الشاعر:

(البحر البسيط التام)

تبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والأعمار تختلسُ
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع لا بد ما ينتهي أمر وينعكسُ
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك تخشى ودونهم الحجّاب والحرسُ
أضحوا بمهلكة في وسط معركة صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا
وعمهم حدث إذ ضمهم جدث باتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت أيدي البلا بهم والدود يفترسُ
لعاينت منظراً تشجى القلوب له وأبصرت منكراً من دونه البلسُ
من أوجه ناضرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف ينطمسُ
وأعظم باليات ما بها رمق وليس تبقى لهذا وهي تنتهسُ
وألسن ناطقات زانها أدب ما شأنها شانها بالآفة الخرسُ
حتام يا ذا النهى لا ترعوي سفهاً ودمع عينيْك لا يهمي وينبجسُ

يا من يرحل في كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة، ولا يصغي إلى ناصح وقد عذله، ودروعه مخرقة والسهام مرسلة، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا، ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله. كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة. ونعم جلدك فلا بدّ للديدان أن تأكله. فيا عجباً من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن من غرور وبله. ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولاك لو علمت منزله، فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله. فبقية عمر المؤمن جوهرة قيّمة.

الجعظري الزَّنيم والجوّاظ لا يدخل الجنّة

عن عبد الرحمان بن عثمان أنَّ رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنَّة جَوّاظ، ولا جَعظري، ولا عُتُلٌّ زنيم، قالوا: يا رسول الله ما الجَوّاظ والجَعظري والعُتُلُّ الزَّنيم؟ قال:

الجوّاظ: الّذي جمع ومنع، يدعوه لَظى نَزّاعةً للشّوى[1].

وأمّا الجعظري: فالفظُّ الغليظ القلب.

وأمّا العُتلُّ الزّنيم: فالشَّديد الخُلق، الرحب الجوف المُصحّح الأكول الشروب، الظَّلوم للنّاس[2].

موعظة للغافلين

يا نفسُ: ما المانعُ لك من المبادرة إلى صالح الأعمال، وما الباعث لك على التسويف والإهمال، وهل سببه إلّا عجزك عن مخالفة شهوتك، وضعفك عن مؤالفة أئمتك؟ وهب أن الجهد في آخر العمر نافعٌ، وأنّه مرقٍ إلى أسعدِ المطالع. فلعلَّ اليوم آخرُ عمرك، ونهايةُ دهرك.

ولا ترجِ فعل الصالحاتِ إلى غدٍ لعلَّ غداً يأتي وأنت فقيدُ

(١) اللظى: النّار، وقيل اللّهب الخالص. راجع سورة المعارج (٧٠): ١٦، فإنّ الجملة متّخذةٌ منها.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٢٧، رواه الطبرسي في مجمع البيان ٥: ٣٣٤، سورة القلم. راجع الفردوس ٣: ٩٤/٤٢٦٨، أيضاً ٥: ١٠٦/٧٦١٦.

لا يدخل الجنَّة إلاّ نفس مؤمنة

عن زيد بن يُثَيع قال: سألت عليّاً عليه السلام بأيِّ شيء بعثت في الحجّين؟

قال: بعثت بأربع:

١ ـ لا يدخل الجنَّة إلاّ نفس مؤمنة.

٢ ـ ولا يطوف بالبيت عريان.

٣ ـ ولا يجتمع مسلم ومشرك في المسجد الحرام بعد عامه هذا.

٤ ـ ومن كان بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله عهد فعهده إلى مدّته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر[١].

وعنه، عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ حين أُنزلت براءة ـ بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد فهو إلى مدّته، ولا يدخل الجنّة إلاّ نفس مسلمة[٢].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٧٩، سنن الترمذي ٢: ١٧٩/ ٨٧٢، سنن الدارمي ٢: ٦٨، مستدرك الحاكم ٣: ٥٢.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ١٧٨.

من ادّعى إلى غير أبيه لا يدخل الجنَّة

عن سعد بن مالك قال: سمعت أُذُناي، ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ قال: من ادّعى أباً في الإسلام وهو يعلم أنَّه غير أبيه فالجنَّة عليه حرام[١].

وعنه أيضاً، قال: سمعت أُذُني محمّداً عليه الصلاة والسَّلام، ووعاه قلبي: من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنَّه غير أبيه فالجنَّة عليه حرام[٢].

وعن عبد الله بن عمرو، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: من ادّعى إلى غير أبيه فلن يرح رائحة الجنَّة، وريحها توجد من قدر مسيرة سبعين عاماً[٣].

من يقتل رجلاً من أهل الذمَّة لا يدخل الجنَّة:

روي عن المطّلب أنَّ النَّبي ﷺ قال: من قتل رجلاً من أهل الذمَّة حرَّم الله عليه الجنَّة الّتي توجد ريحها من مسيرة سبعين عاماً[٤].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٦٩، وأيضاً ٥: ٤٦، رواه النوري في المستدرك ١٨: ٢١٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٤ و١٧٩، وأيضاً ٥: ٣٨، رواه النوري في المستدرك ١٨: ٢١٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ١٧١ و١٩٤، رواه النوري في المستدرك ١٨: ٢١٩. لم يرح: أي لم يَشُم ريحها. يقال: راح يَريحُ، وراح يَراحُ، وأراح يُريحُ، إذا وجدَ رائحة الشيء.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٣٧، وأيضاً ٥: ٣٦٩ عن رجل من أصحاب النبي (ص)، رواه المجلسي في البحار ١٠٠: ٤٧، والنوري في المستدرك ١١: ١٣١.

سيّء المَلَكة[1] لا يدخل الجنَّة

عن أبي بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنَّة سيّء الملكة.

قالوا: أليس أخبرتنا أنَّ هذه الأُمَّة كلَّهم مملوكون ويتامى؟

قال: بلى فأكرموهم ككرامة أولادكم، وأطعموهم ممّا تأكلون.

قالوا: فما ينفعنا الدُّنيا؟

قال: فرس ترتبطه تقاتل عليه في سبيل الله. ومملوكك يكفيك، فإذا صلّى فهو أخوك[2].

موعظة للغافلين

يا نفسُ: الولهُ بالدنيا أعظمُ فتنة، وإخراجُ الكلفِ أشرفُ قنية. فمنْ أخلص فيها توبته، أسقط حوبته. والعملُ فيها بطاعةِ اللهِ أربح، والرجاءُ لرحمتهِ أنجح، والاشتغالُ بتهذيبِ النفسِ أصلح، والاتّكالُ على القضاءِ أروح.

عجبتُ لشيءٍ لا يساوي جميعهُ جناحَ بعوضٍ عندَ مَنْ أنت عبدهُ
شغلتُ بجزءٍ منهُ عنهُ فما الذي يكون إذا حاسبك عذرك عندهُ

---

(١) أي الَّذي يسيء صحبة المماليك.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٢، سنن ترمذي ٣: ٢٢٥/٢٠١١، سنن ابن ماجة ٢: ١٢١٧/٣٦٩١، الفردوس ٥: ١٠٥/٧٢١٢.

من لا يدخل الجنَّة من أصحاب رسول الله (ص)

عن قيس بن [سعد بن] عبادة قال، قلت لعمّار: رأيتم ما صنعكم[١] هذا الَّذي صنعتم في أمر علي ﷺ رأياً رأيتموه، أو شيئاً[٢] عهد إليكم رسول الله ﷺ؟

فقال: ماعهد إلينا رسول الله [شيئاً][٣] لم يعهده إلى النّاس كافَّة، ولكن حذيفة أخبرني عن النَّبي أنَّ النَّبي ﷺ قال:

في أصحابي اثنا عشر منافقاً: ثمانية[٤] لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجَمَل[٥] في سُمِّ الخِياط[٦].

ثمانية منهم تقتلهم[٧] الدُّبَيْلة[٨].

---

(١) كذا في الأصل و «أ» و «ح» والظاهر زيادة «ما» كما أنَّه ليس في المصادر. وفي «ر» ما صنعتم.

(٢) في النسخ: رأيُ، وشيءٌ. وما في المتن من المصدر.

(٣) أثبتناه من المصادر

(٤) الظاهر زيادة «ثمانية» هنا، كما أنّها ليست في رواية أُخرى من صحيح مسلم ومسند أحمد.

(٥) في القراءة المشهور الجَمَل، وهو واضح، والجُمَّل والجُمَل بالتشديد والتخفيف كما في قراءة ابن عباس وغيره: الحبل الغليظة من القُنَّب، وقيل: هو قَلْس السفينة، والقَلْس: حبل ضخم من ليف أو خُوص، وقيل: الحبال المجموعة.

(٦) سَمِّ الخِياط. بفتح السين وضمّها وكسرها، والفتح أكثر: ثقب الإبرة. ومعناه: لا يدخلون الجنَّة أبداً كما لا يدخل الجمل في سمِّ الخياط أبداً.

(٧) في النسخ صورته كذا: تقسمهم. وفي المصادر: تكفيهم.

(٨) الدُّبَيلة: خُراجٌ ودُمَّلٌ كبير تظهر في الجَوف فتقتل صاحبها غالباً.

وأربعة، قال: لم أحفظ ما قال شُعبة[١] فيهم[٢].

(١) أثبتناه من المصدر. وفي النسخ: شيعته تصحيف، لأنَّ شعبة بن الحجّاج أحد من رواة هذا الحديث.

(٢) صحيح مسلم ٤: ٢١٤٣/ ٢٧٧٩، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٩٠، وأيضاً ٤: ٣٢٠، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أسود بن عامر، عن شعبة بن الحجّاج، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن قيس إلى آخره، السنن الكبرى ٨: ١٩٨، كتاب المرتد. وفي الإيضاح لابن شاذان النيشابوري ص٣٠ عن حذيفة بن اليمان قال: والله ما في أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ أعرف بالمنافقين منّي، وأنا أشهد أنَّ أبا موسى الأشعري منافقٌ.

صحّة التوبة من الكبائر

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، الكبائر فما سواها، قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء؟ قال: نعم[١].

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: الكبائر فيها استثناء أن تغفر لمن يشاء؟ قال: نعم[٢].

وعن هشام بن سالم، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم: «استغفر الله الذي لا إلّه إلاّ هو الحيّ القيّوم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، وأسأله أن يصلّي على محمّد وآله، وإن يتوب عليّ» إلاّ غفرها الله له، ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة[٣].

عن محمّد بن أبي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[٤] قال: قلت: فالشافعة لمن تجب؟

---

(١) الكافي ٢: ١٨/٢١٦.

(٢) الكافي ٢: ١٩/٢١٦.

(٣) الكافي ٢: ٧/٣١٨. ثواب الأعمال: ١/٢٠٢.

(٤) النساء ٤: ٣١.

فقال: حدثني أبي، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل.

قال ابن أبي عمير: فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[1] ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى؟

فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يذنب ذنباً إلاّ ساءه ذلك وندم وعليه.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة، وقال: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة ـ إلى إن قال: ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الإصرار... الحديث[2].

وجوب اجتناب الكبائر:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار[3].

وعن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما من عبد إلاّ وعليه أربعون جنة حتّى يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن... الحديث[4].

ومحمّد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق عليه السلام: من اجتنب الكبائر يغفر الله جميع ذنوبه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[5].

---

(١) الأنبياء ٢١: ٢٨.

(٢) التوحيد: ٤٠٧/٦.

(٣) الكافي ٢: ٧٧/٣.

(٤) الكافي ٢: ٢١٣/٩. علل الشرائع: ٥٣٢/١.

(٥) الفقيه ٣: ٣٧٦/١٧٨١.
النساء: ٣١.

الفهرس